د. أحمد شحلان

مجمع البحرين

من الفينيقية إلى العربية

دراسة مقارنة في المعجم واللغات العُروبية (السامية)



هذا الكتاب

في مدار فلك الحضارات القديمة ولغاتها، وضمن سياق مسار الكَلِم عبر تاريخ الأحداث والناس، ومِن انشغال هَمِّ البحث في مغرب يُمَجِّد تاريخه المعرفي ويروم المكانة التي هو بها قمين في مسالك علوم اليوم، نصوغ مضمون هذا الكتاب، ونضعه بين يديك أيها القارئ الكريم، وقد جاء في بابين، انشغل أولهما بقضايا لغوية مقارنة، نظرت في القرآن وما ورد فيه من عريق اللغات وأثيل الأسماء. وفي التوراة وما نقلته من موروث كان من سابقات العهود، أو كان أصلاً ثم تُرجم عبرية دون أن يُفْصح التاريخ عن ذلك، أو ما صار كَلِماً تداولته المعاجم قديمها وحديثها، أو ما بذله المتكلمون بالعبرية الحديثة من جهد، حين كانت عبريتهم عبرية بِيِّع عَيِيَّةٍ عن التعبير عما يريد البوحَ به اللسانُ في حقول العلم والمعرفة، أو عبرية مكَّنتها الحضارة الإسلامية من أدوات الخلق والإبداع والجرأة.

وخصصنا الباب الثاني لقضايا لغوية ترتبط بالتعريب ومغرب اليوم في همومه اللغوية والعلمية، وحركتنا فيه الشجون حول تيفيناغ البحث الأكاديمي وأمازيغية العواطف المغربية، وحول حُنُوِّ المغرب وافتخاره بموروث عبري هو ابن تربة المغرب وثمرةٌ من ثمار تسامحه وتفتحه، وحول تفرد بعض باحثينا، وهم يخوضون غِمار البحث في أصول اللغات، عربية إغريقية لاتينية، أو أصيل المصطلحات في الطب الذي كان صناعة عربية بامتياز، أيام كان العلم عربياً، فأحبوا، وهم من كبار المختصين، أن يعود التاريخ إلى صفاء مزاجه. وختاماً مال بنا الشجن حول جهد الجامعة المغربية، وهي تؤسس للبحث الشرقي وتضع أثافيه.

هَـمٌّ معرفي ندعوك للنظر فيه ونأمل أن تكون عوناً بالتقويم والتتميم والدعاء الصالح.

ISBN : 978-9954-1-9324-3

الثمن : **100** درهم

مجمع البحرين

من الفنيقية إلى العربية

د. أحمد شحلان

مجمع البحرين

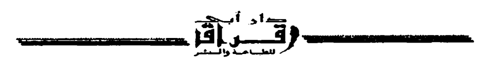
من الفنيقية إلى العربية

دراسة مقارنة في المعجم واللغات العُروبية (السامية)



الكتاب : مجمع البحرين من الفينيقية إلى العربية
دراسة مقارنة في المعجم واللغات العُروبية (السامية)
المؤلف : د. أحمـــد شحـــلان
الطبعة الأولى : 2009
الإيداع القانوني: 2009/0015
ردمـك: 3-9324-1-9954-978

الإخراج الفني والطباعة



دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10 شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط
الهاتف : 83 75 20 037 الفاكس: 89 75 20 037

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين

تقديم

سبق أن نشرنا بعضاً من أبحاثنا التي هي بنت مسيرتنا الجامعية، وخصصناه للحركة الفكرية واللغوية مما كان عطاء مشتركاً أسهم في ازدهاره كل أهل الأندلس على اختلاف مللهم ونحلهم. وعنونا ذاكم المجموع بـ **التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي: التسامح الحق**. ورأى الكِتابُ النورَ بعناية من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وراج في الناس، ووجد استحساناً لدى القراء، وقال فينا الكثير منهم، جزاهم الله خيراً، قولاً طيباً، حيث امتدحوا الكتاب وأشادوا بما ورد فيه من دَفين هَمَّ تاريخ أمتنا الإنساني والعلمي، وحسَّها الحضاري الذي كان قدوة بالتأثير لا بالقوة. ومجَّدوا في الكتاب الحفرَ عن جوانب من الثقافة ظلت في طي الخفاء، مع أنها تبرز خاصة من أجمل خصائص الغرب الإسلامي وأهله، تلك هي قدرتهم على أخذ النافع النبيل الجميل، والجود بالنافع النبيل الجميل، مع الحب الكبير لكل الذين تفيأوا الوطن. واقترح بعض من هؤلاء، بحسن من ظنٍّ، نأمل من الله أن لا نخيبه، أن نجمع جزءاً آخر من بحوثنا التي سبق أن نشرناها في منابر مختلفة، على غرار هذا الأول، ليسهل الوصول إليه. وذكرونا بوعد منا يجري هذا المجرى، سطرناه في مقدمة الكتاب الأول. فقد صنفنا في تلك المقدمة بحوثنا التي تجمعت على مدى يزيد على ثلث قرن، في حقول معرفية وضعنا لها عناوين كبرى أولها هو: **الثقافة العبرية اليهودية الأندلسية** التي كان لها العلم العربي الإسلامي رافداً ومغذياً. وهي التي نشرناها في الكتاب الأول **بعنوان التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي: التسامح** الحق. وثانيها **الدراسات اللغوية المقارنة**، وهي التي نضعها اليوم بين يديك أيها

القارئ الكريم، وقد عنوناها بـ **مجمع البحرين، من الفينيقية إلى العربية، دراسة مقارنة في المعجم واللغات العُروبية (السامية).** وثالثها مجموعة بحوث اهتمت **بالثقافة والتأريخ العبري في أرض المغرب.** ورابعها مجموعة بحوث جرت وقائعها في موائد مستديرة كانت تنظمها كلية الآداب ومؤسسة كونراد أدناور والجمعية المغربية للدراسات الشرقية، واختصت هذه البحوث بالنظر في **الدراسات التوراتية والشرقية.** والدراستان الأخيرتان هما أيضاً معدتان اليوم للطبع.

أما هذا المجموع الذي عزمتَ على النظر فيه، فهو نظر في وشائج الصلات بين اللغات التي جرت العادة بأن تسمى سامية، وأردنا أن نسميها - مع باحثين آخرين - عروبية. ونرى من الواجب علينا، ونحن نضع الكتاب بين يديك، وقد استعملنا في جزء من عنوانه العبارة **"دراسة مقارنة في المعجم واللغات العُروبية"** أن نبين أسباب اختيارنا للفظ "عروبية" (اللغات العروبية)، بدل مصطلح "سامية"، الذي جرت العادة باستعماله، تسمية لعائلة هاته اللغات، حتى يكون القصد واضحاً والخاطر أهدأ. فما هي هاته اللغات؟ ومن استعمل مصطلح سامية أول الأمر؟ ولماذا نستحسن تغيير المصطلح؟

تتكون هذه العائلة من لغات شغلت عالماً شاسعاً جمع ما بين أرض الهلال الخصيب وبلاد فارس (آرامية) وأرض الشام القديم واليمن السعيد والجزيرة العربية وامتداداتها، وكل الأراضي التي أصبحت جزءاً من أرض الإسلام، باعتبار أن هذه بدأت تستعمل اللغة العربية منذ قبولها الإسلام.

وظهرت عناصر من هذه اللغات منذ الألف الربع قبل الميلاد. وتألفت عائلتها من اللغات التي هي: **"عروبية أمٌّ"** وتفرع عنها فرع شرقي، ولغته الأكادية في فرعيها البابلي والأشوري. ولغة وسطى بين الشرقية والغربية، وهي الأوغاريتية. وفرع غربي، وعنه تفرعت لغات الجنوب وأهمها العربية الفصيحة وعربية جنوب الجزيرة والحبشية التي منها الأمهرية والجزعية. ولغة الشمال

الشرقي الآرامية وامدادها السرياني. ولغات الوسط بين الشمال الشرقي والشمال الغربي، وهي العمورية ثم الكنعانية التي من بناتها الفينيقية والبونيقية والعبرية القديمة وامتدادها، وتحت هذه اللغات لهجات أخرى متعددة، خصوصاً في لغات الجنوب.

من الطبيعي أن تتفاوت أعداد المتكلمين بهذه اللغات وأن تتفاوت أعمارها، وأن يموت منها البعض ويبقى البعض الآخر. ومنها لغات لا تزال حتى اليوم، تستعمل في جزء من أسيا وإفريقيا وفي دول غربية وأمريكية، بل وفي أسرتراليا، هاجرت مع المهاجرين العرب. وأولاها اليوم اللغة العربية، التي صارت فاعلة ومتفاعلة في الأراضي العربية وفي أرض الهجرة أيضاً. ويفوق عدد المتحدثين بها مائاتين وخمسين مليون نسمة. كما يتحدث أيضاً بواحدة من هذه اللغات العروبية، وهي اللغة الأمهرية -وهي في الرتبة الثانية- أغلبيةُ أهل الحبشة، وعددهم واحد وعشرون مليوناً، إضافة إلى عدد من المتكلمين بها في مصر وإسرائيل وإرتيريا بل وفي السويد. وعدد المتكلمين بها في هذه البلدان حوالي مليونين ونصف[1]. ويستعمل العبرية حوالي سبعة ملايين ونصف في إسرائيل والشتات ولا يزالون يجتهدون، من أجل أن تقويَّ اللغةُ الكيانَ السياسي وتُرَقِّده بما يحتاج إليه، ليرتبط بالأرض، على غموض في موطن النشأة اللغوية وشائبة في الأصول. ويستعمل اللغة التغرينية بوصفها لغة رسمية، حوالي ثلاثة ملايين في الحبشة، وحوالي مليون في إرتيريا، وعشرة آلاف في إسرائيل[2]. ويستعمل اللغة المالطية العروبية بوصفها لغة رسمية، في جزيرة مالطة، حوالي أربعمائة ألف نسمة، وهي لغتهم الرسمية داخل فضاء الاتحاد الأروبي. ويستعمل

---

1 يبدو أن هذا التقدير الذي أوردته موسوعة Wikipédia الإلكترونية التي استقينا منها بعض هذه المعلومات، مبالغ فيه كثيراً، إذ لم يتجاوز عدد المتحدثين بالأمهرية كما ورد في موسوعة le Langage التي أشرف عليها André Martin في سلسلة la Péiade الموثوقة، (طبعة 1968)، ستة ملايين، صحيح أن الطبعة قديمة نسبيا، ولكن لا يمكن أبداً أن يتضاعف عدد المتحدثين بهذا المقدار في هذه السنين القليلة، اللهم إلا إذا نجحت الحكومة في توسيع استعمال هذه اللغة، فصاحب المقالة يقول:

Langage p.1106]" La langue [On s'effoce actuellement de la généraliser"

2 لم يتجاوز عدد المتحدثين بهذه اللغة في نفس المرجع أعلاه مليون نسمة.

اللغة الآرمية الحديثة الغربية، حوالي خمسة عشر ألفاً من المتحدثين، في ثلاث قُرىً في سورية، هي معلولة وبخعه وجبعدين[1]. ويمكن أن نضيف إلى هذه سريانية الكنيسة الشرقية في سوريا ولبنان على الأخص. كما يمكن أن نضيف إلى هذه اللغات العروبية الحية اليوم، اللغة الكلدانية أو الآشورية في العراق، ويعمل المتحثون بها جهدهم لإشاعتها بالحديث وأدوات التثقيف. ولها اليوم قنوات فضائية تبث باللغة وتروج للثقافة الكلدانية. هذه هي العائلة العروبية التي جرت العادة بتسميتها "سامية" فمن أطلق هذا المصطلح؟ وما ملابسات ذلك؟

أول من أطلق على هذه المجموعة من اللغات اسمَ "سامية" هو August Ludwig von Schlözer الألماني، في نهاية القرن الثامن عشر، وقد استخرج الاسم من التوراة، وهذه أرجعت أنسابَ الإنسان بعد الطوفان، إلى أبناء نوح الثلاثة الذين هم سام وحام ويافت، ومن هنا سمى شلوتزر اللغاتِ التي تكلم بها نَسْلُ سام، اللغة السامية. غير أن التقسيم العرقي في التوراة، بعد حَدَث الطوفان، لم يُبْنَ على حقائق تاريخية صحيحة سليمة، فقد نسبت التوراة من هم ساميون حقاً إلى الفرع الحامي، وخلطت بين الوقائع التاريخية في مجملها، ووضعت هذا التقسيم ضمن صراع سياسي كانت المناوشة حول الأرض ومصادر المياه هي المؤثرة والفاعلة فيه. ولم يكن يعني شلوتزر عندها كل هذه الأمور، فلدارسته اتجاهها الذي لم يتطلب منه الوقوف عند التفاصيل والدقائق، أو لم يرد ذلك. وعلى كل حال، فتسمية هذه اللغات لا يُعتبر فيها التاريخُ، وخصوصاً إذا كان مبنياً على المصادرالدينية والمناهج الكلاسكية، فاصلاً محدداً. فالأمر في وضع اللغات في عائلات، والبحث عن الأقرب منها إلى الأصول، يجب أن يَعتمد هذه اللغات نفسها، فمن بنياتها ومعجمها، وأحوالها النحوية والصرفية، وذهنية المتحدثين بها وبيئاتهم، ومن مقارناتها تاريخاً وآناً، يمكن أن نصل إلى الحقائق التي نتوخى. والحقيقة التي نتوخى هنا، هي **التسمية** التي ترتبط **بالنسب**، ومعرفة اللغة الأقرب إلى **"الأم"**. واللغة العربية في كل العروبيات "الساميات"، هي

---

1 يوجد موقع إلكتروني لتعليم اللغة السريانية الحديثة هو WWW.syriany.com

الوحيدة التي ما زالت تحتفظ بأقرب صورة إلى اللغة الأصل (الأم)، إعراباً وصرفاً وأدوات وصوراً بلاغية ومعجماً، فالأكادية التي كانت شديدة القوى، بحمولتها الحضارية وموقعها الفريد، تضارس وموارد وأحداثاً. والفينيقية ذات الوقع الكبير بألفبائيتها التي منها أخذت جل لغات الحضارات. والعبرية والآرامية (السريانية) بكتابيهما السماويين: التوراة والإنجيل. وكل اللغات الأخرى المشار إليها، وصلتنا وهي في مرحلة تساوي ما هي عليه اليوم اللهجات العربية المختلفة - وهذه اللهجات هي بطبيعة الحال بنات اللغة العربية - بدءاً من ندرة حروف الحلق في بعضها كتابة، فضياع الإعراب (تحريك أواخر الكَلِم في الوضيفة أو في الإسناد)، ففقدان صيغ المثنى في الأفعال والأسماء والأدوات، فالتقلص في شساعة المعجم الذي وسع العربية وورد مجزءاً في غيرها. زد على ذلك، أن في العربية وحدها ترتسم علامة الصدارة في العائلة، بما لها من موروث فكري وحضاري عريق يرتبط حاضره بماضيه مما لا نعرفه في غيرها. لكل هذا، فصياغة مصطلح العائلة، أحق أن يكون منها، (عروبية)، لأن في ذلك خضوعاً لمعيار العلم والعدل، وهو أوضح من التسمية التي يطلقها بعض المهتمين بهذا الحقل اليوم، وهي: **اللغات الأفرو- أسيوية**. إذ من عادة المصطلح أن يحدد حقل العلم ويقربه إلى الأذهان، في حين أن هذا المصطلح ملتبس، ويصدق على حقول مختلفة قد تكون أجناساً أو تاريخاً أو اقتصاداً.

في مدار هذا الفلك، وضمن سياق هذا المسار، وفي هَمِّ هذا النوع من المعارف اللغوية، نضع بين يديك أيها القارئ الكريم، هذا الكتاب، وقد وضعناه في بابين، انشغل أولهما بقضايا لغوية مقارنة، نظرت في القرآن وما ورد فيه من عريق اللغات وأثيل الأسماء. وفي التوراة وما نقلته من موروث كان من سابقات العهود، أو كان أصلاً ثم تُرجم عبرية دون أن يفصح التاريخ عن ذلك، أو ما صار كلماً تداولته المعاجم قديمها وحديثها، أو ما بذله المتكلمون بالعبرية الحديثة من جهد، حين كانت عبريتهم عبرية بيِّعٍ عَيِيَّة عن التعبير عما يريد البوحَ به

اللسانُ في حقول العلم والمعرفة، أو عبرية مكّنتها الحضارة الإسلامية من أدوات الخلق والإبداع والجرأة.

وخصصنا الباب الثاني لقضايا لغوية ترتبط بالتعريب ومغرب اليوم في همومه اللغوية والعلمية. وحركتنا فيه الشجون حول تيفيناغ البحث الأكاديمي وأمازيغية العواطف المغربية، وحول حُنُوِّ المغرب وافتخاره بموروث عبري هو ابن تربة المغرب وثمرةٌ من ثمار تسامحه وتفتحه، وحول تفرد بعض باحثينا، وهم يخوضون غمار البحث في أصول اللغات أو أصيل المصطلحات في الطب الذي كان صناعة عربية بامتياز، أيام كان العلم عربياً، فأحبوا، وهم من كبار المختصين، أن يعود التاريخ إلى صفاء مزاجه. وختاماً مال بنا الشجن حول جهد الجامعة المغربية، وهي تؤسس للبحث الشرقي وتضع أثافيه.

هموم كثيرة شغلتنا على مدى مسيرتنا العلمية في الجامعة، وتقض المضجع اليوم، ونحن نلتفت خلفنا لنرى سَرَابَ الخلف، وما أقساه لأنه يلوي العنق، ولأنه تضمن سوء فهم، أو سوء نية، أو هما معاً، صدرا من أناس كان من المفروض أن تهذب فيهم روحُ الجامعة سلوكَ الإنسان، فأخروا المسيرة، وكنا أردنا لها أن تكون أسرع وأجود. سامحهم الله...

قد تكون قراءتك، أيها الناظر العزيز في هذا الكتاب، ودعواتك وتقويمك، لما بدا فيه معوجاً أو ناقصاً، الجزاءَ الأوفى والمُقرِّبَ إلى الرضى. وجهد الإنسان ناقص وإن كمل. والكمال لله.

ومن الله السداد، لا رب غيره
في فاتح رمضان الأبرك 1429
الموافق 2 شتنبر 2008

الباب الأول

بحوث في اللغات العروبية (السامية) والمعجم

تمهيد

تأملات في قضايا معجم اللغة العربية التاريخي

الأصل في اللغة الوحدة، والطارئ على أصولها التعدد. الوحدة في اللغة أسُّ القوة الإنسانية مذ كانت ومنذ فجر تاريخها. لذلك اعتُبِر سقوط برج بابل[1] من علائم ضعف قوة الإنسان. ومنذ تبلبلت الألسن انقطع حبل التواصل البشري، واشتعلت الحروب وتعددت النزاعات والنزعات، لا لغريزة في الإنسان تميل إلى العدوان، ولكن لأنه افتقد الوسيلة التي بها يستطيع ردع الحرب بعدم إشعالها، أي افتقد اللغة الواحدة المقربة المعبرة عن ما يجيش في الصدور. وجود الحرب في تاريخ الإنسان المتدين بالطبع، المتخلق بوازع الحفاظ عن النفس، هو ثمرة الوَقْر في الآذان التي لا تفهم أصوات الشِّفاه. فصارت القلوب تفسر ما تَـنْبُس به الشفاه خطأ، وصارت اليد تحمل اللكمة بدل اللمس العطوف. المسالة مسألة لغة.

ومن المفارقات أن يكون مصدر القوة هو سبب فقدان هذه القوة. بابل رَمزٌ، وسقوط برجها بيانٌ صامت أبلغ من أصوات الحرف وجَرْس العبارة.

---

1 وردت قصة بابل في سفر التكوين في التوراة، الإصاح 11، إذ بعد أن استقامت الحياة لنسل نوح بعد امتحان الطوفان، بدأ الإنسان يتجبر من جديد، وأراد أن يبني برجاً في مدينة بابل ليرقى إلى السماء، وكاد يحقق مراده لأنه لا يتكلم إلا لغة واحدة، ففي اللغة الواحدة المشتركة سر قوة الإنسان، ولكي يُمنع الإنسان من فعله، ويرد عن عزمه، كان لا بد أن تبلبل الألسن، أي ان ينقطع حبل الوصل بين بني البشر. وهذا ما يحكيه نص التوراة: " كَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. 2 وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. 3 وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا». فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ. 4 وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ». 5 فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. 6 وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. 7 هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». 8 فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، 9 لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ".

فعُمران بابل وارتفاع بنيانها رغبة في بلوغ أسباب السماء هو علة السقوط. وأصيبت البشرية بعَمَى العين لخُفُوت صوت الشفاه، فغفلت مُدْ تاريخها القديم عن حقيقة بسيطة، عبر عنها ابن خلدون في مجمل تجربته في نقد التاريخ. تلك هي أن المبالغة في العمران وفيما يعتقد أنه من أسباب الحضارة، هو بداية الضعف. بلوغ أسباب السماء أصاب "الأزُون" بمرض الخَرْق ووَسْع الفَتْق، وضخم في الإنسان أنانية ذاك الذي يملك وحده جمرة النار بعد أن سُرقت من مصادرها[1]. حقيقة تنبه إليها بعض منظري العصور، بدأ من أصحاب التناسخ من الهنود، والأبيقوريين من اليونان، ومروراً بطرَفة الشارد[2]، ووصولاً إلى ابن حزم وويل ديورنت وتوينبي، ووقوفاً عند فرانيسس فوكو ياما وصمونل هتنـگتن[3]. مع فارق في النظر والتأمل، والتحليل والاستنتاج.

تضخم الحضارة إذن، عنوان السقوط، وفُحْش العمران انحدار إلى درك الجهل ومَوَات العقل. وهذا سبب من أسباب انقطاع حبل التواصل. إذ به تتعدد أحْواشُ الحضارة وأربَاضُها و"دور تَنَكِها"[4]. وبتعدد هذه تتعدد بنات اللغات، وفيها شرعي وكثير من بنات الفراش. وبتعدد هذه تكبر الأنانية وتكبر جزر الرفض ويتقوقع الإنسان في حارات جذام "الاسبرانتو"[5] التي تكلم بها ملايين المتحدثين الذين لم يعرفوها في يوم من الأيام.

---

1 إحالة على أسطورة يونانية مفادها أن برومثيوس كان واسطة بين الآلهة والبشر، وأنه سرق من الآلهة الجمرة التي فيها سر المعرفة والإبداع، وسلمها الإنسان، وكان أن عاقبه جيوس كبير الآلهة، بأن صلبه على سفح جبل وسلط عليه نسراً ينهشه دوماً أبدا.

2 المقصود هنا الشاعر العربي الجاهلي 543-569، الذي كان شخصه وشعره يمثلان ثورة على أوضاع الجزيرة العربية في وقت كانت فيه الظروف تدعو إلى تحول ضروري لتغيير حال الإنسان.

3 بعض من هؤلاء مثلوا تجارب في الحياة أوصلتهم إلى أن نتيجة المبالغة في الهوس بـ "الأنا" والتزيد في العمران غير المفيد، تؤول إلى نهاية الطريق، ليعود الإنسان ليتسلق الجبل من قاعدته إلى قُنَتِه من جديد، وبعضهم أوصلهم نظره إلى أن مبدأ الحياة يقوم على الصراع، ودوامها ينبني على الحيطة المبالغ فيها والشك في كل "آخر" مقاصد وعقائد.

4 دور التنك، أي دور القصدير.

5 "لغة" وضع أسسها لودفيغ أليعزر زامنهوف عام 1887 وطبع أول كتاب فيها في وارسو. وأراد لها أن تكون لغة عالمية مشتركة بها يتواصل الناس في كل أنحاء العالم. قواعد الإسبرانتو قليلة وبسيطة، وتكتب بالحرف اللاتيني، وتعقد لها مؤتمرات حتى اليوم، كما أن لها موقعاً على شبكة الأنترنيت، تشجيعاً لمن يريد تعلمها.

تأمل الإنسان منذ القديم هذه الحقيقة، ووصل به تأمله إلى حقيقة أخرى مفادها أن سبب القوة قد يكون أيضاً في خلق وسائط بها يتمكن من جمع ما تفرق ولمِّ ما تمزق. وتجلى ذلك أول ما تجلى في مهد الحضارات: الشرق، موطن فيشون وجيحون ودجلة والفرات[1] والنيل، وباختصار في المهد الأول للإنسان الذي يمكن أن ندعوه "الگردن" (جنة عدن)[2] ثم في قصور الأهـــــرامات. وكـــان حجر الرشيد[3] الذي جمع ثلاث لغات أعلاها هيروغليفية، وأسفلها يونانية، وبينهما لغة كانت من استعمال أيها الناس في مصر الكهنة وكبار الفراعنة.

قمة الإبداع وبارقة من شعاع النبوة: أن يترك الرائحُ الغادي آثارَه بليغة على الرغم من سقوط برج بابل، للوارد الآتي، خلف أسوار الزمان. تلك معجزة. وإذا ضعف هز الشفاه بقيت بارزات الحجر عيناً على الزمان، تملأ رفوف دهاليز المكتبات حتى يُقدر لها من يحل لغز رموزها.

---

1 أسماء الأنهار الأربعة التي هي فروع خرجت من نبع واحد مصدره الجنة، كما جاء في التوراة. (تكوين، إصحاح 2، فقرة 10-14).

2 لفظ "گَنْ" قديم وجد في اللغة الأكدية واللغة الأوغارتية والأرامية والعبرية، وفي العربية: جنة. ومعناها الأصل في هذه اللغات المكان ذو الشجر المثمر. و"عدن" لفظ قديم أيضاً، ويعني التمتع، ومن اللفظين استعملت كلمة Garden الإنجليزية أو Jardin الفرنسية التي تُرجعها المعاجم التأثيلية إلى الفرنسية القديمة Jard (potager) التي أصلها من الـ francique gard (encolos). أنظر
J. Mathieu-Rosay, Dicionnaire étymologique, Les nouvelles Editions marabout, Belgique, 1985, p. 285.
والواقع اللغوي يختلف عن هذا التأثيل كما هو واضح مما تقدم.

3 حجر الرشيد، الذي سمي بهذا الإسم لأنه عثر عليه في مدينة الرشيد في مصر. هو حجر نقشت عليه ثلاثة نصوص: نص هيروغليفي ونص ديموطيقي، (أي باللغة الحديثة لقدماء المصرين، وهي اللغة التي كان يتحدث بها العامة في مصر) ونص يوناني. وهو مرسوم ملكي صدر عام 196 ق.م في مدينة منف. وقد أصدره الكهان تخليدا لذكرى بطليموس الخامس. عثر على الحجر ضابط فرنسي في 19 يوليو عام 1799م ، إبان الحملة الفرنسية. وحل روموز هذا النقش جان فرنسوا شمبليون سنة 1822، اعتمادا على النص اليوناني والمقارنة اللغوية.

ثم كانت مكتوبات سومر[1] وأوغاريت[2] وإبلة[3] ورقائن اليمن ورقوم الحجاز، وفي طياتها أول المعاجم المتعددة اللغات. لقد اكتشف الإنسان وهو في بياض الشيخوخة، حقيقة موت حضارته، وأن من قَدَر الشمس أن تكون نوراً إلى أن تتزحزح الأرض فتصير ظلاماً والشمس دوماً ضياء.

وبحث الإنسان عن وسيط به ينقل بذور التحضر لتُسلمها الأمم التي تكبو إلى تلك التي تنهض: أهم اختراع من اختراعات الإنسان، لتظل الحضارة وحدة خالدة، وليتفادى هذا الإنسان سقوط بابل من جديد. إنه المعجم. فمنه ينسرب حبل التواصل بين الأمم المتجاورة المتحابة، للتعبير عن حبها، وتلك البعيدة المتنافرة، للتعبير عن يقظتها وحذرها. وبه يرتبط ماضي الأمة بحاضرها، وبه يعلم الأحفاد ما به نطق وعبر الأجداد. فبالمعجم وصَلَهم علمٌ كثير. هو التاريخ والشعر والطب والسحر والعُرف والمعتقد. من الصنف الأول معاجم ومكتوبات الهلال الخصيب والشام: أكادية أوغاريتية إبلية. ومعاجم ومكتوبات مصر القديمة في نصوصها الهيروغليفية أو اليونانية أو القبطية. ومن هذا الصنف أيضاً كتب الغريب والخيل والأعجمي والمولد. ومن الصنف الثاني في ثقافتنا العربية أيضاً أعجوبة الخليل: العين، والبحر الزاخر: لسان العرب لابن منظور.

---

1 كانت بداية السومريين حوالي الألف السادس ق.م. بجنوب العراق. وهم الذين وضعوا الخط المسماري الذي ظل مستعملا في بلاد الشرق. ومن آثارهم المشهورة ملحمة گلگميش.

2 مدنية أغاريت (الألف الثاني ق.م.) اسم مدينة قديمة كان موقعها في تل رأس شمرا الواقع في الطرف الشمالي لمدينة اللاديقية بسوريا. وعثر في هذا المكان على كثير من الآثار المكتوبة باللغة الأوغارتية التي اتخذت لها الـ "حروف" المسمارية الألفبائية أداة كتابة. ابتدأت الحفريات في الموقع سنة 1929 وما يزال التنقيب مستمراً . وعثر في هذا الموقع على 3757 رقيماً فخارياً ونصباً وأدوات مكتوبة ومنقوشة. كما تضمنت اللُقى لغات أخرى غير الأوغاريتية، منها نصوص سومارية وأكادية ومصرية. وتقرب اللغة الأوغارتية من اللغة العربية، إذ تضمن معجم النصوص التي قرأت كمية كبيرة من الكَلِم العربي.

3 يقع موقع إبلة الأثري، جنوب غرب حلب، على مسافة 55 كلمترا. وقد ازدهرت حضارة إبلة في منتصف الألف الثالث ق.م. واستعمل الإبليون الكتابة المسمارية في لغتهم التي اختلف الباحثون في موقعها من اللغات العروبية (السامية). غير أنها لغة غنية جداً، وهي بين الأكادية الشرقية واللغات الكنعانية والفرع الغربي الجنوبي الذي تنتسب إليه العربية. ولم يستطع الباحثون الإيطاليون الذين بدأوا ينظرون في آلاف الألواح التي عثروا عليها في الموقع، منذ سة 1973، حل رموز هذا التراث الغني الذي كان نتيجة فكر حضارة بلغت أوجاً في الزراعة وتربية المواشي وتدبير المجتمع. وقد عثروا ضمن هذه الكتابات على تمارين للأطفال ومعاجم متعددة اللغات.

ويحق لنا أن نفتخر، لأننا ننتسب إلى حضارة هي أكثر الحضارات عطاء في صناعة المعاجم على أنواعها، شريطة أن تكون المعاني على قدر الألفاظ على قدر الإنتاج على قدر تحويل المفهوم، على قدر لغة تتحدث بها ألسن المعامل والمصانع والمختبرات. ويتضاعف هذا الفخر عندما نعلم أننا ننتمي إلى أمة أفسحت المجال لكل ذي نحلة ودين دون تمييز. فكان أوائل كبار مترجمينا من نصارى الشام والعراق، ومن نقلنا عنهم كانوا من كهان البودية وسدنة الهند وأقباط مصر، وفلاسفة اليونان وكان من استضفناهم في ربوع حضارتنا من أعلام اليهود وأحبارهم ومن سكان الأديرة ورعاتها.

خلق كبير فتحت له العربية صدرها، وكان منهم من وضع أعظمَ "كتاب" وأكثره فرادة في النحو، رجلٌ تعرب لسانه وهو ليس من جنس العرب: سيبويه. وتترى المكتبة الإنسانية بمعاجم في الصيدلة والعوشبة والبيطرة وعلم الحِيَل واللغات واللهجات، بعد أن نهلت من عطاء البيئة في رسائل الآبار والأنواء والنخل والإبل والخيل. وكانت قد صنعت للكلب مائة اسم واسم، وللهزبر مثيلات لها، وخصت حبة التمر بِكَلِمٍ فيه من التفصيل والدقة ما قل نظيره في لغات أخرى.

خلق كبير منهم أبو الوليد مروان ابن جناح القرطبي صاحب الأصول، وإسحق بن برون صاحب الموازنة بين اللغتين العبرابية والعربية، وابن قريش الذي ضم في كتابه جماع لغات هي العبرية والعربية والآرامية واللاتينية واليونانية والأمازيغية[1]. ثلة من أوائل علم اللغة المقارن، تفتحت أكمام زهراتها في مجتمع لغة الضاد، لأن أصحاب هذه اللغة كانوا أكثر قدرة على الأخذ بذكاء والعطاء بجود.

ننتمي كلنا إلى هذه الحضارة العربية الإسلامية، ونسير على خطى أسلافنا لنحقق فينا قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

---

1. سيرد التعريف بهؤلاء الأعلام في صلب الكتاب.

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[1]. إنها الكلمة النقيض لبرج بابل الذي تهدم لكي لا يتحقق هذا التواصل، بل أقول التعارف، فهو أجمل بكثير عند المعجميين الذين يتذوقون اللفظ ويشعرون بحلاوته. التعارف، الرمز الجميل الذي يجب أن نضعه في الذهن ونحن نصنع المعجم أو نُنَظّر لصناعته. يحتاج العالم اليوم للتعارف، أما التواصل فقد ضاقت السماء بأقماره ما وسعت، وما تواصلنا. ومن هنا فصناعة المعجم هي سلوك إنساني راق، لعل أصوله توجد في أصول الديانات السماوية، ويرمي إلى حماية البرج من السقوط، وحماية الحضارة من طغيان الإنسان وتضخم العمران، وتمكين البشرية المتشعبة بترامي المعمور، من أداة بها يظل الإنسان إنساناً، واللسان لساناً. ولعل المعجم يصير ميزان عدل. وكم هي جميلة القولة التي أوردها ابن منظور في لسانه نقلاً عن الليث قال: " وفي حديث عطاء: سُئل عن رجل لَهَزَ رجلاً فقَطَعَ بعضَ لسانه فعَجَمَ كلامَه فقال: يُعْرَضُ كلامُه على المُعْجَم، فما نقصَ كلامُه منها قُسِمَت عليه الدِّيةُ"[2]. عظيم أمر هذا القاضي البارع الذي يجعل من معجم اللغة قانوناً يُحتكم به وإليه. ولو أصبح هذا الحكم بنداً من بنود الأمم المتحدة ودساتير حقوق الإنسان، لنال كثرٌ من أعداء حرية التعبير، الذين عطلوا أصلاً كل الحروف، وأبطلوا مهام اللسان كلها لا جزءاً منها وحسب، حسنَ الجزاء. وحري أن يضع القضاة بين مدونات قانونهم هذا اللسان العظيم الذي وضعه ابن منظور في فترة زمانية بان له فيها أن الفكر العربي يميل نحو الغروب.

مهمة القاضي، عفواً، المعجمي، في نزاعات الدنيا رفيعة قاسيه. ولا بأس أن نعنف المعجمي العربي اليوم لأنه لم يسر بعيداً، ولم يستطع أن يضع بين أيدي الناس اليوم معجماً شبيهاً بالمعجمات الغربية التي لم تكتف بسرد الألفاظ وتعريف مدلولاتها وترتيبها، وإنما وضعت معجمها مؤرخاً يؤرخ للفظ ويربطه بتاريخ

---

1 الحجرات، 13.

2 لسان العرب لابن منظور، مادة عجم. ويقصد ب " فما نقص كلامه" الحُروفَ التي لم يعد قادرا على نطقها.

ميلاده، ويتتبع خطواته في مسالك الحياة. فاللفظ مفهوماً ودلالة، لا معنى له إذا لم يكن له سجل حياة. واللغة بدون تاريخ هي موات، ودلالاتها لبس في لبس، ومفاهيمها تشوش في تشوش، وبالتالي ففكر أصحابها لن ينتج علماً وإن أكثر من إبداع الأسطورة والقصيد.

وعلى كل حال، فتاريخ التاريخ حدث يقع في الزمان بفعل الزمان نفسه مجرداً عن إرادة الإنسان ومقاصده، أو بفعل الإنسان والزمان معاً. وتاريخ اللغة حدث يقع بفعل الإنسان لا غير، لأن اللغة في تعريفها الكامل، لا تحدث إلا بفعل الإنسان نشاطاً وتواصلا .

تاريخ التأريخ صيرورة، غير أنه يُحْدِث رجة واضحة الوقع في لحظة زمنية محددة تظهر آثارُها للعيان، بينما صيرورة اللغة سريان متتابع لا يظهر له وقع إلا فيما ندر، وعليه فهو تفاعل لا يشعر به الناس. ولهذه الفروق الجوهرية والأساسية، كتب القدماء نحواً قعدوا فيه للغة ووصفوها، ولم يكتبوا تاريخاً أرخوا به للغة، فهم وصفوا ما آلت إليه الصيرورة، لأنهم لم يستطيعوا رصد المراحل التاريخية والوقائع اللغوية والأحداث اللسانية. ومن هنا فالتاريخ الزمني، من وجوه مختلفة، يصنع الإنسان، بينما الإنسان هو الذي يصنع اللغة. ولأنه يصنع اللغة عن وعي وغير وعي، ولأنه يصنع اللغة في مؤسسة اجتماعية تهتم بكثير من الأحداث إلا اللغة التي تصنعها، برزت القضايا العويصة المتمثلة في الأسئلة الآتية:

كيف نعرف المعجم التاريخي؟ هل المعاجم التاريخية متشابهة الوضع والتدوين في العائلات اللغوية على اختلاف أنواعها؟ هل يرتبط المعجم التاريخي بتاريخ الأحداث؟ هل يؤثر تداخل الحضارات في إنماء رصيد المدونة اللغوية لدى الأمم المتجاورة أو المتنازعة أو المتفاعلة؟ هل نستطيع التواضع على زمن معين يكون هو منطلق مدونة المعجم التاريخي؟ أين نقف عندما نهيئ السبل لوضع هذا المعجم؟ وهل نعتبر الدوارج أو الدارج من اللغات أو العاميات، جزءاً

من هذا المعجم؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فأي عامية تكون عنصراً من عناصر هذا المعجم؟ وإذا افترضنا إدخال كل العاميات، ألا ينتقل بنا الأمر من معجم تاريخي إلى دراسة مقارنة متزامنة تخرج بنا عن النهج الذي هو من خواص وضع المعجم التاريخي؟

بعض أسئلة من كثير غيرها لا بد أن نضعها في الحسبان قبل أن نقدم على مشروع كبير عظيم هو المعجم العربي التاريخي، فما هو هذا المعجم؟

تعريف المعجم التاريخي

المعجم التاريخي في نظرنا، هو المدونة التي نُضَمِّنها عن وعي، جماعَ الكَلِم الذي تَجَمَّع على مر العصور العربية، من كل مُستَعمَل تعامل به الإنسان العربي أو الذي اتخذ العربية لغة استعمال. وينطلق ذلك من الجذور والأدوات والمسميات المشتقة المستعملة، أو من الجوامد التي لا تمثل في حقيقة أمرها إلا صيغاً صرفية كانت مستعملة في سالف عهود اللغة في الأبنية المتعددة، ثم "جمدت" لسبب من الأسباب، فنضع هذه كلها في ترتيب نرتضيه، ونعاير معاني ألفاظها بدءاً ومعاصرة وتطوراً، مع عدم إغفال ما يطرأ على اللفظ من تغيرات صوتية أو صرفية، بالزيادة والنقص والتقاليب، وبفعل تطاول العهود وتداخل الحضارات وتجاور الأمم، أو التأثير العقدي أو الأغلاط النطقية أو الدلالية أو الأمراض اللسانية والحلقية. ونرصد تطور المعاني من مدلولاتها المادية إلى معانيها المفاهيمية، دون أن ننسى تحول المدلول الأول إلى المعنى المجاز الذي يصير هو الحقيقة بعد أن ينسى المُستَعْمِل المعاني التي هي الحقيقة[1]. وذلك بعد أن

---

1 من ذلك مثلاً لفظ "لَبَن"، فهذا اللفظ كان يعني في الأصل البياض، ومنه جاء اسم "لبنان" لكسوة جبال هذا البلد بغلالة بيضاء من الثلج سحرت الأنسان منذ القديم، فسماه أحياناً جمعاً "لبنون"، وهو جمع مذكر سالم في نحو اللغة. واللفظ هنا حقيقة لغوية، بعدها نظر العربي في منتوج ناقته فسحره بياضه، فسماه "لبن" = البياض. ثم نسي هذا المجاز في تاريخ العربية، وأصبح الاسم حقيقة ولا غير: "اللبن". وقل ذلك في "الدم" الذي كان يعني الحمرة ولا غير، ثم بعد مجازه صار اسماً حقيقة لما يجري في عروقنا، وقله في "الوَرُق" الذي كان يعني الخضرة ولا غير، ثم صار مجازه حقيقة في "ورق" الشجر، وغير هذا كثير.

نصنف العربية في مدوناتها ومطبوعاتها ومخطوطاتها ومحفوظاتها، شعراً ونثراً، وبعد أن نحدد الأزمنة التي عرفت استعمالها والمجالات الجغرافية التي انتشرت فيها. مع السعي إلى إرفاقها بمثيلاتها صوتاً ومدلولاً، في اللغات الأخوات، مثل الأكادية والفينيقة والعبرانية والآرامية والسريانية والأوغارتية والإبلية، مما هو من الفرع الشرقي والغربي الشمالي، أو أخواتها الأشد قرباً مثل الصفوية والتمودية واللحيانية والمندعية وعربية اليمن القديم والحبشية، مما هو من الفرع الجنوبي الغربي، وكذا من بنات العم التي هي القبطية والأمازيغيات ولغات إفريقية أخرى. وليس من الصعب اليوم أبداً، وضع مدونة العصر الجاهلي في حيزها الزماني والمكاني (لغة القبائل)، وتعجيم المؤلفات العربية الإسلامية، تبعاً للعقود في السنة ثم في القرن، ثم في المدينة وفي الإقليم، بفضل قوة البرمجيات والحواسب والنوافض أو الناسوخات[1] .

وبعد هذا التعريف وكيفية الإجراء، نتساءل هل يرتبط المعجم التاريخي بتاريخ الأحداث؟ قلنا أعلاه، إن صيرورة اللغة سريان متتابع قد لا تظهر فيه إلا الأحداث الكبرى. من ذلك مثلاً، حدث السَّبْي البابلي، عندما أجلى نبوخذنصرُ اليهودَ من فلسطين إلى بابل حوالي 586 ق.م. فقد أتى هذا الفعل على اللغة العبرية، مع أن لها كتاباً هو التوراة، ومن الصعب بكثير أن تُحجب لغةُ كتابٍ سماوي، لولا وجود دخيل في هذا الكتاب، لغة[2] ومضموناً، طغى على الأصل السماوي، فسهل الإضمار المشار إليه. ولا يُفسر هذا الحدثُ الكبير إلا بالنظر في مكونات التوراة ومجريات تدوينها، وفسيفسية لغتها، وتضارب أحداثها، والتحقق من شخوصها. فهذه مجتمعة هي التي سهلت مأمورية اللغة الآرامية فأخذت مكانها. وما كان بالإمكان موت لغة لها كتاب سماوي، لو لم تتدخل يد في

---

1 النوافض مفردها نافوض، وهو مصطلح مغربي (الأستاذ أحمد الأخضر غزال) لـ Scanner ويستعمل المشارقة (مجمع اللغة العربية الأردني) مصطلح ناسوخ، جمعه ناسوخات.

2 يشك بعض الباحثين في أن تكون اللغة العبرية هي لغة التوراة، وتؤكد ذلك كثير من مسلمات المنطق، ومن بينها أن موسى مصري ولم تكن له علاقة باللغة العبرية، وأن لغة البلاغ يجب أن تكون مفهومة للمرسل إليهم، وفرعون والمصريون ما كانوا يعرفون اللغة العبرية، بل اللغة العبرية نفسها لم تكون موجودة في ذلك الوقت.

مضمون هذا الكتاب كيفاً وكمّاً. إن الوقوف عند هذا الأمر ينقلنا إلى جوانب أخرى في البحث تتعلق بالمعتقد وليس باللغة، وليس المجال مجال التفصيل في الأمر، وقد حاولنا ذلك في غير هذا المحل[1]. وعلى أي، فهذا أنموذج يقدم لنا واقعاً لموت لغة بضعف أصحابها وعدم صون كتابهم، إذ توقفت اللغة العبرية عن النمو بانهزام أصحابها سياسياً، وكانت اللغة الآرامية هي المنتصرة بانتصار أصحابها. وعلى العكس من ذلك، فإن هذه اللغة الآرامية، ستفرض سلطانها على الفرس في عهد من عهودهم، حتى بعد أن ضعف سلطان الآراميين. وهو أمر جاء على عكس ما حدث في ضعف أهل اللغة العبرية، لأن اللغة الآرامية كانت تقتعد حضارة عريقية غنية، بلغت فيها العلوم الفلكية وهندسة المياه وتربية المواشي وفنون الزراعة وآفاق الفكر والآداب شأواً، مما جعل سلطان اللغة ينفصل عن سلطان السياسة، ومكّن لها من أن تصبح هي لغة الدبلوماسية في عهد من عهود الفرس كما ألمعنا إلى ذلك، في حين أن اللغة العبرية نشأت نشأة غير واضحة المعالم، وليس خلفها من أرث حضاري يرتبط بها مباشرة، ولغة التوراة نفسها فقيرة معجماً، فالأسفار الخمسة المتفق عليها عند مجموع اليهود، على اختلاف مذاهبهم، لا يتعدى ما ورد فيها من اللغة 79847 لفظاً، فيه الأدوات وحروف النسب والصيغ الصرفية والمكرر. أي أن ما تضمنته هذه الأسفار حقاً من الكلم، هو نقطة في بحر، إذا ما قورنت العبرية بالعربية مثلاً.

وعلى كل حال، فقد حدث بعد هذا التفاعل اللغوي الذي انبنى على صراع سياسي، هو انتصار الآراميين على العبرانيين، حدثان مهمان في تاريخ اللغات:

الأول، تحويل كتاب ديني من لغة إلى لغة، أي تُرجمتْ التوراة من اللغة العبرية إلى اللغة الآرامية، وأصبحت هذه الترجمة تعرف بـ "التَّرْگوم". ومعنى هذا أن نص التوراة سيصبح فاعلاً ومؤثراً في أهله في لغة جديدة لا علاقة لها

---

1 أنظر ذلك في كتاب لغات الرسل وأصول الرسالات، الذي نشر بعناية المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2002. (باشتراك). ففي هذا الكتاب تعرضنا لقضايا لغوية وتاريخية وعقدية وغير هذا مما يدخل في باب نقد التوراة، كما هو معروف في مدارس نقده منذ عهد ابن حزم مروراً بسبينوزا وحتى مدرسة القدس المشهورة.

بلسان صاب الرسالة. وأصبح لهذه اللغة نفس القداسة التي كانت عند الأولى العبرية.

والثاني، الإعداد إلى لغة هي وليدة الآرامية معجماً ونحواً، ولكن بحرف مخالف، هي السريانية التي ستصبح لغة عيسى عليه السلام، أو لغة الدين الذي جاء لنسخ اليهودية.

وقريب من هذا مثال آخر أحدث رجة في مسار اللغات. ذاك هو ظهور الإسلام. وسيكون ظهوره سبباً في موت اللغة الآرامية نفسها في فرعيها الشرقي والغربي (السريانية)، على الرغم مما اكتسحته من مسافة ومن أنفس في مناطق الشرق القديم. وستصبح اللغة العربية بديلا عنها، لقوتها بعد تقلبات اجتماعية عميقة حدثت في الجزيرة العربية، وقد تغذت هذه من امتداد جغرافي فاق بكثير مساحتها، ورفَّدها بإرث فكري غني متنوع لم يعبر عنه ما وصلنا من التراث الشعري الجاهلي وقصص الإخباريين، التعبيرَ الكافي، بسبب شفوية التواتر والانتقاء، كما لمح إلى ذلك بعض نقاد الشعر الأقدمون وبعض مدوني اللغة العربية. ولو لم تكن اللغة العربية غنية بإرث فكري وأدبي كان في مستوى الإرث الآرامي، لما كان بإمكانها أن تزيحها عن مكانها، وقد كانت الأرمية لغة إمبراطورية عروبية (سامية)، كان مهدها الهلال الخصيب وما بين النهرين، ولغة إمبراطورية فارسية في بلاد فارس. وكانت ابنتها اللغة السريانية لغة دين ومعتقد هو النصرانية. لقد كان لكل هذا كبيرُ أثر في تطور اللغة العربية أصواتاً ومعاني ومعجماً، إهمالاً واستعمالاً، صفاء وشوائب. ولا يستطيع واضع المعجم التاريخي التجاوز عن هذا الحدث التاريخي المحض. إذن هناك ارتباط وثيق بين بعض الأحداث التاريخية والتطور اللغوي.

هل نستطيع التواضع على زمن معين يكون هو منطلق مدونة المعجم التاريخي؟ وأي زمان نختار يكون لحظة ولادة اللفظ الذي نؤرخ له؟ فهل نتخذ زمن المهلهل نقطة انطلاق، وزمن المهلهل ذو عمر قصير إذا ما قيس بما يحكم

به المنطق في تأريخ لغتنا؟ وكيف نتعامل مع قضية النحل، وهي قضية لم يفصل في أمرها بعد؟ فبين ما قاله طه حسين ومن استند عليه طه حسين، في كتابه الشعر الجاهلي[1]، وهو مشكك في صحة هذا الشعر، وفي نسبة لغته إلى الفترة التي يقال بأنه نظم فيها، وبين ما قاله ناصر الدين الأسد وما استند عليه ناصر الدين الأسد، في كتابه مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية[2]، بون شاسع لا يكفي في رتقه جمع أشعار وتحليلها ومقارنتها واستخراج ما فيها من ذكر للرسم والخط والرقم والتدوين. فهل نقبل رأي الأول ونشكك في صحة شعر امرئ القيس وطرفة وعمرو ابن كلثوم والنابغة وتأبط شراً وهلم جراً، فنطوي أنصع صفحات في تاريخنا وتاريخ عواطفنا وتاريخ لساننا، أم نقبل رأي الثاني وما أتى به بين دفتي كتابه، مهما كثر، فهو نزر يسير لا يمثل بحال من الأحوال، مدونة الشعر الجاهلي الذي شغل الناس وكان كتاب تاريخهم وجماع عاداتهم؟ وحتى لو فرضنا أننا بلغنا نقطة المنطلق هذه على علاتها، وأخذنا بشعر هؤلاء الشعراء منطلقاً، فهل يقف اللفظ في مساره هذا عند هؤلاء وفي لغتهم التي تواضعنا على تسميتها "اللغة العربية" ؟

إننا لا نعتقد ذلك، والجواب ما زال مخبوءً في نقوش الجزيرة العربية واليمن وغيرهما من مناطق الشرق على امتداده، وفي لغات هي "اللغات العروبية"، لكي لا نقول السامية، في معروفها ومجهولها. وعلى المعجمي أن يهيئ كل زاده النظري، وأن يجيش كل تلك اللغات، وأن يستعمل أرقى ما بلغه عقل الحاسوب، ليبدأ المسيرة، ويشرع في وضع معجم عربي تاريخي. وبهذا نعيد بناء البرج داخلياً، لنسهم في إعادة برج بابل، أو لنقل لصنع أداة للتعارف تمكننا من فهم لغتنا العربية فهماً جيداً، به نتعارف مع العالم ونسهم في وضع المعجم الشامل. فعلومنا كانت أساساً للنهضة الحديثة، ولغتنا قادرة على متابعة المسير من جديد.

1 نشر الكتاب دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926.
2 نشر دار المعارف المصرية، القاهرة، أول طبعة 1956، ثم طبع مرات كثيرة فيما بعد.

إننا لا نتغنى بالأمجاد، ولكننا نذكر بالحقائق. وفي هذا كفاية المبتدئ.
ونترك الأسئلة الأخرى التي طرحناها في هذا التأمل، لنقاش لعله يكون البداية الحسم في بداية المشروع. وقد يكون في أنموذج الفصل الموالي بعض إجابة.



الفصل الأول

التراث اللغوي القديم
واللغات العروبية (السامية) في القرآن الكريم[1]

أطلق الباحثون الغربيون على مجموعة اللغات التي عرفها الشرق القديم "اللغات السامية"، وهي تسمية غير سليمة لكثير من الأسباب، أبسطها علمي. ونحن نميل إلى تسميتها باللغة العروبية، كما اقترح ذلك باحثون عرب مرموقون، وكما بينا في التمهيد أعلاه. ذلك أن هذه التسمية هي أقرب إلى الحقيقة من الوجهة الفيلولوجية، ولأن القرآن الكريم احتفظ لنا بكثير من الأصول المشتركة العروبية الدالة على ذلك والمؤيدة له. ونحن في هذا البحث المتواضع، لا نريد بهذه النماذج التي نقدمها، أكثر من حث الهمم على التفكير المصر، في الشروع في مشروع المعجم التاريخي الذي يتخذ من لغة القرآن الكريم لبنته الأولى والمباركة. فلغته دليل على عراقة اللغة العربية وعلى تمثيلها للعائلة العروبية التمثيل الصادق. ودليل على تمثيلها لحضارة عريقة لم يستطع المنهاج التاريخي التقليدي التعبير عنها بوضوح. واللغة القرآنية في مبناها ومعناها وتركيبها وصوغها وتناغمها مع سياق الأحداث المُعَبّر عنها، والمغازي الدينية والأخلاقية المتكررة في جماع النص القرآني، كلها تدل على واقع حال عاشته أرض النهرين وامتداد الشام الكبير واليمن والجزيرة السعيدتان وبلاد فارس وكثير من البلاد التي شملتها رحلة الشتاء والصيف، لم يستطع التاريخ المتيسر الآن تصوره، ولم يستطع المؤرخون التقليديون تمثله. ولغة القرآن كما وردت في النص، وبحمولتها التاريخية والمعرفية جاءت أبلغ من تحبير المؤرخين، بما هي

1 قدمت الخطاطة الأولى لهذا البحث في عرض ألقي في مجمع اللغة العربية الليبي، وهذا التحرير يختلف كثيراً عن العرض الأصلي.

عليه من عراقة بعيدة الغور، وتأثيل يمتد في التأريخ العربي امتداداً لم تستطع أخبار الإخباريين، ولم يستطع الشعر العربي القديم التعبير عنه، إذا ما أبعدنا عن الذهن دعوى النحل وقصة الاختلاق. ولغة القرآن أومأت إيماء إلى أحداث تاريخية في صوغ لغوي عريق لم يكن في مقدور فصحاء العرب معرفتها، ولم يؤيدها العلم إلا بعد أن تهيأت أسباب التقصي وسبل البحث.

ونحن لا ندعي أننا في نماذجنا التي سنقدمها في هذا البحث، سننظر في كل اللغات العروبية القديمة في القرآن الكريم، فهذا عمل جبار، ولا يعرف عواصته إلا من يعاني الحفر في اللغة وتاريخها، وإنما يعني، كما قلنا أعلاه، الحث على الشروع في العمل، اعتماداً على اللغات القديمة التي ظلت معرفتها زمنا طويلا حكراً على غير أهل لغة الضاد، بالمفهوم الذي يريدون والنتائج التي يتوخون. إنه عمل علمي أكاديمي يفرض تضافر جهود عالم القراءات، والمفسر ذي البصيرة والبديهة النفاذة، والبلاغي المتذوق، والأصولي الحاذق، واللغوي المتضلع، وفقيه اللغة العارف باللغة العربية واللغات العروبية في أصولها وأُسَرِها وحضاراتها وتطورها. ونحن نكتفي في هذا البحث بتقديم نماذج من لغة القرآن، تمثل أحسن تمثيل ما نسميه "قوة اللغة" التي توارت عن "مجهود الفعل"، بسبب تفسير لغة القرآن تفسيراً أهمل فعل التاريخ والتطور وما يجري في مسار اللغات، في حين أن نوعاً من إعجاز القرآن تمثل بالضبط، في استعماله اللغة في سياق الأحداث التي عرج عليها والمقاصد التي رمى إليها وهي في مسارها ذاك. وهذا ما خفي عن فصحاء العرب الذين عجزوا عن الإتيان ببعض مما جاء في القرآن. ونقدم لدراستنا بنظرة موجزة عن الدرس اللغوي المقارن، نمهد بها لما نروم تبيين أهميته في هذا النوع من الدراسات.

ارتبطت اللغة العربية بأهلها الذين تحدثوا بها عن سليقة ثم عن تدبر أو هما معا. ولا نجدنا في حاجة إلى الوقوف عند لفظ "عرب"، وهو الاسم الذي سمي به الذين تحدثوا بهذه اللغة، أو التعريف بهم. فقد كُتب في هذا الكثير وبلغات متعددة. والذي يعنينا هنا هو هذه اللغة التي تحدث بها هؤلاء العرب في

ماضيهم السحيق وفي أرض تعدت حدودَ ما يعرف بالجزيرة العربية وفاقتها مساحة أضعافاً مضاعفة، وفي سياق حضارات متعددة لم يتعود الباحثون أن يدرجوا فيها اللغة العربية أو على الأصح "العروبية"، باعتبارها اللسان التاريخي المشترك الذي عبر به أولئك الناس عن عواطفهم ونتاج عقولهم: مكتوبات "سومارية"، أو قصائد "آشورية"، أو قوانين "بابلية"، أو حوادث "أوغاريتية"، أو قواميس "إبلية"، أو رسائل "فينيقية"، أو وصايا "عبرية"، أو صلوات "آرامية"، أو تراتيل "سريانية"، أو مقطعات "حبشية"، أو قصائد معلقة "عربية". لغة تفرعت إلى لغات، وفات الناس صلاتها وعلائقها، ولم يعرفوا عنها شيئا على الرغم من أنها كانت لغة استعمالهم في غابر أزمانهم، فنقل لنا من ذلك القرآن بعضاً مما صار نسياً منسيا وأصبح "قوة لغة" لا "مجهود فعل".

وقد شعر عبد الله بن عباس، رضي الله عنه، وهو يفسر القرآن، بهذه الصلات العريقة بين اللغات العروبية، كما شعر بغياب معانيها عنه، وهو المفسر الكبير. ففي تفسير كلمة "حِطّة"، في تفسير الجلالين والقرطبي وابن كثير، كلام طويل مبني على الفهم من السياق لا من حقيقة اللغة. ولم تُرْض تفاسيرُ التأويل ابنَ عباس، فقد جاء في تفسير ابن كثير لهذه الكلمة، "قال: قال الأوزاعي: كتب ابن عباس إلى رجل قد سماه، فسأله عن قوله تعالى: "وقولوا حطة"، فكتب إليه **"أن أقِرُّوا بالذنب""**[1]. وهذا هو المعنى المقصود.

---

1 وردت الكلمة مرتين في القرآن، مرة في سورة البقرة، آ 58، ومرة في سورة الأعراف، آ 161، وجاء تفسيرها في معظم كتب التفسير تأويلا مستخرجا من السياق. ومن هذه التفاسير: "حط عنا خطايانا"، "قولوا لا إله إلا الله "، "أحطط عنا ذنوبنا"، وأن الكلمة "حطة" عندما يقولها بنو إسرائيل "تحط عنهم أوزارهم". وهذه طبعا معاني تحوم حول المعنى وليست المعنى الحقيقي للفظ العبري الذي نقله القرآن كما هو في سياقه وحكاية عن أصحابه. فكلمة "حِطئ" في العبرية، تعني الخطيئة، ويتمثل فيها التغير الصوتي الذي يمكن أن يحدث في اللغات العروبية، ذلك أن حرف الخاء، بوصفه حرفا ثابتا مستقرا لا يتغير، لم يعد له وجود. فصوته في العبرية هو متغير صوتي لـ" الكاف" فقط، فهذه إذا كانت مشددة تنطق "ك" وإذا كانت رخوة تنطق "خ" تبعا لقواعد صوتية عبرية خاصة. وبالتالي "حطي" هو "خطء" وأورده القرآن في سياقه ليبين أنه كان يراد من بني أسرائيل أن يعترفوا بأنهم خطاة ثم يغفر لهم. فهُم "حطة": خطاة. ومن المحتمل أن يكون مستَفسَر ابن عباس يهوديا أو يهوديا أسلم يعرف العبرية. لذلك، شعوراً من ابن عباس بعبرية اللفظ، أرسل من يفسره له، فكان جوابه "أن أقروا بالذنب". وهو المعنى الحقيقي للفظ الذي أتى به القرآن في سياق الحدث.

وكان المهتمون باللغة منذ العهود الأولى الإسلامية يعرفون تداخل هذه اللغات، فقد جاء في كتاب المسالك والممالك للبكري[1]: **"وروى الثقات عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: كنت وأنا غلام مع عمي بقرطاجنة نمشي في آثارها ونعبر [نعتبر] بعجائبها، فإذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية: "أنا عبد الله بن الأواس رسول رسول الله صالح..."**"[2].

الأمر الذي لم يتنبه إليه القائل هو حقيقة هذه اللغة، وإلا فالمقصود بالحميرية في الرواية، هو اللغة الفينيقية التي كانت لسان أهل "القرية الحديثة" (قَرْتَ حَدَشَ[ـة]= قرطاجنة). وهي فرع لغوي غربي شمالي، في حين أن الحميرية فرع لغوي غربي جنوبي مثلها مثل العربية. وقد يشفع للقائل تشابه الخط الفينيقي بكتابة العربية الجنوبية اليمنية.

توالت التآليف اللغوية التي اهتم أصحابها بغريب العربية، وفيها الكثير من العروبي المشترك الذي لم يعد مستعملا رائجاً، لذلك سموا تآليفهم "الغريب..."، غير أنهم أدخلوا في هذا الغريب العادي من لغة الاستعمال، والحوشي وما خرج عن القواعد النحوية المشهورة، ولم ينهجوا نهجا موحدا في الوضع، كما لم يتخذوا لهم مدونة لغوية ذات مواصفات موحدة. فقد اعتمد البعض منهم الشعر واعتمد البعض النثر أو جمعوا بين الاثنين، ولم يأبهوا مطلقاً بزمن لغة التدوين، وهو أمر مهم لتاريخ الاستعمال. فهذا أبو عبيدة القاسم بن سلام، المتوفى سنة 838/244، الذي يمثل كتابه الغريب المصنف، أول وثيقة تصلنا في هذا الباب، يختار غريبه من خَلْق الإنسان ذكراً وأنثى، جسماً وعقلا وأخلاقاً، وصحة وعلة، وعادات وصنائع وتحضراً. ومن خَلْق الحيوان والطير وطبائعهما، ومن صفات الأرض ونباتها وما يجري عليها، ومن الأنواء وتقلباتها،

---

1 كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، تحقيق أدريان فان ليون وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992، ج. 1، ص. 703-704.

2 ورد ذكر عبد الرحمن هذا عند البكري، في حديثه عن الجهاد في إفريقية، حيث قال: "وروى ابن أبي العرب قال: حدثني فرات حدثني عبد الله بن أبي حسان عن عبد الرحمن (بن زيد بن أنعم عن أبي عبد الرحمن) الجبلي قال: قال رسوا الله (ص): ينقطع الجهاد من البلاد كلها فلا يبقى إلا بموضع في المغرب يقال له إفريقية". أوردنا هذه الرواية للتأريخ بها لعبد الرحمن بن زياد ومعرفة زمانه.

والزمان وما يطرأ عليه، ثم يختم بالمعاني المرتبطة بالصيغ اللغوية وما يتبع ذلك من غنى لغوي تكاد تختص به العربية دون غيرها.

ولم يخطر على بال ابن سلام في هذا العمل الرائع، ذلك التداخل العروبي المشترك في تطور معاني اللغة. وغرابتُها التي تمثلت لديه هي في معظمها تعود إلى تقادم العهود على كثير من المستعملات اللغوية التي حفظتها ذاكرة المدون في تلك الأيام [1].

وهذا كتاب النوادر في اللغة، لأبي سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة 215/[830]، يعتمد مدونة الشعر القديم وبعض شعر المخضرمين، ليستخرج نوادره اللغوية. فشرح في عمله هذا ألفاً وثلاثمائة وثلاثة وأربعين لفظاً، لم يقف فيها عند غرابة اللغة التي أتته من مشترك قديم، وإنما أهمه في كثير من الأحيان القضايا الإعرابية والنحوية، مع أنه أورد كثيراً من الدخيل الفارسي وغير الفارسي، الذي كان من الضروري أن يلفت باله ويعتبره من غير العائلة العربية [2].

وفي نفس الفترة تقريبا يضع أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، الذي توفي 243 (246)/ [857 (860)]، كتبه اللغوية التي منها إصلاح المنطق وكنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، ويجري فيها نفس المجرى مع كثير من التوسع والرجوع في بعض الأحيان إلى المعاني العروبية القديمة دون التنبيه على ذلك بطبيعة الحال [3].

---

1 انظر كتاب الغريب المصنف لأبي عبيدة القاسم بن سلام، [تحقيق محمد المختار العبيدي]، بيت الحكمة، قرطاج، 1989. (الكتاب في ثلاثة أجزاء ولم نطلع منه إلا على الأول والثاني)

2 انظر كتاب النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، [علق عليه وصححه سعيد الخوري الشرتوني اللبناني]، دار الكتاب العربي، بيروت، 1387/1967. الحق الكتاب بكتاب مسائيه للمؤلف، وينهج فيه الأنصاري نفس النهج، إنما أكثر الأخذ فيه من الأقوال النثرية، مثل "يقال...". نصه من صفحة 231 إلى 262.

3 حقق تهذيب إصلاح المنطق للخطيب التبريزي، فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403/1983. وعنى بطبع كنز الحفاظ، الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1895 [1896-1898]

ونعتبر كتب لحن العوام مصدراً من المصادر التي رصدت العروبي القديم في اللغة العربية، دون الانتباه إلى ذلك أيضاً، باعتبار القراءات المختلفة للفظ، والتغيرات الصوتية التي تلحق الكلمة وترتبط بمكان ما أو زمان ما، لا تمثل ألا صورة من صور تطور اللغة الأم، احتفظت بها الذاكرة، ثم اعتُبرت فيما بعد، خارجة عن عرف المستعمل الذي يعاصره اللغوي الجامع المدون للغة، فيعده لحناً. ومن أمثلة هذا النوع كتاب لحن العوام لأبي بكر بن حسن بن مذحج الزبيدي المتوفى سنة 989/379، وقد اعتمد فيه صاحبه الموروث الشعري والأقوال المتداولة، ولم يكتف فيه بتصويب النطق، وإنما صوب المعاني وحقق في الدلالات. وهذا بالضبط أمر يدخل في باب التطور اللغوي والبحث عن الصلات العروبية التي خفي أمرها في مخزون المستعمل الذي يستعمل اللغة عن سليقة وفطرة[1].

وبعد أن نضج البحث اللغوي وتحققت كثير من المعجمات العربية، وأصبحت مكونات الحضارة الإسلامية بارزة المعالم، بما رُفِدَتْ به أقطارُ الأمة الإسلامية التي ملأت مضارب الآفاق، من ثقافاتِ غير الناطقين أصلا بلغة العرب، وبعد أن صارت ألسُنٌ كثيرة من مستعملات المسلم الذي كان يتعامل بتلك اللغات المتقاربة أو المتباعدة، صار وَقْعُ الفروع اللغوية العروبية البعيدة، أو بنات اللغات ذات الأصول المختلفة شديدَ الجرس، قويَّ التميز، بارزَ المعالم. فظهرت في التأليف اللغوي تلك الكتب التي اهتمت بالدخيل والأعجمي والمعرب. ومن هذه كتاب أبي منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقي، المتوفي سنة 540/ 1145، المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الذي جمع فيه مؤلفه ما ظنه من غير العربية، وفيه الكثير من غير العربية المتداولة عندها، من أعجمي، ولكن فيه أيضاً كثير مما هو من صلب اللغات العروبية وعُطِل استعماله، فعده الجواليقي أعجمياً، أي من غير لغة العرب، وفيه ما هو رومي وما هو عروبي (أرامي) فعد الكل فارسياً وهكذا. غير أن هذه الملاحظات

1 لحن العوام، [تحقيق رمضان عبد التواب]، مكتبة دار العروبة، 1964.

السريعة لا تنقص من جلال الكتاب، فهو ديوان، على المهتم بالنظر في اللغات العروبية أن يعود إليه، وأن يقرأه بمعطيات علم المقارنات اليوم وسيستفيد ويفيد[1].

ظل الشعور بالصلات العروبية في اللغة الفصحى أو في غيرها من اللغات الأخوات، شعوراً ذوقياً تفتي فيه السليقة أكثر مما تفتي فيه المعرفة الفقه لغوية، حتى أينعت الدراسات المقارنة في الأندلس لأسباب مفسرة علمياً. من ذلك الواقعُ الجغرافي، والامتزاج الاجتماعي، وتداول الأجناس المختلفة على التدبير السياسي والإنتاج الاقتصادي، بل والمشاركة في الإبداع الأدبي والكتابات العلمية الحق. وأدى التداخل الاجتماعي الكامل، المتمثل في مقاعد الدرس ومجامع القضاء والتعامل في الأسواق، ومنافسة المهنيين والحرفيين، والمشاركة في السكن، بين مكونات المجتمع الأندلسي المختلفة المؤتلفة، إلى إيجاد لغة واحدة، هي لغة التعامل المشتركة بين كافة الأجناس، وهي بطبيعة الحال، لغة جمعت بين الأصول العروبية واللهجات اللاتينية التي لم تَزُلْ من لسان السكان الأصليين ولم تسلم من دخيلها ألسنةُ الفصحاء، حتى قال أبو العلاء المعري: **"وكان كلام أهل الأندلس الشائع عند الخواص والعوام، كثير التحريف عما تقتضيه أوضاع العربية"** [2]. كما شهد بذلك أيضا ابن حزم الأندلسي، المتوفى سنة 456/ 1064، وهو شاهد من أهل الديار، حيث قال: **"ومن سمع لغة فحص البلوط، وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد يقول إنها لغة أخرى غير لغة قرطبة"** [3].

في مقابل هذا التداخل اللغوي المختلف الأصول، تمكنت اللغة الرومية في الألسن، وصار الجهل بها أمراً ملحوظاً. وهذا مرة أخرى ابن حزم، العالم اللغوي، وعالم مقارنة الأديان، يشير إلى هذا حيث يقول: **"ودار بِلِي بالأندلس: الموضوع المعروف باسمهم بشمال قرطبة. وهم هناك إلى اليوم على أنسابهم لا يحسنون**

---

1 انظر المقدمة التي وضعها عبد الوهاب عزام لتحقيق المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقيب، الذي عني به أحمد محمد شاكر، نشر مركز تحقيق التراث ونشره، مطبعة دار الكتب، ط. ثانية، 1969/1389.

2عن كتاب عامة قرطبة في عصر الخلافة،أحمد الطاهري،منشورات عكاظ،الرباط،1988،ص. 172.

3 كتاب الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة، 1345 هـ، ج. 1، ص. 31.

الكلام باللطينية، **لكن بالعربية فقط**"[1]. مما يدل على أن جهل هؤلاء باللاتينية كان نشازا. ومما يدل أيضاً على شيوع اللغة العجمية في لسان الخاصة والعامة، ما نقله صاحب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، من أن الخليفة الناصر أتم لوزيره أبي القاسم بن لب، بيتاً من الشـــعر بلفظ أعجمي لما عجز الوزير عن ذلك[2]. ونقل لنا الونشريسي، فتوى يسأل فيها صاحبها عن رأي الشرع في من حلف بالعجمية أو طلق بها زوجه[3]. وتحدث السقطي في كتابه آداب الحسبة، عن حيل بعض باعة الرقيق، حيث كانوا يتفقون مع نساء مسلمات "**يحكمن اللسان الأعجمي والزي الرومي**" لتجري الحيلة على بعض البسطاء فيظنون أن الجارية أعجمية[4]. وكثرة استعمال "الخرجات"[5] الأعجمية في الموشحات وتردد ألفاظ أعجمية في كتب النبات، دليل على انتشارها الواسع، كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد بن شريفة في كتابه أمثال العوام في الأندلس[6]. والمتصفح لكتب لحن العوام، أو لما استخرجه Dozy في ملحق المعاجم، يقف على حقيقة الاختلاط الحاصل في لغة الأندلسيين الخاصة والعامة [7].

ومعرفة ابن حزم بأسرار اللغات، وهو المحقق في علم الأديان، المحاور المجادل مع الأحبار والرهبان، الكَلِف بالتأليف في اللغة والنحو والمنطق، جعلته يتحقق، في هذه الأندلس التي جمعت بين العرب والأمازيغ والعجم، من الأصول المشتركة للغة العروبية، فيقول في كتابه إحكام الأحكام في أصول الأحكام،

---

1 جمهرة أنساب العرب، [تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر]، 1983/1403، ص. 443.

2 البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي، [تحقيق كولان ولفي بروفنسال]، ج.2، ص. 227.

3 الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أشرف على تحقيقه محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981،ج.2، ص. 56-60.

4 أبو عبد الله السقطي، آداب الحسبة، [تحقيق كولان وبروفنسال]، باريس، ص. 54.

5 بيت من الشعر يكون في آخر مقطع الموشحة، ويكون عادة بلغة عامية، أو باللغة الإسبانية في الرجز الأندلسي، ويعتبر بعض الدارسين الخرجات الأندلسية أسّاً للشعر الغربي.

6 محمد بن شريفة، أمثال العوام في الأندلس، فاس، 1971، ج.1، ص. 277.

7 هذه الفقرة من بحث لنا نشرناه بعنوان "الحياة العامة في أندلس العصر الوسيط" في ندوة نشرت أعمالها بعنوان "الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003، ص. 169-211.

عندما ناقش مسألة "هل اللغة وقفا أم اصطلاحا"، وهي مسألة لم تخل منها كتب التفسير واللغة، قال: **"قال قوم هي [لغة الوقف] السريانية، وقال قوم هي اليونانية، وقال قوم هي العبرانية، وقال قوم هي العربية، والله أعلم[1]. إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير. لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث بها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي...وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء، فيقول مهمداً إذا أراد أن يقول محمداً. ومن هذا كثير. فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل. وإذ قد تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية والعبرانية"** [2].

حكم من عالم وقف كثيراً على نصوص الكتب السماوية وتأمل في لغاتها، بنفسه أو بمساعدة من يحسنها، وتيقن بمنهاج بحثه الدقيق، أن لا يمكن أن تكون هذه اللغات العروبية إلا من أصل واحد. واضح أن ابن حزم لم يستطع تصنيف العروبيات كما نفعل نحن اليوم، فقد وضع العبرية والسريانية، وهما غربيتان شماليتان، في صُنافة العربية الفصيحة، وهي غربية جنوبية. وأبعد لغة حمير، وهي غربية جنوبية من صنافة العربية الفصيحة. ومع ذلك فهو بهذا قد ميز بين فرعين متقاربين متباعدين. نتيجة وصل إليها في ما بعد بكثير، طه حسين، في مؤلفه الشعر الجاهلي. إن طه حسين في كتابه هذا، لم يزد على أن تناول نفس ملاحظة ابن حزم بكثير من التفصيل والإيضاح، بناء على ما وصل إليه علم الاستشراق أيامه، وليس الموضوع هنا مكان التفسير والإطالة. ومن البين اليوم أن أسس هذا المنهاج المقارن المقارب المباعد بين اللغات العروبية، كانت قد وضعت موثقة بشواهد نصية، أيام ابن حزم بعناية أناس عايشهم ابن

1 نذكر بأن هذه هي اللغات التي كانت تتداول بها الكتب المقدسة: التوراة و الأناجيل والقرآن.
2 الإحكام في أصول الأحكام، ج. 1، ص. 28-30.

حزم وخاصمهم، عندما تعلق الأمر بالعقيدة والاقتصاد ومجريات السياسة[1]، وحاورهم عندما تعلق الأمر بحسن الجوار واحترام الآخر بوصفه أخاً في الإنسانية.

كان يعايش ابنَ حزم في الأندلس أناسٌ آخرون مَكَّن لهم وضعهم أن يكونوا أقدر على تمييز الأسَر اللغوية، وأعني بهم اليهود. فقد مكنت لهم الدولة الإسلامية في الشرق والغرب الإسلاميين، أسباب الترقي والمعرفة، وفتحت لهم أبواب العلم في مساواة منعدمة النظير، خصوصاً في الأندلس. فساروا بعيدا في مجال المقارنة وتقريب الصلات اللغوية، وقد مكنهم وضعهم الاجتماعي والديني، من أن يقوموا بهذه المهمة عن وعي وغير وعي. فثقافة علمائهم الاجتماعية، ثقافة عربية لا تقل عن ثقافة أي مسلم مشتغل بعلوم التفسير والتشريع واللغة والشعر والأدب. وكتابهم هو التوراة، وهم أكثر الناس علما بتوراتهم بوصفهم علماء في ملتهم. ولغة التوراة هي في معظمها عبرية وبعض منها آرامي. ولغة تلمودهم آرامية بابلية. واللغة السريانية فرع من اللغة الآرامية. وكان بعض من هؤلاء يشغلون مناصب في الدولة جعلت منهم السفراء والمفاوضين والوسطاء التجاريين، بل جعلت من بعضهم وزراء. وهذا وضع مكنهم من معرفة اللغات الرومية المحيطة أو البعيدة. وبعض من هؤلاء الذين نالوا حظوة في جهاز الدولة، قلدوا الخلفاء والأمراء والقادة المسلمين في حماية العلم وتهيئ أسباب رواجه. وهكذا اكتملت ليهود الأندلس الأداة للتنقل بين اللغات العروبية وغير العروبية بيسر وعن معرفة كاملة. فهم أول من وضع للغة العبرية أصح مؤلفاتها في الصرف والنحو والمعجم، وذلك لأنهم ثقفوا النحو والمعجم العربيين، وتمرسوا بأساليب الكتابة العربية، وشعروا بالاختلاف والائتلاف. ومن أوائل

1 استحوذ اليهود أيام ابن حزم على مناصب سياسية كالوزارة وأخرى اقتصادية كجباية الأموال، ولم يحسن بعضهم التصرف فيها حتى بالنسبة لأبناء دينهم، فثار عليهم هؤلاء والعامة، وانتقدهم ابن حزم انتقاداً مراً في كتابه الرد على ابن النغريلة اليهودي. أنظر كتابنا التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006، صفحة 107 وما بعدها.

هؤلاء أبو زكرياء يحيى بن داود الفاسي ثم القرطبي، المنبوز بحيوج، المولود بفاس قريبا من سنة 970 م. وهو صاحب كتاب الأفعال ذوات حروف اللين، وكتاب الأفعال ذوات المثلين، وكتاب النتف وكتاب التنقيط. ومنهم مناحم بن سروق الطرطوشي ثم القرطبي، ولد 910 م. وهو مؤلف كتاب الكناشة في النحو، وكتاب الحل، في النحو أيضا. ومنهم دوناش بن لبراط البغدادي الأصل، الفاسي المولد، القرطبي النشأة، ولد بفاس سنة 920 م. وهو صاحب كتاب الأجوبة[1].

ذكرت هؤلاء، لأن اختلاف نظرهم في بنية الجذر العبري (أحادي ثنائي ثلاثي)، كان السبب في التنافس والمقارنة والعود إلى اللغة العربية ثم اللغات العروبية الأخرى للبحث عن الجواب الشافي في أمر الجذر.

وفي هذه العهود كتب يهودا بن قريش الطاهرتي (كانت طاهرت في جزائر اليوم)، الذي كان يعيش في المنتصف الثاني من القرن التاسع الميلادي، رسالة إلى يهود فاس، وتعتبر هذه الرسالة المؤلَّف المقارن الأول في تاريخ العروبيات، حيث قارن بين اللغة الآرامية والعبرية والعربية، لفظاً ومبنى، بل قارن بين ألفاظ عبرية وأخرى أمازيغية، باعتباره كان يعيش في محيط يستعمل اللغة الأمازيغية [2].

وتمثلت قمة هذه الجهود في مؤلفات أبي الوليد مروان بن جناح القرطبي، المولود حوالي 985 م. التي هي: كتاب المستَلحَق، ورسالة التنبيه، وكتاب التقريب والتسهيل وكتاب التسوية وكتاب التشوير وكتاب التنقيح.

---

1 وُضعتْ كتب الكناشة والحل والأجوبة باللغة العبرية، أما كتب حيوج فكتبت بالعربية بحرف عبري. ونشرت هذه الكتب نشرات أوروبية قديمة. للتفاصيل، أنظر تحقيقنا للفصل الخامس من كتاب المحاضرة والمذاكرة، لموسى بن عزرا، وهو المعنون بـ "شفوف جالية الأندلس في قرض الشعر وتحبير الخطب والرسائل العبرانية، على غيرهم". نشر النص في "أبحاث مهداة إلى الدكتور عباس الجراري"، مطبعة دار المناهل، 1997. ج. 3، ص. 881-913.

2 نشرت الرسالة مراراً بالحرف العبري، وبه كتبت أصلا، ثم نشرت في بحث أكاديمي نشرة علمية بعناية دن بقر، جامعة تل أبيب، 1984.

والكتب الخمسة الأولى تدخل ضمن الجدل النحوي اللغوي المشار إليه.
أما أهم مؤلفاته فهو الأخير: كتاب **التنقيح**، وقسمه قسمين، أولهما سماه **اللمع** وخصه بالنحو والصرف، على غرار كتـــاب سيبويه، بل كان كتاب سيبويه الذي ذكره بالاسم، أمام ناظريه وهو يؤلف كتابه. وسمى جزأه الثاني **الأصول**، ويعني بها جذور اللغة التي تنبني عليها المعاني. وفي هذا الجزء، الذي شرح فيه 2148 جذراً، في صيغها وتراكيبها، برع في المقارنة العروبية، بل في مقارنة العبارات بالعبارت، واللهجات باللهجات، والعادات بالعادات [1].

وفي أواخر القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر الميلاديين، عاش في سرقسطة ومالقة، أبو إبراهيم إسحاق بن برون، صاحب كتاب **الموازنة بين اللغتين العبرانية والعربية**، وكتبه بلغة عربية وحروف عبرية، على عادة اليهود أيامها. وقد قسم هو الآخر كتابه إلى قسمين، قسم قارن فيه بإيجاز، بين النحو والصرف العبريين ونظيريهما العربيين، وقسم خاص بالمعجم. ويعتبر هذا القسم ذا أهمية قصوى، إذ من خلاله يصحح ابن برون، كثيراً من القراءات التوراتية، ويتهم الأحبار بعدم فهم التوراة لأنهم يشرحونها من تأويل وليس من الفهم اللغوي المعتمد على الأصول المشتركة التي يعتبر اللغة العربية مصدرها وخزّانها. ولعله لهذه النظرة اللغوية العميقة المشككة في فهم اللغة العبرية، لم يجد كتابه ذيوعاً لدى اللغويين والمفسرين اليهود الذين كانوا يعتبرون لغتهم أكمل اللغات. وضياع نسخ الكتاب دليل على ذلك، إذ لم يصلنا منه حتى اليوم، إلا نسخة يتيمة توجد بمكتبة سان بترسبورك (لنين كراد) [2].

---

1 انظر التفاصيل حول ابن جنح وكتبه ونشراتها في كتابنا" ابن رشد والفكر العبري الوسيط، فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، المطبعة الوطنية-مراكش، 1999، ج. 1، ص. 121-134.

2 نشرت النسخة اليتيمة بحرف عبري بعناية باولو فاقاوصاو، في بترسبورك سنة 1890. وأعيد نشرها مصورة في القدس سنة 1971، مع زيادة أوراق عثر عليها فيما بعد. ويحتاج النص المنشور إلى جهد كبير لتظهر فائدة الكتاب، وقد أعدنا تحقيقه ونأمل إخراجه قريبا، أما النص الخاص بالنحو فقد نشرناه في الفصل الخامس من هذا الكتاب الذي بين يديك.

تعتبر هذه الأمهات اللغوية العربية-العبرية، التي بناها أصحابها بذهنية النحوي اللغوي المعجمي العربي ومنهاجه، وبمعارف هي بنت ثقافتهم العقدية الخاصة، التي مكنتهم من التعامل بلغات متعددة كلها من منبت واحد اتسعت رقعته وترامت آثار تأثيره، بسبب الهجرة والرحلة والمجاورة وانتشار العقيدة والتسامح والمساواة في مكان العلم وأخذه، أقول تعتبر هذه أسّ البناء لكل المدارس المقارنة التي ظهرت في القرن التاسع عشر. وعليها انبنت النظريات التي ترجع كل الناطقين بهاتيك اللغات العروبية المشار إليها، إلى أصل واحد ومنبت واحد. بل عليها أسست نظريات كثير من مؤرخي الشرق القديم، قبل أن يضيفوا إلى أدواتهم ثمار علم الأركيولوجيا، وهو علم قويت أسبابه، و استمد شرعيته من إشاراتٍ وإماءات ما ورد في الكتب الدينية القديمة أو الكتب السماوية التي كتبت أو نزلت باللغات العروبية. وبَيَّنَتْ نتائج هذه الأبحاث أن العرب لم يظلوا منحصرين في حيز محدود خلال تاريخهم الطويل، فقد توسعوا منذ العهود السحيقة، بسبب ما طرأ على بلادهم نتيجة فعل تقلبات المناخ، **"فذهب الهكسوس إلى مصر، وزحف الأكاديون والآشوريون إلى العراق، ودخل الآرميون إلى سورية، وقصد الكنعانيون والعبرانيون فلسطين، وتوجه المناذرة والغساسنة إلى سوريا والعراق"**[1]. وبعد أن استقر بهم الأمر واعتدل المناخ وتوفرت أسباب البناء الحضاري، ظهرت لهم حضارات هي :

1- حضارات الشمال: السومارية والآكادية البابلية الآشورية والكلدانية والفينيقية والمصرية والتدمرية.

2- حضارات الوسط: النبطية والتمودية الجندبية والتيماوية والحجازية والنجدية والتهامية.

---

1 تاريخ العرب، محمد أسعد طلس، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط. ثانية، 1399/،، 1979، ج. 1، ص.13

3- حضارات الجنوب: المعينية والسبئية والقتبانية والحضرموتية والواسانية[1].

وفي نفس المسار، يقول كارل بروكلمان، في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية: **"ولقد اختلط العرب في الشمال، بالجنس المعروف بجنس الشرق الأدنى الذي ساد في وقت من الأوقات في آسية الصغرى وفى غربي النجاد الإيرانية أيضاً، والذي حُفظ في أصفى أشكاله بين الأرمن المعاصرين الذين يتميزون بالانحدار الشديد في مؤخرة الجمجمة، وبالأنف الضخم المتقوس. ولا بد من أن يكون هذا الجنس، في ما يظهر، قد انتشر في زمن ما، في اتجاه الجنوب، لأننا نقع منذ القديم على خصائصه المميزة عند العرب اليمنيين. وابتداء من الألف الثالث ق م. شرعت جماعات من شعوب الجزيرة العربية تندفع نحو الشمال، في فترات من القحط بالغة الخطورة. فإذا بالبابليين يَغْشَوْن العراق ويقتبسون فيه ثقافة السوماريين، وإذا بالكنعانيين واليهود والآراميين يهبطون سورية وفلسطين، ويستعيرون، مع الفينيقيين، ثقافة الجنس المعروف بجنس الشرق الأدنى. ذلك الجنس الذي أورثهم كذلك بعض صفاته الجسمانية. أما لغتهم التي ندعوهم من أجلها "ساميين" فقد احتفظت بخصائصها الرئيسية التي يربطها بالعربية نسب وثيق، على الرغم مما طرأ عليها من تعديل كبير"**[2].

كونت هذه المجموعات البشرية المشتركة الأصل، المهاجرة والمساكنة والمجاورة والمستقرة والمعيرة والمستعيرة، لغة واحدة في أصولها، وهي اللغة التي أطلق عليها اصطلاحا "سامية" (عروبية). والعرب، في باب التسمية الواسع، هم سكان عالمهم ذاك منطلق الهجرة، الذي حالت أحواله فأصبح صحراء قاحلة هي "العربة"، والمتأثلون فيه هم العرب، وهم الذين عانوا البقاء وعانوا القحط الذي آلت إليه أرض كانت عامرة زرعاً وعمارة وماء. وتكلموا لغة فرعاً من أصل مشترك.

---

1 نفسه ص. 14.

2 تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، [ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي]، دار العلم للملايين، ط. عاشرة، 1984، ص. 15.

ومما تقدم، فإن تاريخ العربية تاريخ عريق مغرق في القدم، وأن الذين تحدثوا بها في صورها المختلفة كونوا حضارات زاهية مشرقة، وأن الحيز الجغرافي القديم الذي شغلته، ضم بين جناحيه الأرض الخصب المعطاء، والجبال الشاهقة، والمغارس المتنوعة الفيحاء، والصحراء العربة الجذباء[1].

ومن سوء حظنا أن هذا التاريخ العريق لم يكتب كله كتاباً واحداً رتبت فصوله وبوبت أبوابه، لكنه وصلنا شذرات نقلتها كتب الأديان أو كشفت عنها حفريات المنقبين، أو جاءت حوادث في مسارد الأمم المجاورة، أو إشارات تضمنتها مدلولات اللفظ والكَلِم.

ومن سوء حظنا أيضاً، أن كتابات تلك الشعوب العربية ومآثرها الأدبية لم تصلنا كاملة لتكون تاريخاً نعرف بواسطته كيف أصبحت اللغة العربية الأم هذه التي في أفواهنا اليوم .

أشرت أعلاه إلى "قوة اللغة" و"مجهود الفعل". فما المقصود بـ"قوة اللغة" ؟.

يعنى كيان الأمر بالقوة أنه ممكن الوجود وان لم يخرج من حيز العدم إلى حيز الوجود. ويعنى وجوده بالفعل أو "مجهود الفعل". تحقق الفعل وخروجه من التصور والوهم إلى الوجود المكانى والزماني وتعدد الأبعاد.

فإذن ما ذا نعنى بكيان اللغة بالقوة؟. إن الخليل بن أحمد الفراهيدي عبر عن كيان اللغة بالقوة بمصطلح آخر سماه "المهمل". فكل جذر عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو الرياضي الموسيقي، يتضمن صيغاً تعرف العرب معانيها ومدلولاتها، (المستعمل)، وصيغاً لم تضع لها العرب معاني ومدلولات للتداول، (المهمل). وإذا كانت اللغة تتكون من ألفاظ - (أسماء وأفعال وحروف)- فإن هذه ترجع إلى أبسط مكوناتها، وهي الحروف الثمانية والعشرون. وعليه فإن نظم

---

1 انظر في باب هذا التوسع، كتاب أصول اللغة الليبية القديمة، عبد العزيز سعيد الصويعي، دار الملتقى للطبع والنشر، قبرص، 2003.

هذه الحروف الثمانية والعشرين نظماً متوالياً في تقاليب، يبدأ بالثنائي وينتهي بالخماسى، فـي تقاليب محصورة معدودة، يتضمن اللغة العربية "قوة" و"فعلا". فالجدر: (ك .ل .م)، يتضمن ست صيغ، خمس منها صيغ أو لغة بـ"الفعل" هي: كلم، كمل، لكم، ملك، ولمك [1]، وصيغة واحدة بـ"القوة" غير أنها بدون معنى، وهي مكل. فالأولى مستعملة والثانية مهملة، أو الأولى بـ"الفعل" والثانية بـ"القوة".

هذا ضرب من "القوة" و"الفعل" يتمثل في اللغة العربية القرشية، أي اللغة الفصيحة التي تداولناها منذ فجر الإسلام، أو نتداول اليوم متفرعاتها .

غير أن هناك ضرباً آخر من "القوة" و"الفعل" أو "الإهمال" و"الاستعمال"، يتمثل في صيرورة اللغة العروبية من النشأة الأولى وإلى الاستعمال القرآني. وهذا هو الذي لم ينتبه إليه الخليل بن أحمد أو من جاء بعد من اللغويين العرب والمسلمين. ومن انتبه إليه منهم لم يتصرف فيه تصرف المتمكن العليم بخفايا الأمور، إذا اعتبروا اللغة العربية الفحصى لغة فريدة من نوعها لا ترتبط بغيرها، بل أبعدوا من المعجم المستعمل أيام النبي"ص"، الكثيرَ من لغة الجزيرة العربية، واعتبروه غير فصيح، اعتماداً على قياس عاطفي أكثر منه عقلي، فصار"مهملا"= (لغة بالقوة بعد أن كانت فعلا). فجاء متن معاجمنا العربية عبارة عن تأويل فيها الكثير من التمحل والبعد عن سلامة التأثيل والنظر الفقه اللغوي المنطقي، وفسروا اللغة العربية بالعربية التي عاصروها، دون أن يدخلوها في باب العروبيات. فخفي عليهم المدلول اللغوي الذي كان "فعلا" باعتباره كان مستعملا في الفروع العروبية الأخرى، مثل الآشورية والأوغاريتية والإبلية والفينيقية والعبرانية والآرامية والسريانية، وكلها فروع للغة أصل، وأصبح "قوة" في لغتهم لم ينتبهوا إليه، ولم يدخله الخليل في "مهمله"، واستعمله

---

1 لمك : "لمكا العجين :أنعم عجنه .تلمك البعير: لوى لمحييه وتلمظ .اللماك :السيء مما يذاق . . . اللمك واللماك :الإثمد تكحل به العين اللميك : المكحول العين (أنظر المنجد »مادة لمك).

القرآن المعجز، في سياقه الاجتماعي والتاريخي الذي لم يكن لهم به علم، متحدثين ولغويين .

ولعل أكثر لغويينا شعوراً بارتباط اللغة العربية بغيرها، أو الأصح شعوراً بوجود غيرها فيها، نسبياً، هم أصحاب كتب "الدخيل" و"الأعجمي" و"المعرَّب"، وهؤلاء استطاعوا في تآليفهم هذه أن يستخرجوا الفارسي والرومي، ولكنهم لم يستطيعوا تملس وجود العلاقات الموجودة بين اللغة العربية وأخواتها العروبية، لجهلهم بها من جهة، ولأن أمرها خفي عليهم لكون بنيتها هي نفس بنية اللغة العربية من جهة ثانية. وهذا أبو منصور الجواليقي، في كتابه "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم"، المشار إليه أعلاه، لم يستطع على الرغم من جمعه الكثير، أن يضع منهاجاً علمياً واضحاً به يتوصل إلى معرفة الفارسي الحق والرومي الحق والعروبي الحق. بل مع وقوفه على هذه، فإنه لم يتعد في ذلك عد وشرح هاتيك الألفاظ، ولم يرجع "دخيله" إلى أصوله، خصوصاً العروبي منها، بل جل ألفاظه التي جمع هي من الفارسي أو من أسماء الأعلام.

كان لطبيعة اللغة العربية هذه، أن تجعل الذين فسروا القرآن أو نظروا في لغته، يكونون على بينة من هذه الخاصية العروبية التي كان لا بد لها من أن تفرع معانيه وتعود بها إلى قديم المستعمل، كما أشرنا. وقد ألمحنا إلى أن ابن عباس، رأس المفسرين، كان يشعر بذلك. وقد وضع محمد فؤاد عبد الباقي، "معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري، وفيه ما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة"[1]. أورد فيه الواضع ألفاً وتسعاً وخمسين لفظة في أماكنها من القرآن، ثم وضع هو شرحها في الهامش. والألفاظ بهذا الوضع لا تدل على بنية معجمية لغريب القرآن ارتضاها ابن عباس وبنى صوغها، فهو اجتهاد من الواضع، ألحق به مسائل نافع بن الأزرق، في نفس الموضوع، وتضمنت مائة وأربعاً وثمانين لفظة في موضوعها في القرآن، مع شرح لها في الهوامش.

---

1 الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط. ثانية، [1950].

ومن المؤلفات التي اهتمت بغريب القرآن، نذكر غريب القرآن وتفسيره، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك العدوي البغدادي المعروف بابن اليزيدي المتوفى سنة 227 هـ [1]. وياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، المتوفى سنة 245هـ [2]. وتفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة 276هـ[3]. وتفسير المشكل من غريب القرآن، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى 437هـ [4]. والعمدة في غريب القرآن له أيضا[5]. ومعجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني المتوفى 503هـ [6]. وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، للشيخ أثير الدين أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة 745هـ [7]. وبهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، لعلي بن عثمان التركماني المتوفى ستة 750 هـ [8]. وتفسير غريب القرآن، لمحمد إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى ستة 1182هـ[9]. والتحفة القُليبية في حل الحمولية في غريب القرآن الكريم، لموسى بن محمد بن موسى بن يوسف القليبي العمري المالكي المتوفى سنة 1332هـ[10]. وندرج في هذا النوع كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء الأعلام، لمؤلفه عبد الرحمن السهيلي الأندلسي المغربي المتوفى عام

1 تحقيق عبد الرزاق حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987/1407.
2 حقق الكتاب وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1423هـ-2002.
3 حققه السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978/1398.
4 حقق الكتاب علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، 1985/1406.
5 حققه وعلق عليه وخرج نصه، يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ثانية 1984/1304.
6 حققه نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، (دون تاريخ).
7 حققه سمير طه المجذوب، المكتب الإسلامي، 1988/1408.
8 حققه علي حسن البواب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2000/1420.
9 حققه وعلق عليه وضبط نصه محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 2000/1421.
10 حققه وعلق عليه الشيخ كامل محمد محمد عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999/1420.

581هـ[1]. وتميز هذا الكتاب عن سابقيه بجرأة صاحبه في البحث عن جذور المبهم التاريخي في القرآن، وبمحاولته تفسير الأعلام القرآنية تفسيراً مقارناً ينبش في الجذر العروبي بما تيسر له.

ومن الكتب الحديثة في معجم لغة القرآن، قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم[2] . ويقتصر شرحه على إيراد اللفظ وشرحه بالمألوف من اللغة، وكان من المفترض أن يستفيد المؤلف من المقارنات العروبية المتوفرة في الدراسات الأجنبية، وخصوصاً فيما يخص الأعلام، غير أنه اقتصر، في شرحه على الأخبار دون التحاليل اللغوية المقارنة.

ولعبد العال سالم مكرم، كتاب بعنوان المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم [3]، وقد يوحي العنوان بأنه من صنف معاجم لغة القرآن، وهو في حقيقته، دراسة لمجموعة من كتب التراث التي اهتمت بالأشباه والنظائر في اللغة وفي القرآن، ولم يتعد فيه تقديم نماذج محدودة من كتبه التي درسها في حدود الدراسة التقليدية المعروفة[4].

ووضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة معجم ألفاظ القرآن الكريم[5]. اكتفى المعجم بالشروح اللغوية المبسطة دون الإشارة إلى الدخيل أو الأعجمي أو المعرب. يقول الشارحون مثلا في "أباريق": "أباريق جمع إبريق: وهو إناء له خرطوم وقد تكون له عروة" [6]. وفي "سندس" : "السندس: رقيق الديباج، وهو

---

1 دراسة وتحقيق عبد الله محمد علي النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، 1992/1401.

2 دار الفكر العربي، 1961/1381.

3 صدر الكتاب في مطبوعات جامعة الكويت، 1994.

4 جاء في تاريخ التراث اللغوي ذكر لكتب تدخل في باب لغة القرآن، منها: كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان(تـ 150هـ) وغريب القرآن لأبي فيد السدوسي (تـ 195هـ) وغريب القرآن لأبي محمد يحيى اليزيدي(تـ 202هـ)وغريب القرآن للنظر بن شميل(تـ 203هـ)ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر ابن المثنى (تـ 210هـ) وغريب القرآن للأصمعي (تـ 213هـ) وغريب القرآن لمحمد بن سلام الجمحي (تـ 231هـ) وغريب القرآن لأبي عبيدة بن محمد الهروي (تـ 401هـ).

5 الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط. ثانية، 1970/1390. (جزآن، ج. 1 من الهمزة إلى السين، 641 صفحة. ج. 2 من الشين إلى الياء، 918 صفحة).

6 ج.1 ص. 2.

الحرير المنسوج الذي يتلون ألوانا"[1]. ووقفوا وقفات مختصرة عند أسماء البلدان والمدن، فهم يقولون في"مصر"مثلا: "المصر: البلد العظيم فيه الأسواق والحكام. ويجمع على الأمصار. ومصر: القطر المحروس حماه الله"[2]. وأشاروا إشارات خفيفة في تفسير الحيوان. يقولون مثلا في "النون": الحوت. وذو النون من الأنبياء يونس عليه الصلاة والسلام، سمي بذلك لأن الحوت التقمه ثم أخرجه من جوفه"[3].

ولم تورد هذه الطبعة أسماء الأعلام، وهي مظنة للبحث الفقه اللغوي المقارن، الذي يبحث في اللغة العروبية القديمة.

ملاحظتنا هذه لا تروم التنقيص من هذا العمل الجليل، ولعل هدف المجمع من عمله هذا، أن يقرب لغة القرآن للقارئ العادي. ونأمل من مجمع القاهرة الذي بدأ هذا العمل الجليل، أن يضع اليد في اليد، مع المجامع العربية الأخرى، وهي اليوم والحمد لله، مرصعة بعلماء من ذوي المعارف المتعددة، ويتحلون بمفهوم جديد للبحث اللغوي، لوضع موسوعة القرآن العظيم، في تصور يتعدى ذاك الذي كان يستقل به المستشرقون بدعوى أنهم الأقدر على التعامل مع اللغات العروبية القديمة التي كانوا يسمونها "سامية" نسبة إلى سام بن نوح.

وكما لم يهتم معجم المجمع باللغات العروبية القديمة، لم يهتم أصحاب الكتب المذكورة أعلاه، بالعروبي القديم في القرآن، وكثير من "غريبهم" كان معروفاً مستعملا رائجا، ومع ذلك فمادة هذه الكتب- ولهذا أشرنا إليها- غنية جداً، وتصلح لتكون مدونة للعروبي القديم في "العربية الفصحى" عامة، وفي القرآن خاصة، إذا ما درست بهذا المفهوم، واستعان الدارسون لها بأدوات فقه اللغة المقارن، ونتائج الأبحاث اللسانية المقارنة، ومناهج التأثيل. ونأمل أن تسمح لنا الفرصة بدراسة مناهج هذه المؤلفات وطرق اختيار مصادرها وإلى أي حد تبين

---

1 نفسه، ص. 623.

2 نفسه، ج 2، ص. 637.

3 نفسه، ج 2، ص. 777.

مدونوها هذا الامتداد الزمني البعيد في أرض لم تكوِّن فيها الجزيرة العربية إلا جزءاً، ولم يمثل فيها المتكلم بالعربية إلا فصيلا ورث حضارة عريقة في الزمان والمكان.

ومن المؤلفات الأنموذج التي بحثت في "عروبي" لغة القرآن كتاب الدكتور علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة في موضوع قديم[1].

الكتاب مقدمة تناولت قضية المعرب والدخيل والمولد، وما قيل فيها وبعض من تعرض لها رفضاً وقبولا. مع إيراد آي القرآن المستشهد بها في الحالين، وأقوال القدامى والمحدثين. ويخلص هو، بعد عود إلى عوائل اللغات العروبية، إلى أن ما في القرآن مما فسر بالفارسي أو الرومي أو غير ذلك، إنما هو عربي لم تتضح معالمه للدارسين، لأنه من قديم القديم. ثم قسم المؤلف محتوى الكتاب قسمين: أولهما جمع فيه "أشهر ما زعمت عجمته من ألفاظ قرآنية، نسبت إلى الفارسي أو الرومي"(=اليونانية اللاتينية) وبيان عروبتها مرتبة ترتيبا هجائيا). ودرس في هذا القسم ثمانية وثلاثين لفظاً مما ورد في القرآن، أولها إبريق وآخرها ياقوت، وأرجعها كلها إلى العروبي القُح مما تحركت به ألسن العرب القدامى. ودرس في القسم الثاني المفردات القرآنية التي أوردها الأب أدي شير، في كتابه الألفاظ الفارسية المعربة، وعددها واحد وخمسون لفظاً. أولها "أبد" وآخرها "هاد" فأرجعها هي الأخرى إلى أصولها العروبية القديمة. جهد محمود وجريئ، ستكون له قيمته الأكاديمية عندما تعد العدة لـ "المعجم التاريخي العربي وموسوعة القرآن الكريم".

ونحن من هذا المنفذ ننظر في اللغة العروبية الواردة في القرآن، ونبدأ بملاحظتين:

---

1 صدرت الطبعة الأولى عن دار الشرق، بيروت، 1997.

أولاهما أن وجود اللفظ العروبي في القرآن، هو دليل آخر على إعجاز هذا الكتاب العظيم الذي لم ينحصر إعجازه في قوة تشريعه وعلو تمدن مراميه بقوانين الأخلاق الراقية، كما لم ينحصر في إشاراته التاريخية البعيدة في تاريخ الإنسان مما لا يستطيع معرفته إنسان عاد. وإنما هو إعجاز آخر تمثل في استعمال اللغة في سياقات تاريخية ما كان للعربي العادي أن يعرفها، وتمثل في ترجمة كثير من الكَلِمِ الذي صار نسياً منسياً عند فصحاء العرب، وكان من لسان آل إبراهيم أو آل موسى أو آل جرهم، فأعاد القرآن استعماله، لأنه أورده في سياق أحداث تاريخية هي من عهود الأسماء المشار إليها. وما كان العرب قادرين على معرفته في حالهم التي كانوا عليها، فعجزوا عن الإتيان بمثله بل عن فهمه. إن "الصرافة"، أي عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن بفعل إلهي وليس من قصور لغوي، غير كافية وحدها لتفسر الإعجاز. إن الذي يدل على الإعجاز هو العجز الحقيقي الذي وقع للعرب الفصحاء وهم يقرؤون لفظاً عربياً في بنيته، غريباً في مفاهيمه وما يخفيه من معان هي نتاج تسلسل تاريخي طويل، لا قبل لهم بمعرفة مجرياته وأحداثه التاريخية.

وثاني الملاحظتين أن العروبي القرآني المشترك، اشترك في أصول معانيه، لأن الوطن الأصل للناطقين باللغة العروبية كان واحداً، وكان محدد الرقعة صغيرها، ثم اتسعت أرجاؤه، وتباعدت آفاقه، بسبب تغير المناخ، وشح الطبيعة، وتكاثر الخلق وعجز الأرض. فحدثت الهجرة وتباعدت الأنساب[1]. وفي حال مثل هذه تتعرض اللغات لثلاثة تغيرات:

---

1 كتب حول موضوع المنبت البشري الأول واللغة الأولى أو اللغة الأم، الكثير الكثير، ونحيل في مسألة المنبت الأصل على كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، دار العلم للملايين بيروت ومكتبة النهضة بغداد، 1968، الجزء الأول. وفي موضوع اللغة الأصل واللغات العروبية نحيل على اللاتينية العربية، دراسة مقارنة بين لغتين بعيدتين قريبتين، علي فهمي خشيم، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2002، ص.19-22. وملامح في فقه اللهجات العربيات، من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية. محمد بهجت قبيسي، دار شمأل، دمشق، ط. ثانية، 2000. ص.10-11. والكتابان يتميزان بجدة وبكثير من التأمل الفقه لغوي والتاريخي، ويمتعان برحلتهما اللغوية التي تنم عن هم معرفي يريدان به تعدي ما قد تفيد به اللغة إلى ما تفيد به الحضارة. ومؤلفات المؤلفَيْن غير هذه، كلها تنحى هذا المنحى.

1- فقد يمحي مسمىً من مسميات الموطن الأصل بعد هجرة، إذا لم يوجد ما كان يدل عليه في الموطن الجديد، فيصير نسياً منسياً ثم يموت.

2- يصطلح الناس على مسميات جديدة لم يكن ما تدل عليه موجوداً في وطنهم القديم، فينمو وعاء اللغة.

3- قد يجاور المهاجرون متكلمين بلغات من عوائل أخرى لغوية، قد تكون قريبة النسب وقد تكون بعيدته، فيستعيرون منها ما يصير عندهم دخيلا، وقد يتأثرون في نطقهم بأصواتهم، خصوصاً إذا اضطروا إلى استعمال رموز كتابتهم، كما حدث بين السومارية واللغة الأكادية بسبب استعمال المقطع المسماري.

في هذه الهجرة القصيرة نسبياً، تظل بعض المسميات حية دون أن تتغير من الوجهة المعجمية وأصل الدلالة. تلك هي مسميات أعضاء جسم الإنسان، وأدوات استعماله البدائية، ووسائل عده أو وزنه، وبعض حيواناته وما اتصل بها، وبعض سكنه وما اتصل به، وبعض عاداته في العيش والتدبير. فهذه كلها تدخل في العروبي المشترك. فاليد ستظل دوماً يداً، والذئب سيظل دوماً ذئباً، والواحد سيظل دوماً واحداً، واليَمُّ سيظل دوماً يَمًّا، والماء سيظل دوماً ماء، والمِثْقال يظل دوماً مِثْقالا، والحرث والزرع والجذع، ستظل دوماً كذلك. فهذه ومئات من أشباهها هي هي، في معظم اللغات العروبية. والضمائر التي بها يتصرف المتكلم في هذه اللغات هي هي، فـ"أنا" و"أنت" و"هو" و"نحن" و"أنتم" و"هم"، ومتفرعاتها هي هي، اللهم إلا بتغيير صوتي بسيط، يحدث مثله اليوم بين متكلمي مدننا القريبة في المكان والزمان، فالضمير "أنا" في العربية الفصيحة يصير في العبرية "أني"، وتستعمله اللهجة المصرية اليوم بنفس نطق اللغة العبرية، ويقال نفس الشي في "أنْتِ" و"أتْ" . ولن نشغل نفسنا بمثل هذا في هذه النماذج التي سنقدمها، فهو من باب السائر المعروف، والقرآن مليء به، ولا يختلف عن العروبي القديم إلا بتغَيُّر مخارج الحروف. فلفظ "الأرض" في العربية الفصيحة

يقابله في العبرية لفظ "إرصْ" وفي الآرامية "أرعا" أو "أرقا" وفي بعض الأمازيغيات "أرَقوَان" التي تصبح في اللهجة المغربية "ارَّكَّيَّـة". و"مَلِك" في العربية الفصيحة يقابله في الأكادية "مَلكو" وفي الآرامية "مَلكا" وفي العبرية "مِلِخْ"، وهكذا دواليك [1].

نماذجنا في هذه الدراسة، ستقف عند بعض أسماء الأعلام، وبعض الكلمات التي وردت في القرآن بمعناها القديم وفهمها اللغويون بفهمهم السائر أيامهم، فجاء معناها كما فهموه، خارجاً عن سياق الحدث والقرائن البلاغية. وتقف عند نماذج ترجم النص القرآني معانيها العروبية القديمة إلى اللغة القرشية، دون أن يفطن الناس إلى ذلك. ونورد أنموذجاً نهى عنه القرآن مستعمليه من صحابة الرسول، لأن معناه العبري الذي لم يعرفوه، يدل على شتم كان يبطنه أصحابه، وهم يستعملونه مرادفاً لفعل عربي قريباً صوتاً.

أ- أسماء الأعلام

ورد في القرآن من أسماء الأعلام إبراهيم وأبو لهب وأحمد وآدم وآزر وإسرائيل وإسماعيل وإلياس وأيوب وجبرئيل وجالوت وإدريس وداود وزكرياء وإسحق وسليمان وشعيب وطالوت ويعقوب وعيسى ولقمان ولوط وماروت ومريم ومحمد وميكائيل وموسى ونوح وهاروت وهرون وهامان وهود ويسع ويوسف ويونس. وورد فيه من الصفات: العزيز وفرعون، وكلها لها معاني لغوية إما مفردة وإما مركبة [2].

وننتقي من هذه للشرح في هذا البحث، اسم إبراهيم.

---

1 انظر نماذج من العروبي المشترك: آشورية بابلية، إبلية، الكنعانية الفينيقية، الكنعانية الأوغاريتية، الآرامية، العربية السريانية، الآرامية المعاصرة، السبئية، الثمودية في كتاب ملامح من فقه اللهجات العربية، من صفحة 405 إلى 696.

2 لم نورد في هذا السرد أسماء المعبودات والأصنام. أنظرالفصل الثالث في شرح بعض أسماء الأعلام.

ورد اسم إبراهيم في القرآن اثنتين وستين مرة. أولها في سورة البقرة: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"، (آ 124). ولم تهتم جل التفاسير بالمعنى اللغوي للاسم، فلم يفسره ابن كثير ولا الزمخشري مثلا، وقال فيه القرطبي: **"وإبراهيم تفسيره بالسريانية، فيما ذكر الماوردي، وبالعربي، فيما ذكر ابن عطية: أب رحيم. قال السهيلي: وكثير ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ. ألا ترى أن إبراهيم تفسيره أب رحيم لرحمته بالأطفال..."** [1].

ولم تهتم أيضا جل الكتب اللغوية التي أشرنا إليها أعلاه بمعناه اللغوي، والذين عرفوا بإبراهيم عرفوا به بوصفه أعجمياً أو عرفوا به تاريخاً ولم يعرفوا به لغة وخصوصاً المحدَثِين منهم[2].

من ذلك مثلا ما جاء في المعرب للجواليقي، في باب الهمزة التي تسمى الألف، حيث قال: **"أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم، كلها أعجمية، نحو "إبراهيم" و"إسماعيل" و"إسحق" و"إلياس" و"إدريس" و"إسرائيل" و"أيوب"، إلا أربعة أسماء، وهي: آدم وصالح وشعيب ومحمد. فأما إبراهيم ففيه لغات. قرأتُ عن أبي زكرياء عن أبي العلاء، قال: "إبراهيم اسم قديم ليس بعربي. وقد تكلمت به العرب على وجوه، فقالوا: "إبراهيم" وهو المشهور، وإبراهـام". وقد قرئ به، و"إبراهم [(بهاء مثلثة الحركات=ُ َ ِ)] على حذف الياء، و"إبْرَهَمُ". ويروى أن عبد المطلب قال:**

عذت بما عاذ به إبراهِم   مســـتقبلَ القبلة وهو قـــائم

ويروى لعبد المطلب أيضاً:

نحن آل الله في كعبتـــه   لم يزل ذاك على عهد ابْرَهَم"[3]

---

1 مصدرنا فيما أخذناه من استشهادات أو تفاسير، هو القرص المدمج لصخر. أشار ابن كثير إلى شرح السهيلي لاسم إبراهيم، ولعل ذلك في تفسيره للقرآن، أما كتابه التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام، فقد اكتفى فيه، في شرحه لاسم إبراهيم في تفسيره لـ: "وإذ قال إبراهيم لأبيه ءازر" (سورة الأنعام، آ. 75)، بقوله: "اسم أبيه تارح بن ناحورا، وآزر اسم صنم كان يعبده، أي دع آزر...". (ص.102-103).

2 أنظر مثلا قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، ص. 12.

3 المعرّب للجواليقي، ص. 61. يتابع الجواليقي هنا شرح بقية أسماء الأنبياء التي اعتبرها أعجمية.

وكأن ابن منظور في لسانه، استقى مادة شرحه من المعرب للجواليقي أو استقيا معاً من مصدر واحد، فقد قال ابن منظور في مادة "برهم":

"وإبراهيم: اسم أعجمي وفيه لغات: "إبراهام" و"إبراهَم" و"إبراهِم"، بحذف الياء، وقال عبد المطلب :

عذت بما عاذ به إبـراهيم

مستقبلَ القبلة، وهــو قائم

إني لك اللهم عـــانٍ راغِم

وتصغير إبراهيم أبَيْرَهٌ، وذلك لأن الألف من الأصل، لأن بعدها أربعة أحرف أصول، والهمزة لا تلحق ببنات الأربعة زائدة في أوالها، وذلك يوجب حذف آخره، كما يحذف من سفرجل فيقال سُفَيْرَج. وكذلك القول في إسماعيل وإسرافيل. وهذا قول المبرد، وبعضهم يتوهم أن الهمزة زائدة إذا كان الاسم أعجمياً فلا يعلم اشتقاقه فيُصَغِّره على بُرَيْهيم وسُمَيْعيل وسُرَيْفِيل، وهذا قول سيبويه وهو حسن. والأول قياس. ومنهم من يقول بُرَيْهٌ بطرح الهمزة والميم"[1].

والواضح من تفسير الجواليقي وابن منظور، أنهما لم يهتما بأصول الاسم وتركيبه، واكتفيا بالإشارة إلى أعجميته. مع العلم أن الأوْلى أن تطلق صفة الأعجمي على الدخيل الفارسي أو الرومي، ومركبات اسم إبراهيم كلها عروبية وردت بعروبيتها في التوراة العبرية.

جاء اسم إبراهيم في التوراة بصيغتين: الصيغة الأولى هي "أبْرَامْ" (تكوين 26/11). ولم تفسر التوراة معناه، مع أن له معنى لغوياً، إذ الاسم مركب من "أب" وهو نفس المعنى العربي أو العروبي، أي أنه ورد في كل اللغات القديمة، بما فيها الهندو أوروبية بهذا المعنى[2]. و"رم" ومعناه في اللغات العروبية

---

1 أنظر لسان العرب، مادة "برهم".
2 انظر كتاب
Michel Honnrat, Démonsration de la paranté des Langues indo-européennes et sémitiques, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1933, pp.100-101.

"العالي". وجاء هذا المعنى في القرآن في وصف "إرم" (المدينة العالية)[1]. فيكون المعنى اللغوي هو "الأب الأعلى". وأطلقت هذه التسمية "أبرم" على إبراهيم من بداية ذكره في التوراة حتى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين، حيث غير الاسم وأصبح "أبراهام". ومعلوم أن اسم إبراهيم غير في التوراة بعد تجربة المحنة، أي بعد أن أمر الرب نبيه بذبح ابنه وامتثاله للأمر على عظيم الفعل. وعندها جاء في التوراة: "**فلا يدعى اسمك أبرام، بل يكون اسمك أبراهام، لأنـ [ك] أب جمهور، منك أمم تتناسل**". (التكوين، 5/17). وتفسيره اللغوي، كما جاء في التوراة نفسها، أنه سمي بذلك "لأنه صار أباً لجمهور". ولفظ جمهور بالعبرية هو "همون". فيكون الاسم مركباً كالآتي: أب+ "ر" من ر"رم" = عال، +"هم" من لفظ "همون"[2] = جمهور. أي أب أعلى لجمهور[3].

وورود الاسم في اللغة العبرية، هو استعارة لألفاظ قديمة جاءت في النصوص الأكادية القديمة بصيغة "أبي رامو"، وفسرت بـ "محبوب أبيه"، أو "الأب الراحم"[4]، كما جاء في كتب التفسير المشار إليها. ونحن نميل إلى المعنى الذي أخذناه من سياق التوراة، لأن هذه أوردت اللغة والحَدَثَ المفسر لها، وهما معاً يوافقان المعنى العروبي وسياقه التاريخي. وهذا ما ترجمته إليه اللغات الهندو- أوروبية، فقد جاء في معجم الأعلام الفرنسي Petit Robert 2 : "**Abraham : Patriarche biblique**". ثم تابع المعجم التعريفَ بالأحداث التاريخية مستقاة من العهد العتيق.

وكلمة Patriarche من اللاتينية patriarcha، استعيرت من الإغريقية patriarkhês. وهذه مركبة من Pater التي تعني في الإغريقية "أب" و arkhein

---

1 سنعود لـ "إرم" في حديثنا عن لفظ "عير".

2 نعتقد أن أصل لفظ "همون" العبري، هو "عمون"، (تداخل حروف الحلق)، مجموع شعوب=عَم (العامة) + ون علامة الجمع، أو التنوين القديم.

3 يرى بعض الأحبار تفسيرا آخر، إذ في رأيهم، لا تمثل "الهاء" جزءا من "همون" وإنما هي "الهاء" الموجودة في اسم الله، وزيادة هذه الهاء في "أبرم" عندهم، دليل على مباركة الله إبراهيم وعهده معه بعد امتحان ذبح ابنه.

4 حول رموز القرآن، قاموس أصل اللغات، لغات قوم نوح ،(العرب البائدة)، سومرية-أكادية- ، بهاء الدين الوردي، دار وليلي للطباعة والنشر، 1996، ص. 126.

التي تعني قاد، حكم. أي الأب القائد. وإذا أرجعت المعاجم الأكاديمية Pater إلى الأصل العروبي "أب"، فإنها أغفلت أصول arkhein: القائد. ونحن نجد فيها لفظ "رشون" العروبية التي تعني الرأس، المقدم (القائد). فيكون لفظ Patriarche يعـــني الأب الأعلى، كما بيناه قـبل [1].

ونورد معاني بعض أسماء الأعلام القرآنية الأخرى مختصرة للاستئناس، تاركين التفصيل إلى دراسة أخرى أشمل.

آدم: ورد الاسم في السومارية والأوغاريتية، بمعنى أبي البشر.

آزر: قد تكون "آ" منقلبة عن "ع"، ويكون الأصل "عازر" واللفظ آرمي عبري. ومنه جاء في القرآن "وعزروه"، أي أعانوه. ويكون معنى اسم هذا المعبود: "المعين"[2].

إسرائيل وإسماعيل وجبرئيل وميكائل: هذه الأسماء مركبة من لفظين هما "إسرا" و"إ+سمع" و"جبرا" و"ميكا" + إل.

فـ"إسرا" من الأسر في العروبي المشترك، بمعنى "وثّق" (من الوثاق)، أسر (الأسر). والقصة التوراتية التي تحدثت عن أسباب تغيير اسم إسرائيل بيعقوب، تنحو هذا المنحى. أي سمي يعقوبُ إسرائيلَ من (إسرا+"إل" (من إلهيم = "الرب"))، لأنه أسر (صارع) "إلهيم"[3].

1Dictionnaire étymologique,J.Mathieu-Rosay, Les nouvelles Editions marabout, Alluer, Belgique, 1985, p. 381. Petit Robert 2, (Paris 1975), p.5. Démonstration de la parenté des Langues indo-européennes et sémitiques, p. 101.

2 اختلف المفسرون فمنهم من رأى أنه اسم لأب إبراهيم، ومنهم من اعتبره اسم معبود كان قوم إبراهيم يعبدونه. وتفسيرنا هنا ينحى هذا المنحى.

3 "إل" اسم من أسماء الربوبية في العبرية وكذا في اللغات العروبية الأخرى، وورد في القرآن في صيغة تأنيث: "اللات". ويعني الأسم: إسرائيل حرفيا في التوراة :"الذي صارع (أسر) الرب"-تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فقد جاء في قصة طويلة في التوراة، أن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، صارع ذات ليلة "شخصا"= "إلهيمْ"، ودام الصراع الليل كله، فلما قرب الصبح، رجا "إلهيم" من يعقوب أن يفكه، فقال يعقوب لا أفعل حتى تباركني. قال "إلهيم" ليعقوب: "ما اسمك"؟ قال: "يعقوب". فقال: "لا يدعى اسمك بعدها يعقوب، بل إسرائيل،لأنك تصارعت مع الرب (مع إلهيم)=والناس وقدرت..." (سفر التكوين، إصحاح 32، فقرة 28-30). ولأن هذا مخالف للعقيدة والعقل، زعم مفسرو التوراة أن=

و"إسمع" مركب من "سَمِعَ"، وهو مشترك الدلالة في اللغات العروبية، و"إل": "سمع+إل". والهمزة العربية فيه مزيد[1].

و"جبرئيل" مركب من "جِبْرا"، وهو لفظ آكادي "كَبْرو" وآرامي، ويعني القوة، ومنه في السريانية "جبروت" بصيغته الآرامية السريانية. +إل فمعنى الإسم "جبرا+إل" قوة الله.

و"ميكائل" مركب من "مكك"، وهو لفظ آرامي وعبري، بمعنى احتاج وافتقر+إل، ومعنى الاسم "ميكائيل" المفتقر إلى الله.

وشبيه بهذه السماء "إسراف+إل": نار الرب. "رفأ+إل": شفاء الله. "دان+إل": قضاء الله. "عزرا+إل" عون الله[2].

ب- كلمات وردت في القرآن بمعناها القديم (أنموذج)

1- العيـــر

وردت لفظة **العيـــر** في القرآن الكريم ثلاث مرات كالآتي: "فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ". (يوسف، 70)

=المأسور(المصارع)هو"ملاك"على الرغم من أن لفظ "إلهيم" لا يعني إطلاقا في اللغة العبرية "ملاكا"، فهو اسم من أسماء الربوبية بشهادة اللغة العبرية. والسهيلي في كتابه التعريف والإعلام، يقول في قوله تعالى:"يا بني إسرائيل"(البقرة آ.46):"يعقوب بن إسحاق، وسمي إسرائيل، لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلى الله..فسمي إسرائيل، أي أسرى إلى الله أو نحو هذا، فيكون بعض الاسم عبرانيا وبعضه موافقا للعربي.وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ..".ص.59-60.

1 وسبب تسمية إسماعيل في القصة التوراتية أن سارة آذت جاريتها "هاجرَ" التي زوجتها إبراهيمَ لتلد له بعد ظهور حبلها، ففرت هاجر، ولا قاها ملاك الرب، وأمرها بالعودة إلى سيدتها وقال لها: "لأكثرن نسلك حتى لا يحصى ...هوذا أنت حابل، وستلدين ابنا تسمينه شِمَعْـئِلْ لأن الرب ((يهوه)=إل) سمع تضرعك= الرب سمع (إل سمع، سمع إل). وردت القصة في سفر التكوين، إصحاح 16. بالأخص الفقرة 11.

2 لا يتسع لنا المقام لشرح كل أسماء الأعلام الواردة في القرآن بهذه الطريقة. وقد أوردنا نماذج منها في الفصل الثالث "أسماء الأعلام ودلالتها التاريخية في التوراة".

"وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ". (يوسف، 82).

"وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ". (يوسف، 94).

لم يتعرض ابن كثير في شرحه للفظ عير، واكتفى صاحب تفسير الجلالين بقوله: "القافلة". أما القرطبي فقال "**العير ما امتير عليه من الحمير والإبل والبغال. قال مجاهد: "كان عيرهم حميرا". قال أبو عبيدة: "العير الإبل المرحولة والمركوبة، والمعنى يا أصحاب العير، كقوله واسأل القرية**""[1].

وجاء في الكشاف للزمخشري (تـ 538): "**العير: الإبل التي عليها الأحمال، لأنها تعير: أي تذهب وتجيء. وقيل هي قافلة الحمر، ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير، كأنها جمع عير...والمراد أصحاب العير**"[2]. ولم يزد على هذا. بينما قال في أساس البلاغة: "**عير: يقال للموضع الذي لا خير فيه: "هو كجوف العير". وهو الحمار لأنه ليس في جوفه ما ينتفع به. وقيل رجل خرَّب الله واديه، قال:**

لقد كان جوف العَيْر للعين منظرا   أنيقا وفيه للمَــجاور مَنْفَـــس

قد كان ذا نخل وزرع وجــــامِل   فأمسى وما فيه لــباغ مُعَرّسُ

وفلان نسيج وحده وعُيَيْر وحده. وفعل ذلك قبل عَيْر وما جرى. أي قبل عير وجَريه: يراد السرعة. وقيل: العير: إنسان العين أي قبل لحظة[3]**. وسهم عائر: غَرْب. وفرس عائر وعيّار. وقصيدة عائرة: سائرة. وما قالت العرب بيتا أعير منه. وهمّة عائرة . وتعاير القوم: تعايبوا. ويقال: إن الله يغير ولا يعيّر. وعاير المكاييل والموازين**"[4].

---

1 القرص المدمج صخر.
2 الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ،ج.2، ص. 334.
3 يظهر لنا هنا بعض النقص في الجملة، ولم يشر إلى ذلك الناشر.
4 أساس البلاغة، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1385هـ1965م. ص. 442.

وورد للفظ العير في بعض كتب الغريب والمعاجم التي أشير إليها، معان كالتالي:

فقد قال غلام ثعلب في سورة يوسف: "**القرية: أهل القرية والعير :أهل العير**"، ولم يزد [1]. وقال عبد الله مسلم بن قتيبة : "**العـير: القوم على الإبل**"[2]. وقال الراغب الأصفهاني: "**العير: القوم الذين معهم أحمال للميرة. وذلك اسم للرجال والجمال الحاملة للميرة، وإن كان قد يستعمل في كل واحد من دون الآخر.** (أورد الآيات الثلاثة) **ثم قال: والعير يقال للحمار الوحشي وللناشز على ظهر القدم، ولإنسان العين، ولما تحت غضروف الأذن، ولما يعلو الماء من الغثاء، وللوتد، ولحرف النصل في وسطه. فإن يكن استعماله في كل ذلك صحيحاً، ففي مناسبةٍ بعضها لبعض منه تعسف. والعيار تقدير المكيال والميزان. ومنه قيل عيرت الدنانير. وعيرته ذممته من العار. وقولهم تعاير بنو فلان، قيل معناه تذاكروا العار. وقيل تعاطوا العيارة، أي فعل العَيْر في الانفلات والتخلية. ومنه عارت الدابة تعير، إذا انفلتت. وقيل فلان عَيَّار**"[3].

ومما جاء فيه عند ابن منظور: "**العير الحمار، أيا كان أهليا أو وحشيا، وقد غلب على الوحشي، والأنثى عَيْرَة...والجبل الذي بالمدينة اسمه عير...فأما قول الشاعر:**

أفي السلم أعياراً جفاء وغلظة وفي الحرب أشباه النساء العوارك

فإنه لم يجعلهم أعياراً على الحقيقة لأنه إنما يخاطب قوماً، والقوم لا يكونون أعياراً وإنما شبههم بها في الجفاء والغلظة...وأما قول سيبويه: "لو مثلت الأعيار في البدل من اللفظ بالفعل لقلت: أتَعَيّرون، إذا أوضحت معناه. فليس من كلام العرب. إنما أراد أن يصوغ فعلا، أي بناء كيفية البدل من اللفظ بالفعل. وقوله: لأنك إنما تجريه مجرى ما له فعل من لفظه، يدلك على أن قوله: "تعيرون" ليس من كلام العرب...والعير العظم الناتئ...والعير: الوتد. والعير: الجبل. وقد غلب على جبل بالمدينة. والعير: السيد المالك. وعير القوم سَيِّدُهم... والعَيْرُ: الطبل. وعار الفرس والكلب يعير عيراناً: ذهب كأنه منفلت من

---

1 غريبه المذكور أعلاه، ص.299-300.

2 في كتابه المذكور أعلاه، ص.219 .

3 المفردات، ص.366-367.

صاحبه...ورجل عيار: إذا كان كثير التطواف والحركة ذكياً...والعيرانة من الإبل: الناجية في نشاط... والمعيار من المكاييل...وعيرت تعييراً إذا وزنت واحداً واحداً. يقال هذا في الكيل والوزن...والعير مؤنثة، القافلة، وقيل، العير: الإبل التي تحمل الميرة، لا واحد لها من لفظها... العير: كل ما امْتِيرَ عليه من الإبل والحمير والبغال، فهو عير...وقيل: هي قافلة الحمير، وكثرت حتى سميت بها كل قافلة، فكل قافلة عِير، كأنها جمع عَيْر...[و]هم يتعيرون من جيرانهم الماعون والأمتعة...وعير القوم بعضهم بعضا...والعارية المنيحة...والمُسْتَعير: السمين من الخيل. والمعار: المسمن، يقال أعَرتُ الفرس أسمنته... والعير: ...اسم موضع خصيب غيره الدهر فأقفر، فكانت العرب تستوحشه وتضرب به المثل في البلد الوحش..."[1].

وفي تحفة الأريب لأبي حيان الأندلسي: **"العير: الإبل تحمل الميرة"**[2]. وفي بهجت الأريب للتركماني: **"العير: القوم على الإبل، وقيل: إبل تحمل الميرة"**[3]. وفي غريب الصنعاني: **"العير:الإبل تحمل الميرة"**[4]. وفي قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد أسماعيل إبراهيم: **"العيـر: القافلة"**[5]. وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم، لمجمع اللغة العربية [6]: **"العير: قد تدور المادة حول الظهور الحسي ثم المعنوي، ومنه القوة والحمل. فالعير: نتوء في الصخرة. والعير: الوتد. ثم العير: سيد القوم. وعار يعير: سار واشتهر. وقصيدة عائرة: أي سائرة. ومن هذا العير: القوم معهم حملهم من الميرة، يقال للرجال وللجمال معا، ولكل واحد منهما دون الآخر. وقد ورد في القرآن كذلك في: "أيتها العير إنكم لسارقون" (يوسف70) هو للرجال. ومثله ما في يوسف 94. "والعير التي أقبلنا فيها" (يوسف 82) هو للقافلة"**[7].

---

1 لسان العرب، مادة "عير".
2 ص. 223.
3 ص.110.
4 ص. 239.
5 ص. 269.
6 الطبعة المشار إليها أعلاه، ج. 2، ص. 265.
7 يلاحظ أن الكثير من الكتب التي اهتمت بالغريب وبالمعجم القرآني، مما أوردناه أعلاه، لم يهتم بالوقوف عند لفظ "عير".

ومن هنا، فإن المفسرين واللغويين الذين فسروا كلمة "العير" الواردة في سورة يوسف، فهموها بمعناها الرائج عندهم، أي "الحيوان" (حميراً أو إبلاً أو بغالاً). ومن أزعجه أن يُؤْمَرَ الإنسانُ في الآيات القرآنية، في مسمى حيوان، بحث عن طرق الحذف وغيره (أصحاب الإبل)، ليخرج من حرج الاستعمال. والواضح أن أصحاب هذه النماذج التي أوردناها بحرفها قصداً، كانوا يؤولون ويستخرجون المعاني من السياق لا من حقيقة اللغة. وواضح أيضاً أن التحرج كان باد في تفاسيرهم هذه، وهم يجدون في تلك الآيات، الخطابَ موجهاً إلى أناس جاءوا ليكتالوا وليس إلى حمر أو إبل أو قوافل. والواقفون عند اللفظ مطولا في هذه النماذج، فرعوا المعاني تفريعاً، وجل المعاني التي استخرجوها، تجمع بين طرفي نقيض، من الحيوان إلى صاحبه وفعل صاحبه. وفي مستخرجاتهم ما ارتبط بالبداوة المحض، وبأسماء الأماكن، وفيه مما هو من صور التحضر والعمران. من ذلك الرياسة، والتبادل التجاري، واستعمال معايير النقد ومقاييس المساحة، ومنازعات التمدن، وبديع القول المرتبط بالرخاء. ولم يقعوا على المعنى الذي كان يدل عليه اللفظ العروبي الذي هو "المدينة"، مع أن الزمخشري قرب منه قرباً كبيراً في استشهاده الشعري الذي أتى به:

لقد كان جوف العَيْر للعين منظرا أنيقا وفيه للمَــجاور مَنْقس

قد كان ذا نخل وزرع وجــــامِل فأمسى وما فيه لباغ مُعَرّسُ

فجوف العير هنا يدل على عمران كان جميل المنظر، يعج بالحركة غراسة وزرعاً، وبالتجارة ينشطها الجمالون وذوو الركائب[1]. وهذا ما أشار إليه ابن منظور أعلاه حيث قال: " **...اسم موضع خصيب غيره الدهر فأقفر، فكانت العرب تستوحشه وتضرب به المثل في البلد الوحش...**". فهل يعني هذا أن ذلك "الموضع" هو تلك الحضارات العروبية التي استعملت لغة أصلا أو من أصل مشترك، كانت

---

1 لقد بعد المعنى العمراني للفظ عير عند اللغويين حتى فسروه بما هو مخالف للعقل وللغة. وهذا ما يتضح في تأويل الزمخشري لمعنى جوف العير، حيث قال:" يقال للموضع الذي لا خير فيه: "هو كجوف العير". وهو الحمار لأنه ليس في جوفه ما ينتفع به، مع أن البيتين الشعريين المستشهد بهما أزالا كل التباس.

العربية الفصيحة هي وريثتها، ونسي الناس بعض مستعملها فصار مهملا إهمالا قد يدخل في مصطلح الخليل وقد يخالفه؟. المهم أن القرآن استعمل "مستعملا" كان قد "أهمل"، وهو "العير" في سورة يوسف آ. 70 وآ. 82، اسماً يعني"**المدينة**"، في مجاز أصبح من خاصية العربية، وهو المعروف في البلاغة بـ "علاقة الحالية والمحلية". فكثرة المكتالين جعلت مؤذن (منادي) الملك، يتخيل هذه الجموع من البشر الذين دفع بهم القحط إلى أرض مصر ليكتالوا، **مدينة** كاملة، فصاح فيهم "**أيتها العير إنكم لسارقون**"، يريد: "أيتها **المدينة** = يا أهل المدينة إنكم لسارقون". وهذا هو المجاز الذي تؤكده الآية 82، حيث جاء: "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ". فالمقابلة هنا هي مقابلة عمرانية. إذ لا يعرف جمع من الحيوان يسمى "**قرية**" ليقارن بين مفهوم قرية = حيوان ومفهوم "عير" حيوان. إن المقارنة عمرانية اجتماعية حضارية محض. مقارنة أهل قرية بمقارنة أهل "عير"= مدينة. وهذا ما يدل عليه فقه اللغة المقارن. فلفظ عير لفظ عروبي مشترك قديم. فهو في السومارية "**أورُو**" و"إري"[1]. وفي الأوغاريتية "عِرْ" جمعه "عرم"[2]. وفي العبرية "عِيرْ". و يعني عامة: المكان الممتلئ. وكل ما ينتج عنه حراك أو يحدث فيه نشاط جماعي أو يقظة. ومن هذه صار يعني مجمع النشاط البشري ثم المدينة في اللغات المذكورة. ويعني اللفظ في العبرية حتى اليوم **المدينة**[3]. ولا ننسى أن إبراهيم (عليه السلام)، كان قد خرج من "أور" التي هي "عير"[4]. فاللغة الأكادية استعارت رموز الكتابة

---

1 ورد اللفظ مفردا أو مركبا منسوبا في عديد من النصوص السومارية. انظر هذه النصوص، وهي كثيرة في

Inscriptions ROYALES sumeriennes et akkadiennes, E. Sollberger, Jean-Robert Kupper, Les Editons du CERF, Paris, 1971.

2 ورد اللفظ في النصوص الأوغاريتية، أنظر

Textes ougarituques T.1, Mythes et Légendes, Introduction, Traduction, Commentair, A. Caquot, M. Sznycer, A. Herdner, Les éditons du CERF, Paris, 1974, pp.215, 473.

وانظر ملامح في فقه اللهجات العربيات، محمد بهجت قبيسي، ص. 552.

3 Langue hébraïque restituée, Fabre-d'Olivet, C. Delphica. l'Age d'Homme, Suisse, 1975,(Première partie, Racines hébraïques, p. 98.

4 كانت تقع مدينة "أور" في جنوب مدينة بابل، وقد عثر على موقعها في ردائم المقير. أنظر

السومارية، ولم يكن فيها صوت يمثل (ع). فكانوا يكتبون هذا الصوت ب(أ). ومن هنا نقلت لنا النقوش والنصوص الدينية القديمة اسم المدينة هكذا "أر"[1] التي صارت في الحرف اللاتيني «UR»، وهي "العير". وبالمناسبة نشير إلى شريك هذه المعاني في الآية 7 من سورة الفجر " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7)"، فقد أورد جواد علي في تاريخ العرب قبل الإسلام، أقوال المفسرين والمؤرخين والمستشرقين، وذكر من بين اختياراتهم "لإرم" أنها مدينة في "تيه أبين" بين عدن وحضـر موت، أو"دمشق" أو"الأسكندرية"[2]. ونحن هنا لا تهمنا هذه المناقشات التاريخية، وإنما يهمنا ربط لفظ "عير" بـ "إرم"، كما نتصوره بعد التحليل الذي قدمنا. ذلك أنا نعتقد أن "إرم" مركبة من كلمتين: "إر" و"رم". فـ "إر"هي"عر"(عير)، كتبت في الأصل بالكتابة السومارية التي ليس فيها صوت "ع" كما سبق أن بينا. وهي "المدينة" و"رم" وتعني العالية. فتكون إرم= (عير رم): هي المدينة العالية، وهي المعاني التي أشار إليها جواد علي في المصدر السابق دون أن يربط هذه المعاني بالتطور اللغوي والصوتي. وفي اللغة تراكيب شبيهة لهذه، مثل "هرم"، فاللفظ مركب من: "هر": جبل و"رم": عالي: الجبل العالي[3].

ولا غرابة أن نجد اللفظ "عير" ينتقل إلى اللغات الهندو أوروبية في صيغة URBAIN،التي أرجعتها المعاجم الفرنسية التأثيلية إلى اللاتينية في urbanus من urbs, is التي تعني المدينة (عير). ولم تنبه هذه المعاجم إلى الأصل البعيد العروبي. فلم تشر إلى علاقة UR(bain) ب"عير"=المدينة، كما بينا. ولم

=Luce BOTTE, Encyclopédie de la Bible,Sequoia-Elsevier, Paris-Bruxelles, 1961-1967,p.246.

1 بدون حركات، إذ لم يكن في اللغات العروبية -باستثناء الأوغاريتية- رموز تمثل الأصوات أو الحركات.

2 تاريخ العرب قبل الإسلام، ج. 1، ص.300 وما بعدها.

3 ورد اللفظ "رَمَهْ" بمعنى المدينة وبمعنى العلو، وخصوصا في وصف المدن، كثيرا في العهد القديم. سفر روت 19/4. سفر يهوشوع 25/18. الملوك الأول 17/15. سفر إرمياء 15/31.سفر اصموئل الأول 17/7. وفي أسفار أخرى.

تلحظ في urBANUs البناء والبنيان[1]. وعليه فالمعنى اللاتيني أخذ اللفظ العروبي بنصه ومعناه: بناء المدن وعمارتها، واشتق منه مشتقات أخرى هي: Urbanisation, urbaniser, urbanisme, urbanité.

ونتساءل ما العلاقة بين مفهوم "العير"= المدينة، المتداول في اللغات العروبية، والعير الحيوان عامة أو خاصة، في اللغة العربية الفصحى، كالحمر والإبل والقوافل، مع العلم أن هذه اللغات هي أيضاً استعملت لفظ "العير" للحيوان. فـ "العير" في اللغة المصرية القديمة يعني الحمار. فنقول: إن الأصل في الحيوان أن يعيش مستوحشاً دون تهذيب، فهو في فيافيه وصحاريه وغاباته غير مستأنس ولا متآلف. ولما أراد الإنسان استخدامه دجّنَه وآلفه وأصبح يساكنه في المدينة ="العير"، وصار يعرف بـ"العيري"، العير، تمييزا له عن المتوحش غير المستأنس. ثم نسي العربي (في فُصْحاه) هذا الاستعمال العربي القديم، (صار مهملا)، وتعامل مع الوصف (المجاز)، على أنه الحقيقة. فخفي عن الناس الاستعمال القرآني الحضاري، الذي لا يسمح لمؤذن الملك المتحضر، أن ينادي الناس بأسماء أو صفات الحمر وما أشبه، فاستعمل هو لفظاً عروبياً قديماً هو "العير" "المدينة"، التي تعني في الأصل تجمعاً بشرياً صار الواحد منهم يقضي حوائج الآخر أو المجموع، في تبادل وتراتبية هي أصل العقد الاجتماعي. فالمعنى القرآني إذن معنى عمراني حضاري ينادي فيه المنادي: "أيتها المدينة إنكم لسارقون"، يا أهل المدينة ... أو ما سماه الزمخشري: "أصحاب العير". وما كان معنى المناداة بصفة الحمر أو الإبل ليستقيم، وإلا لكانت قد حدثت أزمة سياسية شبيهة بما يحدث عندنا، عندما تهين أمة أمماً أخرى. فالمكتالون قد وردوا من كيانات سياسية أخرى مختلفة. وما كان أولئك الأقوام يعيشون بدون أعراف وقوانين، لأنهم لو كانوا كذلك، ما كان يوسف ليبحث عن أسباب شرعية بها يأخذ أخاه، فابتدع سيناريو سرقة صواعَ الملك، ليحاكم "السارق" بقوانين هو يعرفها

---

1 أشار الدكتور علي فهمي اخشيم، في كتابه "اللاتينية العربية"، ص. 228، إلى العلاقة المعنوية التي بين urbs, urbis والدوران، "إحاطة السور بالمدينة أو البلدة والقرية قديما خشية الهجوم وللدفاع عنها ..." ولم يشر إلى هذه العلاقة اللغوية الواضحة.

مقدماً، لأنه منهم طبعاً ويعرف قوانينهم. " قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ"[1].

جـ - تعبير عروبي قديم وترجمة القرآن له

نورد أنموذجاً من هذا الاستعمال القرآني في سورة إبراهيم، الآية 39 " الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء ". أوردنا أسباب تسمية إسماعيل، عندما شرحنا معنى هذا الاسم، وقلنا بأن معناه في سياقه العبري، استجابة الله لدعاء هاجر وسماع تضرعها. وعليه فقوله تعالى "إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء" هو ترجمة للاسم في تركيبه العروبي القديم: "شِمَعْئِلْ" "سمع ئل" "سمع الرب".

د- تعبير عروبي قديم أورد القرآن ترجمته ولم يورد أصله

ورد التعبير في سورة سبإ آ 16 " فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ..." وفسر ابن كثير اللفظين قال: **"المراد بالعرم المياه، وقيل الوادي، وقيل الجرد، وقيل الماء الغزير..."**- ثم نقل عن مفسرين آخرين- قال: **"أن الله لما أراد عقوبتهم [قوم عاد] بإرسال العرم عليهم، بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجرذ نقبته. قال وهب بن منبه: وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرذ، فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان، فلما جاء القدر غلب الفأر السنانير وولجت إلى السد فثقبته فانهار عليهم. وقال قتادة وغيره: الجرد هو الخلد، نقبت أسفله حتى إذا ضعف ووهن وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط، فانساب الماء في أسفل الوادي وضرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك، ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين، عن يمين وعن شمال، فيبست وتحطمت..."** .

وجاء عند القرطبي: **"العرم فيما روى ابن عباس: السد. فالتقدير: سيل سد العرم. وقال عطاء: العرم اسم الوادي. قتادة: العرم وادي سبإ، كانت تجتمع إليه مسايل من الأودية، قيل من البحر وأودية اليمن، فردموا ردماً بين الجبلين، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة**

---

1 سورة يوسف 74-75.

أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجتهم، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفأر فثقب الردم... ثقبت السد [فأرة] حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل دخل تلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم... وقال الزجاج: العرم اسم الجرد الذي ثقب السد عليهم، وهو الذي يقال له الخلد.فنسب السيل إليه لأنه بسببه. وقال ابن الأعرابي: العرم من أسماء الفأر. وقال مجاهد وابن أبي: العرم ماء أحمر أرسله الله تعالى في العد[1] [السد؟] فشقه وهدمه. وعن ابن عباس أيضاً أن العرم المطر الشديد. وقيل العرم بسكون الراء. وعن الضحاك، كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام. وقال عمر بن شرحبيل: العرم: المسناة. وقاله الجوهري. قال ولا واحد من لفظه. ويقال واحدها عرمة. وقال محمد بن زيد: العرم كل شيء حاجز بين شيئين، وهو الذي يسمى السكر [السد؟]، وهو جمع عرمة. النحاس، وما يجتمع من مطر بين جبلين وفي وجهه مسناة، فهو العرم. والمسناه هي التي يسميها أهل مصر الجسر، كانوا يفتحونها إذا شاءوا، فإذا رويت جناتهم سدوها. قال الهروي: المسناة الضفيرة تبنى للسيل ترده، سميت مسناة لأن فيها مفتاح الماء. وروي أن العرم سد بنته بلقيس صاحبة سليمان، عليه الصلاة والسلام، وهو المسناة بلغة حمير. بنته بالصخر والقار، وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض، وهو مشتق من العرامة، وهي الشدة"[2].

وواضح من هذين النصين اللذين نقلناهما حرفاً عن قصد، أن الفهم اللغوي المدقق كان غائباً عند المفسرين وعند من نقلا هما عنهم، بل غاب عن المفسرين التمييز فخلطوا بين النقول، حتى جعلوا الجرذ هو نفسه العرم. وهذا مخالف للفهم اللغوي البسيط.

وقد كان جلال الدين الحلي والجلال السيوطي، أقربا إلى منطق اللغة من الآخرين، إذ اكتفيا بتفسير التعبير بـ : **"سيل عرم: جمع عرمة، وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته..."[3].**

1 هكذا ورد في النص، ولعله خطأ مطبعي.
2 تفسير القرطبي من قرص صخر.
3 نفسه

ونعتقد نحن، والأمر يتعلق بسد اليمن، أن السد المقصود هو سد مأرب ، ونعتقد أيضاً أن هذا اللفظ "مأرب" لم يكن اسم السد وهو قائم عال يجود بالخصب والنماء، وإنما أطلق عليه، بعد أن نزل المقدور، فصار "ماء" "رب[1]": أي **ماء كثر** وتعاظم وزاد على الحد، فأتى على المنشأة المبنية ليعوض الله رخاء آل عاد وجنتيهم أثلا وسدرا قليلا وعليه يكون القرآن قد ترجم "ماء" بـ "سيل"، و"رب" بـ "عرم": مأرب= سيل عرم. ويكون قد أتى بمهمل في الاستعمال القريشي، مما أوقع المفسرين واللغويين في كثير من الخلط والتأويل. وعلى المؤرخين أن يعيدوا النظر في هذا الاسم "مأرب" الذي اعتبروه اسم السد لا صفة ما وقع له بعد أن حم القضاء.

د- أنموذج لفظ عبري نهى القرآن عن استعماله

جاء في سورة البقرة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (آ.104).

وفي سورة النساء: "مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً" (آ.46).

شرح ابن كثير "راعنا" وقال: "**لفظ يورون به الرعونة، فهي شتم وسب**". ويقول القرطبي: "**راعنا في اللغة ارعنا ولنرعك، لأن المفاعلة بين الاثنين، فتكون من رعاك الله، أي احفظنا ولنحفظك وراقبنا ولنراقبك، ويجوز أن يكون من أرعنا سمعك، أي فرغ سمعك. وفي المخاطبة بهذا جفاء. قال ابن عباس كان المسلمون يقولون للنبي (ص)، راعنا على جهة الطلب والرغبة من المراعاة، أي التفت إلينا. وكان هذا بلسان اليهود سبّاً، أي اسمع لا تسمع. فاغتنموها وقالوا كنا نسبه سراً فالآن جهراً، فكانوا يخاطبون بها النبي (ص)، ويضحكون فيما بينهم. فسمعها سعد بن معاذ، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة**

---

1 من الربو الذي يعني الزيادة في جل اللغات العروبية، ومنه الربا.

الله، لإن سمِعْتُها من رجل منكم يقولها للنبي (ص)، لأضربن عنقه، فقالوا ألستم تقولونها؟ فنزلت الآية، ونهوا عنها لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد"[1].

وفسره الجلالان قالا: **"أمر من المراعاة. وكانوا يقولون له ذلك. وهي بلغة اليهود سب، من الرعونة، فسُرُّوا بذلك، وخاطبوا بها النبي، فنهي المومنون عنها"[2].**

هذا اللفظ الوارد هنا، والذي لم يفهمه بدقة وجلاء بعض المفسرين واللغويين، دليل على استعمال القرآن اللفظ العروبي القديم، عندما يقتضي السياق ذلك. وقد توصل بعضهم إلى القريب من معناه العبري. فالجذر العبري هو (ر.ع.ع) (رع)، ويدل على الأمر السيئ، الشرير. والصفة منه "رَعْ": شرير، وهي الصفة التي كان يلصقها اليهود بالرسول، يورون بها لفظ "رائنا" التي كان فيها لغة "راعنا"، كما يدل عليه السياق. وأمر القرآن أن تبدل بمرادف آخر هو "أنظرنا" دفعاً للالتباس، فيخاطب النبي بـ "انظرنا" بدل "راعنا" التي تعني في العبرية في هذه الصيغة "يا شريرنا".

وأورد القرآن ألفاظاً أخرى عبرية مثل: (صياصيهم) (الأعراف آ. 26)، من "صيصيت" العبرية، ومن معانيها ناصية الشعر، وأهداب اللباس الذي يرتديه اليهود وهم يصلون. و"مكاء" (الأنفال آ.35)، من لفظ "مخه" ومعناه البكاء. و"حطة"، وقد رأينا معناها أعلاه، ومنساته (سبإ آ. 14) من "نسأ": رفع، والرافعة هي العصا. وكل هذه الألفاظ جاءت في سياقها الاجتماعي والتاريخي، فهي تدور في فلك الجدل مع بني إسرائيل أو تتعلق بسليمان.

نكتفي في هذا البحث بهذه النماذج التي نأمل أن تكون دالة، ونوسع القول في لفظ واحد هو لفظ "الأمية" في الفصل الموالي.

---

1 هذا نوع من اللغة التي أهملت بعد استعمالها، فـ "راع" جذر كان لغة في "رأى" وبمعناها، مثل "جذع" التي من لغاتها: "جزع" و"جزأ". فصوت العين يصير ألفا مهموزا تعاورٌ صوتي سائر. وهذا نوع من المهملات المستعملات في اللغة العربية. (العروبية).

2 القرآن الكريم، قرص صخر.

الفصل الثاني

مفهوم الأمية في القرآن
دراسة مقارنة تحليلية في اللغات العُرُوبِيَّة[1]

من صعوبات البحث ـ أي بحث ـ أن يكون بكراً لم تمتد إليه يد الباحثين، ولا تطلعت إليه أعينهم الفاحصة. ومن صعوباته أيضاً أن يكون مألوفاً لم تعد تخفى مجاهله. وصعوبة هذا البحث من النوع الثاني. وقد حاولت التغلب عليها ـ حتى لا أكون تكراراً لما قيل ـ بالوقوف على الألفاظ الرئيسية في الموضوع، محاولا تحليلها ومقارنتها وجس معانيها المشتركة في اللغات العروبية (السامية). وقد حاولت أيضاً رصد هذه المعاني المختلفة لعلي أصل إلى مرحلتها التطورية التي جاء بها القرآن.

وردت كلمة أمي في القرآن مفردة وجمعاً ست مرات، مرتين مفردة[2] وأربع مرات جمعاً[3]. فقد جاءت في سورة الأعراف صفتين للنبي، وفي سورة البقرة صفة لطائفة من اليهود، أما في سورة آل عمران فهي صفة للمشركين العرب. وجاءت بنفس المعنى في سورة الجمعة. وكاد المفسرون المسلمون أن يجمعوا على معنى واحد لهذه الصفات. فقد فسر القرطبي كلمة "أمي" في الآية "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ..."بأن "الأمي" **"منسوب إلى الأمة الأمية التي هي على أصل ولادتها، لم تتعلم الكتابة ولا القراءة"**[4]. ونقل الرازي عن الزجاج أن **"الأمي" "هو الذي على صفة أمة العرب... فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون.. والنبي كان كذلك، فلهذا وصفه بكونه أميا"**[5]. وفسر المفسرون أيضا كلمة "أمي" في

---

1 نشر البحث في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، العدد الأول، 1977، من ص. 103 إلى ص. 125. وقد أجرينا فيه تغييراً كثيراً هنا.
2 - سورة الأعراف 156 و 158
3 - البقرة 73، آل عمران 19 و 74 الجمعة
4 القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن ج 3 ص 2735
5 الفخر الرازي، التفسير الكبير، الطبعة الأولى، ج 15 ص 22

الآية "فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ..."[1] بنفس المعنى، وفسرها الطبري[2] **"أنه الذي يؤمن بالله"**، وهذا التفسير لا يعتمد على أساس لغوي.

وورودها جمعاً أيضاً، لم يبتعد عندهم عن هذا المعنى. فقد نقل الطبري في شرحه للآية: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ"[3]،" أن المقصود بهم جماعة من اليهود، لا يقرؤون الكتاب. ونقل عن ابن عباس **"الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله، لأنهم يكتبون بأيديهم ثم يجحدون"**، ولكنه لم يقبل هذا الشرح لأنه **"غير مألوف عند العرب"**[4]. وشرح الكلمة في الآية " وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ" بقوله: **"الأميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب**[5]**"**.

ويشرحها في الآية "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ"[6] بمرادف هو العرب، أي أن "أمي" تعني عنده في هذه الآية مطلق العرب. فإذا أنكر المعنى الذي نقله عن ابن عباس، فإن معنى الكلمة يصبح عنده في جل الآيات مرادفاً للعرب الذين لا يقرؤون ولا يكتبون.

وفسر الألوسي الكلمة في الآية "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا" بأن الأميين هم العرب **"لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون**[7]**، مغلبا الكل على الجزء"**.

وقد فسر الكلمة اللغويون الأقدمون[8]، بأنها **"الجهل بالقراءة والكتابة"**، وفسروها أيضا بـ **"الغفلة والجهالة وقلة المعرفة"**[9]. والأمي عندهم: **"العي الجلف الجافي القليل الكلام"**[10]. ورأوا أنها نسبة إلى الأمة الأمية، أو أم القرى ـ مكة ـ أو

---

1 الأعراف 158.
2 الطبري، التفسير الكبير، الطبعة الأميرية،ج 9 ص 59
3 البقرة، 78.
4 تفسير الطبري، الطبعة الأميرية، البقرة، آ 73.
5 الطبري التفسير، آل عمران 20.
6 البقرة 73، آل عمران 19 و 74 الجمعة 2.
7 الألوسي شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة المنيرية، ج. 28 ص 82.
8 ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، طبعة بيروت، مجلد 1، ص، 105. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، طبعة القاهرة، ج 4 و 105. معجم الأصفهاني، ص. 20.
9 الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتاب العربي، 1972، ص. 20 .
10 اللسان، مجلد ،1 ص. 105 .

الأم. والسبب في ترددهم في نسبتها إلى إحدى المعاني المذكورة كان بسبب ارتباطها بمعنىً جاءها من سياق القرآن "وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ"[1]، أو من الحديث "**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب...**"[2]

ولم يقبل المهتمون بالدراسات الإسلامية من المستشرقين[3] تفاسير المفسرين واللغويين لكلمة "أمي" مفردة وجمعاً. فهي عندهم لا تعني الذي يجهل الكتابة والقراءة[4]، ولكنها تعني الوثنية.

يرى P.H. Lammens أن لفظة "أمي" لا تعني "**الجاهل بالكتابة والقراءة Illetre، ولكنها تعني الوثنى Gentil، وهو فرد من جماعة بدون كتاب موحى به- ويضيف- وقد سمى القرآن محمداً نبي الأميين، يعني نبي العرب، لأن العرب لم يكن لهم كتاب منزل**"[5].

ويرى Paret في دائرة المعارف الإسلامية أن "أمي" "**لقب للنبي، وأنها ترجع من بعض الوجوه إلى كلمة "أمة" !**[6]**، وأن معاني الآيات التي وردت فيها مفردة أو جمعاً، تدل على أن المراد بها هو الوثنية**". ويشعر Paret بأن هذا الشرح لا يتفق وإسناد الصفة إلى النبي: "النبي الأمي"، فيختار تفسيراً سهلاً لا ندري من أين أتى به، وهو أن "**إطلاق محمد على نفسه النبي الأمي**" راجع "**إلى أن محمداً ربما لم يكن على بينة مما تدل عليه كلمة أمي عند اليهود**" أو "**لربما جعل "النبي" لهذه الكلمة معنى جديداً**"[7].

---

1 العنكبوت، 48.

2 ورد الحديث عند البخاري، باب الصوم، 13. ومسلم، صيام، 15. وأبي داود، صوم 4. والنسائي، صيام، 17. ابن حنبل، 122/2. أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، أ. ي. ونسنك وآخرون، مكتبة بريل، ليدن، 1936، ج. 1، ص. 462.

3 Weil, Mahomet savait-il lire et écrir ? IV Congrés orientalistes, Florance, 1880, pp. 357-366.

4 أنظر لفظ "أمي" في R. Dozy, Supplément aux dicionnaires arabes, Beyrouth, 1968

5 P.H. Lammens, La Mecque à la veille de L'hégir, Beyrouth, 1924, p. 123.

6 التعجب منا، فماذا تعني بعض الوجوه؟

7 دائرة المعارف الإسلامية، [ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين، 1933، (مادة "أمي").

ونشعر باضطراب Paret في شرحه للكلمة حيث كاد يسلم بأن "أميين" في سورة البقرة السالفة الذكر "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ" مطابقة لمعنى الذين لا يقرأون ولا يكتبون"، ثم يعود في آخر المقال ليقول بأنها تعني **"الجاهلين للكتب المنزلة، وأنها لا تعني الجهل بالقراءة والكتابة"**. ورغم انه يعترف **"بأنه يصعب الجزم بالمعاني المختلفة التي كان يقصدها محمد في كلمة "أمي""**، فإنه سرعان ما يستنتج: **"والحقيقة أن كلمة أمي لا علاقة لها بهذه المسألة أي "الجهل بالقراءة والكتابة"**[1].

أما Blachère فيرى أن قضية أمية النبي ترتبط بالتاريخ العام لمناطق معينة في الجزيرة العربية: فشمال الجزيرة العربية كان على علم بالقراءة والكتابة منذ القرن السادس الميلادي، ووجود المفردات الدالة على الكتابة وأدواتها المذكورة في القرآن، تدل على أن معرفة العرب لمدلول هذه الكلمات كان أقدم من استعمال القرآن لها. ويرى أن مكانة وموقع قرى مثل مكة والطائف يفرض أن تكون الكتابة مألوفة عند ساكني هذه الديار[2]. وبعد هذا المدخل التاريخي، ينتقل Blachère إلى مناقشة "أمية النبي"، ويذكر أن القول بأميته أتى من رأي شائع يشرح كلمة "أمي" بانه الذي لا يقرأ ولا يكتب. واللفظة التي تقابل كلمة "أمي" عند Blachère هي وثني Gentil لأن الآية "الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا..." تؤكد هذا المعنى- طبعاً حسب رأيه - وينقل ما نقله الطبري عن ابن عباس: **"الأميون أي الذين يكتبون ويجحدون"**. ولكنه لم ينقل استدراك الطبري: **"وهذا (المعنى) غير مألوف عند العرب"**. ويجزم Blachère بأن الكلمة تعني الذين لم يتلقوا أي بعثة، ويعيشون في جهالة للقانون السماوي، وأن النبي الأمي معناه الوثني. ويريد Blachère من خلال بحثه، أن يصل إلى نتيجة معينة، وهي أن النبي لم يكن يجهل الكتابة والقراءة، وأن المسلمين فسروا الكلمة بـ"الأمية" لإثبات معجزته. ويستدل على أن النبي لم يكن أمياً بقضيتين اثنتين: أولاهما،

---

1 نفسه.

2 R. Blachère, Introduction au Coran, Maisonneuve et Larose, Paris, [1947], 1977, p. 6.

قضية صلح الحديبية، لأن النبي غير في وثيقة الصلح بيده. وثانيتهما، أمْرُ النبي بإحضار دواة وشيء يكتب فيه، عندما كان على فراش الموت. ونتيجة لاستنتاجاته اللغوية، والتاريخية، فإنه لم يترجم لفظتي "أمي" و"أميين" في القرآن بـ Illetré وilletrés ، بل ترجمهما في كل الآيات ب Gentis جمعاً، صفة للنبي وصفة للعرب. أي أن Blachère لما رأى أن المنطق العقلي يرفض أن تقع صفة "أمي" بمعنى وثني "النبي الوثني" فإنه تصرف في ترجمته، وبدل أن يحتفظ بالنص "النبي الأمي" فإنه غير هذا النص، فأصبح "نبي الأميين"[1]. وعلى هذا تصبح عنده الآيتان في سورة الأعراف هكذا: "**الذين يتبعون الرسول نبي الأميين**"، "**فآمنوا بالله ورسوله نبي الأميين**". وهذا مخالف لنص القرآن بطبيعة الحال. ومهما يكن، فإن اختياره لترجمة الكلمة ب Gentils "وثنيين"، يعتمد- بالإضافة إلى ما قلنا- على تقاليد يهودية ومسيحية كما سنبين.

ويحسن بنا أن نلقي نظرة على ترجمة الكلمة في ترجمتين عبريتين للقرآن، لنرى مدى تأثير العقلية المسيحية واليهودية في ترجمة القرآن. الترجمة الأولى ليوسف يوئل رفلين، وقد ترجم لفظ "أمي" في سورة الأعراف بـ הנביא מן האמות (هَنَّفيئ من هَأُمُوتْ): النبي من الأمميين"[2]. وترجم "أُمِّيُّونَ" في الآيات " وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ" (البقرة 77) بـ: בוערים (بوعريم): جهال [عامة الناس][3]. وترجم "الْأُمِّيِّينَ" في"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ...(الجمعة2) بـ האמות (هَأُموتْ) الأمم[4]. وترجم "وَالأُمِّيِّينَ" في "وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ

---

1 انظر الترجمة، سورة الأعراف آ، 157-158.

2 אלקראן, תרגם מעברית יוסף יואל ריבליו, הוצאת דביר, הדפסה שלישית תשל"ה (القرآن، ترجمة يوسف يونل رفلين، نشرة دفير، الطبعة الثالثة، 1975، ص. 165. (أنظر تعاليقه على اللفظ ومشتقاته فيما يلتي).

3 בוערים (بوعريم) ويعني من بين ما يعني "جاهلين" غير أن المترجم علق في الهامش "جاهلون" يعني بالضبط "من عامة الناس ".

4 علق رفلين في الهامش قال:"تفسر لفظة "الأميين" عامة بـ עמי הארץ (عَمي هَأرصْ) أي الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، ومعناه على الحقيقة "أمم الأرض" والمقصود به أن محمدا يعتبر نفسه نبياً الأمم، حسب لفظ التلمود "نبي أمم الأرض" ص. 654. هامش 3.

أأسْلَمْتُمْ" (آل عمران 20)، بمثل ترجمته في سورة البقرة مع الإحالة على هامشها المشار إليه. ويعني لفظ "أمميين" عند اليهود، كل الشعوب إلا بني إسرائيل. وهذا تصنيف عقدي له دلالته ويرتبط بمهوم الاصطفاء الذي خصوا به، كما يعتقدون.

والترجمة الثانية لأهرون بن شيمش، وترجم لفظ "أمي" بـ הנבי העממי[1] (هَنَفِيئ هَعَمَمِى): النبي من العامة. وكلمة (عَمَمِى) تكاد ترادف "من عامة الناس". أي المنسوب إلى العامة.

واستعملت الكلمة (عممى) في الآداب العبرية التلمودية[2] بمعنى "غير اليهودي"، ولا شك أن المترجم قد اختار هذا المعنى.

وترجم ابن شيمش الكلمة في الآيات: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ..." (البقرة 77)، "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ..." (الجمعة2) "وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ..." (آل عمران 20) بـ עמי ארצות (عَمِي أرْصوتْ)، حرفياً: "شعوب الأراضي".

ويعني هذا التركيب مفرداً، أي עם הארץ (عَمْ هَأرِصْ): "شعب الأرض" في لغة التوراة:

1-عامة ساكنة بني إسرائيل في فلسطين من غير النبلاء ورجال الدين، مثال ذلك וְהִנֵּה הַמֶּלֶךְ עֹמֵד עַל-הָעַמּוּד כַּמִּשְׁפָּט וְהַשָּׂרִים וְהַחֲצֹצְרוֹת אֶל-הַמֶּלֶךְ וְכָל-עַם הָאָרֶץ שָׂמֵחַ[3] (وهِنّه هَمِلِخْ عُمِدْ عَلْ هَعَمودْ كَمِشْبَطْ وهَشَّرِيمْ وهَحَصّتْصرْوتْ إلْ هَمِلِخْ وخُلْ عَمْ هَأرِصْ سَمِيَّحْ) وإذا الملك واقفاً على

1 הקראן הקדוש, אהרון בן שמש, הוצאצ מצדה, 1971 (القرآن المقدس، أهرون بن شيمش، مطبعة موصدة، 1971).
2 من المعروف أن بعض مفردات التلمود واستعمالاته اللغوية تخالف معاني مفردات العهد القديم واستعمالاته اللغوية. وذلك لأن أحبار اليهود قد شحنوها بمعان جديدة اجتماعية ودينية، غيرت من دلالاتها اللغوية الأولى.
3 ورد هذا المعنى في سفر الملوك الثواني،إصحاح11،فقرة(آية) 14.وسفر زكرياء،إ. 7. آ. 5.

المنبر حسب العادة، والرؤساء ونافخو الأبواق بجانب الملك وكل **العامة** يفرحون.

2- القبائل الأجنبية التي سكنت فلسطين و"الأغيار" بصفة عامة، مثال **לְמַעַן דַּעַת כָּל-עַמֵּי הָאָרֶץ** [1] (لِمَعانْ دَعَتْ كُلْ عَمي هَأرِصْ) لكي تعلم جميع **شعوب الارض.**

وجاءت العبارة في التلمود بمعنى اليهودي غير العارف بالتوراة، في مقابل תלמיד חכם (تِلميد حَخَمْ): فقيه، أو חבר (حَفِرْ): متعمق في الدراسات الدينية، مثال ذلك אין בור ירא חטא, ולא עם הארץ חסיד [2] (إين بورْ يرِّءْ حِطِءْ ولو عَمْ هَأرِص حَسيدْ) ليس في الجهال من يتجنب الخطيئة، وليس في عامة [اليهود] مثق.

أما الصيغة الثانية فهي עם הארץ (عم هأرص): شعب الأرض، ولم يرد هذا الاستعمال في العهد القديم، بل جاء في لغة أحبار اليـهود، ويـعني:

أولاً المتكبرين، خشيني الطباع، ذوي الفظاظة[3]. وثانياً: الأمية.

ومن الصعب معرفة أي معنى اختاره المترجم، إلا أننا نكاد نجزم أنه اختار معنى الصيغة الأولى עם ארץ (عم أرص) في مفهومها الثاني أي غير اليهودي، وذلك لأنه ترجم "أميين" في الآية "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ"(آل عمران 75)، بعبارة واضحة في معناها وهي: מי שאינו בן אמונתו (مي شاينو بن أمونتو): من لا ينتسب إلى دينه. وهذا يعني أن المترجم تصرف في

---

1 سفر يهوشوع، إ. 4، آ. 24. وسفر عزرا، إ. 10، آ. 2.

2 סדר נזיקין, מסכת אבות פרק ב,ו:] (كتاب الضرر، باب الآباء، الفصل الثاني، الفقرة 6 (5). استعمل يهود العصر الوسيط تركيب עם הספר (عَمْ هَسِّفِرْ) حرفياً:"شعب الكتاب" =أهل الكتاب في مقابل التركيب עם הארץ (عَمْ هَأرِصْ)، ومعلوم أن هذا جاء من التأثير القرآني الذي سمى اليهود أهل الكتاب.

3 אברהם אבן שושן, המלון החדש, הוצאת קרית ספר, ירושלים, 1969, (עם ארץ)(أبرهم بن شوشن، المعجم الحديث، مطبعة "قريت سفر" القدس، 1969، مادة (عَمْ إرصْ). وجاءت أمي بهذا المعنى في اللسان مادة "أمي".

دلالة الصيغتين العبريتين، فأسند إحدى دلالات الصيغة الأولى، إلى الثانية. فتكون ترجمته لـ"أمي" و"أميين"، شبيهة بترجمة Blachère لهما[1].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: لماذا شرح المفسرون واللغويون المسلمون كلمة "أمية" بأنها الجهل بالقراءة والكتابة، ورفض المستشرقون هذا الشرح ؟ ويكمن الجواب عن هذا في أن اليهود والمسيحيين إلى ما بعد الإسلام، كانوا يقسمون العالم إلى قسمين[2]: يهود وغير يهود بالنسبة لليهود، ومسيحيين وغير مسيحيين بالنسبة للمسيحيين. فقد جاء في رسالة بطرس الرسول، الأولي من الإصحاح الثاني، الآية 12 "**وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة لكي يكونوا فيما يفترون عليكم كفاً على شر**". وجاء في إنجيل مرقس الإصحاح السابع الآية 26، في موضوع المرأة التي كان بابنتها روح نجس "**وكانت المرأة أممية في جنسها فينيقية سورية**"[3]. ونجد نفس التقسيم في العهد القديم، ففي الإصحاح العشرين من سفر اللاويين الفقرة 23 : "**ولا تسلكون في رسوم الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم**"، وفي الفقرة 24 "**أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب**"، وفي سفر التثنية الإصحاح الثالث والعشرين الفقرة 20 "**لا تقرض أخاك بربأ...للأجنبي تقرض بربأ...**". وعلى هذا فإن المستشرقين عندما ترجموا الكلمة، فإنهم لم يستطيعوا إبعاد تقاليدهم الدينية، مسيحية ويهودية، ففهموا الكلمة ثم ترجموها، وكأنهم يترجمونها من التوراة أو الإنجيل. وفي حين أرجعها المفسرون واللغويون إلى "أم"، أو "أم القرى" أو "أمة"، فإن هؤلاء المستشرقين لم يرجعوها إلا إلى لفظة "أمة" فقط. فـ Paret يرى أن كلمة "**أمي" ترجع من بعض الوجوه إلى كلمة "أمة**"[4]. ولا ندري ماذا يقصد

---

1 وقد اختار هذا المعنى من الباحثين العرب مؤلف : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية. مادة "أم" ومحمد السيد طنطاوي في كتابه بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار مكتبة الأندلس، ليبيا، (الطبعة الثانية بيروت، 1973)،ج. 2 ص 262، وانظر أيضاً ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي، والرد الذي رد به عليه د. عبد الحي حسن الفرماوي في مجلة الوعي الإسلامي عدد 138. يوليو 1976. والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي جـ 8 ص 120.

2 العقاد الإسلاميات 2 ص 200.

3 جاءت كلمتا "أمم" (رسالة بطرس) و"أممية" (إنجيل مرقس) مترجمة في إحدى الترجمات الفرنسية بـ des paiens, Paienne Bible, V. 2, Par les moins des Maredsous, Belgique,1968,

4 دائرة المعارف الإسلامية مادة "أمة".

بعبارة (بعض الوجوه). ثم يقول "**وهناك عوامل لغوية تجعل من الصعب أن تقول إن كلمة "أمي" " معناها الذي لا يكتب ولا يقرأ، فلا العربية أمة ولا العبرية אמה (أمَّهْ) ولا الآرامية אמיתא (أميَتا) تدل على الأمة في حالة الجهالة**"[1].

ويتبع Blachère نفس النهج في تحليله. فصفة "أمي" عنده مشتقة من "أمة". وإذا كان Paret يرى أنها ترجع إليها من "**بعض الوجوه**" فإن Blachère يرى أنها ترجع إليها من كل الوجوه (très certainement)[2]. وقد اعتمد كل من Paret و Blachère في إسناد معنى "الوثنى" و"الوثنية" لكلمتي "أمي" و"أمية"، على بحث سابق لـ Horvitz[3] الذي يرى أنه توجد في اللغة العبرية عبارة تقابل لفظة "أمية"، بمعنى "وثنية"، وهذه العبارة هي אמות העולם (أُمُّوتْ هَعُولَمْ): أمم الأرض، التي كان اليهود يطلقونها على غيرهم - في رأي Horvitz. فعلى رأي الباحثَيْن فإن يهود المدينة[4] هم الذين أطلقوا لفظتي "أمي" و"أميين" على النبي والعرب[5]، انطلاقا من هذه العبارة، ويقصدون بها : les gentils، فما المدلول الحقيقي لهذه العبارة אמות העולם (أُمُّوتْ هَعُولَمْ)؟

لم ترد هذه العبارة في العهد القديم، فهي استعمال تلمودي، وتعني لغوياً "أمم الدنيا"، ونجدها في عبارة مثل והגליתם לבין אמות העולם[6] و(هَگْلِيتِمْ لِفِينْ أُمُّوتْ هَعُولَمْ): وأجليتهم بين أمم الدنيا. والحقيقة اللغوية للعبارة خالية من كل تفرقة دينية في مستواها الدلالي الأول. فإذا كانت هناك تفرقة، فإنها لم تأت من الاستعمال اللغوي، بقدر ما أتت من التقاليد اليهودية التي شحنت العبارة نتيجة لأحداث تاريخية معروفة. ويعني هذا أن الذين فسروا اللفظة العربية "أمي"

---

1 – نفس المرجع.

2 ص 8 Blanchère introduction

3 انظر ملاحظة Blachère في نفس المرجع حيث أشار إلى : Koranische Untersuchuns : Horvitz

4 يلمحان إلى سورة الأعراف التي وصف فيها النبي بـ"الأمي" مع أن هذه السورة نزلت بمكة أي قبل هجرة النبي (ص) إلى المدينة.

5 دائرة المعالرف مادة "أمي" والمقدمة لبلاشير ص 8.

6 סדר זרעים, דף ג, א، גמרא: מסכת ברכות והגליתים לבין אומות העולם (باب البذور، الورقة ج، أ، الجمرا، فقرة المباركة.

بمعنى "وثني" ـ أخذاً من هذه الجملة ـ تناسوا المدلول اللغوي للفظة، وفسروها تفسيراً دينياً بفهم أتى من العبارة كلها في استعمال النص التلمودي. ويتضح خطأ هؤلاء عندما نتذكر أن "أمي" في نسبتها العربية لم تنسب إلى "أمم"،لأن القاعدة النحوية ترفض النسبة إلى الجمع، فبالأحرى النسبة إلى العبارة كلها אמות העולם (أمُّوتْ هَعُولَمْ): "أمم الدنيا". وحتى لو فرضنا أن "أمي" (أميين) نسبت إلى جزء فقط من الجملة هو "أمة" مفردة، فإن هذا لن يجعلها تدل على الوثنية، وذلك لأن للكلمة كل المعاني إلا معنى الوثنية. فقد وردت كلمة "أمة" في القرآن في أربعة وأربعين موضعاً بمعنى الجماعة، وجاءت في موضعين بمعنى الحين "وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ" (هود8)،"وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ"(يوسف 45). وفي موضعين بمعنى الدين " بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ" (الزخرف 22-23). وجاءت مرة واحدة بمعنى القدوة "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (النحل120). ، بالإضافة إلى مجيئها جمعاً في مواضيع متفرقة[1]. وجاءت عند العرب بمعان متعددة بالإضافة إلى المعاني القرآنية، منها: الملك، القامة، معظم الوجه، معظم الطريق[2]، الطاعة، العالم[3].

قد يوحون بأن لفظة "أمة" تدل على معنى "الوثنية" في إحدى اللغات العروبية (السامية)، ولكن بالرجوع إلى المادة في هذه اللغات يتبين أن لا أثر لهذا المعنى المزعوم.

فـ"أمّت" في اللغة الأوغاريتية تعني العائلة. وאמה (أمّه) في العبرية تدل على: أمة، جنس، شعب، قبائل[4]. وفي الآرامية والسريانية אמא (أمَّا)، אמתא (أمتَّا) تعني أمة. وتعني "أمت" في الحبشية (اللهجة التّگرية): أمة، قبيلة،

---

1 - معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة "أمة".
2 اللسان مجلد 1 ص 103
3 مفردات الأصفهاني ص 19.
4 كما جاء في التوراة، سفر العدد، الإصحاح 25 فقرة 15.

شعب. وتعني "أم" في العربية الجنوبية: قاعدة، قانونا[1]. وفي اللغة الأكادية صيغ متعددة تدور حول هذا المعنى، ومنها:

1-"أمَّان" : ومعناها شعب، جيش[2].

2- "أما" : حاضر، مدة[3] وهذا المعنى موجود في لغة القرآن.

3- "أمان" : وهو الذي يسير على رأس الجيش[4] ، وتقرب من الإمام والقدوة في اللغة العربية.

4- "أمت" : اسم مدينة كانت في منطقة ما بين النهرين[5].

وتوجد في العربية أيضاً "أم القرى" و"أم" اسمان إما لمكة أو لمطلق مدينة.

هذه هي المعاني المختلفة للفظة "أمة" في العروبيات (الساميات)، ولم يرد من بين معانيها ما يشير إلى الوثنية لا من بعيد ولا من قريب.

وقد أرجع اللغويون المسلمون كلمة "أمَّة" إلى "أم" بل جعلوها مرادفا لها[6]. وقد نهج نفس النهج Fabre d'olivet حيث اشتق من "أم" في العبرية المعاني الآتية: الأصل، الأرومة، المدينة، الأمة، العائلة "فخذ"، القاعدة[7]، أي جل المعاني التي سبق أن رأيناها لكلمة "أمة".

والغريب أنه لم يعجب Blachère وParet أن تكون لفظة "أمة" عربية. فالأول يقول بأنها (Très certainement) مأخوذة من العبرية אמות העולם

1 David Cohen , Dictionnaire des racines sémitiques, Fas. 1, Paris, Mouton La Haye, 1970, p 23 ,

2 نفس المرجع.

3 יעקב קליין (עורך), מלון אכדי עברי, 1973 , ישראל,(يعقوب قلين، معجم أكادي عبري، 1973، ص 38.

4 نفس المرجع.

5 نفس المرجع.

6 اللسان مجلد 1 ص 102.

7 Langue hébraïque restituée, Fabre-d'Olivet, C. Delphica, l'Age d'Homme, Suisse, 1975,(Première partie, Racines hébraïques) p. 23

"أموت هعولم"[1]. والثاني يرى أنها ليست مشتقة من الكلمة العربية "أم" بل هي دخيلة مأخوذة من العبرية אמה (أمّه)، أو من الآرامية אמא (أمّا). ويضيف "وقد **تكون الكلمة الأجنبية دخلت لغة العرب في زمن متقدم بعض الشيء**"[2]. وقد وقع الباحثان في خطأ علمي فادح. ذلك أولاً أن وجود لفظ "أمة" لم ينحصر في العبرية أو الآرامية وحسب، بل هي لفظة مشتركة في جميع اللغات العروبية. يعني أنها كانت لفظة في اللغة العروبية الأم - وهي إحدى هذه اللغات - أو في لغة أمٍّ ضاعت من الوجود. والباحثان المحترمان اختارا العبرية والآرامية دون الأخريات، وبدون أن يقدما أي حجة علمية لاختيارهما. وثانيا لم يتوصل علماء العروبيات لحد الآن إلى اللغة الأسبق من هذه اللغات[3]. و Paret و Blanchère يرجعان الكلمة إلى العبرية أو الآرامية وكأن علم العروبيات قد نفض يديه من هذا البحث وأثبت أن العربية جاءت متأخرة عن اللغتين المذكورتين[4].

وإذا اختار هؤلاء "وثني" مقابل لفظة "أمي"، التي اشتقت من "أمة" بناء على معناها العبري - وهذا غير مؤيد في اللغات العروبية- فما المرادف الحقيقي للفظة وثني (غير يهودي) في اللغة العبرية؟

جاءت العبارة التي تتضمن معنى "وثني، غير يهودي" في العبرية، في تركيبين في لغة التلمود، وهما:

1- עבדה זרה (عَفْدَ زَرَهْ): العبادة الغربية (عبادة الأوثان)، وذلك في مثل عبارة: העובד עבודה זרה-את מה עבד, ובמה עבד (هَعوبد عَبُدَه زَرَهْ إت مَهَ عبد وُبِمَهْ عبد): عابد الأوثان ماذا عبد وبماذا عبد؟[5]

---

1 مقدمة بلشير ص 8.

2 دائرة المعارف مادة "أمة".

3 E.Renan, Histoire générale et système comparé des langues sémitiques, éd. Colmann et Leoy, Paris, 1928. Et M. Cohen, Le système verbal sémitique et l'expression du temps, éd. E. Leroux, 1924, p.1

وانظر أيضا مقالة باكزة رفيق حلمي، العربية أصل والعبرية فرع، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 26، 1975.

4 وقع Blanchère في نفس الخطإ عندما أرجع أسماء أدوات الكتابة إلى اللغتين المذكورتين (المقدمة ص 5).

5 סדר נזיקין, מסכת סנהדרין פרק ה,א (باب الضرر، فصل سنهدرين [الأحكام العليا] الفقرة 5 أ.

2- עובד אללים (عُوفِدْ إِلِلِيمْ): عابد الأوثان. وقد أوجد الأحبار الصيغة الأولى من اسم الفاعل עובד (عُوفِدْ):عابد وאללים (إِلِلِيمْ) (آلهة = أوثان=عابد الأوثان). وقد جاء اللفظ אליל (إِليل) وهو مفرد אללים (إِلِلِيمْ) في العهد القديم بمعنى "وثن"، أي جاء اسماً ولم يأت وصفاً، أي "وثني" كما يريد المستشرقون، كما في الفقرة 1- לֹא-תַעֲשׂוּ לָכֶם אֱלִילִם..." (لو تَعَسو لَخِمْ إِلأليم) : "لا تتخذوا لكم آلهة"[1].

وقد استعمل العهد القديم مرادفَ "وثني" (غير يهودي)، صفة، الألفاظ الآتي:

1- لفظ נָכְרִי (نِخْرِي): أجنبي. مثال: **21-לַנָּכְרִי** תַשִּׁיךְ וּלְאָחִיךָ לֹא תַשִּׁיךְ- (لِنِخْرِي تَشِّيخْ ولأحيخ لو تشيخ): لـ**لأجنبي** تقترض برِبىً وأخوك لا تقرضه برِبىً"[2].

2- لفظة גר (گِرْ): غريب، مثال וְאֶל-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל תֹּאמַר אִישׁ אִישׁ מִבְּנֵי יִשְׂרָאֵל וּמִן-**הַגֵּר** הַגָּר בְּיִשְׂרָאֵל... (وإِلْ بِنِي يسْرَئِلْ تومَرْ إِيشْ إِيشْ مِبنِي يسْرَئِلْ ومن هگِر هَگَرْ بِيسْرَئِلْ): وأن تقول لبني إسرائيل رجلاً رجلاً، وإلى **الغريب** المقيم في إسرائيل[3] .

3- لفظ העמים (هِعَميمْ): شعوب، مثال אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם, אֲשֶׁר-הִבְדַּלְתִּי אֶתְכֶם מִן-**הָעַמִּים** (أنِي يَهْوَه إِلْهيخِمْ أشِرْ هَبْدَلتي إِتْخِمْ مِنْ هَعَميمْ): أنا يهوه ربكم ميزتكم عن غيركم من **الشعوب**[4].

4- لفظ ערל (عَرِلْ): الأغلف (غير مختون)، مثال אַל-תַּגִּידוּ בְגַת אַל-תְּבַשְּׂרוּ בְּחוּצֹת אַשְׁקְלוֹן פֶּן-תִּשְׂמַחְנָה בְּנוֹת פְּלִשְׁתִּים פֶּן-תַּעֲלֹזְנָה בְּנוֹת הָ**עֲרֵלִים**. (ألْ تَگيدو بِگتْ أل تفشرو بحوصت أشقلون پِنْ تِسْمَحْنَهْ بَنوتْ

1 سفر اللاويين 1/26 .
2 سفر التثنية، 20/23.
3 سفر اللاويين 2/20.
4 نفسه، 24/20.

پِلِشْتِيم پِنْ تَعَلْ زِنَه بنوت هَعَرليم): لا تخبروني عن "گت" [اسم مكان] ولا تبشروا في طرقات أشقلون [اسم مدينة] لكي لا تفرح بنات الفلسطينيين، لكي لا تشمت الأعداء بنات **الغُلْف** (غير المختونين).[1]

واستعمل لفظ גוי (گوي) بمعنى غير يهودي في الكتابات التلمودية، مثال: ר' יהודה אומר שלש ברכות צריך לברך בכל יום ברוך שלא עשני **גוי** ברוך שלא עשני אשה [ברוך] שלא עשני בור (ر" يهوده أومِرْ شَلُوشْ بِرَخوتْ صَرِيخْ لِبَرِّخْ بِخُلْ يومْ: بِرُوخْ شِلو عَسانِي گويْ بروخ شلو عساني إشَّهْ، بروخ شلو عساني بُورْ): قال الربي يهوده يجب أن أحمد [الرب] ثلاث مرات كل يوم: أن أحمده لأنه لم يخلقني **غير يهودي**، ولأنه لم يخلقني امرأة، ولأنه لم يخلقني جاهلاً.[2]

ومن هذه الأمثلة، يتضح لنا أن "وثني" أو "وثنية"، التي جعلنا Paret وBlanchère نعتقد أنهما من العبرية، لا علاقة لهما مطلقا بكلمة אמה (أمة) العبرية، وأن العهد القديم الذي "يحسن" العبرية أكثر من الباحثيْن ومن Horvitz نفسه، لم يستعمل لفظة "غير يهودي" اشتقاقاً من كلمة "أمة" ولا اشتقاقاً من صيغة אמות העולם "أموت هعولم" لأن هذا الاستعمال أي " أموت هعولم" استعمال عام يمكن أن يستعمله اليهودي والمسيحي والمسلم وأصحاب الديانات الأخرى، والملحدون، ومعناه يبقى دائما نفس المعنى، أي "أمم الأرض". فلماذا يريد الباحثان ومعهما Horvitz أن يسندوا إليه معناه الديني مطبقا على اللفظة العربية "أمة" وبالتالي يرجعون إليه لفظتنا العربية أمة؟

ويجدر بنا هنا أن نعيد السؤال الذي سبق أن طرحناه: ما الذي دعا هؤلاء وأمثالهم إلى التنقيب الدقيق في استعمالات العبرية البعيدة والقريبة لشرح كلمة أمي "أميين"؟

---

1 سفر اصموئل الثاني، 20/1.

2 סדר זרעים, מסכת ברכות פרק ו,כג: (باب البذور، فصل المباركة، فقرة 6، 23).

إنهم يريدون أن يثبتوا أن النبي (ص) كان قادراً على القراءة والكتابة. وليست مهمتنا أن نرد هذا الزعم، لأن هناك من هم أولي منا بالإجابة، ولأن بحثنا لا يزيد عن أن يكون بحثا لغوياً. ومع ذلك، فإننا نسأل ما الجديد الذي أضافه هؤلاء إلى البحوث الإسلامية بزعمهم هذا؟ فليس هذا الموضوع استكشافاً استشراقياً، بل هو موضوع درسه المسلمون الأقدمون والمحدثون في كثير من مؤلفاتهم. وإذا كان الشائع أن العرب كانوا "أميين"، فإن أميتهم لم تكن أمرًا عاماً، بل كانوا على علم باكتشاف أسرار الحروف، واستخدام القلم. ذكر القلقشندي في صبح الأعشى، عند حديثه عن الأصناف التي كانت تستخدم للكتابة عند الأمم السابقة من صين وهند وفرس، أن العرب كانوا على علم بطرق الكتابة وأدواتها يقول: **"والفرس يكتبون في اللخاف... وفي النحاس والحديد ونحوهما، وفي عسب النحل... وفي عظم أكتاف الإبل والغنم. وعلى هذا الأسلوب كان العرب لقربهم منهم، واستمر ذلك إلى أن بعث النبي (ص) ونزل القرآن والعرب على ذلك"**[1]. فهذا نص صريح يتحدث عن معرفة العرب بسر القلم وكأن الأمر لا خلاف فيه. وكما تحدثوا عن أمية العرب، ناقشوا أيضا أمية الرسول (ص). فقد تطرق الألوسي إلى هذا الأمر، وأشار إلى قضية صلح الحديبية ناقلاً ما قيل من أن النبي كان يعرف الكتابة والقراءة. واستعمل الأولسي "قيل"، وبين أن من الممكن أن يكون إسناد الكتابة إليه مجازاً، ونقل أن النبي ما مات حتى قرأ وكتب.

وكان هذا الأمر مثار أخذ ورد لدى المسلمين قديماً، فقد ألف القاضي سليمان أبو الوليد بن خلف الباجي تـ 494 هـ، رسالة اسماها "تحقيق المذهب" بين فيها أن النبي (ص) كان يكتب[2]، ولم يسلم من انتقاد معاصريه، مثل أبي بكر بن الصائغ الذي كفره. وخصص بعض الباحثين فصولاً كاملة في الموضوع في كتبهم. ففي كتاب التراتيب الإدارية، فصل كامل عنوانه " **هل كتب عليه السلام**

---

1 القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة، 1913/1331، ج. 2 ، ص. 475.
2 ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مطبعة السعادة، مصر، 1329، ص 121.

بنفسه شيئاً وأمضى بعض كتبه بيمينه الشريفة أم لا؟[1]. ونقل المؤلف جل الأقوال التي قيلت في الموضوع، مؤيدة ومعارضة. فقد تعرض للباجي المذكور، ونقل عن الحافظ الذهبي: **"ما كل من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أميا، لأنه لا يسمى كاتباً، وجماعة من الملوك قد أدمنوا على كتابة العلامة وهم أميون، والحكم للغلبة لا للصورة النادرة"**. والحافظ الذهبي يرى أنه لا يمنع أن يتعلم النبي كتابة بعض الجمل من كثرة ما أملى وليس هذا بمخرج له من الأمية[2]. وينقل أيضا صاحب التراتيب عن القطب الخيضري في خصائصه نصاً ينفي الكتابة عن الرسول و **"أن الوحي كان يكتب له كتابة"**[3].

فهذه الأقوال تبين أن الموضوع لم يكن جديداً، وأن المستشرقين لم يكتشفوا جديداً. وهذه الأقوال تبين أيضا أن العرب والمسلمين قد أدلوا بدلوهم، وبإسهاب في الموضوع، وقد حاول المسلمون إرجاع الأمر إلى مجاز لغوي أو حادثة لا يقاس عليها، (الحديبية)، ووقف الفريق الآخر، فريق المستشرقين، عند معنى وهمي لكلمة "أمي" استخرجه من جملة (أموت هعلوم): أمم الأرض.

قد يقول قائل وماذا نفعل بفعل "قرأ" في الآية "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (العلق آية1) ، فالأمر أمر للنبي بالقراءة، وكيف يطلب منه شيء يجهله؟ ألا يؤيد هذا رأي الذين قابلوا كلمة "أمي" بـ"وثني"؟ والواقع أن Blachère لمح إلى هذا الفعل في مقدمته[4]. غير أن حديث بدء الوحي المروي عن عائشة رضي الله عنها ينفي بصراحة معرفة النبي للقراءة. ثم إن الفعل هنا لا يعني القراءة المعروفة لدينا، رغم ما تقصه بعض الآثار من " **أن جبريل جاء إلى النبي وهو بحراء بنمط من ديباج مكتوب فيه اقرأ"**[5]. وقد شك الألوسي نفسه في هذا الخبر. وقد يكون الألوسي

---

1 عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، التراتيب الإدارية والمعاملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية، الرباط، 1946، ص 173.

2 الحافظ الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء العلوم، بيروت، ج. 2 ، ص 172.

3 نفس المرجع.

4 أنظر مقدمة بلاشير، ص. 8- 9 .

5 الألوسي شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة المنيرية، ج. 30، ص. 179.

شكك في الأثر لأن جبريل عليه السلام كان يعرف أن النبي (ص) لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم تكن الحاجة تدعوه إلى ضم الرسول (ص) ثلاث مرات حتى يعرف أنه كذلك.

وفي اللسان: و"**معنى قرأت القرآن لفظت به مجموعاً... وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسمى القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي...**"[1]. وفسر الزمخشري "اقرأ" بقوله : "**اقرأ مفتتحا باسم ربك، قل باسم الله ثم اقرأ**"[2].

وحقيقة الأمر أن الزمخشري لم يشرح الفعل، ولم يتحدث عن باء "باسم ربك".

وفسره القرطبي بقوله "**أي اقرأ ما أنزل إليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك وهو أن يذكر التسمية في ابتداء كل سورة**"[3].

ولم يفدنا الألوسي في تفسيره كبير فائدة. بل نكاد نقول بأنه لم يفسر الفعل. يقول: "**والمعنى اقرأ مبتدأ ومفتتحا باسم ربك، أي قل باسم الله ثم اقرأ**"[4]. ولم يزد الطبري نفسه- رغم نقله الأخبار والأحاديث الكثيرة في سبب نزول السورة - على أن قال في تفسيره: "**اقرأ يا محمد بذكر ربك**"[5]. وقد وقف الرازي وقفة أطول في شرحه للآية، فبعد أن نقل قول أبي عبيدة في الباء، وأنها زائدة قال :"**اقرأ باسم ربك أي أذكر اسمه**" ويعلق، "**وهذا قول ضعيف**". والرازي هنا يعود إلى حديث بدء الوحي المشار إليه أعلاه، فيذكر أن جواب النبي "**ما أنل بقارئ**" "**لا يتفق والتأويل**" اذكر اسم ربك، ويذكر أن هناك قولا ثانيا في معناه يقول:"**أن المراد من قوله "اقرأ" أي اقرأ القرآن إذ القراءة لا تستعمل إلا فيه**"[6] . وهذا تفسير لا تفسير فيه. ويحاول إزالة الإبهام في شرحه "باسم ربك"، فيبين أنها تحتمل ثلاثة معان:

---

1 اللسان جـ 3 ص 42.
2 أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ، مجلد رابع، ص. 270.
3 القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج. 8 ص 7209.
4 روح المعاني، ج. 30 ص 179.
5 ابن جرير الطبري، التفسير ، المطبعة الأميرية، ج. 30، ص 161.
6 الفخر الرازي، التفسير الكبير ، الطبعة الأولى، ج.31، ص. 13-19

1- اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أي قل باسم الله ثم اقرأ.

2- اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك كأنه يجعل الاسم آلة فيما يحاول من أمر الدين والدنيا... اقرأ باسم ربك أي استعن باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك.

3- اقرأ باسم ربك، أي اجعل هذا الفعل لله وافعله لأجله[1].

ورغم هذه التأويل المختلفة، فإن فعل "قرأ" في الآية بقي غامضاً. ونلاحظ من خلال هذه التفاسير، أن المفسرين لم يرتاحوا إلى تفسير هذا الفعل، لذلك مر عليه بعضهم دون شرح[2]. وبقي معناه عند غيرهم غائماً. والحقيقة أن صعوبة شرح هذا الفعل "قرأ" لدى المفسرين، جاءت لأسباب ثلاثة، أولها تاريخي، وقل ديني إذا أحببت، وثانيها نحوي لغوي، وثالثها منطقي.

أولا، إذا كان النبي أمياً ـ وهو المتعارف عليه إسلامياً ـ فكيف نفهم فعل "اقرأ" وهو مناقض للأمية؟

ثانيا، إن الفعل "اقرأ" متعدٍّ، وقد جاء في الآية لازماً ـ رغم افتراض مفعول محذوف- ثم ماذا نفعل بالباء؟ ووقف المفسرون حيارى أمام الفعل ومعانيه وملابساته النحوية والعقدية .

أما الثالث المنطقي، فيأتي من أن هذه هي أول آية أنزلت على الني (ص)، ولم يكن قبلها من القرآن ما هو مكتوب، فكيف يطلب من النبي أن يقرأ شيئا لم يُخَطّ بعد؟

وبمقارنة لغوية بسيطة يمكننا الخروج من هذه الصعوبة التي اعترضت المفسرين.

من المعلوم أن في القرآن ألفاظاً دخيلة لا يمكن نكرانها. ومن المعلوم أن لغة القرآن هي لغة العرب جميعاً بعدَ أن هذبت في لغة قريش. ومن المعروف

---

1 - نفس المرجع، انظر أيضا أبا حيان الغرناطي، البحر المحيط، طبعة الرياض، ج. 8، ص. 491.

2 طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طبعة البابي الحلبي، مصر، ج.25، ص. 204

أيضاً أن القرآن استعمل ألفاظاً عربية جاهلية بعد أن مدها بمعاني جديدة. فإذاً ليس من المستبعد أن يحافظ القرآن على معان عربية كانت معروفة في اللغة العربية قديماً ثم تغيرت معانيها أو أهملت، فأحيى القرآن مواتها ومعناها المهمل[1]. ومن الممكن أن يكون فعل "قرأ" مثالا صالحا لهذا الإحياء اللغوي. ولإيضاح الأمر، يحسن بنا أن نقارن بين فعل "قرأ" في العربية والعبرية:

قرأ فعل من الأفعال العروبية (السامية) مشترك على الأقل في أربع لغات، الأوغاريتية، العربية، العبرية، الآرامية[2]. ومعناه العام مشترك في هذه اللغات المذكورة. أما معانيه الفرعية والاشتقاقية فتختلف من لغة إلى أخرى، نتيجة لتباعد هذه اللغات زمان تطورها.

ففي العربية "قرأ" يقرأ ويقرؤ، 1- الكتاب ونطق بكلماته، 2- الكتاب، ألقى النظر عليه وطالعه ولم ينطق بكلماته 3- الشيء، جمعه وضم بعضه إلى بعض، 4- قرأت المرأة : ولدت، بالإضافة إلى معانيه الاشتقاقية[3].

وتتعدد معاني الفعل في العبرية أيضاً ففيها:

1- קרא (قرا) الكتاب، مثال ذلك וַיִּקְרָא בָרוּךְ בַּסֵּפֶר אֶת-דִּבְרֵי יִרְמְיָהוּ... (وَيِقرَأ بَروخْ بَسِفِرْ إتْ دِبْري يَرْمِيَهو...): وقرأ بروخ في السفر كلمات إرمياء.[4]

2- קרא (قرا) رفع صوته، صرخ، مثال ذلك וַיִּקְרָא הוֹצִיאוּ כָל-אִישׁ מֵעָלָי (وَيِقرَأ هوتْصِيُو كُلْ إيشْ مِعضلِيْ...) ويصيح أخرجوا كل حاضر من عندي[5].

---

1 قد يكون للفظة عدة معان، وخلال تطورها تهمل بعض معانيها. وإذا كانت هذه اللفظة مشتركة في لغتين أختيين أو أكثر، فغالبا ما يبقى المعنى الذي ضاع من إحدى هذه اللغات موجوداً في واحدة من أخواتها أو في أكثر من واحدة .

2 אברהם אבן שושן, המלון החדש, הוצאת קרית ספר, ירושלים, 1969, (أبرهم بن شوشن، المعجم الحديث، مطبعة "قريت سفر" القدس، 1969، مادة קרא (قرأ).

3 أنظر هذه المعاني في المعاجم اللغوية.

4 سفر إرمياء، 10/36.

5 سفر التكوين، 1/45.

3- קרא (قرا) نادى، أعلن، مثال ذلك וַיִּקְרְאוּ לְפָנָיו אַבְרֵךְ (وَيّقرأو لِفَنَوْ أبرِّخْ) ونادوا أمامه [يوسف] اركعوا[1].

4- קרא (قرا) دعا، مثال ذلك וַתֵּלֶךְ, הָעַלְמָה וַתִּקְרָא אֶת-אֵם הַיָּלֶד (وَتِلَخْ هَعَلمَه وَتِقرَا إتْ إمْ هَيِّلِدْ) فذهبت الخادم ودعت أمَّ الولد[2].

5- קרא (قرا) سمَّى، مثال ذلك וַיִּקְרָא אֱלֹהִים לָאוֹר יוֹם (وَيقرَأ إلُهيمْ لِؤورْ يُومْ) وسمى الله النور يوماً[3].

6- קרא (قرا) درس التوراة، وهو معنى تلمودي، مثال ذلك אומרים אפי' קרא ושנה ולא שמש תלמדי חכמים (أومريم أفي" قرأ وشَنَّه ولو شَمَّشْ تَلميدي حَخَميمْ) يقولون حتى ولو قرأ وشرح، فإنه لم يخرج علماء[4].

وعلى هذا، فالفعل العبري يدل على : قرأ، نادى، تكلم بصوت مرتفع، رفع صوته، دعا، سمى، درس، بالإضـــــافة إلى معنى آخــر هـــو وعظ[5].

وبالمقارنة بين الفعلين العبري والعربي، نجد أن المشترك بينهما هو معنى : قرأ الكتاب جهراً وسراً، والمعنى التلمودي، أي درس وتعلم. وانفردت العربية بـ بمعنى 1- ضم الشيء بعضه إلى بعض. 2- قرأت الحامل ولدت. وانفردت العبرية بمعنى 1- صرخ 2- نادى، أعلن 3- سمى، دعا.

وحسب التطور اللغوي الذي بمقتضاه يمكن للمفردة أن تكتسب معنى جديداً لم يكن لها، وكذلك قد تضيع معنى قديماً أمحى لعدم الاستعمال. يمكن أن تكون معاني قرأ ـ سواء التي انفردت بها العربية أو التي انفردت بها العبرية ـ من المشترك في اللغتين معا قِدْماً. وعلى هذا فإن فعل "قرأ" في الآية "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"، يكون قد احتفظ بمعنى قديم ضاع من العربية وبقي في أختها

1 سفر التكوين، 43/41.
2 سفر الخروج، 8/2.
3 سفر التكوين، 5/1.
4 סדר זרעים, מסכת ברכות, דף מז, (باب البذور، فصل المباركات، ورقة م. ز).
5 معجم قجمان، مادة "قرأ"

العبرية[1]، وهو "اقرأ" أي ناد، اُدْع، أعْلِنْ، أي "اقرأ باسم ربك"، معناه **ادع وناد** باسم ربك الناس إلى الإسلام، أعلن الإسلام في الناس باسم ربك.

لعله بشرحنا اللغوي المقارن هذا، يمكننا أن نزيح الصعوبات التي اعترضت المفسرين : الصعوبة التاريخية (أمية محمد(ص))، ومشكل لزوم الفعل "اقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" لأن الفعل متعد بنفسه. وقد قرب بعض المفسرين من هذا المعنى، عندما فسروا الفعل بـ"أذكر"، وصعوبات غياب شيء يقرأ.

وبـــعد،

فإذا ثبت بالمقارنة اللغوية أن فعل "قرأ" في الآية يحتمل معان أخرى، وإذا ثبت أن "أمي" و"أميين" من خلال هذه المقارنة اللغوية، لا تدل على وثني، وإذا ثبت أن فعل "قرأ" لا يمكن أن يفسر بالقراءة المعروفة، وإذا ثبت أن "أمة" لا ترجع إلى لغة غير العربية، فماذا يعني الوصفان، "أمي" و"أميون" في القرآن؟

سبق أن رأينا أن اللغويين المسلمين قد أرجعوا الوصف مفرداً وجمعاً إلى "أم"، "أم القرى"، أو "أمة"، وقد رفض العقاد هذه النسبة، بل رأى أن الذين رأوا هذا الرأي يجهلون ما في الكتب اليهودية[2]. وهو يلخص المشكل في أن كلمة "الأميين" عند أهل الكتاب تعني غير اليهود، وبالتالي أمي، تعني الجهل بالقراءة والكتابة على سبيل الاستعارة فقط، وهو هنا لا يفترق عن رأي من أوردنا آراءهم إلا بفارق بسيط جداً. والمرحوم العقاد لا يرجع نسبة "أمي" إلى "أم"، أو "أم القرى"، أو "أمة". ولعل في رفضه النسبة إلى "أم" نوعاً من إهمال لجانب لغوي تعنيه كلمة "أم" في اللغات العروبية، أو على الأقل في اللغة العربية والعبرية.

---

1 - ترجم Blanchère الفعل في الآية المذكورة بـ Prêcher وهو أحد المعاني العبرية، أما أهارون بن شمس في ترجمته العبرية فقد ترجمها، أو بالأحرى تركها קרא (قرأ) متنبها إلى المعاني المحتملة في لغة التوراة: هقرآن هقدوش ص 429.

2 العقاد عباس محمود، المجموعة الكاملة، المجلد السادس، الإسلاميات، 2 ص 201.

"فأم" لفظة سامية مشتركة وردت على الأقل في اللغات الأوغاريتية والأكادية والآرامية والعربية والعبرية. ومعناها الأولي **"ما كان أصلا لوجود شيء... أو مبدئه**[1]" أو أرومته[2]، ثم تفرعت عن هذا المعنى معان أخرى، منها في العبرية:

1- "أم" الوالدة، وقد جاءت بكثرة في العهد القديم، مثال ذلك וַתֵּלֶךְ הָעַלְמָה וַתִּקְרָא אֶת-**אֵם** הַיָּלֶד. (وَتِلَخْ هَعَلمَهْ وَتِقرا إتْ إم هَيِّلِدء): وذهبت الخادم ودعت **أم** الولد [أم موسى[3]]

2- الأم الكبرى لقبيلة أو شعب. وورد مثالها في التلمود אין קורין **אמהות** אלא לארבע[4] (إينْ قورْئينْ **أمهوت** إلا لأربع): وخصت تسمية "أمهات" بأربع. ويقصد سارة زوجة إبراهيم، ورفقة ورحل ولئه زوجات يعقوب، لأن منهن تفرعت قبائل بني إسرائيل.

3- الرحم، الأصل، وهو استعمال تلمودي أيضاً، مثال ذلك חותכין **האם** שלה כדי שלא תלד[5] (حوتْخينْ **هَإِمْ** شِلهْ كِدِي شِلُو تَلِدْ): يقطعون **رحمها** حتى لا تلد.

4- المدينة، وتطلق على المدينة الرئيسية في مجموعة مدن أو مجموعة قرى، وقد وردت بهذا المعنى في العهد القديم حيث جاء אַתָּה מְבַקֵּשׁ לְהָמִית עִיר **וְאֵם** בְּיִשְׂרָאֵל[6] (أتَّ مِفقّشْ لِهَميتْ عير **وإم** بيسرئِل): إنك تريد أن تخرب مدينة وأماً في إسرائيل.

---

1 الراغب الأصفهاني، معجم مفردات القرآن، دار الكتاب العربي، 1972، ص. 18 .
3- ص 13 La langue hébraïque restituée
3 سفر الخروج، 8/2.
4 סדר זרעים, מסכת ברכות דף טז, ב גמרא: (باب الزروع، فصل المباركات، الورقة 16، ب، الجمارا)
5 סדר נזיקין, מסכת סנהדרין דף לג, א גמרא (باب الضرر، فصل الأحكام العليا، ورقة 33 أ الجمارا)
6 سفر صموئل الثاني 19/20 . والمراد مدينة "أبل بيت معكة" التي حاصرها الملك يوآب.

5- قاعدة، مبدأ، وقد وردت في شروح العهد القديم، مثل יש **אם** למקרא...יש **אם** למסרה[1]. (يشْ إم لمِقرَ يِشْ إم لمَسُّرَه) لا بد من قاعدة [لقراءة] التوراة... لا بد من قاعدة لمعرفة التلفظ بها.

6- أصل، سبب. وقد وردت في لغة الفلاسفة اليهود في العصر الوسيط، مثال ذلك הזקנה היא **אם** השכחה[2] (هَزِّقِنَه هي إم هشّخيحَه) الشيخوخة أم النسيان.

أما معانيها في العربية مفردة ومركبة فغزيرة[3]، وتشترك مع العبرية في:

1 - أصل كل شيء.

2 - أم الولد.

3 – مدينة، كما جاء في القرآن "وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ"[4].

والذي يعنينا في موضوعنا هو المعنى: "أصل"، وهو عربي لا شك في عروبته. وعلى هذا تكون الصفة "أمي" "أميين"، التي جاءت في القرآن، تعني الذين لازالوا على أصلهم، وتكون عربية وعربية فقط، ولا علاقة لها بالمعاني العبرية أو الآرامية، كما ورد عند Paret وBlanchère، وتكون نسبتها صحيحة إلى "أم" - بهذا المعنى - رغم رفض العقاد لهذه النسبة. فإذا كان "أم" الشيء أصله، فالقرآن عندما وصف هؤلاء العرب، كان يعني أنهم على أصل خلقتهم - دون إرجاع النسبة إلى الأم الوالدة - فأناس بدون كتاب، بدون دين، هم على أصل خلقتهم. وذلك لأن الدين تغيير وتوجيه للفعل الإنساني. بل هو مراقبة للسلوك الغريزي الذي سلكه الفرد في حياته. والدين إخراج لهذا الفرد من حالته الغريزية

---

1 סכה, ו (سُكّهْ و).

2 דוראן, מגן אבות 3 (دوران، مِـگنْ أبوت 3) نقلاً عن המלון החדש "אם" المعجم الحديث مادة "أم".

3 - اللسان مادة "أم".

4 سورة القصص، 59.

بمجموع القوانين المكتوبة والمحفوظة في الديانات السماوية، وعندما لا يوجد دين أو قوانين، يصح إذ ذاك أن نصف الفرد، أو الجماعة بأنه أو أنها "أمي" أو "أميين". أي على أصلهم في تصرفاتهم الفطرية وسلوكهم الغريزي. ومن هذا المعنى العربي القديم أوجد الإسلام معنى جديداً عربياً أيضاً ـ أسماه العقاد استعارة، للمفرد "أمي"[1]. فالمتدين هو الإنسان الذي أحدث فيه كتاب سماوي تغيراً جذرياً في تصرفاته ومعارفه، والكتاب، أي الكتابة، هي التي أحدثت هذا التغير ـ سواء كان هذا الفرد قارئاً أو غير قارئ ـ فـ"الأمي" هو الذي لا يعرف كتابًا سماوياً حقيقة، أي بقي على طبيعته الأصلية دون تهذيب. و"الأمي" هو الذي يجهل الكتابة والقراءة استعارة، ولكن المعنى القرآني حوله إلى معنى حقيقي.

وإذا رفض المستشرقون[2] ـ ومن تبعهم ـ عروبة اللفظة ورفضوا معناها **الذي هو: "من على أصل خلقته قبل التهذيب الديني حقيقة، والذي لم يكتسب معارف إنسانية بالكتابة والقراءة استعارة ثم حقيقة في المعنى الإسلامي، وأرجعوها إلى صيغة عبرية متوهمة، فذلك راجع لأسباب عقيدية وليست لغوية.** من هذه الأسباب :

أولا: عندما فهم أولئك الألفاظ ثم ترجموها، فإنهم لم يستطيعوا إبعاد التربية الدينية اليهودية أو المسيحية التي هي جزء من موروثهم العقدي والفكري ـ وإن ادعى بعضهم أنه لا يهتم بالدين ـ يعني أنهم فهموا اللفظة العربية الإسلامية ـ عربية قرآنية ـ بذهنية حبرانية كهونتية.

1 الإسلاميات مجلد 2 ص 202 .

2 رفض المستشرقون ـ المشار إليهم ـ هذا المعنى بدعوى أنه لم يكن معروفا في اللغة العربية قبل الإسلام. وهل كل المعاني المعروفة في العربية كانت معروفة في اللغة الجاهلية، حتى نرفض المعنى الجديد الإسلامي للفظة أمية، فنرجعها إلى أصل غير عربي؟ مع أن اللغة العربية مليئة بمعان جديدة ولا من يدعي نسبتها إلى غير العربية. وللعربية الحق ككل اللغات في أن تكتسب معان جديدة كما أن لها الحق أيضا في أن ترفض معان قديمة أمحت بعد استعمال.

ثانيا: أنهم لم يستطيعوا فهم اللغة العربية على حقيقتها مهما درسوها، لأن اللغة إحساس وشعور وتربية وكيان، يتكون وينمو مع عقل المفكر به، وقد افتقدوا هذه الميزات، فجاء فهمهم لها ناقصاً، وإن ادعوا أنهم يستخدمون المقاييس العلمية للبحث، وقد لمسنا هذا في كثير من أبحاث المستشرقين.

ثالثا: أنهم عندما درسوا الحضارة العربية والفكر الإسلامي، فإنهم درسوهما بحكم مسبق، وبذهنية كانت توجه الدراسات ـ عن إرادة أو غير إرادة ـ ولهذا أباحوا لأنفسهم أن يتصرفوا في معاني العربية، وأن يسندوا إليها معاني من لغات أخرى.

إن أبحاث الكثيرين من هؤلاء المستشرقين قيمة في حد ذاتها وفي إطارها التاريخي، وعلينا أن نقدر جهودهم وأن نأخذها بحسن نية، غير أن النظر فيها من وجهتنا نحن، أصبح أمراً ضرورياً. فإذا كانوا في وقت من الأوقات هم الأقدر على النظر في اللغات القديمة، فإن الجامعات العربية والإسلامية اليوم، أصبحت فاعلة ومنفعلة بهذا النوع من الدرس، ومن واجب العلم عليها أن تنظر في مدونات الاستشراق بعين الذي يريد أن يستفيد ويفيد، وأن تشمر الساعد من أجل إعادة قراءة هذا الإرث للتنويه بجميله وتصحيح مسار من زلت به القدم في مسالك المعرفة. وقد يكون الفصل الموالي أنموذجاً معبراً عن جهودنا في مسلك هذا النوع من البحوث وفي مناهجه.

الفصل الثالث

الأسماء الأعلام ودلالاتها التاريخية في التوراة[1]

العهد القديم[2] Bible

اسم جرى على الألسن، تسمية للكتاب المقدس اليهودي، في مقابل العهد الجديد المسيحي. وقد جرت عادة أسلافنا، بتسميته التوراة، أخذا من القرآن، من باب إطلاق الجزء على الكل. والتوراة هي القسم الأول من ثلاثة أقسام تكون هذا الكتاب. والقسمان الآخران هما الأنبياء والمكتوبات، وتختصر التسمية بالحروف العبرية ت. ن. خ (توراة، أنبياء. مكتوبات). ويطلق أيضا على القسم الأول الذي هو التوراة، وهو كتاب موسى، أو كما سماه التلمود "الأخماس" من الإغريقية Pentateuque، إذ يتضمن خمسة أسفار هي :

التكوين، وهو خمسون إصحاحاً.

الخروج، أربعون إصحاحاً.

اللاويون، سبعة وعشرون إصحاحاً.

العدد، ستة وثلاثون إصحاحاً.

التثنية، أربعة وثلاثون إصحاحاً.

ويتكون القسم الثاني من مجموعة أسفار تنقسم عادة إلى قسمين كبيرين:

الأنبياء المتقدمين، (إصحاحات عدة).

الأنبياء المتأخرين، (إصحاحات عدة).

---

1 نشر البحث ضمن أعمال ندوة التاريخ واللسانيات: النص ومستويات التأويل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992، من ص.49 إلى ص. 66. وقد أجرينا فيه تغييرا كثيرا هنا.
2 يعني لفظ Bible الكتاب، وأصله من الإغريقية Biblon ، ويطلق على العهدين القدم والجديد.

ويتضمن القسم الثالث: المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد الأناشيد، راعوت، المراثي، الجامعة، إستير، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثواني، مع بعض التغيير، ترتيباً وزيادة ونقصاً تبعا للتقليد اليهودي أو المسيحي.

زمن تدوين التوراة

ترجع جملة البحوث النقدية التوراتية زمن التوراة إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، غير أن جملة مضامين النص ومستويات اللغة وكثيراً من الأحداث تدل على أن التوراة الباقية لا تمثل إلا ثمرة عمل ظل شفوياً وتناقلته أجيال متعاقبة إلى أن دون دفعة واحدة في آخر المطاف.

التوراة والتاريخ

يضع هذا التواتر الشفوي قيمة التوراة التاريخية موضع تساؤل، فهل يحق للباحث أن يعتبرها مصدراً تاريخياً موثوقاً، كما فعل كثير من المؤرخين القدامى وبعض المحدثين؟ أم نعتبرها كتاباً أدبياً تضمن جماع تصورات وآمال مجموعة من الناس، كان لواقع البيئة وتوالي الأحداث التاريخية والاجتماعية ـ في شرق كان ملتقى التطلعات والصراعات والتقلبات الإنسانية ـ صدى كبير في صناعتها؟ أم نعتبرها محاولة لتحويل المُتَصور إلى واقع تاريخي انتقاماً مما آلت إليه تلك الصراعات الاقتصادية والدينية والاجتماعية؟ إننا لا نستطيع، بما لدينا من بضاعة مزجاة، أن نفصل القول في موضوع خطر مثل هذه الخطورة، غير أننا نخلص إلى بديهية، هي وليدة إرثنا الفكري والعقيدي، وتعني هذه البديهية، أن الأصل في التوراة تنزيل إلهي لم ينج من فعل الزمان، وأسانيد الإنسان، فتضمن الحدث التاريخي، والأمل الأسطوري، وفلتات الإبداع التي عانى أصحابها من لفح الحب وصقيع الأسى، من شطحات الأمل وقنوت اليأس، فكانت هذا الذي بين أيدينا الآن.

جاء عنوان البحث كالآتي: الأسماء الأعلام ودلالاتها التاريخية في التوراة، والصحيح أن يكون بعض أسماء الأعلام... وذلك لأننا لا نستطيع أن نتعرض لكل الأسماء الواردة في التوراة، فإذا كان القرآن يتضمن حوالي واحد وثلاثين علما، فإن التوراة تتضمن المآت من أسماء الأعلام. ولن نختار إلا بعضاً منها لما لها من دلالات تاريخية أو عقيدية. ولن نتخذ لاختيارنا هذا إلا سفراً واحداً هو السفر الأول، سفر التكوين، وبداية السفر الثاني أي الخروج. ولكي يكون لعرضنا وضع منطقي، فإننا اخترنا شجرة الأنساب البشرية كما جاءت في التوراة حتى موسى، وهذه هي مستخرجة من أماكن مختلفة من سفر التكوين:



شجرة الأنساب (جدول 1)

آدم وبنوه وبنوهم

7/2[1] וַיִּיצֶר יְהוָה אֱלֹהִים אֶת-**הָאָדָם**, עָפָר מִן-**הָאֲדָמָה**

אָדָם آدم

7/2 و جبل الرب الإله آدم ترابا

من الأرض (**الأدمة**) (1)

אִשָּׁה أنثى
من
אִישׁ
أنث=رجل

23/2 וַיֹּאמֶר, הָאָדָם, זֹאת הַפַּעַם עֶצֶם מֵעֲצָמַי, וּבָשָׂר מִבְּשָׂרִי; לְזֹאת יִקָּרֵא אִשָּׁה, כִּי מֵאִישׁ לֻקְחָה-זֹּאת.

2: 23 فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي و لحم (بشر) من لحمي هذه تدعى أنثى لأنها من أنثٍ (2) (ذكر) أخذت.

חַוָּה
حواء=حية

20/3 וַיִּקְרָא הָאָדָם שֵׁם אִשְׁתּוֹ, חַוָּה: כִּי הִוא הָיְתָה, אֵם כָּל-חָי.

3: 20 و دعا آدم اسم أنثاه **حواء** (3) لأنها كانت أم كل حي.

آدم+ حواء

קַיִן (قايين)

הָבֶל (هابيل)

20/4 וְהָאָדָם, יָדַע אֶת-חַוָּה אִשְׁתּוֹ; וַתַּהַר, וַתֵּלֶד אֶת-קַיִן, וַתֹּאמֶר, **קָנִיתִי** אִישׁ אֶת-יְהוָה.

4: 1 وعرف آدم حواء أنثاه فحبلت وولدت **قايين** (4) و قالت **اقتنيت** رجلا من عند الرب

וַתֹּסֶף לָלֶדֶת, אֶת-אָחִיו אֶת-**הָבֶל**

ثم تزيد فتلد أخاه **هابيل** (5)

וַתֵּלֶד בֵּן, וַתִּקְרָא אֶת-שְׁמוֹ **שֵׁת**: כִּי **שָׁת**-לִי אֱלֹהִים, זֶרַע אַחֵר--תַּחַת הֶבֶל, כִּי הֲרָגוֹ קָיִן.

שֵׁת
شِتْ=عِوَض

25/4 ... فولدت ابنا و دعت اسمه **شيثاً** (6) قائلة لأن الله قد وضع لي نسلا آخر **عوضا** عن هابيل لأن قايين كان قد قتله

تعليق على معنى الأسماء

1 אָדָם آدم

اشتق اسم آدم من الأدمة وهي التراب[1]. هذا ما جاء في التوراة أعلاه. غير أن أسم "آدم" ورد في النصوص السومارية القديمة إطلاقاً على الجنس البشري، وورد في الأوغاريتية[2] بمعنى الإنسان الأول. وورد في التوراة نفسها إطلاقاً على كل الجنس البشري: "**1 هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله، 2 ذكراً و أنثى خلقه، و باركه و دعا اسمه آدم يوم خُلق**" (تكوين 2/5).

2-3 חַוָּה - אִשָּׁה حواء–أنثى

لفظ الرجل في العبرية هو אִישׁ (إيشْ)، وأصلها אינש (إنْشْ). أي أدغمت النون الساكنة في حرف الشين، لأن النون ضعيفة وتحذف إذا كانت ساكنة وتدغم في الحرف الذي يليها، كما في العربية تماماً. ومن المعروف أيضاً أن الشين في العبرية يقابلها حرف الثاء في العربية، فيكون اللفظ هو "إنثْ"، أي "أنْث"=المذكر، وهو لم يعد مستعملاً في العربي. ونفس اللفظ في اللغة الموؤابية والفينيقية، وجمعه "إشم"، وفي الآرامية אנש (إنّشْ" ولعله المرادف للعربي "إنس". وجمعه אנשים أنَشيمْ). وهو نفس اللفظ في اللغة الصَّفَويَّة التي هي إحدى لهجات العربية الجنوبية[3]. ومن العبري أخذ مؤنثه الذي هو אישה (إيشَّهْ) أي "إنْثَهْ"= أنثى. وهذا هو معنى الفقرة أعلاه: "**23/2 فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي و لحم (بَشْرَة) من لحمي هذه تدعى أنثى لانها من أنْثٍ (ذكر) أخذت**". وهذه

1 لن نبتعد عن المعنى الحرفي القريب للاسم، وخصوصاً إذا كان مفسراً بذلك في التوراة.

2 המלון החדש, אברהם אבן שושן, הוצאת קרית ספר, בע", ירושלים, 1971, כרך 1 אדם(المعجم [العبري] الحديث، أبرهام بن شوشن، نشر قريت سفر، القدس، 1971،ج.1، مادة آدم).

3 G. Lankester Harding, An Index and Concordance of Pre-islamic arabian nams and Inscriptions, University of Toronto Press (1969), p. 78.

الأنثى هي التي سماها آدم حواء، ويفهم من سياق التوراة أن معناها أصل الحياة، ففي التوراة **"و دعا آدمُ اسم أنثاه حواء لأنها كانت أم كل حي"**.

4 קַיִן قايين

يفهم من التوراة أنه مشتق من جذر قنى، وهو في العربي مزيد بتاء، اقتنى، اشترى. **"و قالت اقتنيت رجلا من عند الرب"**.

5 הבל هابيل

لم تفسره التوراة، ونعتقد نحن أنه من الهباء والعبث والضلال، وكلها معاني وردت للفظ הבל (هَڤل) في اللغة العبرية. وفي الآرامية أيضاً הבלא (هَڤلا) تعني الدخان، وما حدث لهابيل في قصته مع أخيه قايين الذي قتله، يعني ما تدل عليه المعاني السابقة، فقد صار هباءً بعد أن قتله أخوه، وفعل أخيه الذي نتج عن غيرة كان عبثاً وضلالاً، وزواله من الوجود في ذلك التاريخ تبخر يرمز إليه الدخان.

6 שֵׁת شيت

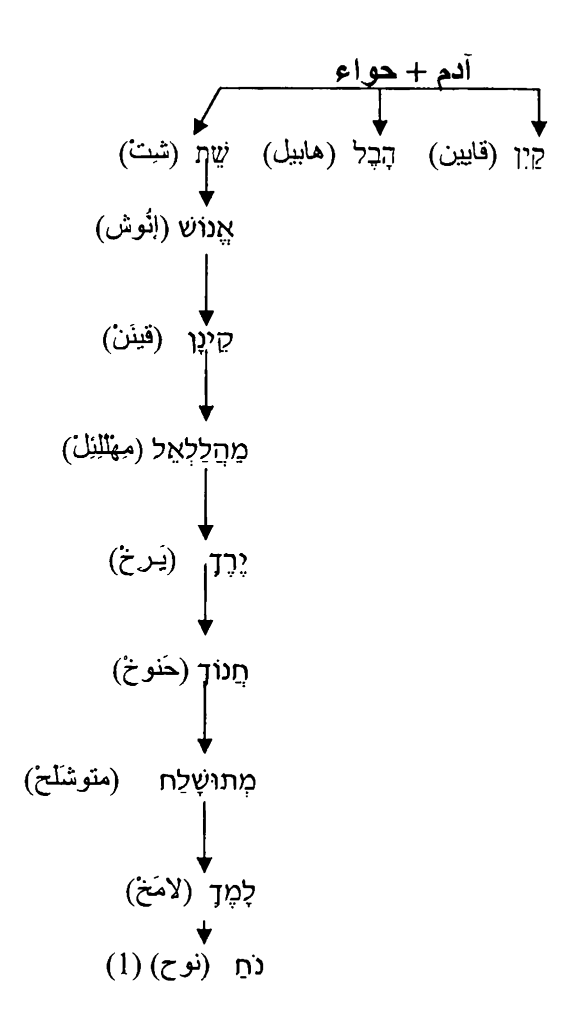
اللفظ قديم، فقد ورد في الأوغاريتية ومعناه في العبرية أيضاً العِوَض من فعل שת (شَتْ) عَوَّضَ. وهو المعنى الوارد في التوراة.



* * *

شجرة الأنساب (جدول 2)

نسل آدم



כט וַיִּקְרָא אֶת-שְׁמוֹ **נֹחַ**, לֵאמֹר: זֶה יְנַחֲמֵנוּ מִמַּעֲשֵׂנוּ, וּמֵעִצְּבוֹן יָדֵינוּ, מִן-הָאֲדָמָה, אֲשֶׁר אֵרְרָהּ יְהוָה	ودعا اسمه **نوحاً** قائلاً هذا يعزينا[1] عن عملنا وعظب (غلظ) أيدينا من الأدمة (الأرض) التي لعنها الرب

* * *

تعليق على معنى اسم نوح

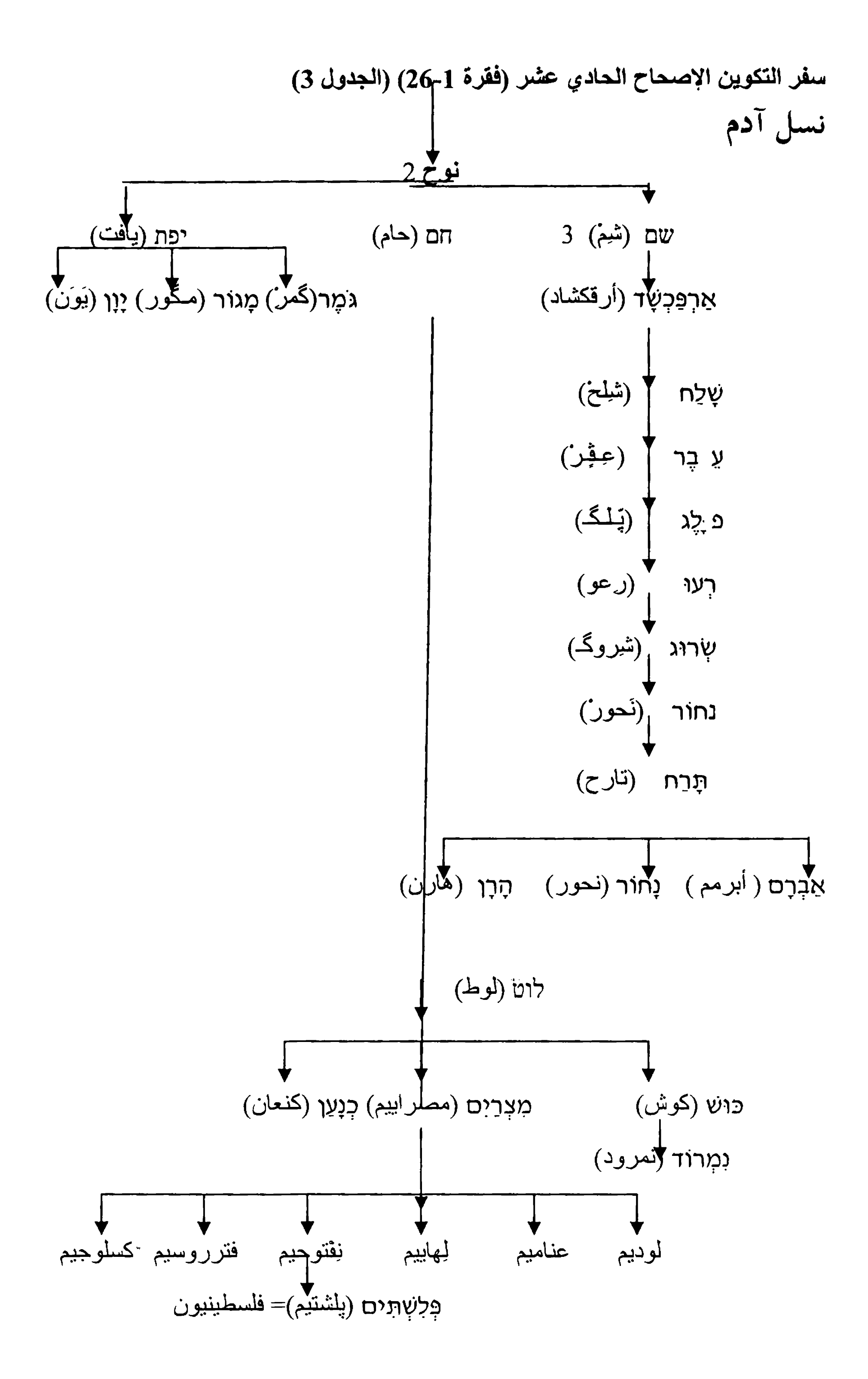
1 يعني الجذر "ن. و. ح" لغة : التوقف والاستراحة، وهذا هو المعنى الرمزي في المضمون العام، إذ بعد أن خلق الله الخلق أولا، فسد هذا الخلق وأفسد، فكان نوح [مريح] فاصلا بين خلقين، إذ توقفت الحياة السابقة وأمحت بطوفان قضى على الخلق فاستراحت الأرض، ونوح رمز لذلك. أما التفسير بـ "هذا يعزينا..." فتفسير يشوش عن المقصود من المنطق اللغوي المراد. فالجذر "ن. ح. م" عزى يختلف عن الجذر "ن.و.ح" =أراح فالإسم من "ن.ح.م" هو نحوم وهو اسم معروف عند العبرانيين، أما الاسم من "ن.و.ح" فهو נֹחַ (نوح)، ولذلك نفترض أن يكون أصل الجملة التوراتية هو : וַיִּקְרָא אֶת-שְׁמוֹ נֹחַ, לֵאמֹר: זֶה **יְנִיחֵנוּ** מִמַּעֲשֵׂנוּ "... ودعا اسمه نوحا (مريحا) قائلا هذا يريحنا من عملنا..." بدل ما جاء في الأصل الذي هو : "ودعا اسمه نوحا قائلا هذا يعزينا عن عملنا..."

يعتبر نوحا بداية خلق جديد، إذ أصاب الأرضَ فساد عبرت عنه التوراة في الإصحاح السادس من سفر التكوين، لما كثر الخلق وظهر في الأرض طغاة واستعظم الجبابرة: ה וַיַּרְא יְהוָה, כִּי רַבָּה רָעַת הָאָדָם בָּאָרֶץ, וְכָל-יֵצֶר מַחְשְׁבֹת לִבּוֹ, רַק רַע כָּל-הַיּוֹם. ו וַיִּנָּחֶם יְהוָה, כִּי-עָשָׂה אֶת-הָאָדָם בָּאָרֶץ; וַיִּתְעַצֵּב, אֶל-לִבּוֹ. ז וַיֹּאמֶר יְהוָה, אֶמְחֶה אֶת-הָאָדָם אֲשֶׁר-בָּרָאתִי מֵעַל פְּנֵי הָאֲדָמָה, מֵאָדָם עַד-בְּהֵמָה, עַד-רֶמֶשׂ וְעַד-עוֹף הַשָּׁמָיִם: כִּי נִחַמְתִּי, כִּי עֲשִׂיתִם. ח וְנֹחַ, מָצָא חֵן בְּעֵינֵי יְהוָה. {פ}:

"5 - ورأى الله أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور قلبه إنما هو شرير كل يوم. 6 - فحزن[1] الرب لأنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه. 7 - فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودواب وطيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم. 8 - وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب".

---

1 تعالى الله عن مثل هذه صفات، غير أننا ننقلها كما وردت في التوراة ليطلع عليها القارئ كما هي.



سفر التكوين الإصحاح الحادي عشر (فقرة 1-26) (الجدول 3)
نسل آدم
نوح 2
שם (شِمْ) 3
חם (حام)
יפת (يافت)
אַרְפַּכְשָׁד (أرفكشاد)
גֹמֶר(گمر)
מָגוֹר (مـگور)
יָוָן (يوَن)
שֶׁלַח (شِلِخ)
עֵבֶר (عِڤِر)
פֶּלֶג (پِلگ)
רְעוּ (رعو)
שְׂרוּג (شِروگ)
נחור (نَحور)
תֶּרַח (تارح)
אַבְרָם (أبرمم)
נָחוֹר (نحور)
הָרָן (هارن)
לוֹט (لوط)
כּוּשׁ (كوش)
מִצְרַיִם (مصرابيم)
כְּנָעַן (كنعان)
נִמְרוֹד (نمرود)
لوديم
عناميم
لِهابيم
نِفتوحيم
فترروسيم
كسلوجيم
פְּלִשְׁתִּים (پلشتيم)= فلسطينيون

تعليقات على الجدول

1 جاء ذكر أبناء نوح في التوراة على التوالي سام حام يافت. أما ذكرهم مع مواليدهم فجاء معكوساً، أي مواليد يافت ونسله ومواليد حام ونسله، ومواليد سام ونسله.

كان لسام أبناء لم نذكر منهم إلا أرفكشاد (لأنه الجد الأعلى لابراهيم، ولم نذكر من الأبناء لكل عَلَمٍ عَلَمٍ إلا من كان منهم علماً ذا خصوصية أو إشارة تاريخية.***

بعد أن تم للأرض زخرفها من عهد آدم حتى نوح، تجبر الإنسان، فأفنى الله الخلق بالطوفان باستثناء نوح وآله، وما انتقاه من دواب الأرض وطائر السماء. ويبدأ خلق جديد مع نوح. وبعد أن ذكرت التوراة أبناء نوح ونسلهم، ختمت الإصحاح العاشر من سفر التكوين الفقرة 32 بـ לב אֵלֶּה מִשְׁפְּחֹת בְּנֵי-נֹחַ לְתוֹלְדֹתָם, בְּגוֹיֵהֶם; וּמֵאֵלֶּה נִפְרְדוּ הַגּוֹיִם, בָּאָרֶץ--אַחַר הַמַּבּוּל.: **"هؤلاء هم قبائل بني نوح حسب مواليدهم بأممهم، ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان"**.

أخذ الإنسان في الخلق الجديد مسلكاً جديداً في صنع حضارته، وذلك بشيئين اثنين :

ا ـ بتوحيد لغته : **"وكانت الأرض كلها لساناً واحداً وألفاظاً واحدة [ولغة واحدة]"**.

ب ـ بصناعة اللَّبِن المحروق، بدل الحجارة، فأخذ الإنسان في الإعمار فبنى برج بابل، وذلك تخليداً له في الأرض: **"ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض..."** (تكوين 1/11 - 4).

رأى الرب المدينة والبرج، ورأى أن الإنسان شعب واحد ولسان واحد، لم يرد الرب ذلك، لأن هذا مبدأ تجبر الإنسان، قال الرب : **"والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه، هَلُمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض...فكفوا عن بنيان المدينة، لذلك دعي اسمها بابل، لأن الرب بلبل[1] لسان كل الأرض"**

---

1 المعنى اللغوي "لبابل" هو باب الله، إذ أسند اللفظ "باب" ومعناه معروف، وهو سامي مشترك، إلى اسم الله المعروف عند الساميين "إل".أما التفسير التوراتي الذي يقول:"إن المدينة سميت "بابل" لأن =

(نفسه / 6 – 9).

جاءت شجرة أنساب "سام" مرتين، أولاهما في آخر الإصحاح العاشر من سفر التكوين، وثانيتهما في الآية العاشرة من الإصحاح الحادي عشر، وأقحمت بينهما، أي في بداية الإصحاح الحادي عشر، حتى الآية 9، قصة بلبلة الألسن. وتناول السرد الثاني مواليد سام حتى إبراهيم وإخوته (آ. 10، 26).



=الله بلبل الألسن فتفسير لا يستقيم، إذ اعتمد اشتقاق "بلبل" من "بابل" ولا علاقة بين الاثنين، أي لا يمكن اشتقاق "بلبل" من "باب الله". ويعني هذا أن هذا التفسير لا ينبني على أساس، ولا يستقيم بناء عليه المعنى العام من الجملة العبرية.

وهذه معاني أسماء إبراهيم ونسله (جدول 4)

جاء اسم إبراهيم في سفر التكوين (26/9) אַבְרָם (أبرام) (أب أعلى)(1) ثم أصبح اسمه بعد تجربة الأمر بالذبح אברהם (أبراهام) (إبراهيم) (أب أعلى لجمهور) وذلك في الفقرات التوراتية الآتية:

17:5 וְלֹא-יִקָּרֵא עוֹד אֶת-שִׁמְךָ, **אַבְרָם;** וְהָיָה שִׁמְךָ אַבְרָהָם, כִּי אַב-הֲמוֹן גּוֹיִם נְתַתִּיךָ. וְהִפְרֵתִי אֹתְךָ בִּמְאֹד מְאֹד, וּנְתַתִּיךָ לְגוֹיִם; וּמְלָכִים, מִמְּךָ יֵצֵאוּ.	17: 5 فلا يدعى اسمك بعدُ أبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم
29/11 تزوج أبرام **שרי** ساراَيْ (2)	[צרי (صاراي]=[الضرة، السيئة الحال، عاقر. [الضرة] الشريكة في الزوج
15/17 يصبح اسمها שָׂרָה سارة	[الشريفة الرفيعة المقام]
וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים, אֶל-אַבְרָהָם, שָׂרַי אִשְׁתְּךָ, לֹא-תִקְרָא אֶת-שְׁמָהּ שָׂרָי: כִּי שָׂרָה, שְׁמָהּ.	17: 15 و قال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة
3 /16 ثم تزوج أبرم **הגר هاجر** (3)	
وولدت هاجر	**ישמעאל شِمَعْيل**= إسماعيل (4)
11/16 וַיֹּאמֶר לָהּ מַלְאַךְ יְהוָה, הִנָּךְ הָרָה וְיֹלַדְתְּ בֵּן, וְקָרָאת שְׁמוֹ **יִשְׁמָעֵאל**, כִּי-שָׁמַע יְהוָה אֶל-עָנְיֵךְ	11/16 و قال لها ملاك الرب ها انت حبلى فتلدين ابنا و تدعين اسمه **إسماعيل** لان الرب قد سمع لمذلتك
بعد البشرى بولادة	أسحق يذكر الرب إبراهيم بولادة إسماعيل
20/17 וּלְ**יִשְׁמָעֵאל**, שְׁמַעְתִּיךָ	وأما إسماعيل فقد **سمعت** لك فيه
יצחק إسحق	

تعاليق على أسماء الأعلام

1 "إبراهيم" جاء الاسم الأول الذي أطلقته التوراة على إبراهيم. بصيغة "أبرام" (تكوين XI / 26). ولم تفسر التوراة معناه، مع أن له معنى لغوياً، إذ هو اسم مركب من "أب" وهو نفس المعنى العربي و "رم" ومعناه في اللغات السامية : العالي، فيكون المعنى اللغوي هو الأب الأعلى. وسمي ابراهيم بهذه الصيغة حتى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين، كما هو أعلاه، ثم غير الاسم "بأبراهام" وتفسيره اللغوي، كما جاء في التوراة نفسها، أنه سمي بذلك "لأنه صار أبا لجمهور". ولفظ جمهور بالعبرية هو (همون)، فيكون الاسم مركب كالآتي : أب + "ر" من لفظ "رم" : عال + "هم" من لفظ همون" : جمهور. أي : "أب أعلى لجمهور. ويرى بعض الأحبار تفسيرا آخر، إذ في رأيهم لا تمثل "الهاء" جزءا من "همون" وإنما هي "الهاء" الموجودة في اسم الله، وزيادة الهاء في "أبرم"، عندهم، دليل على مباركة الله إبراهيم وعهده معه.

2 "سارة" لم تشرح التوراة معنى الاسم وإنما اكتفت بالقول إن الرب غير اسم "ساراي" إلى "سارة". والظاهر أن هناك شيئاً غير مذكور أو حذف في النص الأصلي، ولذلك فسر التلمود الاسم كالآتي: " **في الأول سميت "ساراي": نبيلة، شريفة في أمتها، ثم أصبحت شريفة שרה في بقية الخلق**" (برخوت 16). ونعتقد شخصياً أن هذا التأويل لا يستجيب لواقع الحال في القصة التوراتية، إذ جاء تغيير الاسم في اللحظات التي بشر الرب فيها إبراهيم بولده إسحق من سارة بعد عقم، وعليه فالاسم الأول كان اسم **سارة** مدة العقم، أما الاسم الثاني فكان له معنى آخر من جذر آخر، يعني لغة عكس ما يعنيه الجذر الأول. وبناء عليه، نعتذر لجرأتنا، فنفرض أن يكون الجذر هو من **צר** (صَرْ) وكتب في التوراة بـ"السين" **שר** ويعني الجذر الأول ما يعنيه أخوه في اللغة العربية: "ضَر" (ض=ص). وهذا هو واقع الحال في القصة التوراتية، إذ كان بزوج إبراهيم "ضَرٌّ" والضرة في لسان العرب تعني سوء الحال، كما أنها تعني امرأة لها شريك في زوجها. وتعني أيضاً في اللهجة المغربية **العقم**، لذلك يطلقون على البقرة الحامل "ضارة" من باب

إطلاق الضد دفعاً للعين. واختصاراً، فالأصل في اللفظ التوراتي צרי (صراي) =ضراء لا צרי (سراي)، وتعني سوء الحال والعقم والضراء. وفي هذه الحال وحدها يستقيم معنى التوراة: **"وقال الله لإبراهيم ساراي [صاري] امرأتك لا تدعو اسمها ساراي [صاري] =ضراء، بل اسمها سارة =شريفة"** (تكوين 17: 15). وذلك لزوال حال العقم وسوء الحال عنها. وهذا ما جاء مغيباً في التوراة ويفرضه واقع الحال، وهو على كل حال أفضل من تأويل أهل التلمود: ""ساراي": نبيلة، شريفة في أمتها، ثم أصبحت شريفة שרה في بقية الخلق" بعد ذلك.

3 "هاجر" لم يرد في التوراة شرح لاسم هاجر، غير ان ما حدث لها مع سيدتها سارة قد يفسر الاسم. وقد يكون في النص التوراتي محذوف يدل على ما نرى. فبعد أن حبلت هاجر أذلتها سارة، فـ **"هجرت"** وهربت من وجهها **" فقال أبرام لساراي هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك، فاذلتها ساراي فهربت [فهاجرت] من وجهها"** (تكوين 6/16). فكانت الهجرة الأولى. ثم عادت وبقيت مع سارة إلى أن ولدت إسحق، فأمرت إذ ذاك سارةُ إبراهيمَ بترحيل ولده إسماعيل حتى لا يرث مع إسحق ففعل، حسب قصة التوراة. فكانت الهجرة الثانية والأخيرة: **"9 ورأت سارةُ ابنَ هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح 10 فقالت لإبراهيم أطرد هذه الجارية و ابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق 11 فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه 12 فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحق يدعى لك نسل"** (تكوين 21 9-12). ولا يشترك الجذر الدال على الهروب الأول ברח (بَرَحْ)، ولا الثاني الذي هو גרש (گَرَشْ) مع جذر **"هجر"**. لاحظ اشتراك الجذر " گـ [ج] رَشْ و"هجر" في الحرفين "جر".

4 "إسماعيل" يتركب اسم ישמעאל (إسماعيل) من الفعل שמע (سمع) وאל ئل و[إلْ] وهو المعبود الأكبر عند الساميين = رب، وهو الموجود في هذه الأسماء:

גבראל: גבר+אל جبرائل: جبر+إل= جبروت الله.

מיכאל: מיך+אל　　　ميكائل: تحنان+إل= التوسل لله.

אשרפאל: אשרפ+ אל　　إصـ[س]ـرافيل: إصراف+إل= لهب الله.

רפאל: רף+אל　　　رفائل: رفأ+إل=شفاء الله

דנאל דן+ אל　　　دانئل: دان+إل+ قضاء الله

שרי سارة (جدول 5)

تكوين 1/21 ولدت سارة (يصحك) (إسحق) = (يضحك)

جاء معنى الضحك في مواضيع مختلفة كالآتي :

بعد أن أبدل الله اسم سارة وبشر إبراهيم بابن منها، تقول التوراة (17/ 17):

וַיִּפֹּל אַבְרָהָם עַל-פָּנָיו, וַיִּצְחָק; וַיֹּאמֶר בְּלִבּוֹ, הַלְּבֶן מֵאָה-שָׁנָה יִוָּלֵד, וְאִם-שָׂרָה, הֲבַת-תִּשְׁעִים שָׁנָה תֵּלֵד.

فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في قلبه هل يولد لابن مائة سنة؟ وهل تلد سارة بنت سبعين سنة؟

9/18- بعد أن بشر الرجال (الملائكة) ابراهيم بولادة اسحق كانت سارة تسترق السمع، وكانت هي وإبراهيم قد تقدما في السن وقد انقطع أن يكون لسارة كعادة النساء :

12/18 ـ וַתִּצְחַק שָׂרָה, בְּקִרְבָּהּ לֵאמֹר: אַחֲרֵי בְלֹתִי הָיְתָה-לִּי עֶדְנָה, וַאדֹנִי זָקֵן.

12- فضحكت سارة في دخيلتها قائلة أبعد فنائي تكون لي لذة وهذا سيدي قد شاخ؟

13 ـ فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة ألد حقا وقد شخت؟

14 ـ هل يستحيل على الرب شيء؟. في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة (الربيع؟) يكون لسارة ابن

15 ـ فأنكرت سارة قائلة لم أضحك. لأنها خافت. فقال لا بل ضحكت.

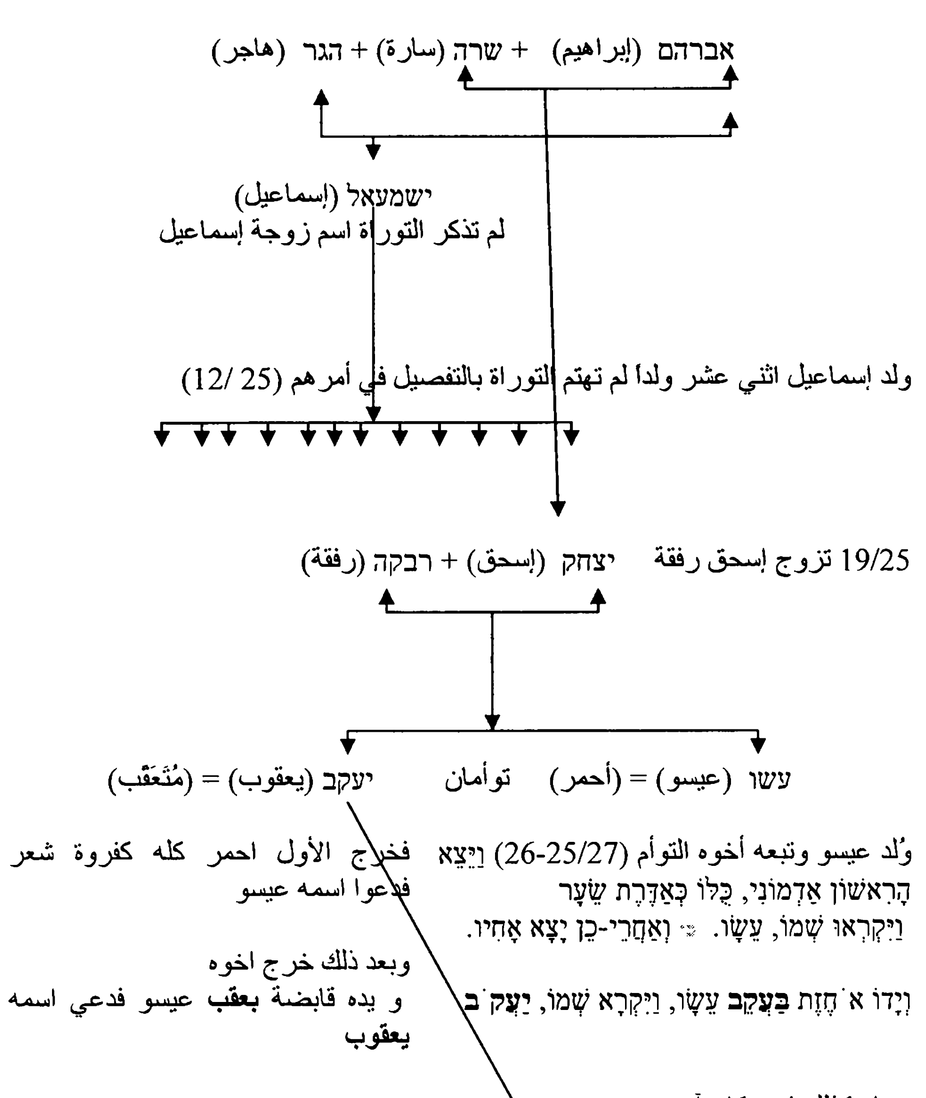
حققت البشرى، ولد الابن وسماه إبراهيم اسحق.. وكان إبراهيم ابن مائة سنة فقالت سارة : (1/21)

6/21-וַתֹּאמֶר שָׂרָה-צְחֹק, עָשָׂה לִי אֱלֹהִים: כָּל-הַשֹּׁמֵעַ, יִצְחַק-לִי.

6/21 وقالت سارة قد صنع إلي الله **ضحكا**، من يسمع **يضحك** لي

* * *

أبناء يعقوب وإسحاق (جدول 6)



وجاء كذلك في مكان آخر

וַיֹּאמֶר הֲכִי קָרָא שְׁמוֹ **יַעֲקֹב**, **וַיַּעְקְבֵנִי** זֶה פַעֲמַיִם--אֶת-בְּכֹרָתִי לָקָח, וְהִנֵּה עַתָּה לָקַח בִּרְכָתִי; וַיֹּאמַר, הֲלֹא-אָצַלְתָּ לִּי בְּרָכָה.

فقال [عيسو] إلا أن اسمه دعي **يعقوب** فقد **تعقبني** الآن مرتين أخذ بكوريتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي ثم قال أما أبقيت لي بركة

تغير اسم يعقوب فأصبح ישראל (يسرئيل) (5) مجاهد مع الله ؟!

تغيير اسم يعقوب

تقول التوراة (25/32) لقي يعقوب شخصاً وصارعه حتى غلبه، فقال الشخص اتركني فقد غلبت.

כז וַיֹּאמֶר שַׁלְּחֵנִי, כִּי עָלָה הַשָּׁחַר; וַיֹּאמֶר לֹא אֲשַׁלֵּחֲךָ, כִּי אִם-בֵּרַכְתָּנִי. **כח** וַיֹּאמֶר אֵלָיו, מַה-שְּׁמֶךָ; וַיֹּאמֶר, **יַעֲקֹב**.	و قال اطلقني لانه قد طلع الفجر فقال لا اطلقك ان لم تباركني 28 فقال له ما اسمك فقال **يعقوب**
וַיֹּאמֶר, לֹא יַעֲקֹב יֵאָמֵר עוֹד שִׁמְךָ--כִּי, אִם-**יִשְׂרָאֵל**: כִּי-שָׂרִיתָ עִם-אֱלֹהִים וְעִם-אֲנָשִׁים, וַתּוּכָל	28 فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل **اسرائيل** لانك جاهدت مع الله و الناس و قدرت

وجاء في إصحاح آخر 10/35

וַיֹּאמֶר-לוֹ אֱלֹהִים, שִׁמְךָ **יַעֲקֹב**: לֹא-יִקָּרֵא שִׁמְךָ עוֹד **יַעֲקֹב**, כִּי אִם-**יִשְׂרָאֵל** יִהְיֶה שְׁמֶךָ, וַיִּקְרָא אֶת-שְׁמוֹ, **יִשְׂרָאֵל**.	وقال له الله اسمك **يعقوب** لا يدعى اسمك فيما بعد **يعقوب** بل يكون اسمك **إسرائيل** فدعا اسمه **إسرائيل**

أبناء يعقوب ولئة (جدول 7)

تزوج يعقوب **לֵאָה** (لِأه) وتعني لغة المنهكة ورָחֵל (رَحِلْ) وتعني النعجة=رَخْلة (9/29)

יעקוב (يعقوب) + לֵאָה (لـأه) تقول التوراة וְעֵינֵי לֵאָה, רַכּוֹת: وعينا لـأه منهكتان

רְאוּבֵן (رؤوبَنْ) = (أنظروا الابن) (6)

32 וַתַּהַר לֵאָה וַתֵּלֶד בֵּן, וַתִּקְרָא שְׁמוֹ **רְאוּבֵן**: כִּי אָמְרָה, כִּי-רָאָה יְהוָה בְּעָנְיִי--...[בני]

32/29 فحبلت لينة وولدت ابنا و دعت اسمه **رأوبن** (أنظروا الإبن) لأنها قالت إن الرب قد نظر إلى مذلتي إنه الآن يحبني رجلي

ولدت ثانية **שִׁמְעוֹן** (شِمَعْ أون)(7)= سَمِع أساي

33 וַתַּהַר עוֹד וַתֵּלֶד בֵּן וַתֹּאמֶר כִּי-שָׁמַע יְהוָה כִּי-שְׂנוּאָה אָנֹכִי וַיִּתֶּן-לִי גַּם-אֶת-זֶה וַתִּקְרָא שְׁמוֹ **שִׁמְעוֹן**.

33 و حبلت أيضا وولدت ابنا و قالت إن الرب قد سمع أني مكروهة فأعطاني هذا أيضا فدعت اسمه **شمعون** (سمع أساي)

وولدت ثـــالثة **לֵוִי** (لِوي) = (مُقرنٌ) (8)

34 וַתַּהַר עוֹד וַתֵּלֶד בֵּן וַתֹּאמֶר עַתָּה הַפַּעַם יִלָּוֶה אִישִׁי אֵלַי כִּי-יָלַדְתִּי לוֹ שְׁלֹשָׁה בָנִים עַל-כֵּן קָרָא-שְׁמוֹ **לֵוִי**.

34 و حبلت أيضا وولدت ابنا و قالت الآن هذه المرة **يقترن** بي رجلي لأني ولدت له ثلاثة بنين لذلك دعي اسمه **لاوي** (مُقرن)
(حمداً،عرفاناً)(9)

وولـدت رابـعًا **יְהוּדָה** (يهوده)

35 וַתַּהַר עוֹד וַתֵּלֶד בֵּן וַתֹּאמֶר הַפַּעַם **אוֹדֶה** אֶת-יְהוָה עַל-כֵּן קָרְאָה שְׁמוֹ **יְהוּדָה** וַתַּעֲמֹד מִלֶּדֶת.

35 و حبلت أيضا و ولدت ابنا و قالت هذه المرة **أحمد** الرب لذلك دعت اسمه **يهوذا** (**يحمد**) ثم توقفت عن الولادة

وتلد ابناً خامساً **יִשָּׂשכָר** (يِسَّاخَر) (يـــــؤدي السخرة) (10)

18/30 וַתֹּאמֶר לֵאָה, נָתַן אֱלֹהִים שְׂכָרִי, אֲשֶׁר-נָתַתִּי שִׁפְחָתִי, לְאִישִׁי; וַתִּקְרָא שְׁמוֹ, יִשָּׂשכָר.

18/30 فقالت لينة قد أعطاني الله **سُخْرَتي** لأني أعطيت جاريتي لرجلي فدعت اسمه **يساخر**

وولدت سادساً **זְבֻלוּן** (زبلون) (الباعث على التساكن)

19 וַתַּהַר עוֹד לֵאָה, וַתֵּלֶד בֵּן-שִׁשִּׁי לְיַעֲקֹב.
20 וַתֹּאמֶר לֵאָה, זְבָדַנִי אֱלֹהִים אֹתִי זֵבֶד טוֹב--הַפַּעַם **יִזְבְּלֵנִי** אִישִׁי, כִּי-יָלַדְתִּי לוֹ שִׁשָּׁה בָנִים; וַתִּקְרָא אֶת-שְׁמוֹ, זְבֻלוּן

19 و حبلت أيضا لينة و ولدت ابنا سادسا ليعقوب 20 فقالت لينة قد وهبني الله هبة حسنة الآن **يساكنني** رجلي لأني ولدت له ستة بنين فدعت اسمه **زبولون**

(5) "يسرئيل" = إسرائيل : يتركب اسم إسرائيل، وهو الاسم الثاني الذي سمي به يعقوب، من لفظين، الأول (يسرا)، والثاني (إل). وقد رأينا معنى "إل" أعلاه الدال على المعبود. أما اللفظ الأول فمن جذر שור (سور) ومعناه صارع، ناضل. فيكون معنى الاسم: "المتصارع مع الله" (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً). جاء في التوراة أن يعقوب لقي "شخصا" ليلا، فصارعه، ودام الصراع الليل كله، فلما قرب الصباح قال ذلك الشخص ليعقوب ما اسمك؟ **قال : يعقوب، فقال لا يدعى اسمك فيما بعد. يعقوب، بل اسرائيل لأنك تصارعت مع الله والناس وقدرت**...(تكوين 32 / 28 – 30) فالمعنى الواضح من النص اللغوي التوراتي أن يعقوب صارع الله. غير أن هذا لا يتفق والعقيدة الموحدة، ولا يقبله العقل الإنساني، لذلك فإن أحبار اليهود قالوا إن يعقوب صارع ملاكا ברשית רבה, עז, ב, ג, עח, ב (برشيت ربه 77، 2، 3، و28 و2 שיר השרים רבתי,ג,ה (شيرهشريم ربتي 3، 5). وهذا التأويل الحبراني مخالف للغة وإلا كان يجب أن يكون الاسم هكذا ישר מלאך (يسِرمَلْأخْ) = المتصارع مع الملاك. ومخالف أيضا لباقي سياق التوراة، إذ جاء بعد الفقرات (الآيات) المشار إليها أعلاه: "30 וַיִּשְׁאַל יַעֲקֹב וַיֹּאמֶר הַגִּידָה-נָּא שְׁמֶךָ וַיֹּאמֶר לָמָּה זֶּה תִּשְׁאַל לִשְׁמִי וַיְבָרֶךְ אֹתוֹ שָׁם. 31 וַיִּקְרָא יַעֲקֹב שֵׁם הַמָּקוֹם פְּנִיאֵל **כִּי-רָאִיתִי אֱלֹהִים פָּנִים אֶל- פָּנִים** וַתִּנָּצֵל נַפְשִׁי." (**...30 وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك، فقال لماذا تسأل عن اسمي، وباركه هناك، 31 فدعا يعقوب اسم المكان بنيئل** = (وجه الله)، قائلا، لأني **نظرت الله وجها لوجه ونجيت** (تكوين 32).

وعليه فالمعنى اللغوي الحرفي الذي لا غبار عليه هو : تصارعت مع الله. وقد شرح الإمام السهيلي: اسم "اسرائيل" في كتابه التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام، قال: "**هو يعقوب بن إسحاق، وسمي إسرائيل لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلى الله-سبحانه- فسمي إسرائيل،أي أسرى إلى الله أو نحو هذا،**

فيكون بعض الاسم عبرنياً وبعضه موافق للعربي. وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ"[1].

(6) "رأوبن"، الترجمة الحرفية للإسم هي "أنظروا الابنَ" وفسرت التوراة الاسم هكذا: **"فحبلت لئه وولدت ابنا ودعت اسمه: رأوبن، لأنها قالت إن الرب قد نظر إلى مذلتي בעניי(بعني)"** (32/29). وكان يجب أن يكون الإسم بناء على هذا التفسير، هو ראובעניי "انظروا مذلتي". ونفهم من هذا أن الناسخ ربما أخطأ فأضاف حرف ע (ع) بين الباء والنون، فبدل "في إبني": בבני صارت בעניי "بعنيي": "في مذلتي". وعليه فالأقرب إلى اللغة هو تفسير الاسم بـ :"انظروا الابن"، أي القسم الأول من الاسم ראו = (رؤو) = انظروا، وבן (بن) = الابن. وهذا ما يعيد للئة ثقتها بنفسها، وهي القبيحة الخلق أمام ضرتها راحل الجميلة العاقر. وتكون لفظة בעניי (بَعَنْيي) في الأصل : בבני (ببني) أي أن الأصل الأقرب في التوراة يجب أن يكون בבני (ببني) وليس בעניי (بعنيي) وهذا ما يدل عليه السياق...

(7) "شمعون"، لا ينسجم تفسير التوراة اللغوي مع السياق الدلالي. والمفروض أن تكون الجملة هكذا : "إن الرب سمع أني مكروهة [وسمع أساي]. ونتصور الأصل هكذا: כִּי-שָׁמַע יְהוָה כִּי-שְׂנוּאָה אָנֹכִי **וּשְׁמַע אוני**

(8)-(9) "لِوي" و"يهوده"، الظاهر أن الزواج لم يكن يثبت عند العبرانيين إلا بثلاثة أبناء، ولذلك قالت لئة: هذه المرة يقترن بي زوجي... ولذلك دعي اسمه [ابنها] لوي (المقرن). ولم تطمئن إلا بالولد الرابع لذلك كان هو יהודה (يهوده) = (عرفان) بجميل أفعال الله في حقها.

(10) "يسَّخَر"، تقول قصة التوراة أن ابن لئة البكر حمل من الحقل لفاحا (نباتا) فطلبت ضرة لئة راحل أن تعطيها قليلاً منه، غير أن لئة استنكرت وقالت:

---

1 عبد الرحمن السهيلي، التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلا[تحقيق عبد الله محمد علي النقراط، منشورات كلية الدعوة ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، 1992. ص. 59-60.

كيف تأخذين مني زوجي وأعطيك اللفاح؟ وتم الاتفاق على أن تأخذ راحيل اللفاح وتتخلى للئة عن ليلتها مع يعقوب، فلما جاء هذا الأخير قالت له لئة إلي: כִּי שָׂכֹר שְׂכַרְתִּיךָ (كِي سَخُرْ سَخَرْتيخَ) = لأني سخرة استخرتك = أجرة استأخرتك ، وعليه اسم الابن جاء من الآيتين : 17 – **أجرة استأخرتك** و18 – قد أعطاني الله **أجرتي [سخرتي]**... فدعت اسمه **يساخر** = يجازي بالسخرة.

* * *

أبناء يعقوب وزلفة جارية لئة (جدول 9)

יעקוב (يعقوب) + זִלְפָּה (**زلفة**)

ورأت لئة أنها انقطعت عن الولادة فوهبت يعقوبَ جاريتَّها فولدت (تكوين 9/30)

גָּד (كَــدْ)= (سَعْدٌ، جَد =حظ)

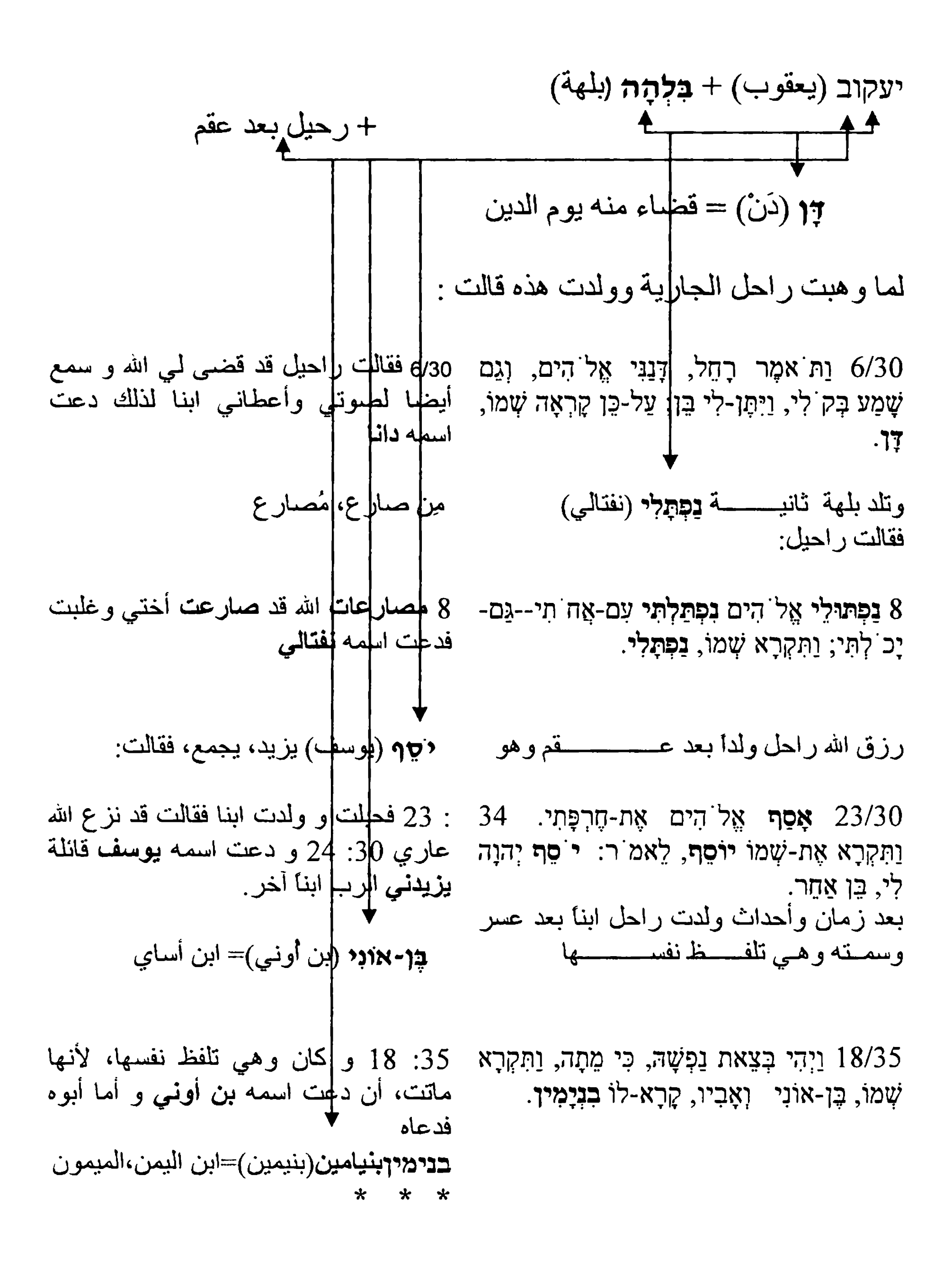
וַתֵּלֶד זִלְפָּה שִׁפְחַת לֵאָה-לְיַעֲקֹב בֵּן. יא וַתֹּאמֶר לֵאָה, בגד (בָּא גָד); וַתִּקְרָא אֶת-שְׁמוֹ גָּד.	30: 10 فولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب ابنا 11 فقالت ليئة بسعد [جاء سعد] فدعت اسمه جادا

وولدت زلفة ثانــــة **אָשֵׁר**(أشِرْ)(مُغْبط)

12 וַתֵּלֶד זִלְפָּה שִׁפְחַת לֵאָה בֵּן שֵׁנִי לְיַעֲקֹב. 13 וַתֹּאמֶר לֵאָה--בְּאָשְׁרִי, כִּי **אִשְּׁרוּנִי** בָּנוֹת; וַתִּקְרָא אֶת-שְׁמוֹ, **אָשֵׁר**.	12 وولدت زلفة جارية ليئة ابنا ثانيا ليعقوب 13 فقالت ليئة بغبطتي لأنه يغبطني بنات فدعت اسمه آشر

أبناء يعقوب وراحيل (جدول 10)

יעקוב (يعقوب) + **רָחֵל** لم تلد راحيل أول الأمر فوهبت جاريتها بلهة ليعقوب



* * *

من شجرة الأنساب هذه، نرى أن يعقوب رزق من زوجته لئة وجاريتها زلفة وراحل وجاريتها بلهه أبناء هم من لئة : رؤوبن شمعون لاوي يهوده يسخر وزبلون (6 أبناء). ومن جاريتها زلفة: گَدْ وأشِرْ (2). ومن زوجته راحيل: يوسف وبنيمين (2). ومن جاريتها: دان ونفتلي (2). وهؤلاء هم أسباط بني إسرائيل الاثنا عشر. وقد تحدثت التوراة في الإصحاحات الباقية من سفر التكوين، أي إلى آخر الإصحاح الخمسين، عن هؤلاء الأسباط ومواليدهم وتنقلاتهم واستقرارهم بأرض مصر إلى موت يوسف.

מֹשֶׁה موسى

لم تذكر التوراة موسى إلا في السفر الثاني، أي سفر الخروج، ولم يرد له فيها نسب، وإنما اكتفت التوراة بأن قالت: "**1 وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي. 2 فحبلت المرأة وولدت ابناً...**"(حتى هنا لم يسم موسى باسم. (خروج الإصحاح الثاني، 1 - 2)

ألقي موسى في اليم فالتقطته ابنة فرعون، وسلمته إلى أمه دون أن تعرفها لترضعه.

10 וַיִּגְדַּל הַיֶּלֶד, וַתְּבִאֵהוּ לְבַת-פַּרְעֹה, וַיְהִי-לָהּ, לְבֵן; וַתִּקְרָא שְׁמוֹ, מֹשֶׁה, וַתֹּאמֶר, כִּי מִן-הַמַּיִם **מְשִׁיתִהוּ**

...10 ولما كبر الطفل جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً، ودعت اسمه موسى = المنتشل، **وقالت: إني "مَشِيتِيهو"** = **انتشلته** من الماء.

ملاحظات

1 - **بعض دلالات هذه الأسماء رموز كونية :**

آدم: أصل الإنسان الذي هو جزء من الكون المادي، فالأدمة التراب. لذلك فمكوناته هي مكونات الكون. ولذلك أيضاً عده بعض الفلاسفة عالماً صغيراً.

حواء: أصل استمرار الحياة وتربة الخصب الإنساني.

نوح: توقف الحياة واستراحة الخلق، إذ الطوفان فاصل بين عالمين، وما بعده خلق جديد مثل فيه نوح آدم الثاني.

هابل: الهباء – والزوال بعد وجود، إذ مقتل هابل أول باطل في الأرض، ويعني الباطل هنا شيئين : إبطال الوجود بالموت، ووقوع الباطل بالقتل.

قايين: ارتباط الإنسان بالأرض، فهو "قين" لأن الإنسان يخدم نفسه فالأرض غير الجنة التي طرد منها آدم، وكان يرزق بدون تعب.

موسى: الانتشال، إذ تعتبر بعثة موسى انتشالا للإنسان من وثنية الكفر وتوجهه إلى خالق واحد أحد خلق الكون ودبره.

2 - رموز الأعلام في دلالاتها

آدم ارتباط بالأدمة وهي الأرض. وحواء أم الحياة. وقايين تأكيد لارتباط الإنسان بالأرض والاقتناء. والموت هباء يقع على الإنسان، وقد وقع على هابيل. ونوح استراحة الكون والأرض. وسام يمثل القداسة في حين يمثل حام السوء والسواد، ويمثل يافت الجمال. أما إبراهيم فهو أصل الشموخ، منه تناسل نسل تفرعت عنه المماليك، وقد ارتبط بمرأتين: إحداهما أصابتها الضراء بالعقم فهي صارة، وأخرى، هاجر، كتب عليها أن تعيش الهجرة والترحال مع ولد سمع الله لها فيه، وهو إسماعيل. وتلك تلد في سن تُضْحِك الولادةُ فيه، ويُضْحِك الإخبارُ به وتُضْحِك البشرى من أجله، فهو إسحق = إصحق =إضحاك. وحفيد هذا يتعقب أخاه في الخروج من البطن ويتعقبه في امتلاك البكورة، وهي علامة النبل واستمراره، ويتزوج يعقوب هذا امرأة منهكة البصر: لئة، وعندما تلد تفتخر بابنها "رؤوين" = انظروا الابن. وتلد ثانيا يسمع الله فيه أساها : شمع + أون، ويؤكد الثالث بقاء زوجها معها فهو مقرن = لاوي، وتعترف لله بالرابع: يهوده. وتؤدي السخرة لضرتها في ليلة يعقوب، فتسمي وليد تلك الليلة يسخر ... وهكذا دواليك.

3- الاسم والمسمى بين الحقيقة والمعجزة

إن هذه الأسماء التي تدل على ما آل إليه أمر أصحابها، لا يمكن أن تكون هي أسماؤهم الأصول، منذ ولادتهم، إلا إذا كانت أمثالا إلهية. فمن درى من قبل بأن بنوح **تنوح** (تستريح) الحياة. وأن ساماً سيكون أصل "نخبة" الخلق (سمو)، وأن أخاه حاماً سيكون أصل أعدائهم، فوصف بالسواد، وأن إبراهيم سيكون أصلا لفرع إنساني تسامت أرومته، وأن زوجته منذ ولدت وأمها تعرف بأنها ستكون عاقراً "ضارة"، وأن أم هاجر كانت تعلم بأن ابنتها ستحمل عصا الترحال فسمتها بالمهاجرة.

4 ـ **بعض هذه الأسماء يدل على الدونية**

حام ـ سواد. هاجر ـ عدم الاستقرار. عيسو ـ الحمرة أي الخشونة.

5 ـ **تغيير هذه الأسماء دليل على المباركة والقداسة**

أبرام ـ إبراهيم ـ ضارة ـ سارة. يعقوب ـ إسرائيل.

6 ـ **وجوب إعادة النظر في الترجمة التوراتية الحالية.**

لا يمكن أن يفهم القارئ المعاني الخفية لهذه الأسماء إذا لم يربط جذر المعنى العام بالصيغة الإسمية (انظر الأسماء).

7 ـ **بعض هذه الأسماء تعكس كثيرا من واقع المجتمع وعاداته**

مثل الارتباط بالأرض ودور البكورية، وأهمية تعدد الأبناء، ومأساة العقم، وتعدد الزوجات، وزواج البنت البكر قبل الصغرى، والهجرة والتنقل، ودور المعجزة والصراعات العائلية.

8 ـ **صيغ الأسماء**

صيغ الماضي : (شت) = عَوَّضَ (دن) قضَى، حكَم.

صيغ المضارع (يصحق = يضحك. (يعقب) = يتعقب (يسخر) = [يستأجر] يستأجر. (يهوده) يعترف، يشكر.

أسماء صفات : (قين) = المقتنى [القين]، (هبل)= الهباء. (نح)=الارتياح (شم) = سامي (مجاز)، سَرَي) عاقر (سَرَّه) = شريفة. (هجر) = مهاجر (مشه) = المنتشل.

أسماء مركبة :

(أبرم - أبرهم = الأب الأعلى. الأب الأعلى لجمهور.

(يشمع + إل) = سمع الله.

(يسر + إل) = يصارع مع الله.

(رؤوين) = انظروا الابن

(شمع + أون) = سمع أساي

(بن أوني) - ابن أساي.

(بن + يمين) = ابن اليمن.

9- أسماء مشتركة في الأصل اللغوي

لهذه الأسماء معاني مشتركة في اللغات العروبية، ولذلك فجلها عربي ولا يُخفي معناها إلا اختلاف مخرج الأصوات. وفي اللغة خفايا غير هذه، قد تعود أسبابها إلى عواصة الأصول، وغموض بعض قضايا التاريخ، وفي الفصل الموالي أنموذج مما نريد قوله.

الفصل الرابع

الأصول المصرية للمعتقد اليهودي[1]
ما علاقة الكتابة العبرية بالرموز الهيروغليفية؟

من البحوث التي اهتمت بالتوراة (العهد العتيق) من منظور علم الحفريات (الأركيولوجيا) وبالعودة إلى الكتابات المصرية القديمة، كتاب **خفايا الخروج: أصول العبريين المصرية**، لمؤلفيْه Messod وRoger Sabbah[2]. تضمن الكتاب بعد مقدمته ستة عشر فصلا هي: المدفن وأسراره، فرعون الخروج، نُصْب عودة "أمون"، الأسرة الثامنة عشرة، العهد العتيق و"آي"، التكوين، الفردوس المفقود، إبراهيم المصري، هل كان يوسف هو "آي"؟ الخروج، هل كان هارون هو "حورم هب"؟ هل كان موسى هو رمسيس الأول؟ هل كان يهوشع هو سِتِي الأول؟ حمارة بلعم، خروج مَسَّيْ، فرعون السلام.

يظهر من هذه العنواين التي عنون بها المؤلفان فصول كتابهما ما فيه من دعاوى جريئة تبتعد عما عرفه الناس عن العهد العتيق وشخوصه وحقائقه. ولهذا السبب أثار الكتاب كثيراً من ردود الفعل، وفيها الإيجابي وفيها السلبي. على كل حال، فإن ما أثاره المؤلفان في كتابهما اعتماداً على الحفريات وتأمل الرسوم المصرية وقراءة نصوصها ومقارنتها بالنصوص التوراتية، يدعو إلى التأمل وقراءة الكتاب بكثير من الحيطة والتدبر.

---

1 شاركنا بهذا البحث في مائدة من موائد كلية الآداب-الرباط ومؤسسة كنراد أديناور، ولم ينشر بعد.
2 ظهر الكتاب بالفرنسية في 556 صفحة من الحجم العادي وعنوانه بالفرنسية هو:
Les secrets de l'Exode, L'origine égyptienne des Hébreux, Seld/ Jean-Cyrill Godefroy, Paris, 2000.

بالإضافة إلى هذا، أثار الكتاب في نفس الآن، قضية ذات وجهين، فقد رأى بعض نقاده أن مؤلفيْه يريدان أن يوحيا بأن الحضارة المصرية لا تجد لها أسسها إلا في فعل العبريين، وأنهم هم الذين رفعوا مجد مصر، وأن مجريات أحداث التوراة أمور وقعت حقاً في التاريخ بكل تفاصيلها. ورأى آخرون بأن المؤلفين بفعلهما هذا، يهدمان كل ما تعارفت عليه الأجيال فيما يتعلق بالديانة اليهودية، ففي حين كان المتعارف عليه أن أصول اليهودية تنحصر فيما بين إبراهيم وموسى ثم في باقي بني إسرائيل، وما وقع من أحداث هي بين مدينة "أور" ومَديْنَ وفلسطين، وبفعل إلهي، ها هما المؤلفان يرجعان اليهودية إلى أصول مصرية ولا غير، وأنها حدث من أحداث المنازعات الأسروية الفرعونية ودسائس السياسة، وأن الفعل الإلهي الحق غائب فيها كل الغياب، وأن مجرياتها وشخوصها هي خلط في التاريخ، وخيالات هي بنت التصور الإنساني ومن صنعة المدونين.

من مرتكزات هذا الكتاب وبما وصفناه عليه، علاقة الحرف العبري بالرموز الهيروغليفية المصرية. فالحروف العبرية في رأي المؤلفين، هي امتداد للهروغليفية، وبدون قبول هذا لا يمكن فهم تاريخ مصر ولا الديانة اليهودية في تطورها.

سنقف هنا في تقديمنا للكتاب، لأن مساهمتنا في هذه الندوة، تنحصر في ترجمة جزء من الكتاب يتمثل في المقدمة وفي جزء من الفصل الأول، ويهتم هذا الجزء بعلاقة الحرف العبري المستعمل اليوم بالرموز الهيروغليفية، وبعلاقة الديانة اليهودية بالأحداث المصرية الداخلية في ذاك التاريخ. وعلى نتائج هذا القسم بنى المؤلفان كل الكتاب. وسنعود إلى أمر علاقة الحرف العبري والرموز الهيروغليفية بعد نص الترجمة وإليكها.

ترجمة النص

مقدمة

يَعْتَمِد هذا المؤلَفُ أصولاً له في البحث، العهدَ العتيق العبري وترجمتَه الآرامية، وكذا النصوصَ القديمة المصرية. فقد كتب جان فرنسوا شامبليون Jean-François Champollion، رائدُ علم المصريات، في كتيبه "نحو [اللغة] المصرية" ما يأتي: **"تقتضي المعرفة الحقيقية لمصر القديمة، الرجوعَ إلى الدراسات التوراتية، ويمكن للنقد الديني أن يفيد من ذلك كثيراً"**. وكان أيضاً سيگموند فرودSigmund Freud، الذي كان مهووساً ومفتوناً بموسى المصري، قد اقترح نظريته بعد الحفريات التي وقعت في تل العمارنة، وهو موقع العاصمة القديمة "أخت أتون" في مصر الوسطى، وقد قال: **"نأمل اليوم أن يكون هذا الاستنتاج صحيحاً، فإذا افترضنا وكان موسى مصرياً، وإذا افترضنا أنه نقل دينه الخاص إلى اليهود، فإنه يكون ذاك الذي لـ"أخن أتون"، دين "أتون"**. وأضاف: **" لو كنت كثير اليسار، لوفرت ما تستلزمه نفقات متابعة الحفريات ..."**[1].

لم يستطع افرُود Freud الانشغال بالنظر الناقد في قضايا العهد العتيق الدينية، على الرغم مما كان له من إرهاصات في ذلك. وبعد مكتشفات شامبليون، أماطت مقاربةُ ما توصلت إليه الكشوفات مع بعض طروحاته، اللثامَ عن أعظم الاكتشافات: الأصول الحقيقية للديانة الموحدة.

لقد أضفت القراءة النافذة للعهد العتيق، اعتماداً على تفاسير "راشي" [الربي شلمو بن إسحق][2]، وهو من كبار علماء التوراة والتلمود، والذي كان يعتمد التوراة في نصها الآرامي، مزيداً من المعلومات أكدت كلها حقيقة هذا الاكتشاف.

---

1 Freud, L'Homme Moïse et la religion Monothéiste, Gallimard, 1986/

2 "رشي" لفظ مركب من الحروف الأولى للقب واسم ونسب هذا العلم اليهودي: ر=ربي.ش= شلومو. ي=يسحق=إسحق. (الربي شلومو بن يسحق [إسحق]). وبهذا عرف في التراث اليهودي. [المترجم].

ومع أهمية العهد العتيق هذه، فإنه ما كان يعد مكوناً من مكونات علم المصريات. وعلى الرغم من أن مجريات القسم الكبير من الرواية التوراتية، كانت قد حدثت في مصر القديمة، فإنه لحد الساعة لم يأت في البحوث الأركيولوجية شيء يشير إلى إبراهيم ويوسف وموسى.

وإلى اليوم، فإن العلماء يجدون لفظ "العبريون" يقترب بشكل من الأشكال، من لفظ "أبّيرو" "Apirous" أو "أبيرو" "Abirous"، بل إلى "شاسو" "Shasous"، وعلى كل حال، فإنهم يقارنون هؤلاء بهؤلاء الأقوام البدو شبه الرحل، الذين كانوا يعيشون على هامش المجتمع المصري.

ولم تأت هذه المقاربات بشيء، وضاع الشعب العبري في منعرجات التاريخ. ولعل الذي أربك المفسرين، هو هذا اللفظ "عبريون" الذي أطلقه عليهم مدونو العهد البابلي[1] (القرن 6 ق.م). ولا وجود لأي دليل أركيولوجي على وجودهم بالطريقة التي وصفوا بها في سفري التكوين والخروج.

وهكذا فقد أثار علماء المصريات أسئلة محيرة، مثل: هل يمكن لساكنة عاشت 430 سنة في بلاد مصر، منها 210 سنة تحت الاستعباد الذي مارسه عليهم عديد من الفراعنة، أن تفر من هذا المكان دون أن يشعر بها الجيش المصري؟ وهل يمكن أن يستقر هؤلاء في بلاد كنعان دون أن يثيروا أي رد فعل من السلطات الفرعونية، مع العلم أن هذه الولاية كانت دوماً تحت حكم مصري...؟ كيف يمكن لهذا الشعب الذي أُشْرِبت معظمُ تقاليده حكمةً مصرية، أن يختفي هكذا فجأة؟ لماذا لم تُفِد مائتا سنة من البحوث في الرمال والمدافن والهياكل بأي شيء؟

إن مقاربة جديدة للنصوص التوراتية مع ما أسفرت عنه البحوث الأركيولوجية التي جرت وقائعها في مصر القديمة، بدءاً من العادات الخاصة

---

1 فرود، المرجع السابق، ص. 96 و123.

جداً، كالختان، وحتى تقديس الأموات، هي التي تظهر جلياً أن الواقع التاريخي هو أبعد بكثير من "الحقيقة التوراتية".

لقد كان النحويُّ أنطوان فابر دوليـڤـي Antoine Fabre d'Olivet[1]، الذي درس اللغة العبرية دراسة دقيقة في بداية القرن التاسع عشر، دقيقاً حيث قال: **"قد قلت إني سأعتبر اللهجة العبرية التي يتضمنها مجموع أخماس التوراة، فرعاً متفرعاً عن اللغة المصرية. إنه زعم لا أستطيع في اللحظة الحالية التدليل عليه تاريخياً، لأنه سيجعلني ألتزم بالنظر في تفاصيل بعيدة جداً عن الموضوع الذي أنا بصدده. غير أنه يكفي هنا في هذا، النظرُ السليم. ذلك، أنه كيف ما كانت الطريقة التي دخل بها العبرانيون مصر، وكيف ما كانت تلك التي خرجوا بها منها، فإنه لا يمكننا إلا أن نسلم بأنهم قضوا فيها زمناً طويلاً..."**

وأثبت كليمون أليكسندري Clément d'Alexandrie، حوالي العام 200 ب. م. **"أن الألغاز والرموز المصرية هي شبيهة بمثيلاتها عند العبريين"** [2].

وقد علق العالم فريدريك پورتال Frédéric Portal، المختص في الدراسات العبرية، في كتابه "الرموز المصرية" على الفقرة أعلاه بما يأتي: **"لا يمكن لكليمون الأسكندري، الذي نظر طويلاً في العهد العتيق، أن يقوم بهذه المقاربة الرائعة، وهو المسيحي والمصري، إذا لم تكن تحت نظره البراهينُ القاطعة للدلالة على حقيقة زعمه، فهذه الفقرة المبنية على أساس، تحتاج إذن إلى تطبيق، وليس هناك إلا إمكانية واحدة، تلك هي البحث في العهد العتيق واللغة العبرية، عن حقائق الرموز المصرية".**

فهل حقاً يعتبر العبريون الأحفادَ الحقيقيين للمصريين القدماء؟

وهل حقاً هم سكان [مدينة] "أخِت-أتون" (المعروفة اليوم بتل العمارنة)، الذين اضطروا إلى مغادرة عاصمة الدولة الرائعة هذه، نهائياً على

---

1 كان Antoine Fabre d'Olivet (1768-1825) لسانياً ونحوياً مختصاً في اللغات العروبية، وهو مؤلف كتاب La langue hébraïque restituée

2 Clément d'Alexandrie, Stromates V.

عهد "توت عنخ أمون"، حوالي 1344 ق.م، وكانوا هم سكانها الأوائل والأواخر؟

هؤلاء المصريون، كهنةً وكَتَبَةً وأعياناً ونخبة الأمة، كانوا هم أوائل الموحدين في تاريخ الإنسانية، وكانوا يؤمنون بإله واحد هو "أتون". ولعلهم اتهموا بأنهم خالطوا الرعاع، فأخرجوا من هذه المدينة وأبعدوا من وطنهم الأصلي.

ولعل ما أخذوه معهم لم ينحصر في متاعهم وحسب، بل حملوا معهم ما كان يُكَوِّن حظهم الفكري الذي تجمع على مدى مئات السنين، مع ما كان لهم من مكتسبات روحية وتقاليد مكتوبة وشفوية. وبعد أن وصلوا إلى موطنهم الجديد كنعان، منطقة يهودا الحالية، وكانت إذ ذاك تحت حماية مصرية، تلاءم ما حملوا معهم من موروث الأجداد والكتابةِ الفينيقية، مما خلق ألفبائية جديدة، "عبرية-هيروغليفية"[1].

ولعل العاصمة "أخِت-أتون" هُجرت دون أن تعرض لخراب، كما يعتقد ذلك معظم علماء المصريات والمؤرخين. وربما عاد سكانها الموحدون إلى الدين القديم الذي كان يحميه أمون (دين التعدد)، دون حدوث فتنة "وبسلاسة". إن هذه النظرية لا تعتمد أي دليل، وإلا كيف يمكننا أن نفسر هجرة هؤلاء المصريين عاصمتهم الأعظم والأجمل في الدنيا، إذا لم يحدث مثل هذا الذي تصورناه؟

1كانت هناك ألفبائية هيروغليفية تتكون من أربعة وعشرين رمزا غير أن هذه لم تستعمل كثيرا لأسباب دينية. وكانوا يستعملونها لنقل الأسماء الأجنبية. أنظر

2 Maria Carmelac Betro, Hiéroglypes, Les mystères de l'écriture, p. 2 Flammarion, 1955.

الفصل الأول: المدفن وأسراره

[تركنا هنا فقرة من الفصل تتكون من 10 صفحات بها رسوم وكتابات وصفحة من التوراة بالنصين العبري والآرامي. وفي الصفحات أيضاً حديث عن اكتشاف مدفن "توت عنخ أمون" وما كان به من مومياء ومن موجودات أخذت فيما بعد ووضعت في المتحف المصري. وتتضمن هذه الصفحات أيضاً قراءة للرسوم والكتابات ومقارنتها حرفاً ورمزاً (عبرية-هيروغليفية) بما جاء في العهد العتيق، وننتقل مباشرة إلى ما يهمنا، وهو علاقة الكتابة العبرية بالحروف الهيروغليفية في الصفحة 19 من الكتاب].

الكتابة العبرية هي حروف من أصول هيروغليفية

تقرأ النصوص الهيروغليفية عامة من اليمين إلى اليسار، مثلها مثل النصوص العبرية. ولا وجود لحركات الشكل في اللغتين. ولا يوجد نص من النصوص العبرية المقدسة مشكولا أصلاً، فالقراءة الشفوية التقليدية وحدها، وهي حافظة اللغة، هي التي مكنت من إدخال أصوات الحركات تدريجياً بين الصوامت التي تتكون منها النصوص.

وهو نفس الأمر في الهيرغليفية. فعلماء المصريات هم الذين اصطلحوا على هذه الصوائت تسهيلا للنطق والفهم. ولم يضع Champollion شمبليون أبداً صوائت في نقوله للنصوص الهيروغليفية[1]، اعترافاً منه بحدود معرفته. وأكيد أنه راعى في ذلك ما ظلت تحتفظ به هذه النصوص من أسرار بطبيعة الحدود المعرفية.

---

1 Champollion, Grammaire égyptienne, réed. Solin, 1977.

وهكذا ستظل حقيقة الكلام القديم المصري غير معروفة، لأن تواتره الشفوي انقطع ولم يصلنا. وترجمات النصوص السارية اليوم، لا بد أنها في معظمها غريبة عن نطق كلام الفراعنة.

والنطق الذي يفترضه الباحثون اليوم، مستمد من القبطية والإغريقية واللاتينية (خصوصاً فيما يتعلق بأسماء الآلهة المصرية). في حين أن التقريب بين "العبرية-الهيروغليفية" لم ينل منهم كبير عناية.

غير أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن العبريين ساكنوا المصريين زماناً امتد أربعة قرون وثلاثين سنة، كما تشير إلى ذلك النصوص، فإنه يظهر لنا أنه من غير الممكن أن لا تكون هناك وشائج قربى بين لغتهم ولغة الفراعنة. وفي الحقيقة فإن وجوه التشابه بين اللغتين وتماثلهما متعددة، بل أحياناً واضحة الجلاء. مثال ذلك الأسماء المشتركة وأدوات التعريف وحروف النسب والصيغ النحوية والسوابق واللواحق وأسماء الأعلام والعدد وأسماء الملوك والآلهة وغيرها. ولا حاجة بنا إلى التذكير بأن مجريات الجزء الكبير من تاريخ العهد العتيق كلها جرت في مصر القديمة على عهد الدولة الجديدة. ولا حاجة بنا أيضاً إلى التذكير بأن فرعون كان الشخصية الأبرز في مدونة العهد العتيق، على الرغم من عدم ذكر اسمه صراحاً. ونظراً لكثرة الإفادات الواردة في "العهد العتيق" المتعلقة بمصر، يجب أن يعتبر هذا الكتاب مؤلفاً في علم المصريات. وبناء عليه فإنه من المفيد في عديد من الحالات أن يرجح التلفظ السامي (عربي-عبري) الذي يعود إلى ألفين وخمسمائة سنة، على التلفظ المعاصر.

وستؤكد الدراسات المقارنة للحروف العبرية والرسوم الهروغلفية، بأن الشعب الذي خرج من مصر أُشرِب بالثقافة الكنعانية والفينيقية، وأعاد النظر من أجل وضع مبادئ نوع من الألفبائية بسطت مشكل الكتابة العويص، دون أن يهمل جانب التقديس المرتبط بالشكل الهيروغليفي.

كانت الألفبائية الفينيقية تتكون من اثنين وعشرين حرفاً، في حين أن الكتابة الهيروغليفية تضمنت حوالي ثلاثة آلاف...وكان من يريد أن يتعلم

الهيروغليفية يحتاج إلى عشر سنوات، في حين كانت بعض أسابيع كافية لقراءة وكتابة الحروف الفينيقية.

ولا يخلو هذا التشابه من أهمية، وسيكشف عن اتصال مباشر بين الشعب المسمى "عبريون" وحضارة مصر القديمة.

غير أن الباحثين، بعد مقارنة بين الألفبائية العبرية والفينيقية، حكموا سريعاً واعتقدوا أن الكتابة العبرية اشتقت مباشرة من الفينيقية.

وإذا كان مؤكداً التوافق بين عدد الحروف (اثنان وعشرون) في كل من الألفبائيتين[1]، فإنه من الصعوبة بمكان قبول التشابه الشكلي فيما بينها، أو هو تشابه محدود جداً كما يوضح ذلك الجدول الآتي:

א	الف وهو أيضا حركة
ב	ب ڤ
ג	ݣ
ד	د
ה	هـ
ו	و
ז	ز
ח	ح
ט	ط
י	ي
ך כ	ك خ
ל	ل
ם מ	م
ן נ	ن
ס	س
ע	ع
ף פ	ف
ץ צ	تص (ص)
ק	ق
ר	ر
ש	ش
ת	ت

1 L'aventure des écritures, pp. 90-95, Bibliothèque nationale de France, 1997.

وليست النظرية القائلة بتطور الكتابة الفينيقية المدعوة "قديمة "، تدريجيا عبر الزمان، إلى أن آلت إلى ما عليه الكتابة العبرية، بالأمر الموثوق حقاً. والعلاقة التي بين الرموز الفينيقية والعبرية ليست شيئاً يذكر.[1]

وفي مقابل ذلك، تتجلى بداهة العلاقة المباشرة بين الحروف العبرية والهيروغليفية في جانبها الصوتي وشكلها وفي قيمتها الرمزية الدالة على الأعداد في غالب الأحيان، وفي إحالاتها على المعبودات والعقائد المصرية.

والكتابة العبرية هي شكل من أشكال الكتابة المصرية، إنها الفبائية "عبرية-هيروغليفية"، وبعض من حروفها التي حافظت على شكلها الأصلي هي حقاً حروف هروغليفية.

---

1 أنظر بَرْدِيَّة البحر الميت التي تتضمن الحروف الأربعة المكونة لاسم الربوبية "يَهْوَه" بالحرف القديم، Millar Burrows, p. 256

א تمثل **الألف** صورة "أتون" و"أمون".

ألف عبرية التعبان "رع" على رأس "حورس" "أتون" "أمون".

ב تمثل **الباء** الفعل الإلهي الباطن **في** الوجود.

ב

الباء العبرية تعني "**في**" الهيروغليفية "**في**".

ג **الـكـيمل** تمثل قصبة على قدمين، وترمز إلى الفرعون.

ג

كيمل مقابله المصري (في عهد أخناتون).

ד ترمز الدَّلِتْ في الهيرغليفية إلى الإله "(أدُنَايْ).

ד

الدَّلِتْ الإلـــه.

ה تمثل **الهاء** شيئين اثنين: النفس الإلهي ورمز العدد خمسة، أسماء فرعون الخمسة

ה الإله الكبير

الحرف العبري رمز هيروغليفي يرمز لـ "الإله الكبير".

ו تمثل الواو الأفعى ذات القرنين وحامل لهب الهيكل.

ו
واو عبري واو هيروغليفية (ف).

ז يمثل زاينْ صولجان "بتاح".

ז
زاين صولجان "بتاح".

ח الحاء رمز لأخيتْ، مدينة أتون المقدسة.

ח
حاء عبرية أخيتْ المصرية (أخيت أتون).

ט الطاء أبو منجل (طائر) المقدس. طائر أبيض وهو يمثل "طوت" إله المعرفة (طوت=ذعتْ= و ذعتْ هو اللفظ الذي يدل على المعرفة في العبرية).

ט
الطاء العبرية أبو منجل المقدس طوت.

י اليود [ياء] وجدت رسوم حرف الياء في أهرام الملوك منذ غابر الأزمان، وهي تمثل الطاقة الخلاقة للكون. إنها القصبة التي تمثل الملك لمصر العليا والسفلى.

י
الياء العبرية الياء المصرية

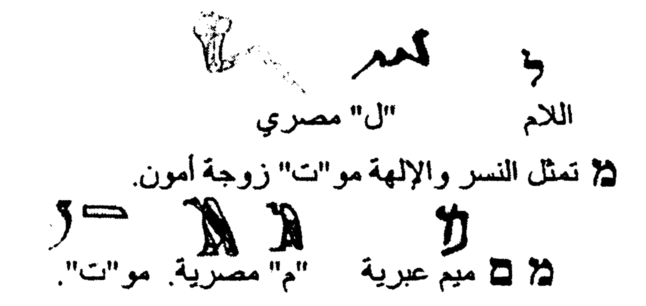
כ الكاف هي رمز قوة الحياة.

כ
الكاف الكاف أو الخاء المصرية.

ך كاف الأخير صورة من صور الصولجانات، الملوكية المعقوفة لأوزيريس.

ך الكاف الأخير عبري. الكاف الأخير بخط اليد. صولجان "هيك" فرعون.

ל اللام تمثل الأفعى المثلثة الرأس وعصابة رأس الفرعون.

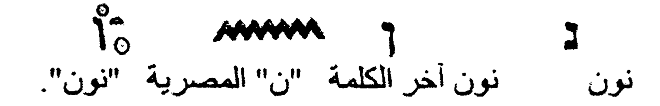


اللام "ل" مصري

מ تمثل النسر والإلهة مو"ت" زوجة أمون.

מ ם ميم عبرية "م" مصرية. مو"ت".

נ تمثل النون أقيانوس النشأة حيث خلقت الألهة.



نون نون آخر الكلمة "ن" المصرية "نون".

ס يمثل السمخ الثعبان، كما يمثل تعاقب الليل والنهار.



سمخ رمز "س".

ע تمثل العين "بتاح" يحمل صولجانه.

عين عبرية "بتاح".

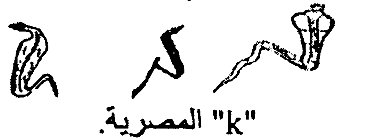
פ الفو يمثل فم "بتاح" الذي عنه تصدر الكلمات المقدسة.

"ب" العبرية "بتاح" المصري "ب" المصرية.

צ ץ

تصادي العبرية "أخِنَتون" يسجد أمام "أتون" تصادي مصرية.

ק تمثل القاف الثعبان الأصل وهو الذي يمثل صورة الإله.



ק

قاف عبرية "k" المصرية.

ר الراء مثلها مثل الدال رمز للإله، وهي نسخ لـ"رع"، الشمس التي عنها تصدر الحياة على وجه الأرض.

ר

الراء العبرية إله في مصر.

ש تمثل الشين حقل القصب، ويذكر بعهد ظهور الأشجار والنباتات.



ש

الشين العبرية الشين المصرية.

ת تمثل التاء صورة "هاتور" البقرة الساهرة على عيش المصريين.



ת

التاء العبرية رمز "هاتور".

[لم أترجم هنا فقرة من 12 صفحة يفصل فيها المؤلفان الكلام في الحروف "ה=هـ" و"י=ي" و"ש=ش" و"צ,ץ=ص" ويستخرجان رسومها ومقابلاته الهيروغليفية من نصوص مصرية، ويشرحان تطورها وأصولها وربطها بالكتابة التصويرية والهيروغليفية، وننتقل إلى قضية أساسية في تاريخ اليهودية، وهي قضية خروج بني إسرائيل من مصر. متى حدث؟ وكيف؟ ومن أين؟ ونتابع الترجمة من صفحة 40].

لغز الخروج في رواية العهد العتيق

هل حَدَثُ الخروج الوارد في العهد العتيق ينبني على حقائق تاريخية؟

هل له علاقة بمغادرة عاصمة "أخن أتون" التي هي اليوم تل-العمارنة؟

قصة حَدَثِ الخروج الواردة في العهد العتيق، هي قصة شعب العبرانيين، عبيد فرعون، الذين أجبروا على العمل المستمر، وبلا أمل في الانعتاق. وفُرضت عليهم في ذلك العمل جميع أنواع الأعمال الشاقة، من الفلاحة إلى عمل اللَّبِن من الطين والتبن، وأقاموا مدينتي پتوم ورمسيس، وكانت هذه الأخيرة، وهي پِّـ رمسيس، تعد لتكون عاصمة الفرعون رمسيس الثاني.

وقد اعتَبَرَ فرعونُ ذلك العهد، الذي لم يُذكر اسمه على الإطلاق في العهد العتيق، والذي "لم يطلع يوماً على ما كان ليوسف من جليل الأعمال في مصر[1]"، شعبَ العبرانيين، أكثر عدداً وأقوى من المصريين، فأعلن:

"10 هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أن ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا و يتركون البلاد" (الخروج 10/1).

وجاء في العهد العتيق أنه كان في مصر شعبان: المصريون والعبريون (بنو إسرائيل). ولم يكن فرعون يتوجس أي خيفة من هؤلاء الأخيرين ما داموا قلة، على العكس من ذلك، كان يخاف أن تذهب هذه "اليد العاملة"، وكان شديد الاحتياج إليها. لقد كانت هذه المجموعة تكون قوة حيوية من الفَعَلَة والفلاحين الذين تحتاجهم مصر.

وتوقياً من خطر ديموغرافي مهدد، اتخذ فرعون قراراً حاسماً، ذاك هو: أن يهلك كل مولود بكر عبري. ولم تنفذ القابلات ما أمر به فرعون خوفاً من الله.

---

1 الخروج، 8/1.

ثم أصدر فرعون أمره لجميع شعبه قائلاً: **"اطرحوا كل مولود [عبري] في النهر"**. وهنا تبدأ قصة موسى الذي أنقذته ابنة فرعون من ماء النيل: **"فصار ابناً لفرعون"**[1]. وقتل موسى ذات يوم مصرياً اعتدى على عبري، وفي الغداة وجد عبريَّيْن يتنازعان فأراد أن يفصل بينهما، فقال له أحدهما أتريد أن تقتلني كما فعلت بالأمس، وكان يظن أن لم يره أحد، فخاف من أن يفتضح أمره ففر إلى بلاد مَدْيَنَ. وهناك تزوج "صِفُورَا" واحدة من سبع بنات "يترو" كاهن مَدْيَنَ الأعظم. وبعد معجزات العليقة المشتعلة وشفاء اليد المصابة بالبرص، والعصا المنقلبة حية، يؤم موسى شطر أخيه هرون في مصر.

ويتوجهان معاً إلى فرعون، الذي أبى أن يسمح للعبريين بالذهاب إلى حيث يريدون. وبعد أن أصيب هو وشعبه بطوفان من البلايا العشر التي كانت آخرتها موت كل مولود بكر من مواليد المصرين، يخنع الفرعون.

وطلب ملك مصر من موسى وهارون مباركته بعد أن سَلَّمَ وسمح للشعب بالخروج[2].

وكان الخروجُ الأعظم، نحو الأرض الموعودة بعد اجتياز البحر الأحمر وصحراء سيناء، ونزول ألواح الشريعة على موسى وحمل التابوت المقدس وإقامة الخيمة وعبادة العجل وانتفاضة "قُورَح" ومجموعة من العامة. وبعد أربعين عاماً "من التيه في الصحراء"، وبعد موت هارون وموسى، يبدأ الشعب العبري استيلاءه على مدينة أريحا ثم على مدينة "آي" فالمدن الكنعانية واحدة بعد الأخرى، بقيادة يهوشوع وجيشه القوي.

---

1 الخروج، 10/2.
2 الخروج، 32/12.

جدول بأسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة [1]

الاسم	الاسم الشخصي	التاريخ ق.م.	الزوجة الملكة
أموسيس	نبهيتري	1540 -1515	أحميس نفرتاري
أمنوفيس الأول	دجيسيركري	1515 -1494	مريتامون؟
تحتموس الأول	أخبيركري	1494 -1482	أحموس
تحتموس الثاني	أخبيركري	1482 -1479	حتسيبسو
حتسيبسو	معاتكاري	1479 -1457	
تحتموس الثالث	منخبيري	1479 -1425	حتسيبسو ميرتري
أمنوفيس الثاني	أخيبروري	1427 -1393	تيبا
تحتموس الرابع	منخيبروري	1394 -1384	موترمويا
أمنوفيس الثالث	نيبماتري	1384 -1346	تيي
أمنوفيس الرابع أو أخناتون	نيفيرخبروري	1358 -1340	نيرنيفروتن-نفرتيتي
نيرنيفروتن/سمنخاري			
دجيسرخبيرو		1342 -1340	مريتاتون
توتعنخأمون	نيبخبروري	1340 -1331	أخيسنمون
أي	خبيرخيبروري	1331 -1326	تييي
حورمهيب	دجيسرخبيروري	1326 -1299	موتنيدجيمت

الأسرة التاسعة عشرة (أسرة آل رمسيس)

حكم ثمانية ملوك بين 1299 و1185 قبل الميلاد، أربعة ملوك من الأسرة التاسعة عشرة

رمسيس الأول	منبيتري	1299 -1297	ساتري
سيتي الأول	مناماتري	1297 -1283	توي
رمسيس الثاني	أوسيرماتري- سيتيبنري	1283 -1212	نيفرتاري
ميرنبتاح	بيئنري- ميريامون	1212 -1202	

1 التواريخ المذكورة هنا تقريبية.

أرض "أخت أتون" المقدسة

في سنة ألف وثلاثمائة وخمسين قبل الميلاد، لمع اسم مدينة من مدن الذهب والنور، مدينة من أجمل مدن الدنيا، "أخت أتون"، عاصمة إمبراطورية مصر، المدينة المقدسة لفرعون "أخن أتون" والملكة نفرتيتي. قصور، وهياكل عبادة، ومسلات مطلية بالذهب على مد النظر، وحدائق وارفة، وشارع ملكي يمتد على مسافة أربعة كلمترات، تقطعه قنطرة ملكية. كان الفن الرفيع والجمال الرائع والذوق الراقي الذي عرفه عهد "أخن أتون" هو الصورة الرائعة التي ميزت إذ ذاك الحضارة المصرية. وقد استُحضرت جميلات مصر والعديد من الأميرات الكنعانيات والفينيقيات والحتيات والميتانيات[1] والنوبيات والبابليات، ليمرحن داخل هذه الجنة الأرضية.

وكانت أحياء كثيرة من هذه المدينة تزدهي بدروبها التي يلتقي فيها الكهنة والتجار وأصحاب الكروم والخبازون والصناع القادمون إليها من كل فج. وكان بها نحاتون ونقاشون وصاغة وعمال مهرة ورسامون ومُنَضِّدو أحجار وبناءون وأطباء ومحنطون ومهندسون والمهرة من البنائين، والمساحون والنساخ والإداريون المشرفون على سير الدولة، بالإضافة إلى خدام القصور الملكية ودور عبادة "أتون" الكُثْر.

كانت عامة الشعب المصري تسهم في نشاط هذه الحاضرة التي تزخر بالحياة. وقد أسدل عليها فرعون أفضاله، فأقام وأسرتُه في ربعها الحرام، مدينةِ الإله "أتون" المقدسة. وبأمر من فرعون، عانق الشعبُ الدينَ الجديد، وقبل عبادة "الإله الواحد" المستحدثة. ومن نال عطف ورضى "أخن أتون" ونفرتيتي، هو الذي يسعد فيُرمس في المقبرة التي تقع في ربض المدينة داخل حرم "أخن أتون". وكان هذا الحرم محاطاً بمسلات تفصل بينه وبين غيره، وكانت هذه هي المرة

[1] كانت مصر القديمة ترتبط بصلات ود مع الأكراد منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكان لنسائهن الميتنيات أثر قوي في مصر، ومنهن الملكة الجميلة نفرتيتي التي حكمت عرش مصر. [المترجم].

الثانية في تاريخ مصر، التي يفصل فيها "أخن أتون" بين منطقة اعتبرت "مقدسة" وباقي بلاد مصر. والواقع فإن أول محاولة من هذا القبيل، هي التي تمثلت في إقامة منطقة حرام في الكرنك، وسط معبد الإله "أمون". وكان هذا قد تسبب في وضع مُحرج تمثل في وجود "إله واحد" هو "أتون" و"ملك الآلهة" "أمون". وعندها كان فرعون يسمى باسمه الملوكي الأول أمِنوفيس الرابع (كما هو بالإغريقية) أو أمونحوتب الرابع (كما هو بالمصرية، وهو ما يعني أمون في سلام)، فغير اسمه فصار بعدها "أخن أتون" (الفضل، النور، نَفْعُ أتون) في السنة الخامسة من حكمه.

كان "أخن أتون" قد كفر بآلهة أبيه أمنوفيس الثالث، وتقرب إلى الإله الفرد "أتون"، الإله خالق الكون، المتمثل في قرص الشمس الذي ينشر أشعته على كل مخلوقات الأرض. وكان أمنوفيس الثالث قد أقام على الضفة الغربية من النيل مدينةً تسمى "ملـكَّاتا" وشيد فيها قصراً وأقام جهاز إدارة. وسيراً على نهج أمنوفيس الثالث شيد ابنُه "أخن أتون"، عاصمة جديدة لمصر، منها يُسَيِّر أمور البلاد، مبعداً بذلك رجال الدين خدامَ "أمون" ملك الآلهة، وكان هؤلاء يجسمون القوة العظمى في مصر. وغادر "أخن أتون" "الأرض الحرام" في الكرنك، وقصد "الأرض المقدسة" "أخت أتـون" الواقعة على الضفة الشرقية من النيل، في قريب من منتصف الطريق بين "مَمْفِيس" في الشمال، و"طيبة" في الجنوب، في المكان الذي أصبح يسمى منذ ذاك "تل العمارنة". وأعلن فرعون أنه انتقل إلى الموطن الجديد، بوحي من الإله "أتون" نفسه الذي وعده ووعد نسله بالحياة الهنيئة والرخاء الدائمين. ولما بلغ فرعون مقصده، قدم قرباناً إلى إلهه- بما يذكر بما فعله إبراهيم في رواية العهد العتيق- في نفس المكان الذي سيقيم فيه الهيكل العظيم لأتون[1]. وبعد هذه الأعمال التي أكدتها الحفريات، جمع فرعون حاشيته، وأعلمهم بأن الإله قاده إلى أرض "أخن أتون" المقدسة، ليقيم عليها معبداً ويعبده فيه، ووعد بأن تكون هذه الأرض عاصمة مصر وإلى الأبد.

---

1 Cyril Aldred, Akhénaton roi d’Egypte, p. 49, Le Seuil, 1997.

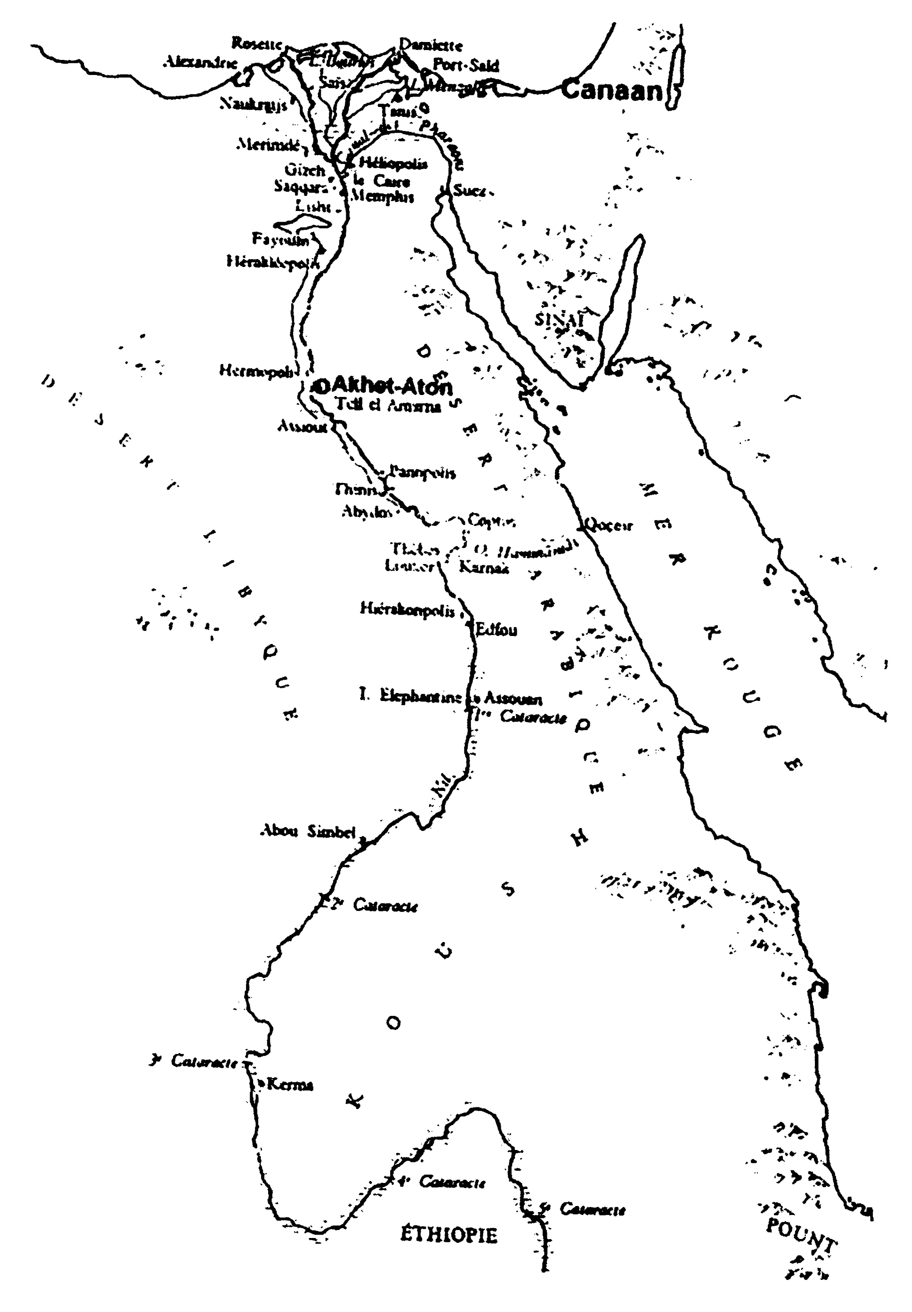
وتدفق ما كان بمصر من غنىً واسع على "أخت أتون". وقُدم الطعام المقدس قرباناً إلى الإله "أتون" قبل أن يُطعمَه الناسُ. وحَمل خبزُ النذر والخمر البشرى بالرخاء والعطاء الكثير. وقُدمت الحيوانات الحِلُّ قرباناً في معابد "أتون" ثم وزعت في كل البلاد، مما يذكر بما حدث في هيكل سليمان[1].

وفرض "أخن أتون" صلاة الصبح عند طلوع الشمس وصلاة الغروب عند أفولها، ممجداً بذلك ظهور وأفول قرص "أتون" الشمسي. وما المزامير والصلوات [العبرية] إلا امتداداً لتسابيح تمجيد الإله [أتون] التي طالما رتلها الناس وتغنوا بها في معابده. وصار "أخن أتون" هو الآخر معبوداً في عاصمته وفي كل بلاد مصر، مثل ما كان أتون معبوداً. وأعلن نفسه "ابناً لأتون". غير أن نسبة الأبوة والبنوة في عرف المصريين، لم تكن تعني وجود فروق بين الأب الإله وابنه، بل هما شيء واحد. وجاء مكتوباً في الإطار[2] الملكي، الذي عليه اسم "أتون" ما ترجمته **"الذي أعجب به اتون"**. وكذا غيرت زوجته نفرتيتي اسمها الأصلي، فأصبح **"نفرتيتي، الكاملة جميلة اتون"**. وأصبح "أخن أتون"، بعد أن استقر في عاصمته، المتوجَ الحاكم المطلق في مدينة "أخت أتون" وعلى كل بلاد مصر، ومن عاصمته كان يسند الوظائف والمهام لخاصته.

وأقام الفرعون معابد لتمجيد "أتون" رغبة في أن يصير دين "أتون" ديناً واحداً شاملاً في كل بلا مصر. وصارت مثلُ عبارتي " أبد الدهر" و"إلى الأبد"، تتردد دوماً في كل الترانيم. وكان "أخن أتون" نفسه هو الذي يكتب هذه الأدبيات ويعلمها، كما يفعل الشيخ مع مريديه.

1 Christian Jacq, Nefertiti et Akhénaton, p. 146, Perrin, 1996.

2 هذا الإطار [cartouche] هو على شكل إهليلجي (بيضاوي) كانت تكتب داخله أسماء الفراعنة بالهيروغليفية. [المترجم].



خارطة مصر على عهد آمنوفيس الرابع- أخنتون (1350ق.م)

ولو صارت الأمور كما خطط لها الملك والملكة، لكانت ديانة "أتون" قد عمت كل مصر، انطلاقاً من العاصمة "أخت أتون"، الأرض المقدسةِ التي انطلق منها المعتقد الجديد. لقد كان الفرعون معلما أولاً وقبل كل شيء. وكان ينشر معارفه في أوساط الكهنة المقيمين في عاصمته، وكان من مهام هؤلاء أن ينشروا هم أيضاً الدين الجديد في كل مصر، باسم الإله الجديد "أتون" وممثله الأعلى "أخن أتون": **وكان "أخن أتون" يعتبر نفسه بدءاً، أنه مبشر بدين، مما جعل منه معلماً روحياً... وبينت كثير من النصوص أن "أخن أتون" كان يلتقي يومياً مع أتباعه الذين كانوا يرغبون في النفوذ إلى طبيعة "أتون"** [1].

وكان "أخن أتون" يدعى أيضاً "مُبْصِرِ الإله العظيم". وكان بوصفه الكاهن الأعظم لـ"مدينة الشمس"، هو الوسيط الوحيد بين الإله والشعب، والوحيد الذي يمكنه أن يقدم الذبيحة الكبرى إلى معبد "أتون". فهو وزوجه وحدهما اللذان كانا يقومان بهذه الشعيرة المقدسة، وما كان يسمح بذلك حتى لكبير الكهنة .

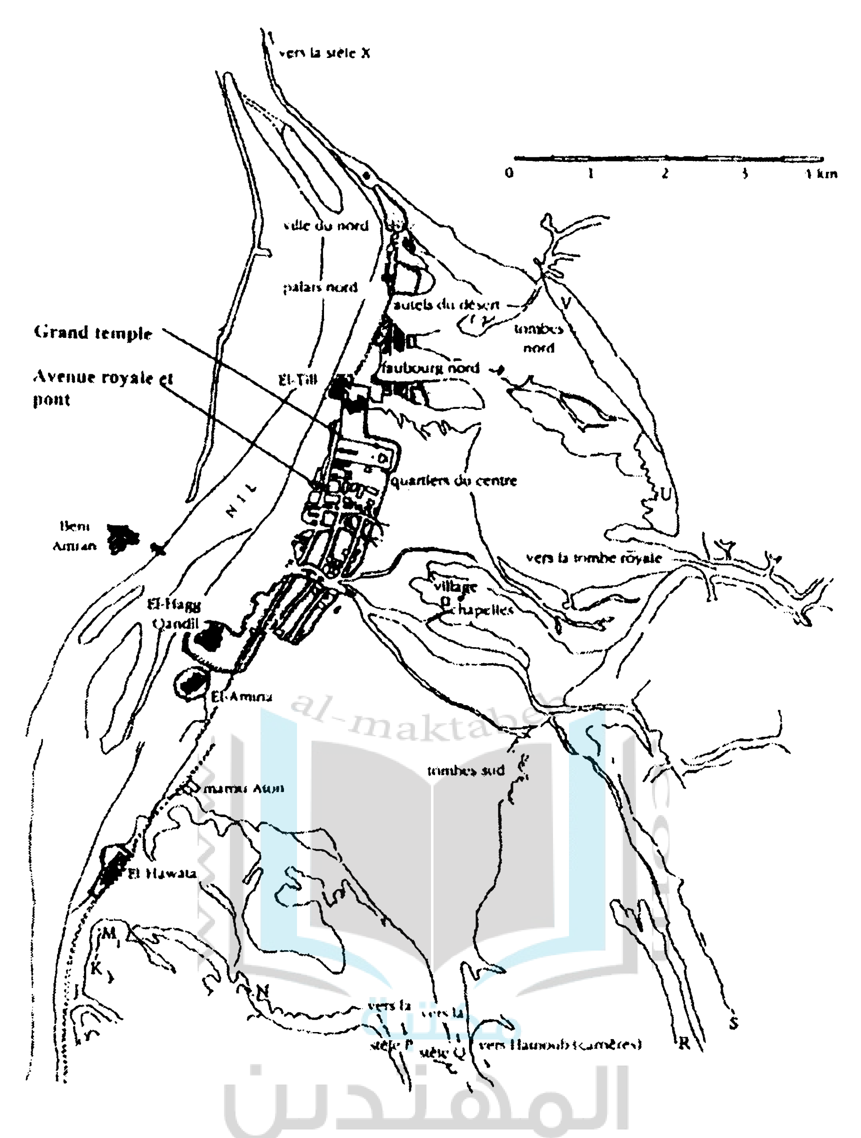
وأفادتنا كتابات عثر عليها منقوشة عل الأحجار، على الرغم مما أصابها من أضرار، معلوماتٍ مفيدة حول هذا الدين الجديد. ونقرأ فيما علق به Pierre Grandet ما يأتي: **" أعلن الملك أن الآلهة التي يعبدها الناس ما هي إلا تماثيل صنعها بشر ووضعوها في صور أكسبتها تقاليدُ السنين قداسة لم تكن لها، ولم يستطع الذهب والأحجار الكريمة التي تزينت بها أن تجعل منها شيئاً ينتفع به الناس"** [2].

وقد يكون النص المقدس الذي علق عليه Grandet، من النصوص التي كانت مكتوبة على باب قديمة لهيكل الكرنك، ولعله نُقِشَ على قائمة من قوائم البناء. وقد اقتلعها الفرعون "حورم هب"، وأعاد وضعها في بناء البوابة الضخمة العاشرة لهذا الهيكل. ويشير Cyril Aldred[3] إلى أن مدافن العمارنة، أبانت عن عادة كانت مشتركة لدى المصريين والعبرانيين وهي: **[أن بعض مدافن "أخت**

1 نفسه، ص. 136.

2 Grandet, op. cit.,p 17
3 Cyril Aldred, op. cit.,p 43.

أتون" وكذا مدافن "آي"] كانت تتضمن رسوماً بارزة يرى فيها الرائي من جهة المدخل، الأسرة المالكة تتعبد "أتون"، بينما يظهر في الجهة المقابلة المالكُ ساجداً يتلو ترنيمة "أتون".



خارطة مدينة أخت أتون (موقع العمارنة في مصر الوسطى) مأخوذة من
Cyril Aldred, Akhénaton, roi d’Egypte

وكان من عادة المصريين على عهد "أخن أتون"، أن ينقشوا النصوص المقدسة على قوائم أبواب معابدهم وعلى قوائم بيوتهم أو مدافنهم، وكذا أمر العبريون في العهد العتيق بأن ينقشوا كتابات مقدسة على قوائم أبوابهم، فقد جاء في التوراة:

"واكتبها[الميزوزوت][1] على قوائم أبواب بيتك و على أبوابك" (التثنية 9/6).

وأبانت حفريات أجريت في تل العمارنة، أن أتباع "أتون" كانوا يعبدونه في المعابد، كما كانوا أيضاً يقومن بطقوس أخرى تخصه داخل بيوتهم. إذ كان في كل بيت من بيوت المدينة معبد من حجر به نقوش من واجهتيه... ووصف Cyril Aldred أحد هذه المعابد قائلاً: **"كل بيت من هذا النوع، كان يتميز بخاصية مشتركة هي وجود معبد في غرفة من غرفه الرئيسية، وكانت على شكل مقصورة ذات قوائم مصبوغة بلون أحمر، وكان بها كوة يوضع فيها تمثال يجسد الأسرة الملكية وهي تقوم بشعيرة من الشعائر الدينية"** .

تؤكد هذه البيِّنة الأركيولوجية ما ورد في العهد العتيق. ففيه أن موسى أمر العبرانيين ليلة الخروج من مصر، بوضع صبغ أحمر على قوائم دورهم، لتُمَيَّز عن دور المصريين، حتى لا تحل بهم البلية العاشرة التي ستحل بجيرانهم، وهي موت الولد البكر الذكر. جاء في العهد العتيق:

"فان الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العـليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع الضاربَ يدخل بيوتكم ليضربَ" (الخروج 23/12).

وقد ورد في هذه الفقرة لفظ "دم" مع أن المقصود هو حمرة الصبغ، وذلك أن لفظي "دم" [الدم] و"أدُم" [الحمرة] في اللغة العبرية مشتقان من نفس

---

1 مزوزوت ج مزوزة، لفظ عبري يطلق على علبة صغيرة بمقدار 10 إلى 20 سنتيما طولا، حوالي 2 إل 3 عرضاً، تثبت في الثلث الأعلى من القائمة اليمنى من إطار باب مدخل المنزل، ويكتب فيها دعاء به يحفظ البيت وأهله. [المترجم]

الجذر[1]. ويؤكد الربي راشي في شرحه للفقرة 13 من الإصحاح 12 [2] أن القوائم وعوارض الأبواب العليا كانت مصبوغة بلون أحمر...قائلاً:

"ويكون لكم الدم علامة". علامة لكم وليس للآخرين. ومن هنا نعلم "أنهم لم يضعوا الدم إلا في الداخل [داخل البيوت]"[3].

وقد أكد هذا الشرحُ المعطيات الأركيولوجية، مذكراً بأن مهمة المعبد داخل البيوت في العمارنة، كانت ترتبط بشعائر دين موحِّد. يعلق راشي على الفقرة 13 من الإصحاح 12 في الخروج، يقول:

"وسأرى الدم [على العتبة العـليا والقائمتين داخل كل بيت]. إن الله يعلم الكل دون حاجة إلى رؤيا، غير أنه سبحانه وتعالى، قال: سأعنى كل العناية، لأراكم تسيرون بمقتضى وصاياي".

قرر "أخن أتون" أن يغادر كل مكان تعبد فيه أوثان "أمون" (وعبأ معظم الكهنة للدعوة لوحدانية "أتون"). ومحق اسم "أمون" من كل المعابد وحتى على قمم المسلات، وحطم معظم الأوثان، وأدت به الرغبة في القضاء على ديانة "أمون" إلى أن أزال أسم "أمون" من الإطار الذي كتب فيه اسم أبيه "أمنوفيس" الثالث. أن يُزال اسم من أسماء الآلهة، ذاك هو خرق الحرمات التي لا خرق بعده، عند الأهالي القدماء المصريين. وهذا أمر بالغ الخطورة. مما يدل على ذلك ما جاء في العهد العتيق، في حق عماليق الذي حكم الرب بمحق ذكراه حيث قال: **"سأمحق ذكرى عماليق من تحت السماء"**[4]. وهكذا بمحق اسم "أمون" قضى "أخن أتون" نهائياً على وجود هذا الإله. وحطم في نفس الآن الأوثان التي كان يعبدها

1جاءت الجملة في الفرنسية هكذا : "لفظا "دم" و"أدُم" (أحمر) اشتقا من نفس الجذر". والجملة في أصلها غير واضحة لغير المتمرس في النص التوراتي، ولذلك تصرفنا في ترجمتها حتى يفهم المقصود. [المترجم].

2 ورد في هذه الفقرة : " و يكون لكم الدم علامة على البيوت التي انتم فيها فأرى الدم و أعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر". [المترجم].

3 الخروج 22/12. من تفسير لراشي، وهو من مفسري العهد العتيق في العصر الوسيط، الأخماس [التوراة] من تفسر راشي. سفر الخروج، ص. 87، (Samuel et Odette Lévy. 1990).

4 الخروج، 14/17.

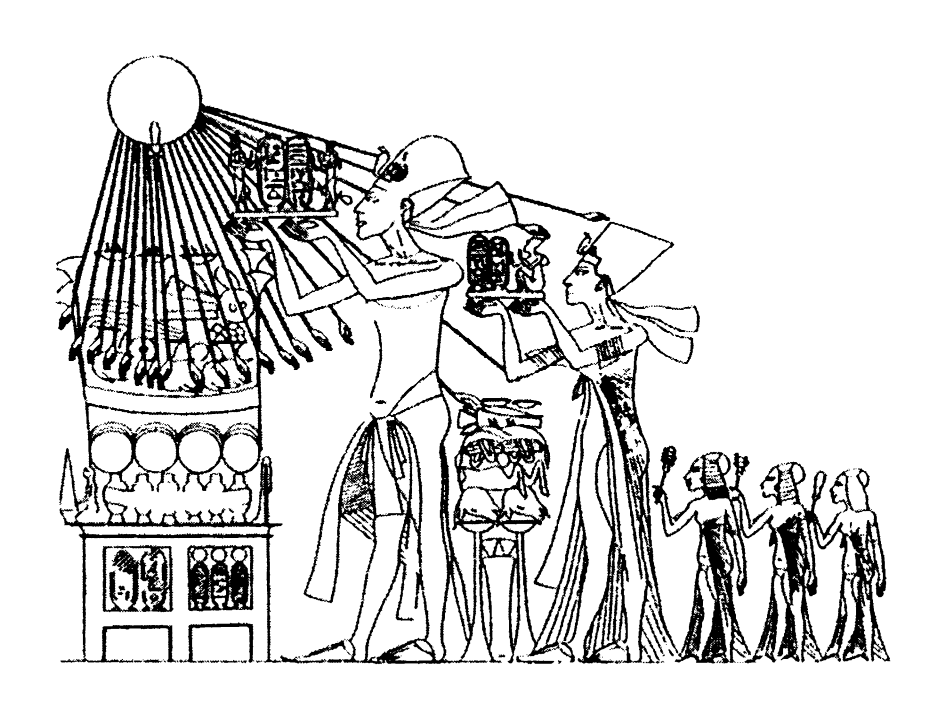
الأجداد. وهذا يذكر بفعل إبراهيم الذي فعل نفس الفعل بآلهة أبيه..لقد انتهك "أخن أتون" حرمات ما سبق أن انتهكت قبله في مصر القديمة.

كان "أخن أتون" فرعوناً قوياً زاهداً خنع له كل الشعب المصري. وتوافد ملوك الأمم الأخرى على عاصمته يؤدون له الإتاوات ويقدمون له آي التقدير والاحترام. لقد كان غِبْطَة "أتون"، وكان يسير في احتفاء على شارع "أخت أتون" الملكي، ممتطياً عربته الرائعة المزخرفة بألوان فضية ذهبية، صحبة نفرتيتي، متجهاً نحو معبد "أتون" العظيم.

وكان الفرعون مولعاً بالظهور على الشرفة صحبة زوجه نفرتيتي، وكان من هناك يخرج ليراه شعبه، مثل فعل موسى التوراتي، وفي يديه لوحا الحجر، أو الإطاران اللذان خُط عليهما اسم "أتون". وكان الشعب عندها يسجد أمام اسم إلهه. وكان بالإمكان أن يقرأ هذان اللوحان المكتوبان من جهتين، أماماً وخلفاً. وكان الشبه بينهما وبين لوحي موسى ملفتاً للانتباه. فهذان وهذان كانا دائري الحافتين، مكتوبين على الجهتين... **وقد عثر على أحجار منقوشة أماماً وخلفاً، وعليها صورة الزوجين الملكيين يقومان بطقوس عبادة أتون، في بقايا البيوت في تل العمارنة**[1]. وهذا يذكر بما جاء في التوراة:

"فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان من الوجهين، من هنا ومن هنا كانا مكتوبين" (الخروج 15/32).

1 Cyril Aldred, op. cit., p. 66.



أخن أتون ونفرتيتي يحملان لوحين من حجر نقش فيهما اسم أتون أماماً وخلفاً. وراء الزوج الملكي وقفت الأميرات الصغيرات يلوحن بالصلاصل.

من إضافات "أخن أتون" كتابةُ اسم الإله في الإطارين، ولم يكن يكتب فيهما من قبل إلا الأسماء الملوكية. فقد كُـرِّم "أتون" كما كانت تكرم الملوك، وكُرِم "أخن أتون" كما كانت تكرم الآلهة. ومحاكاة لفعله هذا، كتب فرعون أيضاً اسمه في الإطارين. فقد كتب في أحدهما اسمه الخاص، "أخن أتون"، تبعاً للترجمات المختلفة: نور أتون، مرضي أتون، عطف أتون...، وكتب في الآخر الصفات الملوكية "نِفِرْ- كِپِّـرو- رَعْ، أُوئِنَ- رع" : رائعة قوة رع، فريدة رع".

وكان "أخن أتون" يوثر على الخصوص، رفقة بناته الست وزوجه، مما جعل الشعب يرى في الزوجين السعادة البالغة. وهكذا كانت في كثير من البيوت صور للعائلة المالكة والإله الشمس "أتون" يحرسها. وكانت الرابطة المقدسة تعد جزءاً من طقوس الديانة الجديدة. وكانت تزيد من قوة التلاحم بين الشعب والأسرة المالكة، إلى حد أن أظهرت هذه الصور من التعلق، أنموذجاً اجتماعياً انبنى على تقاسم القيم العائلية. ولا يزال هذا الأنموذج ماثلاً للعيان في بنية القرى الحِرَفية

المنبتة في محيط مدينة "أخت أتون". فالدور مبنية على نفس الهندسة، وهو ما يمثل السكن الاجتماعي حقاً. إذ كانت هذه الدور تتكون من غرفة استقبال، حيث تؤدى الطقوس الخاصة بفرعون، ومن غرف للنوم، وحمامات وبيوت نظافة.

لم يكن يظهر في الأفق ما ينبئ بأنه ستحدث في هذه الحاضرة التي كان الناس يتدبرون فيها الإله صباح مساء، أكبرُ مأساة حدثت في التاريخ المصري، مع ما لهذه المأساة من نتائج فادحة عمت الإنسانية قاطبة خلال ما يفوق ثلاثة آلاف سنة...

مرت سنوات حكم "أخن أتون" هنيةً في عاصمته حتى السنة الثانية عشرة من حكمه، حيث قضى والدُه "أمينوفيس" الثالث. وغير مستبعد أن يكون الابن والأب قد تقاسما الحكم خلال هذه المدة. وفي مثل هذا الاحتمال، وإذا كان أمينوفيس الثالث قد قضى في السنة الثانية عشرة من حكم ابنه، فإن زوجه، الملكة الأم "تيي" لحقت به سريعاً، وعندها حل حزن عظيم بـ"أخن أتون"، خصوصاً وأنه كان قد أصبغ على أمه صفة الألوهية ، فصارت الربة "هاتور" وبنى لها معبداً دعاه "ظِل رَع".

وما أن مرت سنتان أخريتان حتى حل القدر من جديد بأساه في رحاب العائلة المالكة. إذ قضت ابنة الفرعون "مَخِت أتون" فجأة. وكما عاشت أسرة فرعون مسراتها وأفراحها، عاشت أيضاً أحزانها. وتعد المشاهد الباقية المعبرة عن أحاسيس العائلة المالكة في أفراحها وأتراحها، فريدة في التاريخ الفرعوني المصري القديم. إنها أحد الأسباب الحقيقية التي سحرت الكثير من العلماء والمختصين في المصريات وهم منشغلون في موقع العمارنة. وهي أيضاً من الأسباب التي جعلت من "أخن أتون" أكثر ملوك مصر إثارةً.

وإذا كان معظم الفراعنة يَظهرون في مشاهدهم وهم يمثلون قوة البأس والقسوة، فإن "أخن أتون" هو "الفرعون الهادئ". فبالإضافة إلى ما كان يطبع شخصيته من هدوء وطمأنينة، كان محياه يكتسي مظهراً من الزهد عميق. يتضح ذلك من مرأى جيده الطويل وعينيه المتأملتين، كما يبرزها التمثال الذي صنعه له

النحات "توت موسس". وهذا العمل يمثل نظرة فنية جديدة، ربما كانت من وحي "أخن أتون" نفسه. لقد افتتن كل علماء الآثار الذين اهتموا بمصر، على اختلاف جنسياتهم، بطلاقة التعبيرات التي تميزت بها شخوص "عهد العمارنة" أيما افتتان.

لم يمر طويل وقت على دفن "مخت أتون"، حتى رُزأ الزوج الملكي بموت بنت ثانية لهما. ولم تتحمل الملكة نفرتيتي هذا المصاب الجلل. ففي السنة الخامسة عشرة من حكم "أخن أتون"، ماتت الملكة فجأة، وتركته وحيداً يَعُمُّه اليأس. ولهذا اضطر إلى اتخاذ "سمنخاري" "شريكاً في الحكم". وتُكَوِّن هذه الفترة المضطربة التي لا يعرف عنها المؤرخون كثيراً، والمعروفة "بعهد العمارنة"، مرحلة مفصلية عند ظهور ديانة الوحدانية.

هل كان "سمنخاري" و"توت عنخ أمون" ابني أمنوفيس الثالث أم هما ابنا "أخن أتون"؟ لم تتوصل المكتشفات الحفرية إلى اليوم، إلى شيء يؤكد هذه الفرضية أو تلك. ولم يبح مدفن "توت عنخ أمون" بسر الأب الحقيقي للملك الصغير. ومع ذلك، فالجواب يوجد في العهد العتيق...

توفي الفرعون "أخن أتون" عام 17، ودفن في المدفن الملكي في الوادي الواقع على امتداد محور المدفن العظيم لـ "أتون".

ومما لا شك فيه، فإن مدفنه كان أكثر غنى بما تضمن من كنوز مما لم يكن له مثيل في مدفن "توت عنخ أمون". وكان لا بد من أن يحتوي تابوتاً خال من أي علامة للإله "أنبوس"، ومذبحاً جنائزياً ومعابد صغيرة بعضها في بعض، و"ألواحاً" باسم أتون مرسومة داخل الإطارين [الإهليلجيين]. ومن الأكيد أنه لم يكن لإله الموت "أزريس" ما يمثله، غير أن فرعون غير وضع صورته، فصار "أزريس" يحمل الصولجان الملوكي، في يده اليمنى والسوط في يده اليسرى. وأصبحت صورة الإلهة هتور [أم أخن أتون] خطوط تقاسيم تختفي وراء صورة نفريتيتي.

لم يدم حكم وارثه "سمنخاري" أكثر من سنتين يكتنف تاريخهما غموض كبير، وتوفي وعمره لم يتجاوز خمساً وعشرين سنة. وكان قد تزوج "مري أتون" (محبوبة أتون) وهي أخته من أبيه، إحدى الأميرات التي امتد بها العمر. ولم تُعرف أسباب موته. فهل حاول ترك دين "أتون"؟ أم أنه على العكس من ذلك أراد أن يتابع الفعل الروحي الذي نافح عنه أبوه المحتمل "أخن أتون"؟

لما توفي "سمنخاري" كان أخوه من أبيه "توت عنخ أتون" لم يتعد سن الثامنة. ولما كان قاصراً لا يمكنه الحكم، فإن "الأب الإلهي" أو الكاهن الأعظم "أيْ" أخذ دواليب الملك. وكان "يويا" أب "آي" يسمى قبل ابنه "الأب الألوهي" أو "أب الإله". وكان أصله من مدينة هي "أخميم" في مصر الوسطى، حيث كانوا يعبدون أساساً الإله "مين" صورة "أمون" الذي كان يرمز له بـ"ثور قوي". كان "يويا" هو أب الملكة "تيي"، وهو بذلك صهر فرعون أمنوفيس الثالث[1] الذي رفع من شأنه ولقبه الأب الألوهي، إضافة إلى الرتبة التي كانت له، وهي قائد الفرسان، يعني رأس الجيش. وقد نقل "يويا" إلى ابنه "آي" بعضاً من مهامه التي تحملها. وفيما بعد، عندما تزوجت "نفرتتي" مِمَّن سَيلقَّبُ فيما بعد "أخن أتون"، أصبح "آيُ" - والدها بالتبني صهرُ الملك الجديد- يلقب هو أيضاً "الأب الألوهي"، فأضفى أهاليُّ "أخت أتون" على "آيَ" مسحةً من القداسة. ذاك ما أظهره نقش يعود إلى تلك الفترة، يظهر فيه وهو واقفاً يرتدي ثياب الكاهن الأعظم، وأمامه الأهالي ساجدين. وقد كان "آي" حتى قبل ذاك قريباً من مرتبة النبوة.

لم يكن "الأب الألوهي" "آي" ذا شهرة عند المختصين في علم المصريات. ولم يذكره إطلاقاً بعض منهم، عندما تحدثوا عن عهد العمارنة، وبعضهم الآخر نسوه عندما سردوا أسماء فراعنة الأسرة الثامنة عشرة... ومنهم

---

1 عندما تزوج فرعون "تيتي" لقب "يويا" الأب الألوهي (صهر فرعون) و"أنين" أخ "آي" و"تيتي" سمي كاهن أمون الأعظم. وتحمل "آي" المسؤوليات العسكرية بدل أبيه. وربما عين هو وزوجه تيي" (وهي غير "تيتي" أخت "آي" وزوج أمنوفيس الثالث) ليتبنيا نفرتيتي. وعلى غرار "يويا" ، سمحت هذه الوضعية لـ"آي" ليلقب بلقب الأب الألوهي.

من لم يذكره إلا تلميحاً، ومر عليه مر الكرام. لم يحتفظ التاريخ بالكثير عن "آي" خلال العشر سنوات التي أصبح فيها فرعوناً لمصر فيما بعد. ولم يحكم إلا أربع سنوات قبل أن يسلم السلطة للقائد "حورم هب". ومع ذلك فالأب الألوهي شخصية مركزية كان لا بد لها أن تشغل بال المهتمين بعلم المصريات. وكان "آيُ" بسلطانه المطلق، الكاهنَ الأعظم الذي سيتخذ أعظم القرارات حتى قبل أن يكون فرعوناً لمصر..."آي" سيعمل على تغيير مصير دولة، "آي" سيعمل على تغيير مصير الإنسانية. وسيستولي على حكم مصر بعد موت "سمنخاري" لأن وريثه "توت عنخ أتون" ("توت عنخ أمون" لم يبلغ بعد سن الرشد. ويشارك في حفل التتويج، ويفكر بدءاً في "نقل" الفرعون الجديد إلى طيبة، على رأي بعض علماء المصريات أو إلى "منفس" على رأي آخرين.

توج "توت عنخ أتون"، تحت هيمنة الأب الألوهي "آي"، وسمي "توت عنخ أمون". ويوضح تغيير الاسم هذا خطورة الأمر أجلى توضيح، إنه يعني عودة الدين القديم دين "أمون" بواسطة فرعون لم يبلغ بعد سن الرشد، ولم يفهم ما الذي فرض عليه.

كان "توت عنخ أمون" طفلاً طيعاً بالطبع بين يدي عمه الأكبر المفترض، "آي"، الذَّكَرُ الوحيد الباقي في الأسرة، ممن يتمتع بالحكمة والذكاء والخبرة، لقيادة بلد يعرف حق المعرفة أوضاعه الخارجية والداخلية. لقد ساعده موت "سمنخاري" أخيراً على أن يتحرك ويُخرج إلى حيز الوجود مشروعَه الارتدادي "النكوص عن الإصلاح".

لم يكن "آي" يريد أن يقضي على ما حققه "أخن أتون" وحسب، بل أراد أن يمحق ذكراه وأن يزيل من الوجود قوته الروحية. يجب أن تزول من البلاد صورة "الإنسان الإله" المجحف، والذي ترفضه العامة. ويجب أن تخرب المعابد أو تفك حجراً من على حجر، حتى يصيبها رزء أكثر مأساوية مما أصاب معابد أمون على عهد "أخت أتون" الزاهر. وتمحق أسماء الملك و"نفرتيتي" وكذا كل

أسماء "أتون" التي نقشت على جدران مصر وإلى الأبد. ويجب أن يختفي اسم الإله "أتون" بسرعة كما ظهر بسرعة، وكأن وجوده لم يكن ألا بارقة من زمان.

وأشد القرارات خطراً، وهو ما سيدق آخر إسفين في ديانة "أتون"، هو ذلك الذي اتخذه الرجلُ الأكثر أهمية في مصر، الكاهنُ الأعظم الوزيرُ الوصي "آيُ". حيث أصدر أوامر بإخلاء مدينة "أخت أتون" عاصمة الدولة. وأعلن أن هذه المدينة "أرض ملعونة" كافرة مدنسة، وأنه يمنع أن يأتيها أحد أبداً، أو أن يسكنها أحد أبداً، وأنه يجب أن تمحى وإلى الأبد من وجدان التاريخ...

يقول Cyril Aldred في شأن موقف الكاهن "آي": **" لما كان "توت عنخ أمون" لم يتعد حدود الطفولة عندما صدرت هذه المراسيم، فمن الواضح إن إجراءاتها التفصيلة التي نُقشَت على النُّصُب، كانت في معظمها من تنفيذ مستشاريه، وكان الأكثرُ أهمية في هؤلاء، الوزيرَ والوصي "آي" صهر "أخن أتون" وقائد فرسانه"**[1].

لم يكن إخلاء مدينة "أخت أتون" من سكانها أمراً طبيعياً وما كان ليحدث بدون عراقيل، كما يعتقد المؤرخون. ويعتبر المختصون في المصريات أمر الخروج من أجمل مدن الدنيا، جنةِ الأرض، إذ ذاك، شيئاً طبيعياً، بعد قرار اتفق عليه الجميع. وهكذا يعتقد Pierre Grandet أن الأهالي تركوا المدينة والدِّين معاً بمجرد اتفاق اتفقوه، يقول: **"لا يمكن أن ترجع السرعة الخارقة التي بها نُسي دين "أتون" وخربت معالم آثاره، إلى الإرادة السياسية للملوك الذين جاءوا بعد "أخن أتون"، ولكن يمكن أن تُرجع إلى التوافق الكامل لشعب كامل. فمن هذا والنخبة، لم يرتفع أي صوت للدفاع عن الأعمال التي أقامها الملك السابق"**[2].

إذا صدق رأي Pierre Grandet فيما يتعلق ببقية أهل مصر الذين استجابوا لرغبة حكام البلاد الجدد. فهو غير صادق بالنسبة لأهل "جنة الأرض"، "أخت أتون". فأكيد أن هؤلاء أرغموا على مغادرة المدينة.

1 Cyril Aldred, op. cit.
2 Pierre Grandet, op. cit., p.68

لقد لاحظ Cyri Aldred عن حق، أن بعض الدُّور التي غادرها أصحابها كانت مغلقة الأبواب بالحجر، وأن سكانها حملوا معهم كل ما كانوا في حاجة إليه، يقول: **"... وهكذا لا حظ Petri قبل جيل من الآن، أن الأهالي كانوا قد أفرغوا دورهم قبل مغادرتها على نسق واحد، ولم يترك هؤلاء وراءهم إلا قليلا من أدوات دورهم مما هو من عادي المستعملات اليومية، على غرار ما كان يحدث في مواقع أخرى من أرض مصر التي هجرها أهلها..."** [1].

ويظهر، تبعاً لما يعتقده Aldred وPetri ، أولُ عالم مصريات بحث في موقع العمارنة في بداية القرن [السابق]، أن الأهالي حملوا حقاً جماع ما كانوا يملكون. وأن المدينة لم تقع في يد غاز ولا خربت، وإنما أخلاها سكانها وهجروها استجابة لأوامر رجل مصر الجديد القوي الأب الألوهي "آي".

ولعله من المحتمل أن يتجه بعض سكان المدينة إلى "طيبة" وبعضهم إلى "ممفيس" أو نحو جنوب مصر. وأصبحت مدينة "أخت أتون" على حين غرة مدينة أشباح. وظلت قائمة البنيان خلال عهود حكم "حورمهب" و"رمسيس" الأول و"سيتي" الأول و"رمسيس" الثاني، ثم فكت أحجار معابدها بدءاً قبل أن يعبث بها عامل الهدم لتصبح المدينة في نهاية المطاف خواء ممتداً متراكم الخراب.

وتطاولت الرمال لتكمل ما بدأه الخراب، فحجبت كامل ما يعرف بالسهل الرملي للعمارنة. بعد ثلاثة آلاف سنة، في شهر نونبر من سنة 1714، جذب انتباهَ راهب من الجزويت، هو Claude Sicard ، في هذه المنطقة المتصحرة، مرأى شكل غريب غير مألوف. ولما اقترب منه تبين له أنه يشبه نصباً حدودياً للمدينة القديمة المهجورة، عليه رسوم لملك وملكة وأميرة. إنه نصب من "أخت أتون" هذه المدينة التي أقيمت لتبقى خالدة".

انتهى نص الترجمة.

---

1 Aldred Cyri, op. cit., p. 73.

هكذا تخيل Messod وRoger Sabbah في كتابهما **أسرار الخروج**، علاقة الموروث العبري بالحضارة المصرية، وهكذا ربطا بين الحرف العبري والرمز الهيروغليفي. وكل فصول الكتاب مبنية على هذه العلاقة، وبالأخص على فرضية علاقة الحرف العبري بالرمز الهيروغليفي. شيء مهم لم يقف عنده، المؤلفان، إنهما لم يتحدثا مطلقاً عن اللغة العبرية التي ربطا بها الحرف ومتى ظهرت؟ وهل هي اللغة التي تحدث بها سكان مصر وعاصمة مصر الملعونة؟ أو ما علاقة لغتهم التي تحدثوا بها باللغة العبرية التي ورد بها نص التوراة؟

الواقع أن اللغة العبرية لم يكن لها وجود على الإطلاق في الفترة التي تحدث عنها المؤلفان. فهذه اللغة هي كنعانية[1]، أي منبتها هو المنطقة التي كانت تضم أراضي سوريا وفلسطين وفينيقيا، فهذه **هي بلاد كنعان التاريخية، وهي البلاد التي نزل إليها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر. وبعبارة، فقد خرجوا بلغة لا يمكن أن تكون عبرية، وهي اللغة التي كان يفهما فرعون الذي توجه إليه موسى المولود في مصر- والذي تربى في قصر فرعون، والذي لم يتكلم إلا لغة المصريين- مخاطباً، عدة مرات بدون مترجم، كما يفهم من سياق القصة الكاملة في التوراة الحالية. ولما حل بنو إسرائيل بأرض كنعان، فقد حلوا بها ولهم لغة يتحدثون بها هي امتداد للغتهم السابقة التي استعملوها في مصر. وحتى في حالة** من يرجع أصولهم إلى كنعان قبل رحلة أجدادهم **إلى مصر إذا حدث، فإنه لا** يمكن أن يكون لهم مخزون من أصول لغة كنعان، ما دام لم يرد في التاريخ وفي قصة التوراة ما يدل على استعمالهم في مصر للغة لم يكن يعرفها المصريون الأقحاح: العبرية. وهي على كل حال لم توجد بعد في استعمال الناس. فهم إذاً أجانب عن اللغة الكنعانية التي ستصبح العبرية لهجة من لهجاتها في عهد متأخر عن الفترة التي جرت فيها أحداث فرضية المؤلفين. قضية أساسية في تاريخ بني

1 P. Paul Joüon, Grammaire de l'hébreu biblique, Institut biblique pontifical, Rome, 1924, pp.2-3.

إسرائيل في مصر وبعد مصر، كانت إضماراً في الكتاب الفرضية، ولم يُشر إليها مطلقاً باعتبارها مشكلا تاريخياً عويصاً.

ولم يتحدث المؤلفان أيضاً عن علاقة الحرف الأول (العبري الحقيقي) الذي كان من المفروض أن تحرر به التوراة أي الأخماس[1]، وهي التي يعود بعض من نصوصها إلى موسى. وهو حرف لم يصلنا منه إلا نقوش قليلة، منها نقش ميشع ملك مؤاب (حوالي 850 ق.م) ونقش سلوان (حوالي 700 ق. م)، وكتابتهما تختلف كل الاختلاف عن الكتابة التي استعملها بنو إسرائيل في فترة متأخرة تاريخاً. فالخط الذي اعتبره Messod وRoger Sabbah خطاً عبرياً وبنيا عليه كل النظرية، ليس خطاً عبرياً، إنه الخط المربع أو الآشوري، كما يسميه اليهود أنفسهم، ولم يكتب به هؤلاء إلا بعد النفي البابلي الذي حدث سنة 586 ق.م، وبعد أن سمح لهم قورش الفارسي بالعودة إلى فلسطين، حيث أصبحت لهم اللغة الآرامية لغة استعمال في كل شيء، وصار خطها هذا الذي عده المؤلفان "عبرياً"، هو الحرف الرسمي لكتابة التوراة [2].

إذاً الحرف الآرامي الذي عده المؤلفان عبرياً لا علاقة له بالعبرية، واستعمالهم له متأخر زماناً بكثير عن الفترة التي تصور فيها مؤلفا الكتاب أحداث مصر و"أخن أتون". وعليه إذا كان ولا بد أن يربط هذا الحرف بالكتابة الهيروغليفية وأحداث مصر، فيجب تغيير عنوان الكتاب من أساسه، وتغيير النظرية من أساسها، وهكذا يجب أن يصبح عنوان كتاب Messod و Roger Sabbah **"خفايا الخروج: أصول الآراميين المصرية". ويصبح الآراميون هم نقلة أسس التوحيد المصري كما تصورها المؤلفان إلى بقية البشرية.** ذلك أن الأقرب إلى وقائع التاريخ هو علاقة اللغة الآرامية باللغة المصرية، فهذه تقترب

1 التوراة، أي القسم الأول من العهد العتيق، هي التي يمكن أن تكون موضوع النقاش، أي هي التي يمكن أن يتحدث فيها عن الكتابة الأصل، أما القسمان الأخيران، أي الأنبياء والمكتوبات فهي متأخرة في مضمونها ومادتها، ولا يعنينا الحرف الذي كتبت به في شيء.

2-Mireille Hadas-Lebel, Histoire de la langue hébraïque, Publications Orientalistes de France, 1977, pp. 36-37.

- Marcel Cohen, L'écriture, éditions sociales, Paris, pp. 70-72.

من تلك وترتبان معاً في حيز واحد من أحياز اللغات الحامية-العروبية. كما أن التواصل اللغوي بين الآراميين والمصريين كان أمراً شائعاً وعادياً، فقد كانت هناك كتابات متبادلة بين ملوك مصر وملوك آرام[1]، وبالضبط في تل العمارنة الذي كان مربض مدينة أخن أتون المهجورة، مما يدل على التآلف بين اللغتين والكتابتين. فإذا كانت هذه الوقائع والمجريات هي الأقرب إلى المنطق، فإن الأمر يدعو إلى إعادة التفكير في كل آراء الكتاب، وهذا ما دعانا إلى ترجمة هذا الجزء منه، لأنه مرتكز النظرية التي تبناها المؤلفان، ولأنه نقطة الضعف الكبرى في بنائهما وتصورهما. وبغض الطرف عن هذا المشكل التاريخي المتخيل، عرفت اللغة العبرية اجتهاداً في وضع مدونة لغوية غنية استفاد بعض أعلامها من الثقافة العربية الإسلامية ومن مناهج اللغويين العرب، من ذلك أنموذج مؤلف إسحق بن برون الذي نحقق قسماً منه في الفصل الموالي.

1ג, ברגשטרסר, דקדוק הלשון העברית הוספות מ. לידזברסקי, תרגום מגרמנית מרדכי בן-אשר, ירושלים, תשל"ב, הוצאת ע"ש י"ל מאגנס, האוניברסיטה העברית, ע 6. (ج. برگشطراسر،نحو اللغة العبرية، مراجعة وإضافات م. ليدزبيرسكي، ترجمه عن الألمانية مردخاي بن أشر، القدس...الجامعة العبرية، 1972 ، ص. 6، 12) .

الفصل الخامس
كتاب الموازنة بين اللغتين العبرانية والعربية[1]

ألف الكتابَ أبو إبراهيم أسحق بن برون السرقسطي الذي عاش في سرقسطة ومالقة أواخر القرن الحادي وبداية الثاني عشر[2]. ولم يعرف له إلا كتابه هذا[3]. ويعتبر عمله فيه امتداداً لمنهج المقارنة اللغوية الذي ظهر على يد يهودا بن قريش الطاهرتي، الفاسي المغربي الذي عاش في المنتصف الثاني من القرن التاسع الميلادي [4].

---

1 كنا أعددنا هذا النص، مع الجزء الثاني الخاص بالمعجم منذ زمان، ولم يتيسر لنا نشره، وننشره هنا لأول مرة..

2 ذكره موسى بن عزرا معاصرُه في كتابه المحاضرة والمذاكرة ثلاث مرات، مرة عندما تحدث عن تقارب اللغات حيث قال: "وأما المقاربة التي بين اللغات العبرانية والسريانية [الآرامية] والعربية فبسبب تصاقب الديار وتداني الأمصار، حتى أن لا فرقان بينها في أكثر أسماء الجواهر إلا بمقدار اليبس والرطوبة. وسببها اختلاف الأهوية والمياه المتقدم ذكرها. وعلل أبو ابرهم <إبراهيم> بن برون رحمه الله هذا التشابه الذي بين هذه الثلاث لغات بغير هذا التعليل..." ص. 40. ومرة ثانية عندما عده من أهل الطبقة الثانية من أهل مدينة اليسيانية. ص. 58 ومرة ثالثة حيث قال: "إنه من أهل التقدم والسلف الصالح". ص. 80-78. كتاب المحاضرة والمذاكرة نشرة ي. هلكين Kitab Al-Muhadra wal-Mudhakara (Liber Discussionis et Commemorationis)(Poetica Hebraica) Hierosolymis MCMLXXV. أنظر مقالنا حول هذا الكتاب في مجلة كلية الآداب والعلوم الأنسانية-الرباط، عدد10، ص. 65.

3 قال فيه موسى بن عزرا في نفس المرجع: "على أنه ما قصر في أكثر ما أتى به في تأليفه ذلك الملقب بالموازنة من التقارب بين الأنحاء واللغات في الملتين، حتى ذكر ألفاظ [ألفاظا] قليلة الكم توافقت فيها مع اللغة اللاطينية [اللاتينية] والبربرية. وهذا أمر إنما وقع فيما أظن بالاتفاق. وقد كان تقدمه للكلام في تقارب اللغة خاصة دون النحو، دونش بن تميم القيرواني المنبوز بالشفلغي ولم يصيب <يصب> إصابة هذا الرجل حسب ما يبدو لمن شاء مطالعة تأليفهما". ص. 40

4 ينسب ابن قريش إلى طاهرة (الجزائر) وعاش في المغرب. وأصل كتابه رسالة بعث بها إلى يهود فاس يحثهم فيها على قراءة النصوص الآرامية التي تكون جزءاً من التوراة والقسم الكبير من التلمود، ولعل يهود المغرب كانوا قد تخلوا عن فعل ذلك، ونشرت الرسالة مراراً، وأجود نشراتها التحقيق الأكاديمي (دكتوراه) الذي قام بها دن بقر ה'רסאלה' *של יהודה בן קוריש*, מהדורה ביקורית מאת דן בקר, אוניברסיטת תל-אביב, 1984. (رسالة يهودا بن قريش، تحقيق نقدي أنجزه دن بقر، جامعة تل-أبيب، 1984.

كتب المؤلف كتابه باللغة العربية وبالحرف العبري، على عادة اليهود الذين كانوا يعيشون في كنف بلاد الإسلام. وتناول فيه جانبين: جانب النحو، وهو مختصر، وهو الذي ننشره هنا، وجانب المعجم وهو قسم أطول بالنسبة للباقي من الكتاب[1]. ونهج فيه المقارنة بين اللغة العبرانية والعربية والآرامية بالدرجة الأولى. وأتى فيه بكثير من الشعر العربي القديم والأحاديث والقرآن والأمثال مع معرفة عميقة باللغة العربية. .

على الرغم من أهمية كتاب **الموازنة** في تاريخ التأليف النحوي عند اليهود، فإنه لم يجد عند هؤلاء ما يستحقه لأسباب منها، أن اليهود إذ ذاك كانوا يرفضون مقارنة اللغة العبرية المقدسة بغيرها من اللغات الدنيوية، كما يرى ذلك يهوشوع بلاو[2]. وقد تردد صدى هذه النزعة المعارضة لدى فقهاء اليهود، في جل مؤلفات كتب النحو العبري التي ألفت في الأندلس في العصر الوسيط، فكلها كانت تشير إلى رفض الأحبار ورجال البيعة، مقارنة اللغة العبرية بغيرها. وكان اللغويون، وخصوصاً كبارهم، مثل يهودا بن قريش وابن جناح وابن برون هذا، يتهمون الفقهاء بسوء الفهم والجهل. ولعل كتاب ابن برون الموازنة، أصدق تمثيل لهذا الصراع اللغوي. فقد كانت لهجة المؤلف الجدلية واضحة جلية، عندما أرجع ضعف الفقهاء إلى جهلهم بمناهج التحليل اللغوي، خصوصاً فيما كان يعتبره عويصاً في لغة التوراة. وقد قرب هو الأمور إلى الأفهام بمقارنة الأصول العبرية الغامضة باللغة العربية، ووضعها في حقل الدلالة المشتركة، فتبين له بهذا الفعل سرُّ غموض كثير من المعاني عند المفسرين اليهود، ذلك أنهم اغفالوا سُنَن التطور اللغوي، فخفي عنهم ما يقع في اللغات بسبب التنقل والجوار وتفرع المعاني وتحول المجاز إلى حقيقة. وكان من البديهي أن يرفض الفقهاء اليهود الذين يتهمهم لغويو العبرية بقلة الفهم، آراء ابن برون الجريئة التي تريد أن تجعل

1 أعددنا هذا القسم هو الآخر للنشر منذ زمان، غير أن ظروفا منعتنا من إخراجه، ونأمل أن يزول المانع لفعل ذلك.

2 المختار من النصوص باللغة العربية اليهودية، يهوشوع بلاو، دار ماغنس للنشر، الجامعة العبرية في القدس، 1980، ص. 151. (الكتاب مكتوب بالحرف العبري والمقدمات والتعاليق باللغة العبرية).

اللغة العربية مفتاحاً لفهم التوراة، وكان من البديهي أيضاً أن لا يعجب هؤلاء، وقد راموا حصر فكر المتأدبة اليهود ومتنوريهم في فلك التلمود وتوابعه، كتاباً استشهد فيه صاحبه بالقرآن والحديث وأقوال العرب وشعرائهم، من كان منهم جاهلياً أو مخضرماً أوإسلامياً، وقد استشهد بشعر ما يقرب الثلاثين شاعراً عربياً.

ولهذه الأسباب ضاع العديد من نسخ هذا الكتاب ولم يبق منه إلا نسخة يتيمة بها نقص كبير احتفظت بها مكتبة سانت بتسبورغ (لينين غراد)، مع قطعة أخرى في مكتبة البودليين (Neubaauer)، سماها الناشر (Noviematerialï). وأخرج المخطوطة الأولى مع ترجمة روسية Kakovtsov سنة 1890، ثم أضاف إليها قطعة البودليين سنة 1916. والمخطوطة مكتوبة أصلاً بلغة عربية وبخط عبري على عادة هذا النوع من الكتابات. وتوجد للكتاب ترجمة إنجليزية بتصرف مع بعض التعاليق، من عمل P. Wechter بعنوان Ibn Barun's Arabic, Works on Hebrew Grammar and Lexicography, Philadelphia, 1964.

ونقل الكتاب إلى الحرف العربي أحمد محمود هويدي[1]، وإذا ما غضضنا الطرف عن المقدمة التي قدم بها الكتاب، فإن النص بقي عيياً يحتاج إلى الكشف عن خفاياه، ولا يستفيد منه إلا من له إلمام باللغة العبرية، لأن الناشر ترك الشواهد بالعبرية ودون ترجمة. وإخراج مثل هذا النص يفرض أن يوضع في إطاره الفكري والتاريخي، ويفرض إرجاعه إلى أصوله العربية مادة وأعلاماً، وهذا مغيب في إخراج الأستاذ هويدي. ولعله استعجل الأمر ليضع النص كما هو بين أيدي طلابه ليستفيدوا منه. ولأن نشرة الأستاذ أحمد محمود هويدي على ما هي عليه، رأينا من الصواب نشر تحقيقنا هذا الذي كنا أعددناه منذ زمان. وهذا هو النص.

---

1 أحمد محمود هويدي، الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الأدبية اللغوية، (4) 1999.

النص المحقق

أ- قســـــم التـــركيب

سبق أن قلنا بأن المخطوطة الفريدة التي عُثر عليها لم تكن كاملة، وهكذا فالموجود من قسم التركيب يبدأ بما ياتي:

[القول على مرتبة الإسم][1]

....

1-1 [الظاهر والمضمر]

والنون عند العرب ضمير جماعة الصنفين وهذا الضمير عندنا هو بالميم فقط والنون فقط نحو אֲדִקֵּם, אֶרְקָעֵם[2] (إدِقِّم، إرْقَعِم): أدُقُّهُم أدوسهم. والمنفصل عند العرب، إيّاي إيّانا. ونظير ذلك لفظة את (إتْ) عندنا مثل: וְקִדַּשְׁתָּ אֹתָם (وقِدَّشْتِ أوتُمْ)[3] وَقَدَّسْتَهم (وقدَّسْتَ إيَاهم. אותי (أوتِي=إيَاي)، وما أشبه ذلك. وأما مبني المضاف[4] فلا يكون إلا متصلا نحو الياء للواحد، والنون مع الواو

---

1 ضاع جزء من باب الإسم، ومن المفروض أن يبدأ ابن برون حديثه عن الإسم بوصف الأصوات اللغوية ومخارج الحروف العبرية وخواصها والحركات، ويمكننا أن نتخيل بدايته اعتماداً على ما بدأ به أبن جناح كتابه، حيث خصص أبواباً هي: "مبادئ الكلام"، "في ذكر مخارج الحروف"، "ذكر أقل أصول الأسماء والأفعال والحروف وأكثر أصولها"، "معرفة الحروف الأصلية والزائدة"، "تلخيص أكثر معاني حروف الزيادة وذكر مواضعها"، وغير هذه، وقد افترضنا هذه الفرضية لأن ابن جناح قسم كتابه أيضاً إلى قسمين: قسم النحو والتركيب، وقسم المعجم، مع مقارنات لغوية وإن اختلفت عن منهاج ابن برون، فابن جناح خص بحثه باللغة العبرية ولم يهتم كثيراً بالمقارنات، خصوصاً في القسم الأول، بينما اهتم ابن برون بالمقارنة بين اللغة العبرية والعربية أساساً.

2 ورد الاستشهاد في العهد العتيق، سفر صموئل الثاني 22/43، وאֲדִקֵּם, אֶרְקָעֵם من الفعل דקדק (دِقدِق): دَقَّقَ، فتَّتَ والفعل רקע (رقع): داس، وطئ الأرض بشدة. אֲדִקֵּם, אֶרְקָעֵם (إدِقِّ+م إرْقَعَ+م). فهذه الميم هي الضمير، ولن نطيل الكلام في هذه النقطة، لأننا نجهل ما سبق أن ذكره المؤلف، فهل يقصد هنا الضمير المختص بالجر والنصب والرفع والمذكر والمؤنث ونون النسوة...؟ ونلفت النظر إلى أن المؤلف يأخذ أمثلته، ولو كلمة واحدة من العهد العتيق، ولهذا نحيل دوماً على السفر والفقرة اللذين هما مصدر المؤلف.

3 سفر الـخروج 28 - 41 وفي أماكن أخرى.

4 يقصد بمبنى المضاعف الضمائر المسندة إلى الاسم، مثل סִפְרִי (سِفْرِي): كتابي، סִפְרֵנוּ (سِفْرنُو): كتابنا، סִפְרוֹ: (سِفْرُو): كتابه، סִפְרָהּ: (سِفْرَهْ): كتابها، סִפְרְךָ: سِفِرْخَ (سفرخ) [الكاف رخوة]:كتابك. وقوله: الواو والألف للجماعة، فالواو بالنسبة للعبرية والألف بالنسبة للعربية وهكذا...

والألف للجماعة، والهاء والواو للواحد الغائب، أو الواو فقط والهاء للمؤنث الغائب، والكاف للمخاطب وعلامات الجمع اللاحقة لها معلومة، وقد ذكرتها قبل[1].

وليس عندنا ضمير تثنية، فإنه ضمير الجمع[2].

وقد اشتمل هذا الخلاف على جميع الضمائر وهي تحت الاسم داخله.

2-1 المعرفة والنكرة

المعرفة تنقسم أقساماً، فمنها الاسم العلم مثل ראובן (رؤُوفِن) שמעון (شِمْعُون)، زيد عمرو. والكنايات[3] نحو אֲנִי (أنِي): أنَا، אַתָּה (أتّاه): أنت، ونظائرها. والمبهم مثل זֶה (زِهْ): ذَا זאת (زُتْ)[4] ذِه، فإنه لا يشار إلا إلى ما يعرف وإن كانت الهاء قد تدخل عليهما عندنا فهي للتنبيه مثل الهاء في العربية التي للتنبيه وتدخل على ذا، ذه، ؤلاء، فيقال هذا هذه وينشد لذي الرمة

كَثِنْتَيْن إنْ تَصْرف ذِه وتنصرف ذا[5].

---

1 ذكرها في القسم الضائع وتكون عند إسناد الضمائر كالآتي:
סְפָרַי (سِفَرَيْ): كُتبي، סְפָרֵינוּ (سِفَرِينُو): كتبنا. סְפָרָיו (سِفَرَوْ): كتبُهُ. סְפָרֶיהָ (سِفَرِيها): كتبها. סְפָרַיִךְ (سِفَرِيخْ): كتبكَ. أورد أبو الوليد مروان بن جناح الذي سياتي ذكره في هامش خاص، الضمائر في "الباب السادس عشر" من كتابه اللمع، وسنحيل عليه كلما دعت الضرورة، لأن الكتاب كان تحت عيني ابن برون دوما.

2 لم تعد التثنية قاعدة متبعة في اللغة العبرية ولم ترد في أي نص عبري بما في ذلك التوراة، فباستثناء بعض الأسماء المثناة أصلا في الطبيعة والتي تميز بعلامة ...ַיִם (يَمْ) تلحق باقي الأسماء علامة الجمع ...ִים (يِيمْ) מִסְפָּרַיִם (مِسْبَرَايِم): مقص، (المقص مؤلف من قطعتين). ولتثنية الأسماء في العبرية يسبق المثنى وهو على صورة الجمع بـ שְׁנֵי (شِنِي): اثنان للمذكر. و שְׁתֵּי (شِتِي): اثنتان للمؤنث، مثل שְׁנֵי יְלָדִם شِنِي يِلدِيم): "اثنان ولدان"، שְׁתֵּי בָּנוֹת (شِتِي بَنُوت): "اثنتان بنتان".

3 يقصد بالكنايات ضمائر الرفع المنفصلة باستثناء ضمائر المثنى لأنها غير مستعملة في العبرية، وسماها الزجاجي المضمر حيث قال: "والمعارف خمسة أجناس، الأسماء الأعلام نحو زيد ومحمد، والمضمر نحو أنا وأنت، والمبهم نحو هذا وهذان وهؤلاء وذاك، وما عرف بالألف واللام نحو الرجل والغلام، والمضاف نحو غلام زيد، وصاحبك". الجمل للزجاجي [تحقيق أبي شنب] طبعة باريس، 1957.

4 وهي أسماء الإشارة وفي الكتاب لسيبويه (... والأسماء المبهمة: هذا وهذان وهذه وهاتان وهؤلاء وذاك وذالك وتلك وتانك وتيك أولئك وهو وهي وهما وهم وهن...) الكتاب: أبو بشر عمر سيبويه، طبعة بولاق، 1316 هـ، ج 1، ص. 256.

5 الاستشهاد من شعر ذي الرمة غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، (77- 117هـ)

وقد ذكرت هذا أيضا فيما تقدم. وما عُرِّف بالهاء التي هي نظير الألف واللام عند العرب نحو הָאִישׁ (هَإيش): الرجل. وما أضيف إلى معرفة ظاهرة كانت أو مضمرة مثل עֶבֶד אַבְרָהָם (عِفِد أفْرَاهَمْ)[1]: عبد إبراهيم، עַבְדְּךָ (عفدخَ): عبدك. ولن يجوز إدخال الهاء عليها[2] عندنا، ولا الألف واللام عند العرب لئلا يجتمع في اسم واحد معرفتان. وأما הָאָהֳלִי [3] (هَأهَلِي): الخيمتي=خيمتي[4]. וְהַחֶצְיוֹ وهَحِصْيُو): والنّصفه = نصفه، فمن الشاذ لا يقاس عليه.

وأما النكرة فهي جنس واحد وهي كل اسم شائع في جنسه لا يخص به واحد عن آخر[5]. وحسن فيه الهاء عندنا والألف واللام عند العرب[6].

3-1 المذكر والمؤنث

المذكر يجيء بهاء وبلا هاء نحو רְאוּבֵן (رؤُوفِن) שִׁמְעוֹן (شِمْعُونْ) זְכַרְיָה (زِخَرْيَهْ) [زكرياء] שְׁמַעְיָה (شِمَعْيَهْ) בְּרַעְיָה (برْعِيَهْ)[7]، وهو عند العرب كذلك نحو: بكر بشر نهر حمزة طلحة.

والمؤنث أيضا بهاء وبلا هاء، نحو: שָׂרָה (سَارَّهْ) רִבְקָה (رِفقهْ) שֶׂרַח (سِرَحْ)[8] רוּת (رُوتْ) אֲבִי בַת-זְכַרְיָה (أبي بت (بنت) زخرياه)[9]، אֶרֶץ (إرِصْ): أرض אֵשׁ (إشْ): نارٌ ونظائرها: عاتكة فاطمة هند دعد دار نار. وسأذكر

---

1 تكوين 24/ 34، وفي أماكن أخرى.
2 أي إدخال الهاء التي هي أداة التعريف في العبرية على المعرفة لامتناع اجتماع تعريفين..
3 سفر يشوع 7/21.
4 نفسه 8/38. وهذا مثال ورد في التوراة اجتمع فيه التعريف والإضافة إلى ضمير الغائب المذكر، ولا يقاس عليه.
5 - في الجمل: "النكرة كل اسم شائع في جنسه لا يخص به واحد دون آخر...، ص. 191. ومؤلف كتاب الجمل هو الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان ت. 340هـ. (الجمل، طبعة الجزائر).
6 أداة التعريف في اللغة العبرية هي الهاء، تدخل على الاسم، ومعلوم أن من علامات النكرة في العربية قبولها دخول "الـ" التي تفيد التعريف. وهذا هو الذي يقصد بـ "حسن فيه....."، مثل אִישׁ (إيش): رجل، הָאִישׁ (هايش): الرجل.
7 هذه أسماء أعلام. ويريد أن يقول إن الأسماء [أسماء مطلقة وأسماء الأعلام] قابلة لأداة التعريف لتي هي "هاء" في العبرية و"ألـ" في العربية.
8 سفر التكوين 46/ 17. أخبار الأيام الأول، 7/ 30.
9 هذه أسماء أعلام وضمنها اسم علم لأنثى في صيغة جملة هو "أبي بت زخريه"، وذلك من سفر الملوك الثاني، الإصحاح 18، الفقرة 2: " كان [حزقيه] ابن خمس و عشرين سنة حين ملك و ملك تسعا و عشرين سنة في اورشليم و اسم امه "ابي ابنة زكرياء".

بعض ما اتفقت فيه اللغتان من التذكير والتأنيث في الأعضاء وغيرها إذ ليس هذا مكان ذكر ذلك[1].

4-1 العامل وغير العامل[2]

العامل هو اسم الفاعل المضارع للفعل مثل הַמַּכֶּה אֶת-מִדְיָן [3] (هَمَكّهْ إتْ مِدْيَنْ): الضاربُ مَدْين، מַכֵּה אָחִיו [4] (مَكّهْ أحِوْ): ضاربَ أخيه، גֹּנֵב נֶפֶשׁ [5] (گُنِفْ نِفِش): سارقٌ نفساً. ونظير ذلك مكرم زيداً، ضارب أخاه. وغير العامل مثل الأسماء الأعلام لأنك لا تقول زيد عمراً ولا יִצְחָק יוֹסֵף (يصْحَك يُوسِف): إسحق يوسف.

5-1 المشتق وغير المشتق

المشتق نحو: יִצְחָק (يصْحك=يسحق) من צחק (صحك)[6] = ضحك. יַעֲקֹב (يَعَقُفْ): يعقوب من יעקבנו[7] (وَيَعْقِفِنِي): تعقبني. وغير المشتق نحو

---

1 لعله يقصد ما سياتي في القسم الخاص بالمعجم، وقد قارن فعلا بين الأعضاء في هذا القسم، فالينظر هناك.

2 لا يعني هنا استعمال "عامل" ما يعنيه في المصطلح العربي، إذ اللغة العبرية الآن غير معربة فهي ساكنة الأواخر بينما يظهر عمل العامل في اللغة العربية في أواخر الكلمات إذ يقول النحاة: "النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، والرفع يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي ". انظر كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي، تحقيق شوقي ضيف، طبعة دار الفكر العربي، 1947، ص. 85، وانظر الكتاب للسيبويه ج 1، ص. 276. وانظر مناقشة العامل في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، ط. رابعة 1961، ج 1، ص. 44. والظاهر أن ابن برون استعمل المصطلح أخذا من النحو العربي وذلك أن بعض العوامل تعد أصولا كالأفعال وبعضها فروعا كالاسماء والحروف، وبما أن اسمء الفاعل يعمل عمل الفعل، كما مثل لذلك في الأمثلة، سماه عاملا لعمله المعنوي لا لعمله الظاهر الذي هو النصب والخفض والجزم والرفع، ما دامت أواخر الكلمات ساكنة في اللغة العبرية.

3 التكوين 38/35؛ أخبار الأيام الأول 1/46.

4 اصموئل الثاني 14، 7.

5 سفر التثنية 24/7.

6) العلم "إسحق" من الفعل צחק (صَحَكْ) = ضحك، وعلى هذا فمعناه الضاحك (في صيغة المضارع).

7 التكوين 27/36، الاسمء العلم "يعقوب" جاء من "تعقبني"، تقول الآية المشار إليها: فقال إلا أن اسمه دُعي يعقوب فقد تعقبني الآن مرتين" وقد جاء الفعل "وَيَعْقِفِني" في صيغة المضارع المسبوق بواو القلب لذلك كان معناه: "تعقبني".

פִּלְדָּשׁ (بِلدَش)[1] עֲמָלֵק (عَمَلِقْ)[2] סוּס (سوس): فرس، גָּמָל (كَمَلْ): جمل، نظير ذلك: دعد وهمّان وفرس وجمل وما أشبهها.

1-6 المنصرف وغير المنصرف[3]

المنصرف في لغتنا هو الذي يتغير في الانفصال عما هو عليه في الاتصال مثل אֶרֶץ (إرْصْ): أرض الذي يتغير في الانفصال إلى אָרֶץ (أرصْ): أرض وما يشبهه، وغير المنصرف يكون على حالة واحدة متصلا ومنفصلا مثل מֶלֶךְ (مِلِخْ): ملك وما أشبهه، وهذا أشبه ما يعبر به عن معنى الانصراف في لغتنا، وقد ذكر ذلك الحكيم أبو الوليد رحمه الله[4].

1-7 البسيط والمركب[5]

الأسماء البسيطة في اللغتين تكون على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف وخمسة أحرف أصولا، لا يكون اسم متمكن على أقل من ثلاثة أحرف أصول: فاء الفعل وعينه ولامه على أن لا يكون منقوصاً مثل עַם (عَمْ): شعب، שֵׁן (شِنْ): سِن، יָד (يَدْ): يد، وما أشبهها من العربية، أو مضمراً متصلا مثل الياء

---

1 سفر التكوين 22/22، و"بلدش" هو اسمء ابن ناحور أخي إبراهيم كما جاء في التوراة.
2 اسم ابن البيز אֱלִיפַז بن عصور بن ناحور أخي إبراهيم.
3 المنصرف في اللغة العربية هو الذي يخفض وينون آخره، وغير المنصرف هو الذي لا يخفض ولا ينون، ويكون في موضع الخفض مفتوحا، وهي حالة لا يمكن أن تتمثل في اللغة العبرية لأنها ساكنة الأواخر، ولذلك فكلمة منصرف وغير منصرف تعني هنا التغير الذي يحدث في بداية بعض الكلمات، كما يتضح ذلك من الأمثلة أعلاه، إذ يشكل الحرف الأول من الكلمة "أرض" (ארץ) بفتحة طويلة إذا كانت مجردة وبكسرة إذا كانت مضافة، إذا فشكل أولها يتغير لذلك فهي منصرفة. ويشكل الحرف الأول من كلمة מלך"مِلِخْ": ملك بكسرة سواء كانت مجردة أو مضافة، أي لا يتغير ولذلك فهي غير منصرفة.
4 أبو الوليد بن جناح (يونه بن جناح) ولد أواخر القرن العاشر بقرطبة وتوفي أواخر القرن الحادى عشر بسرقوسطة. من أكابير النحويين واللغويين اليهود، وهو مؤلف لمؤلفات عديدة منها: كتاب المستلحق والتنبيه والتسهيل والتسوية وكتاب اللمع، وقد أورد ابن جناح هذا في كتاب التنقيح، في قسمه الأول الذي خصه بالنحو والصرف، والذي سماه اللمع، الباب التاسع عشر "الاتصال والانفصال وفي ذكر ما ينصرف وما لا ينصرف". وقد أخرج الكتاب بحروف عبرية مع ترجمة فرنسية J. Derenbourg, بعنوان le Livre des parterres fleuris, Paris, 1886، وطبع ترجمته العبرية التي فعلها ابن تبون في العصر الوسيط، گولبيرگ بفرانكفورت 1856. وطبع طبعات.
5 يقصد المؤلف بالبسيط: المجرد، والمركب: المزيد.

والكاف والتاء وسائر الضمائر التي شرحتها قبل[1]. ويبلغ الاسم بالزيادة سبعة أحرف مثل הִשְׁתַּחֲוָיָה[2] (هِشْتَحَوَيَهْ): سجود. ونظيرها في العربي: اشهباب، احرنجام.

فأما بنية الثلاثي البسيطة فمثل גָּמָל (كَمَل): جمل، דָּבָר (دَفر): شيء، كلمة، יָרֵךְ (يَرِخْ): وَرِكٌ، כָּתֵף (كَتِفْ): كـتِف، צֵלָע (صِلِعْ): ضلع، עֵנָב (عِنَفْ): عِنَب، בָּקָר (بَقَرَه): بقر، קֹשֶׁט (قُشِطْ): صدق، נֵרְד (نِرْد): الناردين (نبات)، وما أشبه ذلك في العربية، نحو حمل جمل نمر فلس قفل عنب، وما شابه ذلك.

والرباعية نحو שַׁמְגַּר [3] (شَمْكَرْ)، בַּרְזֶל (بَرْزِلْ): حديد פִּלְדָּשׁ[4] (بلدَاش) פַּרְדֵּס (بَرْدِسْ): بستان (فردوس)، קָדְקֹד (قَدْقُدْ): قمة، جمجمة. ونظائرها جعفر فلفل زبرج[5].

والخماسية البسيطة نحو צְלָפְחָד[6] (صِلَفْحَدْ)، צְפַרְדֵּעַ صفَرْدِيَّعْ): ضفدع، שַׁעַטְנֵז (شَعَطْنَزْ): قماش من الصوف والكتان. שַׁעַשְׁגַז[7] (شَعْشْكَازْ) ونظائرها سفرجل، فرزدق. فهذه كلها أبنية الأسماء البسيطة التي حروفها كلها أصول.

وأما المركبـة فمنـها ما لهمـا أفـعـال وهي تـدرك بالقيـاس مـثـل: מוֹשָׁב (موشف)، מֶרְכָּב (مِرْكَفْ)، מִרְבָּץ (مِرْبَصْ)، מִשְׁכָּב (مِشْكَفْ) ونظائرها: مجلس ومركب ومربض ومضجع[8] وما أشبهه. ويستدل على الأسماء المركبة بحروف الزيادة التي تلحقها وهي الألف والواو والميم والنون والياء، إما أولا

---

1 في القسم الضائع، انظر الضمائر في كتابنا مدخل اللغة العربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1982، ص. 161.

2 سفر الملوك الثواني 5/18 בְּהִשְׁתַּחֲוָיָתִי (بهشْتَحَوَيَتي)

3 اسم أحد قضاة بني إسرائيل.

4 هو ابن ناحور أخي إبراهيم.

5 الزِّبْرِجُ: الوشي والذهب وزينة السلاح، وزبرج الشيء حسنه. (لسان العرب مادة زبرج).

6 صلفحد بن حِفِرَه من الاسماء المذكورة في التوراة (سفر العدد 26/33).

7 اسم خادم خصي كان للملك "أَحْشْوِرُش"، ملك الفرس كما جاء في سفر استير، انظر بالخصوص سفر استير 2/14.

8 هذه ترجمات الكلمات العبرية التي أتى بها المؤلف نفسه على التوالي.

وإما وسطاً وإما آخراً مثل: אַבְנֵט [1] (أفنِط): نطاق، אֶזְרוֹעַ (إزرُوعْ): ذراع، יַנְשׁוּף (يَنْشُوف): بـوم، תַּחְמָס (تَـحْمَسْ): صقـر، נִמְרוֹד [2] (نِمْرُود): الـنمـرود، מְחֻלָּן (مَحْلون): حليم. אֶלְגָּבִישׁ (إلگَفِيش): بَرَد. ونظائرها البَوْسُ[3] وأسْوَار[4] وعنكبوت وسكران، وما أشبه ذلك.

ومن الأسماء المركبة صنف آخر هو الأسماء المركـبـة مـن اسمين مـثـل חֲצַרְמָוֶת (حَصَـرْمَـوْت): حضـرمـوت שֶׁמְאֵבֶר[5] شِمْإفِر) פַּתְשֶׁגֶן[6] (يَتْشِكِن): نسخة، ونظائرها حضرموت وبعلبك وتأبط شرا.

ومن الأسماء أسماء ناقصة لا تتم إلا بصلة وعائد وهي:

מִי (مِي): مَنْ، و מַה (مَهْ): ما، אֲשֶׁר (أشِّرْ): الذي، אֵי (إي): [أين][7]. ونظيرها مَنْ وما والذي والتي. (مَهْ) وما [العربية] على من لا يعقل والذي والتي و אֲשֶׁר (أشِرْ) وאֵי[8] (إي) على ما [مَن] يعقل وعلى ما لا يعقل إلا أنَّ אֲשֶׁר (أشِرْ) عندنا يقع على المذكر والمؤنث والواحد والجمع لا يثنى ولا يجمع، كما فعلت العرب في الذي والتي، فإن لهما عندهم تثنية وجمع[اً]. وقد وفّى الحكيم أبو الويد رحمه الله شرح أبنية الأسماء المتصلة عندنا في كتاب اللمع إلا أنه خلط الأبنية البسيطة والمركبة[9]، وكان الحسن أن يفصل كل فصل منها عن صاحبه.

---

1 نطاق يتمنطق به الأحبار والروسا، فيكون لهم علامة على الشرف والمجد גדולה، انظر سفر الخروج 9/29، اللاويون 8/13.

2 اسم من الأسماء المذكورة في التوراة، (تكوين 11-10/8.)، كان ملكا على بابل وهو مؤسس مدينة نينيف.

3 هو التقبيل، وهو معرب عن بوش الفارسي.

4 الأسْوَار والإسْوَار: القائد عند الفرس. الرامي بالسهام الراكب الرزين فوق فرسه.

5 اسم ملك جاء ذكره في التوراة تكوين 14/2.

6 من الكلمات النادرة في التوراة في الآرامية פַּרְשֶׁגֶן (بَرْشِكِن) ترجمة من كتاب وأصل، الجذر من السنسكريتية، وجاء في سفر إستير 3 14 و 8 13 و 4 8.

7 معنى אֵי (إي) هو أين، غير أن المقابل الذي أتى به المؤلف هو "التي" اسم موصول للمؤنث.

8 تستعمل للعاقل بإضافة זֶה (زه) אֵי-זֶה (إي زه): مَنْ.

9 تناول ابن جناح أبنية الأسماء في الباب التاسع من كتابه اللمع، أنظر صفحة 100 من نشرة J. Derenbourg الباريسية سنة 1886.

والقياس في الأسماء السالمة والمعتلة واحد، فإن كل اسم معتل أو فعل إذا جبر وصرف إلى حقه ساوى الصحيح السالم[1].

وإذ قد وفيت القول على أنواع الاسم وأبنيته، فإني أذكر خواصه التي ينفرد بها وهي شاملة لكل نوع وبناء من الأنواع والأبنية التي ذكرتها، فإن كل واحد منها نوع داخل تحت جنس الاسم ويلحق النوع ما يلحق الجنس.

2 القول على الخواص التي تلحق الاسم

الخواص التي تلحق الاسم في اللغتين هي: النعت والبدل والإضافة والنداء والاستثناء ودخول علامة التعريف وحروف الخفض. ويلحقه عند العرب زيادة على ما ذكرته، الخفض والتنوين والتصغير. وليس عندنا شيء من ذلك، وأنا مبين هذه الخواص أولاً فأولاً.

2-1 النـعـت

النعت عند العرب تابع للمنعوت في حال إعرابه وفي معناه، أما عندنا فلا إعراب لنا. والنعت تابع للمنعوت في معناه أعني أن ينعت المفرد بالمفرد والجمع بالجمع من المذكر والمؤنث، والنكرة بالنكرة والمعرفة بالمعرفة. هذا هو القياس في اللغتين، إلا أنه قد خولف عندنا، فتنعت المعرفة بالنكرة والنكرة بالمعرفة في قولهم אֶת-הַכֶּבֶשׂ אֶחָד (إت هِكِفِشْ إِحَدْ): الـخروفَ واحـداً[2]. הַדּוּד אֶחָד[3] (هَدُّودْ إِحَـدْ): في السـلة واحــدةٍ. הָרִים הַגְּבֹהִים[4] (هَرِيم هَكْفُوهِيم) جبالُ العالية. وهو خارج عن القياس ولا يستعمل مثله وأما זֶה, הַיָּם גָּדוֹל[5] (زِه هَيَّمْ كَرُول): هـذا البَحْـرُ عـظيمـ[اً] فليس من هذا ولا גדול (كَدُول): عظيم، نعتٌ لـ הים (هَيَّمْ): بحر، وإنما هو في موضع نصب بالحال ويترجم: هذا البحر عظيماً،

---

1 ربما يقصد بـ"الاسم المعتل" الاسم الذي تسقط بعض حروفه عندما تتغير صيغه.

2 أوحى الرب لموسى كما جاء في التوراة، بأن يقدم بنو إسرائيل قرابين منها "الخروفَ واحدًا[الواحد] تعمله صباحا.." انظر سفر العدد 28/4.

3 إرميا 24/ 2 (في السلة واحدَة (الواحدةِ) تينٌ جيد جداً....

4 مزامير 104/ 18 الجبالُ عاليةٌ (العالية) للوعول....

5 مزامير 104/25.

كما يقال: هذا الرجل راكباً وهذا عمرو جالساً، وفي القرآن: "هو الحق مصدقاً"[1]. ومثل هذا זֶה לַחְמֵנוּ, חָם[2] (زهْ لِحْمِنُو حَمْ): هذا خبزنا سخناً. ليس חם (حَمْ) نعتاً لـ לחמנו (لحِمْنُو): خبزنا، فأنه نكرة ولחמנו (لَحْمِنُو): خبزنا معرفة، وإنما هو حال مقدم من הִצְטַיַּדְנוּ (هِصْطيَدْنُو): تزودناه، ويترجم "هذا خبزنا دفيئا [دافئاً] تصيدناه". ولأصحاب التلحين[3] في هذا قول يعضد المعنى الذي ذكرته. وأما וְהָאֶבֶן גְּדֹלָה[4] (هَاِفِنْ كِدُولَهْ) فليس من هذا أيضا وإنما هو ابتداء وخبره، وترجمته: "والحجر عظيم". كما يقال الرجل عاقل.

وأما سائر النعوت مثل نعت الصناعات والأنساب وغيرها، فهي جارية هذا المجرى ومطردة في اللغتين على قياس واحد.

والنعت يلحق جميع أنواع الاسم إلا المضمر فإنه لا ينعت، لا يقال: مررت به قائماً، وهو عندنا كذلك.

2 - 2 البـدل

حكم البدل في اللغتين أن تضعه مكان المبدل فإن حسن، فهو بدل نحو أن يبدل الشيء من الشيء، وهما لعين[5] واحدة مثل: אֱלֹהִים אֱלֹהֶיךָ[6] (إلُهيمْ إلُهيخ): الله إلهك، [ל] לְאַבְרָהָם אָבִיךָ[7] (ابرَهَمْ أَبْيخَ): إبراهيم أبوك. דָּוִד, וּשְׁתֵּי נָשָׁיו, אֲחִינֹעַם הַיִּזְרְעֵאלִת, וַאֲבִיגַיִל אֵשֶׁת-נָבָל הַכַּרְמְלִית[8] (دَودْ وُ شْتِي نَشَوْ أحِينُعَمْ هَيِّزرعِلِيت و أفِيكِيل إشَتْ نَفَلْ هَكَرْمِلِيتْ): داود وامرأتاه أخِينُعَمْ اليزْرَعِيلِيَّة وأبيكيل امرأة نَابَالْ الكَرْمَلِيَّة، עַל-שְׁבֻעַת יְהוָה, אֲשֶׁר בֵּינֹתָם-בֵּין דָּוִד, וּבֵין יְהוֹנָתָן בֶּן-שָׁאוּל[9]، (عَلْ شِفْعَتْ يَهْوَهْ أشِرْ بينُوتَمْ بيـنْ دَودْ وُفِيـنْ يهُونـتَـنْ بنْ

1 سورة البقرة، 85.
2 يهوشوع 9/ 12 זֶה לַחְמֵנוּ, חָם הִצְטַיַּדְנוּ אֹתוֹ מִבָּתֵּינוּ "هذا خبزنا سخناً تزودناه من بيوتنا..." انظر ترجمة المؤلف نفسه فيما يأتي في النص
3 يقصد اللغويين الذين وضعوا قواعد القراءة التوراتية.
4 تكوين 29، 2.
5 لعين واحدة: لشيء واحد.
6 مزامير 45/8 و50/7.
7 تكوين 26/ 3 و 28/ 13.
8 صموئل 1. 27/ 4.
9 صموئل 2. 21/ 7.

شَوُولْ) : من أجل يمين الرب الذي بينهما، بين داود ويونثان بن شاوُلْ. ونظير ذلك في العربية كثير. ويبدل البعض من الكل مثل: לֹא-חָרַץ לִבְנֵי יִשְׂרָאֵל, לְאִישׁ-אֶת-לְשֹׁנוֹ[1] (لُو حَرَصْ لِفنِي يِسْرَئِل لِئِيش إِتْ لِشُونُو): لم يُغْتب بنو إسرائيل، أحد [من بني إسرائيل). ونظيره: لقيه القوم بعضهم. ويبدل الظاهر من المضمر والمضمر من الظاهر مثل וְאַתָּה כִּי הִזְהַרְתּוֹ צַדִּיק[2] (وأتّه كي هِزْهَرْتُو صَدِيقْ): وإن أنت أنذرته البَارَّ. וַתִּפְתַּח וַתִּרְאֵהוּ אֶת-הַיֶּלֶד[3] (وَ تِفْتَحْ وَ تَرْئِهُو إِتْ هَيِّلِدْ): فتحت وأرته الولدَ. وما أشبه ذلك، وليس عندنا بدل الغلط على ما هو عند العرب.

3-2 الإضــافــة

حكم الإضافة في اللغة العربية حذف التنوين من الاسم المضاف والنون من التثنية والجمع، وحكمها عندنا تغيير أول الاسم المعرَّف[4] وحذف الميم من التثنية والجمع. ومن خاصة الإضافة أن لا يجمع بين علامة التعريف والإضافة مثل: هذا الغُلامُ زيدٍ. لأن الاسم لا يُعرف من وجهين مختلفين وإنما تدخل علامة التعريف في المضاف إليه مثل: غلام الرجل، ونظيره גְּדֹל הָעֵצָה, וְרַב הָעֲלִילִיָּה[5] (كِدُول هَعِصَه وَرَفْ هَعَلِيلِيَهْ): عظيم المشورة وسيد العمل (قادرعليه)، אֶרֶךְ הָאֵבֶר[6] (إرخْ هَإِفِرْ): طويل القوادم. רָעוֹת הַמַּרְאֶה[7] (رعوت هَمَرْئِهْ): قبيحة المنظر. وإن كان قد خولف عندنا في הָעֲבֹת הַזָּהָב[8]

---

1 يشوع 10/ 21.

2 حزقيال 3، 21 السياق: إن الرب كلم حزقيال النبي وأمره بأن ينبه البار الصادق حتى لا يقع في خطأ فيذهب بره: "وإن أنت أنذرته البارَّ من أن يخطئ... فضمير"الهاء" هو نفس البار فيكون الهاء مبدل والبار بدل.

3 خروج 2، 6، المثال جاء في السياق الآتي: 5 فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل.... فرأت السَّفَط (الإناء الذي ألقي فيه موسى) بين الحلفاء فأرسلت أمَتَها وأخذته، ولما فتحته رأته الولدَ (الضمير في رأته يدل على الولد الذي جاء بعده). فالمبدل هو الضمير "هـ" والبدل هو الولد.لم يأت المؤلف بمثال يكون فيه المبدل ظاهرا والبدل مضمرا.

4 المقصود بالاسم المضاف، أو الاسم المعرف بالإضافة والتغيير، هو الذي يحدث في مثل בַּיִת (بَيِتْ) مفردة و בֵּית (بِيتْ) مضافة، فهي مفتوحة في الإفراد ومكسورة في الإضافة.

5 ارميا 32، 19.

6 يحزقيال 17، 3.

7 تكوين 41، 4

8 خروج 39، 17.

(هَعَقُوتْ هَزَّهَفْ): الظَّفيرَتَيْ الذهب، وما أشبهه، فهو مما لا يقاس عليه ولا يستعمل مثله. والنعت تابع للمضاف لا للمضاف إليه.

2-4 النـــداء

يكون عندنا بلفظة הוֹי (هُوْي) مثل: הוֹי אֶרֶץ[1] (هُويْ إرِصْ): يا أرض. وهي لفظة مجانسة لهيا وإيا وأي التي هي من حروف النداء عند العرب. وينادى بالهاء مثل: הַדּוֹר, אַתֶּם רְאוּ[2] (هَدُّورْ أَتَّمْ رؤُو): أيها الجيل، أنتم انظروا. وهي نظير الألف عندهم على ما قلته فيما تقدم. وينادى بغير حرف مثل אֱלֹהִים (إلُهيم): الله، حيث جاء في معنى الدعاء. ومثل מֹשֶׁה מֹשֶׁה[3] (مُشِهْ مُشِهْ): موسى، موسى. יַעֲקֹב יַעֲקֹב[4] (يَعَقُفْ يَعَقُفْ): يعقوب، يعقوب. לֵךְ-אֶל-נְמָלָה עָצֵל[5] (لِخْ إلْ نِمَلَهْ عَصِلْ): اذهب إلى نِمَلَهْ كَسْلانُ. وهي في العبرية كثير، وليس بين اللغتين تشارك في النداء بأكثر من تجانس حروفه.

2-5 الاستثنـــاء

معنى الاستثناء في اللغتين أن يُستثنى واحد من جميع أو قليل من كثير، ولا يكون إلا بعد تمام الكلام، وله عندنا حروف معلومة كما عند العرب، إلا أن لا تجانس بينها إلا في المعنى فقط[6].

2-6 أداة التعريف

وأما دخول علامة التعريف على الأسماء فإنها تدخل على النكرات خاصة لا غير. إلا أنها قد دخلت عندنا على المعرفة في שֶׁבֶט

1 إشعياء 18، 1.
2 إرمياء 2، 31.
3 خروج 3، 4.
4 تكوين 46، 2
5 أمثال، 6،6.
6 لما كان الغرض عند المؤلف هو موازنة أبواب النحو في اللغتين العبرية والعربية، ولما ظن أن ألفاظ الاستثناء الواردة في التوراة تختلف عن أختها في اللغة العربية، فإنه اعتبر ذلك يدخل في باب المعجم وبه يختص، وإلا فإن من حروف الاستثناء في العبرية "אלא" (إلا) بنفس اللفظ وكذا من حروفه فيها בלעדי (بلعِدي) وهو قريب من "ما عدا".

הַמְנַשֶּׁה[1] (شِفِطْ هَمْنَشّهْ): سِبْط المَنَسِّي[2]. האורנה (הָאֲרַוְנָה) הַיְבֻסִי[3] (هَأَوَرْنَهْ هَيْڤُوسِي): الأرونه اليبوسي. وهو شاذ لا يقاس عليه.

7-2 حروف الخفض

وأما دخول حروف الخفض فهي عندنا مثل: מִן (مِن): مِنْ. אֶל (إلْ): إلى עַל (عَلْ): على. والباء واللام وكاف التشبيه. وإن كان لا خفض عندنا[4]، فإن هذه الحروف التي تخفض في العربية لا تدخل في اللغتين إلا على الأسماء خاصة ولا تدخل على فعل بتة.

فهذه جملة خواص الأسماء، اللاحقةُ لها وهي مختصة بكل نوع من الأنواع التي ذكرتها، إلا المبنية وهي الضمائر، فإنها لا تنعت ولا تنادى ولا تستثنى ويلحقها البدل والإضافة خاصة.

ونتبع هذا القول بقول على تثنية الأسماء وجمعها.

3- القول على التثنية والجمع وما اتفقـ[ـت] عليه اللغتان في ذلك.

فأقول إنه لا فرق بين اللغتين في التثنية والجمع إلا في كونهما عندنا بالميم وعند العرب بالنون وفي الإعراب الذي يلحقهما عندهم، إذ لا إعراب عندنا. فعلامة التثنية عندنا الياء والميم المفتوح ما قبلهما، كما فتح ما قبل علامة التثنية عند العرب في قولهم رجلين وفرسين. وعندنا مثل שְׁנָתַיִם (شْنَتَيم): سنتان. מָאתַיִם (مَاتَيم) مائتان. בֵּין-הָעַרְבַּיִם (بين هَعْرْبَيمْ): بين مغربين [بعد الظهر]. עֵינַיִם عينَيمْ): عينَان. יָדַיִם (يَدَيم) يدان. רַגְלַיִם (رَگْلَيمْ): رجْلان.

---

1 تثنية 3، 13.

2 منسي اسم أحد أبناء يعقوب، وبه سميت قبيلة منسي، والإسم معرف أصلاً بالعلمية ثم دخلت عليه هاء التعريف.

3 صموئل الثاني 24، 16 " ارونة" معرف بالعلمية فهو اسم قائد ومع ذلك دخلت عليه أداة التعريف.

4 يعني أن أواخر الكلمات دائما ساكنة.

وأما علامة الجمع فهي الياء والميم المغلوق المكسور ما قبلهما نحو: חֲכָמִים (حَخَمِيمْ): حكماء. נְבוֹנִים (نفونيم): عقلاء. ونظير ذلك مسالمين وصالحين.

وأما جمع المؤنث فهو عندنا بالواو والتاء مثل: טוֹבוֹת (طُوفُوت): طيبات. وعند العرب بالألف والتاء مثل: هندات صالحات. وليس عندنا جمع تكسير فاعلمه.

ولما كان العدد يقع على الأسماء رأيت أن أذكره تلو هذا القول ليكون الكلام في كل ما يخص الأسماء متصلا.

4- القول على العدد

العدد في اللغتين من المذكر، من الثلاثة إلى العشرة بالهاء، وللمؤنث من الثلاث إلى العشر بغيرها، مثل: וְהִנֵּה שְׁלֹשָׁה אֲנָשִׁים[1] (وهِنَّهْ شِلُشَهْ أنَشِيمْ): وإذا ثلاثة رجال. שִׁשָּׁה חֳדָשִׁים (شِشَّهْ حُدَشِيم): ستة شهور، אַרְבַּע נָשִׁים (أربع نَشِيمْ): أربع نسوة. שֵׁשׁ נָשִׁם (شِشْ نَشِيم): ست نسوة. שֶׁבַע כִּבְשֹׂת[2] (شِفَعْ كِفْسُوت): سبع نعاج. وعند العرب: خمسة أيام وست ليال وثلاثة رجال وأربع نساء. فإذا تجاوزت العشرة أثبت للمذكر الهاء في العدد الأول وأسقطتها من الثاني. والمؤنث على خلاف ذلك مثل: אַרְבָּעָה עָשָׂר יוֹם[3] (أربـعة عَسَرْ يُوم): أربعـة عشر يومـا. חֲמֵשׁ עֶשְׂרֵה אַמָּה[4] (حَمِش عِسْرَة أمَهْ): خمس عشرة أمة، ثلاثة عشر رجلا وخمس عشرة امرأة وما أشبه ذلك. فإذا بلغت المائة فإنه[5] بغير هاء، مذكراً كان المُعَدُّ أو مؤنثاً، لأنك تضيفه إلى المائة، والمائة في اللغتين مؤنثة، كما أن الألف مذكر، فعدده كله مذكر لإضافته إليه فتقول חֲמֵשׁ מֵאוֹת

---

1 تكوين 18، 2.
2 نفسه، 21، 29، 30.
3 خروج 12، 6.
4 تكوين 7، 20.
5 أخطأ ناشر النص في قراءة هذه الكلمة إذ قرأها (خاله).

אִישׁ[1] (حَـمِشْ مؤُوت إش): خمس مائة رجل. שְׁל ֹשׁ מֵאוֹת אַמָּה [2] (شَلَشْ مِؤُوتْ أمَهْ): ثلاثمائة أمة. כִּשְׁל ֹשֶׁת אַלְפֵי אִישׁ[3] (كِشْلَشِتْ أَلفِي إيشْ): كثلاثة آلاف رجل. שִׁבְעַת אַלְפֵי צ ֹאן (شِقعَتْ ألف صون): سبعة آلاف من الضأن.

وأما تعريف العدد، فالاختيار في اللغتين إدخال علامة التعريف على معدود من ثلاثة إلى عشرة ومن الأحد[4] عشرة فطالعا[5] [فصاعدا]. فالوجه إدخال العلامة على المعدود أيضا هذا الاختيار [هو][6] الذي توافقت فيه اللغتان وما جاء على خلافه فهو مما ينبغي ألا يقاس عليه ولا يستعمل مثله.

5-القول على التذكير والتأنيث

أما علامات المذكر والمؤنث وضميرهما، فقد اندرجت فيما مضى من القول في الحروف الآلية ثم في الأسماء والأفعال، ولشيخنا موش [موسى] بن جقطيله[7] رحمه الله، في التذكير والتأنيث كتاب لم يسبق إليه اندرجت فيه فوائد جمة وأسرار في اللغة العبرانية جليلة، كما أن لأبي بكر بن الأنباري[8] في مثل

---

1 استر 9، 6، 12.
2 تكوين 6، 15.
3 خروج 32، 6 .
4 أحد عشر
5 هكذا في الأصل والصحيح هو "فصاعدا"
6 غير موجودة في الأصل ويدعو إليها السياق.
7 ولد موسى بن صموئل بن جقطيلة في قرطبة وعاش بسرقسطة في منتصف القرن الحادي عشر. كتب كتبا في التفسير واللغة، وكان من أوائل من ترجم الكتب العلمية من العربية إلىالعبرية،وضاعت كتبه في الفتن ومنها كتابه هذا التذكير والتأنيث. وقد ذكره موسى بن عزرة ابن جقطيلة ضمن شعراء اليهود في الأندلس. (أنظر تحقيقنا لنص موسى بن عزرا في كتابنا التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي= =رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 200، ص. 87 وما بعدها، وخصوصاً صفحة 95). وانظر أيضاً תולדות הדקדוק, חיים צבי לערנער, וויען תרל"ו ע 17-16 (تاريخ النحو[العبري] حاييم صبي لرنر، فيينا،1876ص. 16-17).
8 ابن الأنباري الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري , المقرئ النحوي. ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين. من كتبه كتاب "الوقف والابتداء" وكتاب "المشكل" و"غريب الغريب النبوي" و"شرح المفضليات" و"شرح السبع الطوال" وكتاب "الزاهر" وكتاب "الكافي" في النحو وكتاب "اللامات" وكتاب "شرح الكافي" وكتاب " الهاءات" وكتاب "الأضداد" وكتاب "رسالة المشكل" وكتاب "الرد على من خالف مصحف عثمان" وكتابه المشار إليـــيه "المذكر والمؤنث ".

ذلك في اللغة العربية كتابا جليل القدر، ولكني أذكر من ذلك هنا جملة فأقول: إن الأسماء المؤنثة تنقسم على أقسام، فمنها:

أن يكون الاسم المؤنث فيه علامة فاصلة بينه وبين المذكر كقولك: שָׂרָה (سَرَّهْ): ساره. רִבְקָה (رِفقه). לֵאָה (لِـأهْ)[1] חָכְמָה (حُخْمَهْ): حكمة. גְּדוֹלָה (كِدُولَهْ): عظيمة. فهذه الهاء هي فاصلة بمنزلة التاء والألف المقصورة والممدودة في قولهم: خديجة وفاطمة وسعدى وليلى وعفراء وبيضاء.

ومنها أن يكون الاسم المؤنث مستغنياً بقياس معنى التأنيث فيه عن علامة كقولك רָחֵל (رَحِلْ). רוּת (روت). שֶׂרַח[2] (سرح). עוֹף (عُوفْ): طَيْر. כַּף (كَفْ): كف. ونظائرها: زينب وهند ودعد ويد وكف وعين وفخذ، معنى التأنيث قائم فيهن، ولا علاقة للتأنيث هنا في لفظهن.

ومنها أن يكون المؤنث مخالفاً لفظه لفظ مذكره مصوغاً للتأنيث. فيصير تأنيثه معروفاً لمخالفته لفظ مذكره مستغنياً في بعضها عن علامــة كقولك: שׁוֹר (شُورْ): ثور. פָּרָה (بَّرَهْ): بقرة. זָכָר (زَخَرْ): مذكر. נְקֵבָה (نِقِفَهْ) مؤنث. עֶבֶד (عِفِدْ): عبد. אָמָה (أمَه): أمَةٌ. חֲמוֹר (حَمُورْ): حمار. אָתוֹן (أتُونْ): أتان. תַּיִשׁ

(تَيسْ): تيس. עֵז (عِزْ): عنزة. ونظير ذلك، ثور بقرة، حمار أتان عبد وأمة عناق[3] عنز.

ومنها أن يكون الاسم الذي فيه علامة التأنيث واقعاً على المذكر والمؤنث كقولك: شاة للذكر والأنثى، وينشد في التذكير:

تجوب في الفلاة إلى سعيد إذا ما الشاة في الأرطاة قالا[4].

---

1 هذه أسماء أعلام نساء.
2 تكوين 46، 17 وأخبار الأيام الأول 7، 30.
2 ج عُنُقٌ وعنوقٌ. وهو الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها السنة
3 العناق هي الأنثى من أولاد الماعز قبل استكمالها السنة، وجمعه عُنُقٌ وعنوق.
4 البيت للفرزدق، وقد أورده ابن منظور في اللسان في جذر "شوه". و"الأَرْطى: شجر ينبُت بالرَّمْل، قال أبو حنيفة:هو شبيه بالغَضَا ينبُت عِصِيّاً من أصل واحد يَطولُ قدر قامة وله نَوْر مثل نور الخِلافِ =

وعندنا: שֶׂה תָמִים זָכָר בֶּן-שָׁנָה[1], (سِهْ تَمِيمْ زَخَره بِنْ شَنَهْ): شاة سليم[ة] ذكر ابن سَنَةٍ. שֶׂה רָזָה[2] (سِهْ رَزَّه) شاة هزيلة.

فهذه جملة أقسام المؤنث في اللغتين. وأما أشخاص الألفاظ المذكرة والمؤنثة فيهما، فقد اشتمل كل واحد من الكتابين المذكورين[3] عليها، ومع ذلك فإني أذكر منها ما وقع التوافق فيه خاصة لا غير ذلك، على رسمي فيما تقدم.

ذكر ما يؤنث من الأعضاء فيهما: العين וְעַיִן רֹאָה (عَينْ رُودَه): العين البصيرة.. الأذن אֹזֶן שֹׁמַעַת[4] (أُزنْ شُمَعَتْ): الأذن السامعة. الكف עַל-כַּף הַכֹּהֵן, הַשְּׂמָאלִית[5] (علْ كَفْ هَكُهنْ هَسِّمْـأَلِيتْ): على كف الكاهن اليسرى. اليد בְּיָד חֲזָקָה[6] (و) بيد حزقه): بيد قوية. الأصبع אֶצְבַּע אֱלֹהִים הִיא[7] (أصبع إلهيم هى): أصبع الله هي. الإبهام וְעַל-בֹּהֶן יָדָם הַיְמָנִית [8] (وعَلْ بُهنْ يدَمْ هَيْمَنِيتْ): وعلى إباهم أياديهم اليمنى. الذراع וּבִזְרוֹעַ נְטוּיָה[9] (وُفِزْرُوَعْ نِطُويَهْ): وبذراع ممدودة. الكتف כְּתֵפִי, מִשִּׁכְמָהּ[10] (كِتِفِي مِشِخْمَهْ): كتفي من عضدها. اليمين וִימִינִי טִפְּחָה שָׁמָיִם[11] (ويمِينِي طِفْحَهْ سَمِيم): ويميني نشرت السموات. الورك וְנָפְלָה יְרֵכָהּ[12] (ونَفْلَهْ يرخَهْ): تتخلع وركها. الساق אֶת-הַשּׁוֹק וְהֶעָלֶיהָ[13] (إتْ هَشُوقْ وهِعَلَيهَ): [فرفع]: ..الساق وما عليها. الرجل אָחֲזָה

= ورائحته طيبة، واحدته أرْطاةٌ، وبها سمي الرجل وكُنّي، والتثنية أرْطيان والجمع أرْطياتٌ، وقال سيبويه: أرْطاةٌ وأرْطى، قال: وجمع الأرْطى أراطى. (لسان العرب، أرط).

1 خروج 12، 5.

2 حزقيال 34، 20.

3 يعني كتاب التذكير والتأنيث لإبن جقطيْلة وكتاب ابن الأنباري.

4 أمثال 20، 12.

5 اللاويون 14، 15، 26.

6 خروج 6، 1 وفي مواضع أخرى.

7 خروج 8، 15. غير أن الضمير (هِي) في الكتابة المتواترة في التوراة جاء مذكرا הוא (هُو): هو.

8 خروج 29، 20.

9 تثنية 4، 34 ومواضع أخرى

10 أيوب 31، 22.

11 إشعياء 48، 13.

12 أعداد 5، 27.

13 صموئل 1، 9، 24.

14 أيوب 23، 11.

(أحَزَهْ رَكْلِي): تابعت رجلي [خطواته]. الضلع עַל-צַלְעוֹ הָאֶחָת[1] (عَلْ صَلعُو هَإِحَتْ): على ضلعه الواحدة. السن שֵׁן רֹעָה[2] (شِنْ رُوعَهْ): سن مكسورة.

ذكر ما يذكر منها:

الرأس וְרֹאשׁ לוֹ חָפוּי[3] (ورُوشْ لُو حَفُويْ): ورأس له مغطًى الشعر. שֵׂעָר צָהֹב[4] (سِعَر صَهُوف): شعر أشقر. الفم וְכָל-הַפֶּה, אֲשֶׁר לֹא-נָשַׁק לוֹ[5] (وخُلْ هَبِّه أشِرْ لُو نَشَقْ لو): وكل الفم الذي لم يقبله. الثدي: דַּדֶּיהָ, יְרַוֻּךָ יְרַוֻּךָ בְכָל-עֵת[6] (دَدِيهَ يرَوُّخَ يخُلْ عِتْ): تُرْوَى من تدنييها في كل وقت.

1 خروج 37، 3.
2 أمثال 25، 19.
3 صموئل 2، 15، 30.
4 لاويون 13، 30، 32.
5 ملوك أول 19، 18.
6 أمثال 5، 19.

عين الماء ויקרא שְׁמָהּ, עֵין הַקּוֹרֵא[1] (وَيَقْرَأ شِمَهْ عِينْ هَقُور): [لذلك] دعا اسمها عين هقوري. اليد من النعمة: כְּיַד-אֱלֹהַי הַטּוֹבָה עָלָי[2] (كِيدْ إلُهي هَطُوفَهْ عَلَيْ): حسب يد إلهي الطيبة (علي). القوس וְנִרְאֲתָה הַקֶּשֶׁת:[3] (ونِرْئَتَه هَقِشِيتْ): وتظهر القوس. النار مؤنثة في الأكثر אֵשׁ אֹכְלָה[4] (إشْ أوخْلَهْ): نار آكلة. [כְּ]אֵשׁ בֹּעֶרֶת[5] (إشْ بُوعِرِتْ): [كـ] نار محرقة. الدار [الحضيرة] הֶחָצֵר הַפְּנִימִית[6] (هِحَصِرْ هَبْنِيمِيتْ): الدار الداخلية. الضأن: צֹאן אֹבְדוֹת[7] (صُنْ أوفْدُوتْ): ضأن ضالة. الريح וְהִנֵּה רוּחַ גְּדוֹלָה[8] (وهِنّهْ رُوحْ كِدُولهْ): وإذا ريح شديدة. الشمس הַשֶּׁמֶשׁ בָּאָה[9] (هَسِّمَشْ بَأهْ) [ثم] غابت الشمس. שֶׁמֶשׁ זָרְחָה[10] (شمس زرحه) الشمس تشرق. וְהָאָרֶץ הָיְתָה תֹהוּ الأرض[11] (وَهَأرِصْ هَيْتَهْ تُهُو): والأرض كانت خراباً. אָז תִּרְצֶה הָאָרֶץ [12] (أزْ تِرْصِهْ هَأرِصْ): حينئذ تستوفي الأرض.

وقد ذُكِّرَتْ عندنا الشمس والأرض كقوله: וְזָרַח הַשֶּׁמֶשׁ[13] (وزَرَحْ هَشّمِشْ): و"أشرق" الشمس. הַשֶּׁמֶשׁ יָצָא עַל-הָאָרֶץ[14] (هَشّمِشْ يَصَاْ عَلْ هَأرِصْ): [وإذ] الشمس "أشرق" على الأرض. וְלֹא-נָשָׂא אֹתָם הָאָרֶץ[15] (ولو

---

1 قضاة 15، 19 في التوراة:(عَلْ كِن قرَا شِمَهْ...).עַל-כֵּן קָרָא שְׁמָהּ, עֵין הַקּוֹרֵא
2 نحميا 2، 8.
3 تكوين 9، 14 ومواضع أخرى.
4 تثنية: 4، 24.
5 إرمياء 20، 9 (כאשׁ كإش).
6 حزقيال 3،10.
7 إرميا 50، 6 خرافا... خبر كان.
8 أيوب 1، 19.
9 تكوين 15، 17 وصمونل 2 2، 24.
10 نحوم 3، 17.
11 تكوين 1، 2.
12 اللاويون 26، 34.
13 الجامعة 1، 5
14 تكوين 19، 23.
15 تكوين 13، 6.

نَسَأْ أُوتَمْ هَأَرِصْ): ولم "يحتملها" الأرض. وكذلك بعض هذه الأسماء المتقدمة وهذا قليل والتأنيث فيه أغلب.

فقد ذكرت جملة من الألفاظ التي وقع التوافق من اللغتين في تذكيرها أو تأنيثها. [والقول][1]. ولا أقول إني أتيت على جميعها وإني حصرتها. وإنما جعلت ما جلبته منها على سبيل المثال، ففي الكتابين المذكورين المؤلفين في هذا المعنى بلاغ كاف وبيان شاف. وقد جاء في بعض المواضع ما أدخلته في باب ما يؤنث مذكراً، وما أدخلته في باب ما يذكر أيضا مؤنثاً وذلك شاذ.

وإنما الغالب ما ذكرته، وقد وجب أن أقطع القول في الاسم وأنجز القول فيه وتبيين جميع معانيه، وأن آخذ في إجراء القول على مرتبة الفعل وأتوخى في ذكر خواصه ولواحقه ما توخيته في رتبة الاسم والله ولي العون.

6- قول على مرتبة الفعل

الفعل في اللغتين ما دخل على حدث وزمان وهو بسيط ومركب[2]. أما البسيط فهو على ثلاثة أحرف وأربعة أصول ويبلغ بالزيادة [ستةأحرف][3] نحو בְּהִשְׁתַּחֲוָיָתִי[4] (بهشتحويتي): سجدت، ونظيره: استخرج.

فأما الثلاثي فله ثلاثة أبنية: فَعَلَ وفَعِلَ وَفَعُلَ نحو: ضرَب وشرب ومكُثَ، ونظائرها عندنا שָׁמַר (شَمَرْ): حرس. חָפֵץ (حَفِصْ): رغب، יָכֹל (يَخُلْ): استطاع. وهذه الأبنية تشتمل على الضرب الخفيف من الأفعال[5].

---

1 ربما كلمة كانت بالهامش في الأصل فأدخلت خطأ في المتن.

2 يقصد بالبسيط المجرد، والمركب المزيد.

3 [ستة أحرف] غير موجودة في النص المنشور، وهي ضرورية لما يريد المؤلف

4 ملوك 2، 5، 18. وجدر الفعل هو שחה (شَحَه): شجد. وهو هنا على وزن התפעל (هِتْبَّعِلْ) أي الوزن السابع الذي فيه الزيادة بالهاء والتاء والتضعيف. وعليه فعدد الحروف في هذه الصيغة هي ستة.

5 وكلها على وزن פָּעַל (پـَّعَلْ) (قلْ) وهو المجرد، وقد ترجم المؤلف كلمة: קל (قلْ) بلفظ "خفيف"، وهو وزن פָּעַל، والمعلوم أن أوزان اللغة العبرية سبعة هي. 1 פָּעַל (فعَلَ). 2 נִפְעַל (نَفْعَلْ): انفعَلَ. 3 פִּעֵל (پِعِّل): (فعَّلَ) 4 פֻּעַל(پُعَلْ): فُعِّلَ. 5 הִפְעִיל (هِفْعِيل): أفعَلَ. 6 הָפְעַל (هُفْعَلْ): أفعَلَ. 7 הִתְפַּעֵל (هِتْبَّعِلْ): افتَعَلَ. فالأول مجرد والستة الباقية مزيدة، والمزيد إمّا أن يكون مزيدا بحرف واحد مثل رقم 2 (ن) ورقم 6 (هـ)، أو بالتضعيف مثل رقم 3 و4 في عين الفعل- والشدة لا تظهر في عين الميزان لأن العين العبرية لا تقبل الشدة - أو بحرفين مثل 5 (هـ) و (ي)، . أو بحرفين وتضعيف 7 (هـ) (ت) وتضعيف فاء الفعل

وأما الرباعي فله بناء واحد (فَعْلَلَ) نحو: قرطس دحرج ونظيره: כרסם (كرسم): أفسد، من יְכַרְסְמֶנָּה חֲזִיר[1] (يِخَرْسِمْنَهْ مَحَزِّيرْ): يفسدها الخنزير.

פַּרְשֵׁז עָלָיו עֲנָנוֹ[2] (بَرْشِزْ عَلَوْ عَنَنُو) بسط عليه سحابه.

وأما المركب فينقسم على ضروب:

فمنها ما لحقته عندنا الهاء في أوله وياء المد في وسطه مثل הִקְרִיב[3] (هقريف): قَرّبَ، ضحى. הִשְׁלִיךְ (هِشْلِيخْ): طرد. ونظير هذا عند العرب ما لحقته الهمزة التي بمنزلة الهاء في أوله نحو: أكرم، أسمع. وهذه أبنية تنقل الفعل من الخفة إلى الثقل[4] ومن الذاتية[5] إلى التعدي في الأكثر.

ومنها ما لحقه التشديد في عين الفعل نحو דִּבֵּר (دِبِّرْ): تكلم. שִׁבֵּר (شِبِّرْ): كسَّر. ونظيره: كَلَّم عظَّم، وسمي هذا البناء مزيدا لأن الحرف المشدد يعد حرفين[6]. ومنها الانفعال[7] وهو الذي لحقته عندنا النون فقط مثل נִשְׁבַּר (نِشْبَر): انكسر. נִשְׁבָּה (نِشْبَهْ): أُسِرَ. وعند العرب الألف والنون نحو: انقطع انعزل. إلا أن هذه الألف عندهم ألف الوصل وهي ساقطة في اللفظ عند تصرف الفعل على ما يتبين بعد.

ومنها الافتعال[8] وهو ما لحقته عندنا الهاء وبعد[ها] التاء في أول الفعل نحو הִתְפָּאֵר (هِتْبَئِّرْ): تباهى. הִתְגַּדֵּל (هِتْكَدِّلْ): تعاظم. وعند العرب الألف أولاً والتاء بعد فاء الفعل نحو: ارتفع ابتدع انتبه. وهذا هو الافتعال على الحقيقة.

---

1 مزامير 80، 14.

2 أيوب 26، 9 ولم يستعمل الفعلان כרסם (كرسم). פרשז (پرشز) في العبرية القديمة وعبرية القرون الوسطى إلا في وزنين اثنين פִּעֵל (بِعّل): (فعّلَ) وפֻּעַל (پُعّلْ): فُعِّلَ. والمثال في صيغة (بّعِلْ) ومع ذلك ذكره ابن برون في פָּעַל (پـَعَلْ) (قَلْ).

3 الأصل קרב (قرُب) وهو هنا مزيد بحرفين هِفعِيل.

4 - يقصد بنقل الفعل من الخفة إلى الثقل بنقله من المجرد إلى المزيد، وذلك أن وزن المجرد في العبرية هو واحد פָּעַל (پـَعَلْ) ويسمى (قَلْ) خفيف. ولذلك استعمل ابن برون لفظة: ثقيل (כבד) (كفد) للأوزان المزيدة مقابل الوزن (بَعَلْ) الخفيف.

5 يقصد بـ "الذاتية" اللزوم.

6 هو وزن פִּעֵל (پِعِّلْ).

7 هو وزن נִפְעַל (نِفعَلْ).

8 هو وزن הִתְפַּעֵל (هِتْبَعِلْ): افتعَلَ

وأدخل الزبيدي "انتبه" في أمثلة الانفعال في باب المصادر من كتابه وهو وهم منه. فإنه افتعال، والنون فاء الفعل لا التاء ورأيت التنبيه على ذلك. ثم أقول إن تسمية هذا البناء عندنا تَفَعُّلاً أشبه[1] من تسميته افتعالاً لتقدم التاء فاء الفعل، إلا أنه قد وقع الاصطلاح على تسميته افتعالاً. وجاءنا الافتعال على حقيقته في الأفعال التي فاءاتها شين أو سين أو هاء مثل יִשְׁתַּמֵּר (يشْتَمَّرْ): يحترس. יסתַּבֵּל (يستَبِّل): يشْحن. נִצְטַדָּק[2] (نِصنْطَدَّقْ): نتبرأ، فإن فاء الفعل في هذه مقدمة "للتاء على حقيقته" [متقدمة على التاء على الحقيقة] [3] في الأفعال. وجاءت عندنا بنية פועל (پُـوعل) وهي عندي نظير فاعل في العربية، إلا أن هذه البنية عندهم مختصة بعفل يكون من اثنين [من شخصين] نحو ضارب ضارع، إلا في ألفاظ عديدة محصورة عندهم شذت عن هذا المعنى.

وعند العرب بنية التفاعل، يقال تفاعل إذا أظهر ذلك الفعل وليس به، نحو تجاهل وتمارض، وهو عندنا على بنية الافتعال مثل שְׁכַב עַל-מִשְׁכָּבְךָ וְהִתְחָל[4] (شخف على مطتخ [مِشْكَفْخَ] (وهِتْحَل): اضطجع على سريرك وتمارض. וַיִּשְׁכַּב אַמְנוֹן, וַיִּתְחָל[5] (وَيِشْكَفْ أمْنُونْ وَيِتْحَلْ): نام أمنون وتمارض. فإنه إنما أراد التمارض لا حقيقة المرض. ومثله أيضاً יֵשׁ מִתְעַשֵּׁר וְאֵין כֹּל מִתְרוֹשֵׁשׁ וְהוֹן רָב[6]. (يشْ مِتْعَشِّرْ وإينْ كُلْ مِتْرُوشِشْ وهُونْ رَفْ): يوجد [رُبَّ] (مُتَغانٍ) [متظاهر بالغناء] وليس [له شيء] و(متفاقر) [متظاهر بالفقر][7] و [له] غنى كثير.

---

1 أشبه = أولى به من تسميته.

2 الأصل في هذه الأفعال أن تأتي هكذا يتْشَمَرْ، يتسبِّل، يطصَدَّق. أي التاء الزائدة قبل فاء الفعل، ولكن عندما تكون فاء الفعل أحد حروف الصفير (س ش ز ص ...) فإن فاء الفعل تسبق حرف التاء الزائدة.

3 أعتقد أن صواب هذه الجملة هو "متقدمة على التاء على الحقيقة" في الافتعال.

4 - صمونل 2، 13، 5، جاء في النص (مِطْتَخ) سريرك، ولكن الكلمة في التوراة هي (مِشْكَفخ): مضجعك = سريرك.

5 صمونل 2، 13، 6.

6 أمثال 13، 7.

7 لا توجد في العربية صيغة (مُتَغانٍ) [متظاهر بالغناء] و(متفاقر) [متظاهر بالفقر]، ولكننا اصطنعناها لتشبه الصيغة العبرية

ومن أبنية الأفعال بناء ما لم يسم فاعله وهو في اللغتين في الأفعال البسيطة والمركبة مضموم الأول أبداً كائناً من أي بناء كان[1].

والأفعال المعتلة جارية في أبنيتها البسيطة والمزيدة على هذا النحو. وسأتكلم بعد هذا بكلام مجمل.

فأما الآن فإني أتكلم على الخواص التي تلحق هذه الأبنية في وجه [أوجه] تصريفها.

7- القول على الخواص التي تلحق الفعل ورتبة تصرف أبنيته المذكورة

الفعل في اللغتين مختص بالتصرف، وعند العرب انفراده مع التصرف بالجزم، ولا جزم عندنا. وهو ينقسم إلى ماض ومستقبل وأمر وفاعل ومفعول[2] وعند العرب فَعَلَ في الأول، وهو على بناء المستقبل[3].

أما أبنية الماضي فقد مضى ذكرها في القول الذي قبل هذا[4].

والمستقبل ما دخلـ[ت] عليه إحدى الزوائد الأربع، وهي الألف والنون والياء والتاء، وقد بينت خاصة كل واحدة من هذه الحروف وموضعه عند كلامي على الحروف الآلية[5]، وأنا مبين أبنية كل قسم من الأقسام المذكورة بحول الله.

7-1 أبنية المستقبل

المستقبل من الثلاثي الخفيف عندنا، من جميع أبنيته على "يفْعَلْ" و"يَفْعُول" إلا ما كان عينه أو لامه حلقيا فإنه في الأكثر يكون على "يفْعَل" مثل יִשְׁמַע (يشْمَعْ): يسمع. יִבְחַר (يِقْحَرْ) يختار. יִשְׁלַח (يِشْلَحْ): يُرْسل. إلا ألفاظاً

---

1 للفعل المبني للمجهول وزنان هما 1 פֻּעַל (بُعَلْ): فُعِّلَ. 2 הָפְעַל (هُفْعَلْ): أفْعِلَ.
2 يقصد اسم الفاعل واسم المفعول، وذلك لأن ما يقابل صيغة اسم الفاعل في العربية هي فعل الحال في اللغة العبرية הֹוֶה (هُوِّه). انظر أبنية الفاعل والمفعول فيما يأتي.
3 الفقرة هنا مشوشة وربما ينقصها شيء كما أشار إلى ذلك ناشر النص. أنظر ص. 7 من نشرة Kakovtsov
4 في القول على مرتبة الفعل.
5 الحروف الآلية أي الظروف.

يسيرة شذت عن هذا القياس. والمستقبل من هذه الأبنية عند العرب قريب من هذا، فإن ما كان على فَعَلَ فمستقبله على يَفْعُلُ ويَفْعَلُ مثل: ضرب يضرُب[1] خرج يخرج. وما كان على فَعِلَ فمستقبله يَفْعَلُ مثل شَرِب يشرَب إلا ما كان عينه أو لامه أحد حروف الحلق وهي عندهم ستة: العين والحاء والهاء والألف والخاء والغين[2]، فإن مستقبله يَفْعَلُ مفتوح العين نحو: ذهب يذهَب. وصنع يصنَع وسبَح يسبَح إلا ألفاظاً شذت أيضاً عندهم عن هذا القياس.

وأما المستقبل من الثقيل[3] المزيد فحمكه عندنا أن تكون الزوائد مفتوحة مثل יַשְׁלִיחַ[4] (يَشْلِيحْ): يرسل יַקְרֵב (يَقْرِيبْ): يُقرِّب. وهي عند العرب في هذا البناء والثلاثي المشدد مضمومة، نحو: يُفهم يُسمع يُكلم يُرتب. وهي في هذا البناء عندنا محركة بـ (شِفَا)[5]: سكون. יְשַׁבֵּר[6] (يِشَبِّرْ): يكسر. יְדַבֵּר (يِدَبِّرْ): يتكلم. وتعاور الحركات غير منكورة[7].

والمستقبل من الانفعال هو عندنا بإدغام النون في فاء الفعل نحو יִשָּׁמֵר[8] (يِشَمِّرْ) يحتاط، יִזָּכֵר (يِزَخِرْ): يُحفظ. وهو عند العرب بثبات النون مكانها وسقوط ألف الوصل نحو ينطلق ينعزل.

والمستقبل من الافتعال هو بثبات تاء الافتعال في اللغتين وسقوط الهاء (التي هي) في ماضيه عندنا وألف الوصل عند العرب نحو יִתְגַּדֵּל[9] (يِتْگَدِّلْ): يتعاظم. יִתְפָּאֵר (يتبإر): يتباهى. [ومثاله عند العرب] يرتفع، يستمع.

---

1 مستقبل ضَرَب هو يضْـرِب في معظم معانيها وفيه أيضاً ضُرب يضرُب بمعنى اشتد ضربه وضَربَ يضْرَبُ النبات أصابه البَرَد.

2 أما حروف الحلق في العبرية فهي א:أ، ה: هـ، ח: حـ، ע: ع.

3 أنظر هامش 134.

4 - وزن הִפְעִיל (هِفْعِيلْ).

5 "الشفا" هي السكون، ولكن إذا كان في بداية الكلمة نطق كسراً ممالاً.

6 פִּעֵל (پِعِّل)

7 מנכור (منكور) وفي الهامش מדכורה (مذكورة) ربما يقصد أن مجيء الحركة مضمومة في الثلاثي المشدد في الوزن العربي ومجيئها بالكسر الممال (شفا) في العبرية غيرمنكر، (تعاور = تبادل الحركات غير منكر).

8 נִפְעַל (نِفْعَلْ)، إذ الأصل יִנְשָׁמֵר (يِنْشَمِرْ). ولما كانت النون ساكنة فقد سقطت وأدغمت في الشين.

9 وزن הִתְפַּעֵל (هِتْبِّعِلْ) والأصل في مستقبله יְהִתְגַּדֵּל يهْتْگَدِّل

والمستقبل من الرباعي فهو في اللغتين بتحريك الزوائد بحركتها في مستقبل الثقيل الثلاثي المشدد أعني بـ (الشّفا): السكون[1] عندنا وبالضمة عند العرب.

والمستقبل من الفعل الذي لم يسم فاعله من جميع الأبنية في اللغتين [يحرك] بضم الزوائد الأربع، إلا في المستقبل من الفعل الثقيل الثلاثي عندنا، فإن الزوائد باقية على حالها[2] ويضم فاء الفعل على حاله في الماضي مثل: יְשֻׁלַּח[3] (يسُلّحْ) يُرسل. יְבֻשַּׁל (يفُشّلْ): يُطبَخ.

وجـرى بين النـگيد[4] والحكيم أبي الولـيد[1] رحمهما الله، في المستقبل في الفعل الذي لم يسم فاعله كلام كثير حاز النـگيد قصب السبق فيه وهو ملخص في التأليف الذي انتخله أستاذنا أبوالفهم[2] فمن أراد الوقوف عليه فليلتمسه من هناك.

---

1 الجذر פרנס (بَرْنَس) غذى. يكون ماضيه في بِّعِلْ פִּרְנֵס (بِرْنِس) ومستقبله יְפַרְנֵס (يَفَرْنسْ) يغذي
2 يعد وزن הֻפְעַל (هُفعَلْ) مبنيا للمجهول. فالفعل קצר (قصر): قَصُرَ يكون مضارعه في الوزن المذكور יֻקְצַר (يُقصَرْ): يُقصَرُ. كما يعد وزن פֻּעַל (بُعَلْ) مبنيا للمجهول أيضا، فالجذر כבד (كَفَدْ): احترم، يأتي مضارعه יְכֻבַּד (يكُبّدْ) يُشرَفُ. فمستقبل الوزن الأول جاء مضموما بينما بقي مستقبل الثاني على حاله (كسرة ممالة).
3 وزن הֻפְעַל (هُفعَلْ) وهو مبني للمجهول وماضيه هوהֻשְׁלַח (هُشْلحْ) أُرْسِلَ יְשֻׁלַּח (يُشْلحْ): يُرْسَلُ.
4 صمونئل بن يوسف بن النغريلة أو النّگيد، كما كان يسميه اليهود، ولد بقرطبة سنة 993 وتوفي 1055 م. كان شاعراً ولغوياً، وتولى منصب وزير لدى حبوس في غرناطة. كُثرٌ هم الباحثون الذين تحدثوا عن ابن النغريلة بوصفه نحويا، ومنهم تصـــفي لرنـــر في كتابه " تاريخ النحو العبري، فبعد أن تحدث عن مولده وأحداث قرطبة، وتوليه الوزارة ورياسة اليهود، وذكر أنه درّس كثيرا من التلاميذ وأن له فتاوى واشتغالا بالنحو واللغة. ذكر له من الكتب اللغوية كتاب "الاستغناء" وقال إنه كتاب كبير يتضمن اثنين وعشرين فصلا، وذكر لـه أيضا " استلحاق المستلحق ". ولعله هو الرسالة التي أشار إليها ابن جناح في فاتحة رسالته التنبيه. أنظر ה.ס. צבי לענער, תולדות הדקדוק, ויין תלר"ו (هـ.س. صفي لرنر، تاريخ النحو العبري، فينا، 1876). ص. 15-16. ومن الذين تحدثوا عنه أيضاً بهذه الصفة J. Derenbourg، محقق مؤلفات النحوي الكبير أبي الوليد مروان ابن جناح المشار إليه، في مقدمة تحقيقه " كتب ورسائل لأبي الوليد ابن جناح القرطبي:
J. Derenbourg et H. Derenbourg, Imp. Nationale, Paris (1880)
ونشر في هذا الكتاب كتاب المستلحق من ص1 إلى 246 ، وهو استدراك ابن جناح على نحوي آخر هو أبو زكرياء حيوج. ورسالة التنبية من ص 247 إلى 267، وكتاب التقريب والتسهيل من ص 268 إلى 342، أي تقريب ما صعب فهمه في كتاب حيوج. وكتاب التسوية من ص 343-379 .
عن الخلاف الواقع حول كتب أبي زكرياء حيوج، وانحياز ابن النغريلة Derenbourgوعندما تحدث إلى هذا الأخير، وتحزبه على ابن جناح. أشار إلى أن الردود التي كتبها ابن النغريلة لم تصلنا، مع أن كل كتابات ابن جناح وصلتنا. ويرى درانبورغ أن المجموع المســمى "رسائل الرفاق"، وهو مجموع ردود ألفها بعض النحاة اليهود المنحازين إلى أبي زكرياء، يردون فيها على ابن جناح، ربما تضمنت=

7-2 أبنية الأمـــــر

الأمر في اللغتين من أي بنية كان من الخفيف أو من الثقيل، تابع للمستقبل وجار مجراه، مثل ذلك إن كان المستقبل على יִפְעַל (يفعَل) أو יִפְעֹל، (يَفعُلْ) فالأمر كذلك نحو שְׁכַב[3] (شِخَفْ): نَمْ، من יִשְׁכַּב (يشكَف): ينام، שְׁמֹר (شِمُر): احْرُسْ من יִשְׁמֹר (يشمر): يَحْرُس. דַּבֵּר[4] (دَبِّرْ): تَكَلَّمْ، من יְדַבֵּר (يدَبِّرْ): يتكلم. הַשְׁלִיכֵהוּ[5] (هشليخه): هجِّرَه، من יַשְׁלִיךְ (يَشْلِيخْ): يهجر. הִתְפָּאֵר[6] (هِثْبَأرْ): تباه، من יִתְפָּאֵר (يِثْبَأرْ): يَتَبَاهى. הִכָּבֵד[7] (هِكَّفَدْ): احْتَرِم (عُزَّ)، من יִכָּבֵד (يِكَّفَدْ): تشرف. وهو في العربية كذلك. إلا أنهم ألحقوا في الأمر من الفعل الثلاثي الخفيف ألف وصل تسقط في اللفظ عند اتصال الكلام لئلا يبتدئوا بساكن فقالوا: اضرب، اسمع، اخرج. وهذه الألف محركة بحركة عين الفعل إلا أن تكون عين الفعل مفتوحة، فإن الألف حينئذ تكون مكسورة في الأمر نحو: اذْهَبْ اسْمَعْ، لئلا تشتبه بألف القطع في مثل: أكْرِمْ من الإكرام. وأقْبِلْ من الإقبال.

= - LXXIII كثيرا من آراء ابن النغريلة. واستخرج ديرامبورغ هذه الآراء ونشرها في الصفحات XLIX من التحقيق المذكور. ولعل الإحالات الواردة في كتاب ابن برون توجد في هذا المؤلفات التي أشير إليه.

1 أبو الوليد مروان بن جناح. أنظر حوله وحول مؤلفاته كتابنا "ابن رشد والفكر العبري الوسيط: فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1999، ج. 1، ص. 121-134. وقد تعرضت لمخاصماته اللغوية والنحوية.

2 أبو الفهم لاوي بن يوسف بن التبان، عاش في سرقسطة في أواخر القرن الحادي عشر، وكان من أكبر شعراء عصره. صادق موسى بن عزره ويهودا اللاوي، وكان أستاذا لابن برون. وكتب في النحو كتاباً عنونه "المفتاح" ولم يصل، ولعله الذي أشار إليه ابن برون. أنظر هـ.س. صفي لرنر، تاريخ النحو العبري، ص. 19.

3 وزن פָּעַל (بَعَلْ) مجرد.

4 פִּעֵל (بِعَلْ) مضف العين.

5 : الأمر من وزن הִפְעִיל (هِفعِيل) هو הַשְׁלֵךְ (هَشْلِخْ) أما الهاء الزائدة في المثال فهي هاء ترخيمية فقط، والواو ضمير الغائب مفعول به. انظر

Grammaire de l'hébaen bibkgue, P. Joüon .... p. 109

6 من وزن התפעל (هِتبَّعِلْ)

7 נִפְעַל (نِفعَلْ). وهذه هي الأوزان الخمسة التي يوجد بها الأمر، أما وزنا פֻּעַל (بُعَلْ) و הֻפְעַל (هُفعَلْ) فلا يأتي منهما أمر، لأنهما مبنيان للمجهول.

والأمر من سائر الأبنية على هذا السبيل نحو: انْطَلِقْ واصْطَبِرْ، كلّم حَدِّثْ دَحْرِجْ قاتِلْ. ولم يحتاج [يحتج] في هذه الأبنية إلى إلحاق ألف الوصل لتحرك فاء الفعل.

والعلة في كون الأمر تابع للمستقبل، أنه مضارع له في معناه، وذلك أنه إذا أمرت بشيء إنما تأمر بعمل ما يستأنف عمله لا فيما سلف ومضى.

3-7 أبنية الفاعل والمفعول

أما اسم الفاعل فهو من الأبنية الخفيفة بغير ميم وله أبنية مثل אוֹמֵר (أومِرْ): قائِلٌ، עוֹשֶׂה (عُوسِهْ): صانعٌ، בּוֹחֵר (بُوحِرْ) منتخِب، מוֹשֵׁל (مُوشِلْ): مُتَصلَة، חוֹמֵץ (حُومِصْ): مختَمر. وأكثرها على هذا البناء. ونظيره: ضارب وحافظ. ويجيء على مثال: הִנְנִי יוֹסֵף עַל-יָמֶיךָ[1] (هِنْنِي يُوسِفْ عَلْ يَمِيخَ): هأنذا مضيف إلى أيامك... . אֹסִפְךָ אֶל-אֲבֹתֶיךָ[2] (أسِفْخَ إلْ أفتيخَ): [هأنذا] أضمك "مضمك" إلى آبائك. ونظير هذا البناء قولهم ضريب[3] زيدا. وجاء على مثال שָׂמֵחַ לְאֵיד[4] (سَمِيَحْ لِإيدْ): فرحان ببلية.. מִי-יָרֵא וְחָרֵד[5] (مِي يَرّا و حَرِّدْ): مَنْ كان خائفا ومرتعدا. ونظيره بنية فَعِلٌ نحو حَرِدٌ: [منعزل]. وجاء على مثال מִיַּד עָשׁוֹק[6] (مِيَدْ عَشُوق): من يد ظالم، אַשְּׁרוּ חָמוֹץ[7] (أشِيرُو حَمُوصْ): انصفوا المظلوم. ومن هذا البناء כִּי בְךָ בָּטוּחַ[8] (وكِي فِخْ بَطُوَّحْ): لأنه عليك متوكل، וּכְאֵב אָנוּשׁ[9] (وُخِيِف أنُوشْ):الألم "المونس"=الميؤوس [من شفائه] أي

1 أشعياء 38، 5.
2 أخبار الأيام الثواني. 34، 28.
3 ضريب بمعنى ضارب.
4 أمثال 17، 5.
5 قضاة 7، 3.
6 إرمياء 22، 3.
7 إشعياء 1، 17. بناء חָמוֹץ (حَمُوصْ). هذا المثال الذي أتى به ابن برون من التوراة شبيه ببناء المثال السابق، أي بناء اسم الفاعل، ولكنه يدل على اسم المفعول7 إشعياء 26، 1843.
9 إشعياء 17، 11.

مؤلم. ونظيره بنية فَعُول نحو ضروب. ومن هذا חֵץ שׁוחט (שָׁחוּט)[1] (حِصْ شَحوطْ): سهم قاتل[2]. إذ لا معنى للمفعول فيه.

وأما الفاعل من الأفعال المزيدة في اللغتين فهو بالميم في أوله وهو تابع للمستقبل، كأنك جعلت مكان حرف المستقبل ميماً في تلك الحركة بعينها[3] لا في الانفعال والافتعال عند العرب، فإن الميم في اسم الفاعل منها مضمومة وليست الزيادة في المستقبل كذلك عندنا نحن [...][4] منفعل على حقيقة بنيته.

وأما المفعول فتخالفت فيه [اللغتان] في بنائه من الأفعال الخفيفة، فإنه عندنا دون ميم نحو בָּחוּר (بَحُور): مختار، שָׁלוּחַ شَلُوَّحْ): مُرسل. אָחוּז (أحُوزْ): محجوز. وهو عند العرب بميم نحو محفوظ، منصور.

وأما المفعول من الأفعال المزيدة[5] فاللغتان متفقتان في كونه بالميم المضمومة إلا في الفعل الثقيل الثلاثي والرباعي عندنا، فإن الضمة نقلت فيهما من الميم إلى فاء الفعل مثل מְשֻׁלָּח (مِشُلَّحْ): متروك، מְכֻרְסָם (مِخُرْسَمْ): مقضوم.

7- 4 المصدر

أما مصادر الأفعال الثلاثية الخفيفة البسيطة غير المزيدة فإنه ليس بينها وبين المصادر الثلاثية في العربية تجانس، فإنها عند العرب مسموعة لامقيسة ولا جارية على بناء واحد.

---

1 إرمياء 9، 7.
2 ترجمة أصلية للمؤلف وهي المناسبة، مع أن "شحوط" جاء في صيغة اسم المفعول ولا معنى له في السياق.
3 فاسم الفاعل من פִּעֵל (بِّعّلْ) وهو مزيد بالتضعيف هو מְדַבֵּר (مِدَبِّرْ): متكلم، مضارعه יְדַבֵּר (يِدَبِّر): يتكلم. ومن הִפְעִיל (هِفعِيلْ) وهو مزيد بهاء وياء بين عين الفعل ولامه، מַזְכִּיר (مَزْكِيرْ): سكرتير، ومضارعه יַזְכִּיר (يَزْكير): يُذكّر. ومن הִתְפַּעֵל (هِتْبَّعِلْ) מִתְפָּאֵר (مِتْبَاِر): متباه، ومضارعه יִתְפָּאֵר(يِتْبَأِرْ):يتباهى. ويلاحظ أن حركة ميم اسم الفاعل شبيهه بحركة حرف المضارعة في كل وزن وزن.
4 يظهر أن هناك نقصا كما أشار إلى ذلك ناشر النص.
5 مثلا، اسم المفعول من المزيد הֻפְעַל (هُفعَلْ) من الجذر זכר يكون מֻזְכָּר (مُزْكَر): مذكور.

وأما مصادر الفعل الثقيل والانفعال والافتعال فهي عندهم جارية على قياس مطرد وأصل يصحب. وجميع المصادر من جميع الأبنية مثل الأمر سواء[1]- نحو: הָלֹךְ וְקָרָאתָ[2] (هَلُخْ وقَرَاتَ): ذهاباً وناديت = اذهب...،הָלֹךְ אֵלֵךְ [3] (هَلُخْ إلَخْ): ذهاباً اذهب، שָׁמֹר וְשָׁמַעְתָּ[4] (شَـمُـرْ وشَمَـعْـتَ): حفظـاً واسمع= احفظ واسمع. רְמֹס חֲצֵרָי[5] (رِمُسْ حَصِـرَيْ): [مـن طـلـب ... مـنـكم دَوْسـا دُوري، עַד דְּרֹשׁ אָחִיךָ[6] (عَدْ دِرُش أحيخ):.... حتى طلباً اخوك، כַּבֵּד אֶת-אָבִיךָ [7] (كَبِّدْ إِتْ أفِيخَ): احترم أباك ...، כַּבֵּד* אֲכַבֶּדְךָ [8] (خَبِّدْخَ أخَبّوِدْخ): إكراماً أكرمك، מַטַּע יְהוָה לְהִתְפָּאֵר[9] (مَطَّعْ يهْوَهْ لِهِتْبَئِّرْ): ... غَرْسَ (من غَرس يغرس) الرب للتعظيم، הִתְפָּאֵר*עָלַי[10] (هِـتْـبَـئِّـرْ عَـلَـيْ): عَيِّنْ لي الـوقـت] וְהֵאָסֵף*אֶל-עַמֶּיךָ[11] (وهِأسِفْ إلْ عَمِيخَ): وانضم إلى قومك، עַד-הֵאָסֵף מִרְיָם[12] (عَدْ هِأسِفْ مِرْيَم): حتى رجوع مريم- لا يخرج شيء منها عن بناء الأمر.

---

1 يعني ابن برون أن صورة المصدر العبري هي نفس صورة الأمر، ولذلك فإن صيغ الأفعال المميزة بعلامة * هي أمر وليست مصدرا، كما يظهر ذلك في الترجمة، وهذه صيغ المصادر في الأبنية المختلفة:

وزن פָּעַל بَعَلْ שָׁמֹר (شِمُرْ): حفظ، أمره שְׁמֹר (شِمُرْ): احفظ.
وزن נִפְעַל نِفعَلْ הִשָּׁמֵר (هَشِمِّرْ): احتراس أمره הִשָּׁמֵר (هِشَمِّرْ).
وزن פִּעֵל بِعِلْ דַּבֵּר (دَبِّرْ): كلام أمره דַּבֵּר (دَبِّرْ).
وزن כֻּבּוֹד بُعَلْ (كُبُودْ): احترام. ليس له أمر لأنه مبني للمجهول.
وزن הִתְפַּעֵל هِتْبَّعِلْ הִתְקַשֵּׁר (هِتْقَشِّرْ): ارتباط أمره הִתְקַשֵּׁר (هتقشر).
وزن הִפְעִיל هِفعِيل הַדְלֵק (هَدْلِقْ): ايقاد. أمره הַדְלֵק (هَدْلِقْ).
وزن הֻפְעַל هُفعَلْ הֻזְכַּר (هُزْكِرْ): تذكير. ليس له أمر لأنه مبني للمجهول.

2 إرمياء 2، 2 وكذلك 3، 12.
3 قضاة 4، 9.
4 تثنية 12، 88.
5 إشعياء 1، 12 من طلب منكم أن تدوسوا دُوري (مفردها "دار").
6 تثنية 22، 2 ملخص الفقرة قبل المثال: إذا ضاع ثور أو شاة أخيك فاحتفظ به إذا وجدته وإن لم تعرف صاحبه فاحفظه حتى يطلبه أخوك = حتى طلبا أخوك.
7 خروج 20، 12 تثنية 5، 16.
8 أعداد 22، 17، و 24، 11.
9 إشعياء، 61،3. (أنظر باقي الفقرة (الآية) لفهم النص الذي جاء فيه الاستشهاد).
10 خروج 8، 5.
11 تثنية 32، 50.
12 أعداد 12، 15.

وللنـگيد رحمه الله في المصادر كلام حسن البتة وهو ملخص في الكتاب المنتخل المذكور.

وأما الأفعال المعتلة فهي جارية في تعريفها ودخول الزوائد عليها وشمول الأبنية المذكورة لها، على هذا السبيل دون عدول عنها ولا مخالفة لها. وأنا ذاكر جملة مما يحتاج إلى ذكره من وجوه الاعتلال فيها.

8- القول على الأفعال المعتلة ورتبة تجانس اللغتين فيها

الاعتلال يكون على خمسة أضرب: اللين والبدل والقلب والحذف والإدغام.

1) - أما اللين فهو أن يلين الحرف فلا يكون له حس في اللفظ مثل ياء יִישַׁן[1] (ييشَنْ): ينام. التي هي فاء الفعل ونظير ذلك ألف יֹאבַד[2] يُـ(ـا) فَدْ): يضيع ويֹאכל يُـ(ـا)خَلْ): يأكل، إذا خففت الهمزة.

2) - وأما البدل فمثل יִתְאַמְּרוּ, כָּל-פֹּעֲלֵי אָוֶן[3] (يِتْأمْرُو كُلْ بُعَلِي أونْ): يفتخر كل فاعلي الإثم. المبدلة بياء في וּבִכְבוֹדָם תִּתְיַמָּרוּ[4] (وُفِخْفُودَمْ تِتْيَمْرُو): وعلى مجدهم تتفاخرون. ونظير ذلك قولهم أرَّخْتُ الكتاب وَوَرَّخْتُهُ، وأخذت العهد ووخذته، وَوَقَّتُه وأقته من الوقت.

3) - وأما القلب فهو أن تقلب حرف [آ] إلى حرف آخر يقوم مقامه، كانقلاب ألف אָמַר (أمَرْ): قال، واوا في יֹאמַר (يُومَرْ): يقول. وياء יָדַע (يَدَعْ): علم واوا في נוֹדָע (نُودِعُ) معلوم. وألف קָם (قَامْ): قام، اللينة واوا في יָקוּם (يَقُومْ): يقوم. ونظير ذلك آثر يوثر أذن ياذن، قام يقوم باع يبيع.

---

1 الأصل فيه أن يكون יִישַׁן (ييْشَنْ)، ولكن الياء التي هي فاء الفعل والتي كان يجب أن تكون ساكنة (محركة بالسكون) لانت، لأنها سبقت بياء المضارعة.
2 الأصل فيه أن يكون יֶאְבַד (يأفد) ויֶאְכַל (يأخَلْ)، فلينت الهمزة الأصلية (فاء الفعل) وضم حرف المضارعة.
3 مزامير 94، 4.
4 إشعياء 61، 6 في المثال الأول יִתְאַמְּרוּ (يتأمْرُو) بظهور الهمزة، وفي المثال الثاني תִּתְיַמָּרוּ (تِتْيَمَّرو) تبدل الهمزة ياء.

والفرق بين القلب والبدل أن المنقلب ينقلب إلى غير ما كان عليه وتتغير حركته وسكونه، والحركة والسكون للمبدل والمبدل منه شيء واحد لا يتغير.

4) ـ وأما الحذف [فهو] إسقاط الحرف من الكلمة جملة ولم [دون أن] يبق [يبقى] لها أثر نحو דַּעַת (دَعَتْ): معرفة שֶׁבֶת (شِبِت): جلسة التي هي من ידע (يَدَعْ): علم. ישב (يَشَفْ): جلس ونظيرها: زِنَةٌ وعِدَةٌ من وَزَنَ ووَعَدَ. ونحو سقوط لام الفعل من וַיִּפֶן[1] (ويِپِّن): وفر، וַיִּבֶן[2] (ويِڤِن): بنى. ونظير ذلك إسقاط لام الفعل أيضاً من الأفعال المعتلة اللام عند العرب عند دخول الجوازم عليها نحو: لم يبن ولم يخش. ولم يدع.

5) ـ أما الإدغام فهو سكون الحرف وسقوطه من الخط وإدغامه فيما يتلوه، نحو الأفعال ذوات المثلين نحو סַבּוֹתִי (سَفُوتِي) طُفْت، من סבב (سفف): طاف، דַּלּוֹתִי[3] (دَلوتِي): دُلِلت، من דלל (دَللْ): ذل. ونظير ذلك أحَب [أحبب] رجل. ومن هذا إدغام النون في נָתַתִּי[4] (نَتَتِّي): أعطيت، والتاء في נִבְעַתִּי[5] (نِبْعَتِي): خِفْتُ، וָמַתִּי[6] (وَمَتِّي): أموت، שַׁתִּי, בַּאדֹנָי יְהוִה מַחְסִי[7] (شِتِي بَأدُنِي يَوَهْ مَحْسِي): جعلت من سيدي يهوه ملجئي. ونظير ذلك قولهم: لم يمكنّي وبحتُّ ومِتُّ وبتُّ وبنَّا وكنَّا. وإنما فعل ذلك لالتقاء نون الأصل وتائه مع نون الضمير وتائها فحمل محمل ذوات المثلين إلا في لغة נָתַן[8] (نَتَن): أعطى فإنه إدغام اللام في التاء (فيرى) في غير علة.

---

1 خروج 12، 10.
2 الخروج 8، 20.
3 الأصل في סַבּוֹתִי سَفُوتِي هو סַבבתִי (سَفْفْتِي)، ودַּלּוֹתִי (دَلوتِي) هو דַּלל תִי : دَللتي.
4 الجذر هو נתן (نَتَنْ): أعطى נָתַנְתִּי (نَتَنْتِي).
5 دنيل 8، 17 والجذر هو בעת (بَعَتْ) خاف.
6 تكوين 19 ـ 19 الجذر هو מת (مِتْ) = מוּת (مُوتْ): مات.
7 مزامير 73 ـ 28. والآية في الأل هي: שַׁתִּי, בַּאדֹנָי יְהוִה מַחְסִי (شَتَّي بَأدُنِي
8 أي أن صيغة נָתַתִּי (نَتَتّي) أعطيت من الجذر (نَتَن) فالذي ادغم هو لام الفعل وهي النون في التاء، ولا يعد الجذر من ذوات المثلين أي ما تشابه فيه عين الفعل ولامه.

وأما مواضع الاعتلال فهي خمسة: فاء الفعل، وعين الفعل، ولام الفعل، وفاء الفعل ولامه، وعين الفعل ولامه. وأنا متكلم على كل واحد منها بكلام جمعي ويشتمل على ما توافقت اللغتان فيه لا غير ذلك.

1-8 الأفعال المعتلة الفاء

أما الأفعال التي فاؤها حرف لين فهي التي فاؤها عندنا إما ألف وإما ياء، وعند العرب إما ألف وإما واو، وهي جارية مجرى السالم في الماضي نحو אָמַר (أمَرْ) :قال، אָכַל (أخَلْ): أكل، יָשַׁב (يَشَفْ): جلس، יָדַע (يَدَعْ): علم. [وأمثالها في العربية]: أمر أكل وعد وزن[1].

فإن صرفت مع الزوائد الأربع لحقها اللين والقلب نحو יֹאמַר (يامَرْ): يقول، יֹאכַל (يوخَلْ): يأكل، יֵדַע[2] (يِدَعْ): يعلم. ونظير ذلك: يامر ياكل يَعِدُ يَزِنُ. وقد ظهرت الألف في بعضها نحو יֶאֱנַף (يِأَنَفْ): يغضب، יֶאֱמַץ (يِأمَصْ): يتشجع، תֶּאֱלַף ארחתָיו [ארְח֫תו][3] (تِألفْ أرْحُتُو): تألفُ طرُقه، תֶּאֱס֫ף (تِإسُفْ): تجمع. كما ظهرت الهمزة في يأمر يأخذ، وخففت أيضا في יֹאכַל (يُاخل): يأكل، יֹאמַר (يُامَرْ): يقول، יאחַז (يُاحَزْ): يمسك. كما خففت الهمزة أيضاً في ذلك.

والأمر تابع للمستقبل نحو: שֵׁב (شِفْ): اجلس، לֵךְ (لِخْ): اذهب، רֵד (رِدْ): انزل، ونظيرها: زِنْ عُدْ ثِقْ. وأما ما فاؤه ألف فهو جار مجرى السالم مخالفا للعربي في ثبوت الألف في الأمر نحو אֱכ֫ל (إخُلْ): كُل، אֱמ֫ר (إمُرْ): قل، אֱמַץ (إمَصْ): تشجع. وليس العربي كذلك، فإنهم قالوا خُذْ، كُلْ من أخذ وأكل.

وأما المصادر فاللغتان متجانستان في سقوط فاء الفعل من الأفعال التي فاؤها ياء عندنا وواو عند العرب، وثبوت التاء آخراً نحو לֶכֶת (لَخَتْ): ذهاباً،

---

1 أمثلة أتى بها المؤلف.

2 لما لحقت حروف المضارعة الفعلين الأولين لانت الهمزة وانقلبت في الفعل الثالث كسرا.

3 في نص التوراة א֫רְח֫תו، أمثال 22، 25.

שֶׁבֶת (شِفِتْ): جِلسَة، דַּעַת (دَعَتْ): معرفة، רֶשֶׁת (رِشِتْ): وِراثَة، רֶדֶת (رِدِتْ): وُروداً[1]. ونظيرها ثِقَة، زِنَة عِدَة. فإن هذه الهاء تاء على الحقيقة. ويبدو ذلك عند اتصالها بالمُكَنّيَات[2] وهذا مختص في العربية بهذه البنية من المصادر لأنها قد جاءت عندهم أيضاً على بنية الوعد والوزن.

2-8 الأفعال المعتلة العين

(أما) هذه الأفعال فاللغتان متفقتان في ابتدال عين الفعل الذي هو واو أو ياء بالألف مثل قام باع ونظير ذلك רָץ (رَصْ): ركض، קָם (قَمْ): قام، שָׁב (شف): عاد. إلا أن الألف عند العرب ثابتة في الخط واللفظ وهي عندنا ثابتة في اللفظ[3] ساقطة في الخط إلا في ألفاظ يسيرة شاذة لا يقاس عليها[4].

وأما المستقـ[ـبل] فهو عندنا أبداً في الفعل الخفيف بواو، نحو יָקוּם (يَقُومْ): يقوم، יָשׁוּב (يَشُوفْ): يعود، יָרוּץ (يَرُوصْ): يركض. وليس يستعمل إلا في الخفيف من هذه الأفعال لئلا يلتبس بالثقيل المزيد مثل: יָקִים[5] (يَقِيمْ): يقيم، יָשִׁיב (يَشِيفْ): يُجْلس. وأما عند العرب فما كان من [ذوات الـ[ـوا]و فمسـ[ـتقبله] بالواو نحو قام يقوم. قال يقول. وما كان من ذوات الياء فمسـ[ـتـ]ـقـ[ـبله] بالياء: باع يبيع وكال يكيل، فإنهم لا يخافوا [يخافون] الالتبـ[ـاس] المذكور، لكون الزوائد في المستقبل من البناء الخفيف مفتوحة، وهي في البناء المزيد مضمومة.

---

1 جذور هذه الأفعال على التوالي هي: הלך (هَلَخْ) ישב (يَشَفْ) ידע (يَدَعْ) ירש (يَرَشْ) ירד (يَرَدْ)، وقد عد ابن برون الفعل الأول يائيّ الفاء مع أن فاءه هاءً. والهاء من حروف العلة في العبرية.

2 المكنيات ربما يقصد الضمائر أي أن التاء تظهر عند إسناد المصدر إلى الضمائر، فهي مجردة "ثقه" "زنه" فإذا نسبت لفظت تاء، ثقتي، زنتها... .

3 جذر هذه الأفعال هيרוץ (ر(و) ص) קום (قـ (و) م) שוב (شـ(ـو) ف، إلا أن الواو تسقط خطاً في صيغة الماضي وتشكل فاء الفعل بالقامص (ָ) وهي فتح مضموم، ولذلك قال: "وهي عندنا ثابتة في اللفظ ساقطة في الخط".

4 مثل الفعل בוש (بوش): خجل، فماضيه هو בּוֹשׁ (بوش): خجل. بثبوت الواو خطاً ولفظاً وكذلك الأفعال טוֹב (طُوفْ): طاب، אוֹר (أورْ): لمع.

5 יָקִים (يَقيمْ) يُقيم. على وزن הִפְעִיל، وهو مزيد. أنظر أوزان الفعل.

والأمر في اللغتين تـا[بع] للمستقبل فـ[ـيها] حسب ما هو في سائر الأبنية نحو קוּם (قُمْ): قم، שׁוּב (شُوفْ): عُدْ "قُمْ. بعْ[1].

3-8 الأفعال المعتلة اللام

هذه الأفعال على ضربين:

1 - ضرب لامه حرف لين.

2 - وضرب عينه ولامه حرف واحد. وهذا الضرب يسمى ذا المثلين.

فأما الضرب الذي لامه حرف لين فهو الذي لامه عندنا ألف أو هاء وعند العرب ألف أو واو أو ياء وليس [في][2] اللغتين تجانس فيها في أكثر من الحذف الذي يلحقها في וַיִּבֶן (وَيَـڤِنْ): وشيد، וַיִּקֶן[3] (وَيِقّنْ): ويشتري، وهي بمنزلة الأفعال المجزومة مثل: لم يخش ولم يسمع ولم يدع ولن يبن.

وأما الضرب الثاني ذو المثلين فتجانست اللغتان في اختصار أحد المثلين وإدغامه في الآخر واشتداد المدغم فيـه، إلا أن يكـون هـذا الاشـتداد هو عندنـا عنـد الإتصـال بالضمـير نحو דַּלּוּ[4] (دَلُّو): ذللوا، דַּלּוֹתִי (دَلوتي): تذللت. وأما عند العرب فهو مشدد أبداً متصلا ومنفصلا، نحو أحبّ يحبّه. و[قد يثـ]ـبت المثلان معاً في بعض الألفاظ منها في اللغتين علـ[ـى الكمال] والتمـام[5] وعوض أيضـاً من واحـد[6] المثلين بحرف لـين مـثـل: וּמַה-שָּׁגִיתִי[7] (وُمَهْ شَكِيتِي): في أي شيء غلطتُ، من שגג (شَـكَّـكَ): غلط. אֲשֶׁר-בָּזְאוּ נְהָרִים[8]

---

1 "قُمْ. بعْ " مثالان أتى بهما المؤلف.

2 في الأصل [مـ]ـن

3 جذر صيغة וַיִּבֶן (وَيَفِنْ): شيد، هو בנה (بنه) וַיִּקֶן (وَيَقّنْ): ويشتري هو קנה (قنه)أي لامه هاء.

4 جذر الفعل هو דלל (دَلَلْ): تدلل. وقد أدغمت لام الفعل التي هي اللام، في الصّيَغ أعلاه، كما دل على ذلك الشد. (نقطة داخل الحرف).

5 يجيء مثلا، جذر חגג (حـَكَـكْ): احتفل. في صيغة الماضي هكذا חָגַג (حـَكَـكَ) احتفل חָגְגָה (حَـكَـكَــهْ): احتفلتَ، أي بثبوت عين الفعل ولامه

6 أي عوض أحد المثلين بحرف لين.

7 أيوب 6، 24.

8 إشعياء 18، 2.

(أَشِرْ بَزْأو نِهَرِيمْ): التي [الأمة] خرقت الأنهار. من בזה (بَزَهْ): يحتقر [خرق]، וְאַל-תִּדְמֶיָנָה[1] (وألْ تِدْمِينَهْ): ولا تكفًا، من דממה (دممه): سكون. ونظير ذلك أمليت الكتاب وأمللته، وتظنيت مثل تظننت. على أنه يسوغ لنا أن نقول في هذه إنها لغة أخرى على حيالها في ذلك المعنى بعينه[2]. والأمر تابع للمستقبل، والقياس في تصرف هذه الأفعال مطرد على ما تقدم.

8-4 الأفعال المعتلة الفاء واللام

هذه الأفعال عندنا هي مثل אפה (أَفَه): خبز، נטה(نَطَهْ): مَدَّ، ידה (يَدَهْ): ألقى، נזה (نَزَهْ): انتثر. وكثيرا ما [انتقص منها] الحذف حتى لم يبق منها إلا حرف واحد أصل، مثل: וַיֵּט (وِيَطْ): ويمد،וַיַּךְ (وِيَخْ): يضرب، וְיֵז (وِيزْ): وينتثر، וַתֹּפֵהוּ[3] (وَتُفهُو): وعجنته. ونظيرها: وَقَّى وَقَى وَشَى. وهذا إذا عمل فيها الجزم لم يبق منها أيضا إلا حرف واحد أصل، نحو: لم يق لم يف لم يش، ويلحقها من وجوه التصرف ما يلحق سائرها..... تبع أيضا...... الأفعال المعتلة العين واللام كما تقدم[4].

8-5 الأفعال المعتلة العين واللام

هذه الأفعال عندنا مثل בא[5]: جاء، ראה (رَأَهْ): رأى. فإنه لا يظهر منها في اللفظ إلا فاء الفعل فقط مثل וַיָּבֹא[6] (وِيَبُأ): ويجيء = جاء، וַיַּרְא[7] (وَيَرْ(أ)):

---

1 إرميا 14، 17. عوض الحرف الثالث في الجذرين: שגג (شَگَگــ) وדמם (دَمَمْ) بـ ياء وهي حرف لين.
2 جاء في لسان العرب " وظننت الشيء...... وتظننته وتظنيته على التحويل..." أي حول إحدى النونين إلى ياء، وهذا هو المقصود ب" على أنه يسوغ لنا أن نقول في هذا إنه لغة أخرى على حيالها. فقد عوض لام الفعل (گ) إذ انقلبت ياء.
3 جاءت هذه الصيغ في التوراة كما هو أعلاه، وهذه جذورها مع الإحالة على الأماكن التي وردت فيها في التوراة נטה (نطه): مَدّ، سفر صفنيا، إصحاح 2 فقرة 13. נכה (نخه): ضرب، سفر الخروج 2، 12 . נזה (نزه): انتثر، إشعياء، 63، 3. אפה (أفه): خبز، اصموئل الأول، 28، 24.
4 نقص في أصول المخطوط الذي اعتمده الناشر قاقوتسو.
5 الجذر هو בוא (بــ(ـو) أ).
6 جذر בוא (بـ(ـو) أ) وجاءت هذه الصيغة في كثير من آي التوراة مثلا صموئل الأول 4، 3.
7 جاءت هذه الصيغة في كثير من آي التوراة أيضا مثلا التكوين 1، 4.

ويرى= رأى. ونظير ذلك عند العرب تصر[يـ]ف رأى، فإنهم قالوا في الجزم: "لم ير" بحذف عين الفعل ولامه، وأصله "يرى" مثل "نأى ينأى".

وأما ما يلحق هذه الأفعال المعتلة من وجوه التصرف فهو جار مجرى السلامة دون حوالة ولا مخالفة.

ولما انقضى القول في أبنية الأفعال السالمة والمعتلة وجب أن اتبع ذلك بذكر رتبة تعديها وما وقع من توافق اللغتين في ذلك.

9- القول على أقسام الأفعال في التعدي

تُعدّى الأفعال الذي تشتمل عليهـ[ـا] اللغتان على ستة أضرب:

1) - ضرب لا يتعدى فاعله إلى مفعول مثل שָׂמֵחַ[1] (سَمِـ(ـيِّـ)ـحْ): فرح، צָץ (صَصْ): أزهر، שָׂשׂ[2] (شَشْ): فرح، פָּרַח (بَّرَحْ): طار، ونظيره قام قعد أحمر أصفر. وما أشبه ذلك مما لا دليل فيه على مفعول.

2) - وضرب يتعدى إلى مفعول واحد مثل שָׁמַר אֶת-הַדָּבָר (شَمَرْ إتْ[3] هَدَّفَرْ): أسَرَّ الأمرَ، זָכַר לְעוֹלָם בְּרִיתוֹ[4] (زَخَرْ لِعُولَمْ بريتُو): وحفظ إلى الأبد عهده. ونظيره: حفظت الحديث، قرأت الكتاب.

3) - وضرب يتعدى إلى مفعولين ويجوز الاقتصار على أحدهما، مثل: וַיַּלְבִּשֵׁם כֻּתֳּנֹת[5] (وَيَلْفِيشَمْ كُتُونُتْ): والبَسَهُمْ أقمصة، הַמַּצְמִיחַ הָרִים חָצִיר[6] (هَمَصْمِيَحْ هَرِيمْ حَصِير): المُنْبِتِ الجبال عشباً، וְהַפְשֵׁט אֶת-אַהֲרֹן

1 عندما ينتهي الفعل أو الاسم في العبرية بحرف حلقي مسبوق بضم أو كسر فإن الأخير منهما يقرأ كالآتي بدلَ שָׂמֵח سَمَحْ שָׂמֵחַ (سَمِيَحْ)، גָּבַהּ (كَفَهْ): علا، تقرأ גָּבוֹהַּ (كَفُوَهْ).

2 جذر الفعلين على التوالي: צ״ץ, ש״ש

3 تكوين 37، 11، أما كلمة "إتْ" فليس لها معنى، إنما تأتي في العبرية قبل المفعول المعرف، وتعد علامة من العلامات الدالة على المفعولية وهي أثر من آثار الإعراب في هذه اللغة.

4 مزامير 105، 8.

5 اللاويون 8، 13/ مزامير 147، 8.

6 أعداد 20، 26.

אֶת-בְּגָדָיו[1] (وهَفْشِطْ إتْ أهَرُنْ إتْ بِكَدَوْ): وأخلع هارونَ ثيابَه. فإن الكلام تام بالمفعول الواحد. ونظيره: أعطى أطعم كفى.

4) ـ وضرب يتعدى إلى مفعولين ولا يجوز الاقتصار على أحدهما مثل הוֹדִיעֵנִי יְהוָה, קִצִּי[2] (هُودِيعِنِي يهْوَه قِصِّي): عرفني يارب نهايتي، וַיַּחְשְׁבֶהָ עֵלִי לְשִׁכֹּרָה[3] (ويَحْشِفِهْ عِلِي لِشِكُّرَه): وظنها "عِلِي [اسم علم]" سَكْرَى. فإن الكلام لا يتم إلا بهما معا. ونظيره: ظننت وحسبت.

5) ـ وضرب لا يتعدى إلا بحرف خفض مثل لغة בָּטַח (بَطَحْ): إتكل، فإنها تتعدى بالباء نحو בְּטַח בַּיהוָה[4] (بطحْ بَيَهْوَهْ): أتكل على الله، הַבֹּטְחִים בַּיהוָה[5] (هَبُطْحِيم بَيَهْوَهْ): المتوكلون على الرب، עַל-מִי בָטַחְתָּ[6] (عَلْ مِي فطَحْتَ)[7]: على من اتكلت؟ הַבֹּטְחִים עַל-חֵילָם[8] (هَبُطْحِيم عَلْ حِيلَمْ): الذين يتكلون على قوتهم. ونظيره: مررت بالرجل ونحوه.

6) ـ وضرب يتعدى بحرف وبلا حرف مثل קְרָאתִיךָ, חוּשָׁה לִּי[9] (قِرَاتِيخَ حُوشَهْ لِي): دعوتك اسرع إلي، וַיִּקְרָא אֶל-מֹשֶׁה[10]، וַיִּקְרָא לה (وَيقْرَأ إِلْ مُشِهْ): ودعا موسى[11]. (وَيقْرَا لهْ): ودعاها، שַׁמְּרֵנִי (شَمَرْني): احرسني، שָׁמַר אֶת-הַדָּבָר[12] (شَمَرْ إتْ هَدَّفَرْ): أسَرَّ الأمر، עַל-כֵּן עַמִּים יְהוֹדוּךָ[13] (عَلْ

1 أعداد 20، 26.
2 مزامير 39، 5.
3 صمونئل الأول، 1: 13.المفعول الأول في المثال الأول هو "ن" المتكلم والثاني هو النهاية. والمفعول الأول في المثال الثاني هو "هـ" الغائبة والثاني هو سكرى.
4 مزامير 37، 3 و 115، 9.
5 مزامير 125، 1.
6 الملوك الثاني 18، 20 إشعياء 26، 5.
7 تنطق ב في العبرية ب و ف (v) حسب موقعها من الكلمة وحسب الحركة التي قبلها ومن المواضع التي يُنطق بها ف (v) أن تكون الكلمة التي تبتدئ بها مسبوقة بكلمة منتهية بمد مثل هذا المثال.
8 مزامير 49، 7.
9 مزامير 141، 1.
10 خروج 24، 16 لاويون 1، 1.
11 تعدى الفعل في المثال الأول ب إلْ:إلى، وفي المثال الثاني ب لـ ودعا (إلـ(ى)موسى.ودعا(لِـ) ها.
12 تكوين 37، 11.
13 مزامير 45، 18.

خِنْ عَمِيم يهُودُخَ): لذلك تحمدك الأمم. ونظير ذلك قولهم شكرته وشكرت له، وفي القرآن: {...أنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ}[1] ، ونصحته ونصحت له، وأمرته أمراً كذا وأمرته به. وقد جمع الشاعر بينهما فقال:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب[2].

فهذه أقسام تعدي الأفعال في اللغتين معاً، إلا أن عند العرب ضرباً سابعاً وهو الذي يتعدى إلى ثلاثة مفعولين مثل: اعلم وأنبأ، يقال "أعلمت زيداً عمروا خير الناس" وليس له في شيء من النص[3] عندنا نظير البتة، إلا أن الربي مشه (موسى) بن جقطيله رحمه الله ذكر أن الفعل عندنا قد يتعدى إلى ثلاثة مفعولين وساق فيه مثالا הוֹרָה יְהוה את ישראל הדרך הישרה (هُورِهْ يَهْوَه إتْ يسْرَئِلْ هَدِّرِخْ هَيِّرَتِّرَهْ): علّم يهوه إسرائيل الطريق المستقيم. على أن يكون (هَيَّشَرَه) مفعولا ثالثا. ووجدت النـگيد رحمه الله قد ذكر مثل ذلك بعينه، وكلاهما صحبهما الوهم في ذلك. والافتيات على اللغة في أن يستنبط فيها ما لم يوجد مستعملاً في شيء منها. ثم إنه بعد أن يجوز استعمال ذلك فالمثال الذي جلباه غير صحيح ولا مستقيم، فإنهما جعلا ישרה (يَشِرَه): "المستقيم" مفعولاً ثالثاً وهو نعت لـ דרך (دِّرِخْ): الطريق. وإذ كان الأمر على ما ذكراه فأنا أتبع (هَيَّشرَهْ) نعوتا مترادفة مثل: טובה (طُوفَهْ): حسنة، נכונה (نِخُونَهْ): صحيحة، נכוחה (نِخُوحَهْ)" أمينة. "وعدت إليه وأقول" [فإذا عددتها أقول][4] إن كل واحد منها مفعول رابع وخامس وسادس إلى ما لا نهاية له، وهذا مما لا يجوز، وأنا أجلب في ذلك قولا موفيا فأقول: إن حكم الفعل الذي يتعدى إلى ثلاثة مفعولين، ألا يتم الكلام دون ثلاثتها، وأن تكون أن المفتوحة الثقيلة مقدرة في المفعول الثاني نحو: أعلمت عمرواً زيداً خيرَ الناس. تقديره أعلمت زيداً أن عمرواً خير الناس. وأنبأت بكراً بشراً كريماً

---

1 سورة لقمان، 14.

2 البيت الشعري لعمرو بن معدي كرب الزبيدي الذي أدرك الإسلام وأسلم، ومطلع القصيدة هو:
يا دار أسماءَ بين السفح والجبل أقوى وعَفى عليها ذاهب الحِقبِ

3 يعني نص التوراة.

4 لا نستبعد أن يكون في جملة "وعدت إليه وأقول" خلل، لذلك قومناها بجملة [فإذا عددتها أقول].

تقديره أن بشراً كريم. ومثال ذلك عندنا لو جاز استعماله: הודיע יהוה ישראל הצדקה מצלת ממות (هُودِيعْ يَهْوَهْ يِسْرَئِيل هَصِّدَقَهْ مَصِّلِتْ مِمَوِّتْ): أنبأ يهوه إسرائيل [أن] الحسنة منجية من الموت. بتقدير כי הצדקה מצלת ממות (كِي هَصِّدَقَهْ مَصِّلِتْ مِمَوِّتْ): [أن] الحسنة منجية من الموت. لهذا [فهذا] مثال مستقيم، ولكنا لا يسوغ لنا استعمال ذلك، إذ لم يجئنا مثله في شيء من النص، ولو ذهبنا إلى إحداث مثالات في هذا ومثله مما استعمل عند العرب ولم يستعمل عندنا لأمكننا ذلك، إلا أنه لا يجوز لنا ذلك بوجه من الوجوه، فإنه استهداف إلى هَدّ أركان اللغة وخرق العادة فيها[1].

وأما مرا[تب] الأفعال في الخفة والثقل ورتبة تناقلها من الذاتية إلى التعدي فأ[ضـ]ربت عن ذكر ذلك. واقتصرت على ذكر أقسام الأفعال في التعدي خاصة، كانت من أي بناء كانت مما تجانست فيه اللغتان من عدة [عدد؟] الأقسام ووجوه التعدي، ولم أعرض لغير ذلك مما وقع استيفاؤه في كتب النحو مثل كتاب الحكيم أبي إبراهيم ابن يشوش رحمه الله[2]، فإنه لم يسبق إلى مثله في رتبة التـ .... من .... التصريف ... .[3]

10 ذكر ما تتعدى إليه الأفعـ[ـال] المتعدية وغير المتعدية

كل فعل في .... يتعدى إلى أربعة أشياء: المصدر وظرف الـ[زمان وظرف المكان والحال] وأقوى تعدي الفعل إلى المصدر لأنه اسمه والاسم......................... ظرف الزمان لأن الفعل إنما اختلفت البنية الـ .... ظرف] المكان ثم إلى الحال.

---

1 يريد ابن برون بقوله هذا أن نص التوراة هو المصدر الموثوق في اللغة، وأن ما عداه لا يصح الاستشهاد به. ولذلك فكل استشهاداته، ولو كانت لفظاً واحداً، فإنه أخذها من العهد العتيق.

2 أبو إبراهيم إسحق بن يشوش غرناطي، توفي 1057. كان من أوائل نقاد التوراة الجريئين، إذ لا حظ أن من أسماء ملوك أدوم الذين ورد ذكرهم في توراة موسى أسماء كان زمان أصحابها بعد موسى، وكان في هذا أسبق من أبرهام بن عزرا في نقد التوراة، وغير بعيد أن يكون تأثر بنظرية ابن حزم في نقد التوراة، الواردة في كتابه الفصل.

3 ضاع الأصل.

1- أما المصدر فهو موحد أبداً لا يثنى ولا يجمع لأنه يقع على الكثير والقليل من جنسه ويجوز تقديـ[ـمه وتأخيره] نحو הָלֹךְ אֵלֵךְ (هَلَخْ إِلَخْ): مسيراً أسير (أسير سيراً)، אַךְ יָצֹא יָצָא[1] (أخْ يَصُوْ يَصَّاْ) إذ خروجاً خرج، כִּי-גָאֹה גָּאָה[2] (كِي كَوُهْ كَأه): عظمة تعظم، שִׁמְעוּ שָׁמוֹעַ[3] (شِمْعُو شَمُوَّعْ): اسمعوا سماعاً، ואכ... [לָמָה] הֵעֲבַרְתָּ הַעֲבִיר[4] (... [لَمَّهْ] هِعْفَرْتَ هَعَفِير): ...[لماذا] أجزتَ جوازاً. ونظير ذلك: قام قياماً وقعد قعوداً.

2- وأما ظرف الزمان فنحو וַיָּקָם בַּלַּיְלָה הוּא[5] (ويَقَمْ بَلَيْلَه هُو): فقام في الليلة تلك، וַיַּשְׁכֵּם בַּבֹּקֶר[6] (وَيَشْكِمْ بَبُقِرْ): فبكر في الصباح. ونظيره خرجت بكرة وجئت ليلا.

3- وأما ظرف المكان فنحو וַיָּבֹא הַבַּיְתָה[7] (ويفوْ هَبَيْتَهْ): وجاء البيتَ، וַיֵּצֵא הַחוּצָה[8] (وَيصـا هَحُوصَهْ): وخرج [إلى] الخارجَ، וַתִּשְׁכַּב מַרְגְּלוֹתָו[9] (وتشكَف مَرْكِلُوتَوْ): فاضطجعت عند رجليه. ونظير ذلك: وصلت البيت وجلست فوقه.

4- وأما الحال فهو كل اسم نكرة جاء بعد اسم معرفة والكلام تام دونه، وهو منصوب عند العرب نحو: جاء زيد راكباً وهذا عمرو جالساً ونظير ذلك וַיַּרְכִּבֻהוּ עֲבָדָיו מֵת[10] (وَيَرْكِيفُهُو عَقَدَوْ مِتْ): [وأركبه عبيده ميتا]. وركبوه ميتا[11] ، וַיַּשִּׂיגוּ אוֹתָם חֹנִים עַל-הַיָּם[12] (وَيَشِّكُو أُوتَـمْ حُنِيـم عَـلْ هَيَّمْ):

---

1 قضاة 4، 9.
2 خروج 15، 1، 21.
3 أيوب 13، 17 و 21، 2.
4 يشوع 7، 7.
5 تكوين 32، 23
6 خروج 24، 4 وقضاه 19، 8.
7 الملوك الثاني 9، 6.
8 تكوين 39، 12.
9 راعوث 3، 14.
10 الملوك الثاني 23، 30.
11 وأركبه عبيده ميتا، هذه ترجمة لنا، واختصرها المؤلف في "وركبوه ميتا"..
12 خروج 14، 9.

[وأدركوهم نازلين على البحر]. أي نازلين[1]، ومثله וַיֹּאמֶר יְהוָה פִּתְאֹם, אֶל-מֹשֶׁה וְאֶל-אַהֲרֹן[2] (وَيُومِرْ يهْوَهْ بثْؤُمْ إِلْ مُشِهْ و إِلْ أهَرُن): [وقال يهوه مفاجأة لموسى وهارون]. مفاجأة[3]. ومن هذا זֶה לַחְמֵנוּ, חָם[4] (زِهْ لحْمِنُو حم): هذا خبزنا سخناً، זֶה, הַיָּם גָּדוֹל (زِهْ هيَّمْ گدُول): هذا البحر عظيماً. وقد مضى الكلام عليه فيما تقدم.

ذكر أقسام المفعولين

أقسام المفعولين خمسة:

مفعول مطلق،ومفعول به، ومفعول فيه، ومفعول معه، ومفعول من أجله.

1) ـ أما المفعول المطلق فهو المصدر وقد مضى مثاله قبل هذا[5]، وهو المفعول الحقيقي، لأنه المعنى الذي يوقعه الفاعل ويوجده ويحدثه، ولذلك كان المبرد وسائر النحويين يقدمونه على سائر المفعولين[6].

2) ـ المفعول به كل مفعول يقع به فعل مثل יִשְׁמָרְךָ מִכָּל-רָע[7] (يِشْمَرْخَ مِكّلْ رَعْ): يحفظك من كل شر، כִּי הָרַג שָׁאוּל, אֵת כֹּהֲנֵי יְהוָה[8] (كِي هَرَگ شِؤُولْ إِتْ كُهَنِي يَهْوَه): إن شاؤول قتل كهنة الرب. ونظير ذلك ضربت زيداً وأكرمت عمراً. ويجوز تقديم المفعول على الفاعل... ת... כָּבוֹד, חֲכָמִים יִנְחָלוּ[9] (كَڤُودْ حَخَمِيم يِنْحَلُوا): مجداً الحكماء يرثون. ونظيره زيداً [ضر]بت وعمرواً أكر[مت] .....

---

1 لم يترجم المؤلف إلا "نازلين".
2 أعداد 12، 4.
3 " وقال يهوه مفاجأة لموسى وهارون"، هذه ترجمتنا، واختصرها المؤلف في " مفاجأة"
4 يشوع 9، 12.
5 ذكره في باب ما تتعدى إليه الأفعال المتعدية وغير المتعدية. ومن الأمثلة التي أعطى הָלֹךְ הלך (هَلَخْ هِلِخْ): سيرا أسير، יצא יצא (يَصُوْ يَصَّا) خروجا خرج....
6 أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد. ولد بالبصرة سنة 210 هـ-286 هـ. ومن مؤلفاته الكامل، الفاضل، المقتضب، وهو في النحو والصرف، ويقع في ثلاثة أجزاء ضخمة- ولعل ابن برون يشير إلى هذا الكتاب- شرح لامية العرب، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، المذكر والمؤنث.
7 مزامير 121، 7.
8 صموئل الأول، 22، 21.
9 أمثال 3، 35.

...... ما أشبهه واق... المفعولين.

3) - والـ[مفعول فيه]... וַיָּקָם בַּלַּיְלָה הוּא[1] (وَيَقُمْ بَلَيْلَهْ هُو): قام "في تلك الليلة"[2]، ותשכב.... וַיֹּאמֶר יְהוָה פִּתְאֹם, אֶל-מֹשֶׁה[3] (وتشخف....وَيُؤْمِر يَهْوَه بِثْوُمُ إلْ مُشِهْ): وقال [يهوه فجأة إلى موسى]....الفعل لم يصل إليها ولا وقع بها...،

4) - [والمفعول معه.... قولهم جاء البرد والطيالسة بمعنى جاء البرد[4] .....أدّت الواو معنى مع. وكذلك استوى الماء والخشبة........ خشبة، واستوى مع الخشبة. ونظير ذلك عندنا على ما [...וַיְהִי הַשֶּׁמֶשׁ] בָּאָה, וַעֲלָטָה הָיָה[5] (..وَيْهي هَشِمِشْ بَأهْ وَعَلطَهْ هَيَهْ: وكان أن غابت الشمس والعتمة طلعت. فإن هذه الواو مؤدية معنى ولو[أدت معنى واو العـ][6] طف لوجب أن تغيب الـ[شمش] الـעֲלָטָה (عَلطَهْ) مع مغيب الشمس ومثله: וַיְהִי הַשֶּׁמֶשׁ לָבוֹא, וְתַרְדֵּמָה נָפְלָה עַל-אַבְרָם[7] وَيْهي هَشَّمِشْ لَفُوء وتَرْدِمَهْ نَفْلَهْ عَلْ أفْرَمْ): ولما صارت الشمس للمغيب وسبات سقط على إبراهيم.

هذا ما ذكره مَن تقدم في مثال المفعول معه عندنا، وأنا أقول إن هذا المثال ليس على حقيقة المفعول المذكور إلا ولو [إذا] قال וַיְהִי הַשֶּׁמֶשׁ בָּאָה, וַעֲלָטָה, וַיְהִי הַשֶּׁמֶשׁ לָבוֹא, וְתַרְדֵּמָה(وَيْهي هَشَّمِشْ بَأهْ وعَلطَهْ وَيْهي هَشَّمِشْ لَفُوءْ وتَرْدِمَهْ): وكان أن الشمس غابت والعتمة، وكان أن الشمس غابت والسبات.. دون أن يتبعهما הָיָה (هَيَهْ): كان، ونָפְלָה (نَفْلَهْ): سقطت، لأن النص إنما يقتضي فيهما معنى الابتداء والخبر، وهذه الواو في וַעֲלָטָה (وَعَلطَهْ) וְתַרְדֵּמָה (وتردمه) في معنى الابتداء وخبرهما הָיָה (هَيَّهْ) و נָפְלָה (نَفْلَهْ) ولا

---

1 تكوين 32، 29.
2 "في تلك الليلة" من ترجمة المؤلف.
3 اعداد 12، 4.
4 [جاء البرد وجاء معه الطيالسة] ؟
5 تكوين 15، 17.
6 ولو [أدت معنى واو العـ]طف؟.
7 تكوين 15، 12.

معنى للعبارة[1] هنا عنهما بالمفعول معه. وإذا تأملت ذلك على وجهه ظهرت حقيقة ما قلت فيه.

5- وأما المفعول من أجله فكل من تقدم قد خبط فيه عشواء، ورأيت للنـگيد رضي الله عنه كلاماً في أقسام المفعولين قال في آخره إنه بين منها ما لا يوجد في كتب غيره، ولا تَهَدّى إليه عبراني قبله. ولعمري لقد ذكر فيها كلاماً حسناً وقال في المفعول معه ما بينت وجه الوهم فيه. وأما في هذا القـ[سـ]ـم فلم يقل فيه مقنعاً. فإنه قال إن المفعول من أجله أكثر ما يكون مصدراً والفعل من[؟] يدل عليه بتوسط اللام مثلכִּי הֶעֱלִיתָנוּ מֵאֶרֶץ זָבַת חָלָב וּדְבַשׁ לַהֲמִיתֵנוּ[2] (كِي هِعِلِيتَنو مِإِرِصْ زفتْ حَلَف وُدْفَشْ):إنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلا لتميتنا،וַתֵּתַצַּב אֲחֹתוֹ, מֵרָחֹק,לְדֵעָה (وَتِتَّصَّفْ أحُتُو مِرَحُقْ لِدِعَهْ): ووقفت أخته من بعيد لمعرفة [ما يحدث له].وتابعه مرينـو[أستاذنا] يهودا بن بلعم[3]رحمه الله على هذا المذهب وانتسخ كلام النـگيد في المفعولين بعينه وعلى نصه في كتابه الذي سماه الإرشاد مع كـ... طعنه عليه واستدراكه ظلماً إليه[عليه]،وهذا هو عين الوهم على ما أبينه...إني قد قلت عند كلامي على الحروف الآلية أن هذه اللامات[في לַהֲמִיתֵנוּ לְדֵעָה מַה יֵּעָשֶׂה (لِهَمِّيتِنُو لِدِعَهْ مَهْ يَعَسِهْ): لِتُمِيتَنَا،لمعرفة ما يفعل.هي...الداخلة عند العرب على الفعل المستقبل... نصبه...

انتهى ما وجد من النص، وتليه المقدمة الخاصة بجزء المعجم

1 أي ولا معنى لتسميتها هنا مفعولا معه.

2 أعداد 16، 13.

3 أبو زكرياء يحيى بن بلعم الطليطلي ثم الإشبيلي ولد بطليطلة في الثلث الثاني من القرن الحادي عشر وعاش في إشبيلية. كان من النحاة البارعين ومن النقاد المدققين، انتقد ابن جقطيلة والنـگيد واسحق بن غياث. وصفه موسى بن عزرا بـ" صاحب الملخصات الجليلة، والمقتضبات النبيلة، الموجودة بأيدي الناس. وقّى نكتها وأسقط غثها، وانتقى لبها، واصطفى مصاصها، حتى حصرت أشياء كثيرة [الفوائد] قليلة العدد (المحاضرة والمذاكرة، ص. 74) ومن كتبه الأفعال المشتقة من الأسماء، حروف المعاني، كتاب التجنيس، وكتاب الإرشاد هذا، وله شروح على التوراة. وضاعت جل كتبه. (أنظر تاريخ النحو، لرنير، ص. 17).

ب- مقدمة قسم المعجم[1].

الجزء الثاني من كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية وهو مضمن الكلام في اللغة.

"إني قد ذكرت في الجزالأول من هذا الكتاب، رتب تشارك اللغتين في النحو وتصرف الأفعال وغير ذلك مما وفيته وأمعنت القول فيه، وأنا ذاكر في هذا الجزء الثاني بمعونة الله، أصول ما توافقت اللغتان فيه باللفظ والمعنى، ومعتقد ترتيب الأصول المذكورة على حروف المعجم، اقتداء في ذلك بمن تقدم، وليسهل على الطالب طلب ما يحتاج إليه مما يذهب إلى عمله والوقوف عليه، وقبل أن اشرع في ذكر الأصول، أقدم جملة ثم أتبعها التفصيل فأقول:

إني لما اعتبرت رتبة الاتفاق الواقع في اللغة، وجدت ذلك على ضروب متقاربة، ووجوه غير متباينة.

فضرب وقع الاتفاق فيه بالخط واللفظ والمعنى مثل יד يد، עין عين، גמל جمل، אכל أكل، אתה أتى، קרא قرأ، ראה رآى، وما أشبه ذلك.

وضرب جاء، بتعاور (بتبادل) الحررف المتشابهة المخارج المتقارمة فى اللسان مثل الشين والسين فى שער (سعر): شعر، ראש (رُؤْشْ): رأس.

ومثل الشين والثاء المعجمة عند العرب بثلاث نقط، مثل שור (شُور): ثور. שלג (شِلِگ): ثلج. חדש (حَدَشْ): حديث[2].

ومثل الزاي والذال المعجمة אזן (أُزِنْ): أذن، האזין (هِئْزِين): استمع. זבח (زَقَحْ). זכר (زَخَرْ): ذَكَرَ.

---

1 نشرنا نص مقدمة قسم المعجم في ندوة تكريمية أهديت للأستاذ عبد الحق فاضل، وطبعت أعمال الندوة في المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1994، ص. 100-93.

2 تعاور حرفا السين والثاء في العربية في مثل: المَلَسُ والمَلَثُ: اختلاط الظلام. وساخت الرِّجْل وثاخت، إذا دخلت في الأرض. الوَطْسُ الوَطْثُ: الضرب الشديد بالخف. سعابيب وثعابيب: الماء الصافي. ناقة فاسِج وفاثِج: الفتية الحامل. (أبو علي القالي، كتاب الأمالي، دار الكتاب العربي، بيروت (دون تاريخ)، ج.2، ص. 114).

ومثل الحاء والخاء، في אח (أحْ): أخٌ. ومח (مُحْ): مُخٌّ. وאחר (أحِرْ): آخر[1].

ومثل القاف والكاف فى דָּכוּ בַּמְּדֹכָה (دَخُو بَمْدُخَّه) الذي معناه الدَّق[2]. وבקר (بُقِرْ): الذي معناه بكرة[3].

والعين والغين فى פָּעֲרוּ עָלַי[4] (پـَّعْرو عَلَيْ) الذى معناه فغروا علي[5].

ومثل الواو واليا ء فى יָתֵד (يتِدْ): وتد، יָרֵךְ (يرخْ): ورِك.

ومثل الجيم[6] والكاف فى גָּדִישׁ (گَـديشْ): الكدس،[7] גַּרְזֶן (گَـرْزَنْ): الكرزم (الفاس) الذى هو مجانس للكرزن[8]، وهو الفأس.

ومثل الدال والتاء في הָדַךְ (هَدُخْ)[9] الذي معناه الهتك[10].

ومثل الباء والميم الذي هما من مخرج الشفة فى בחן (بَحَنْ) الذي هو من المحنة، فإن هذه الحروف كلها متشابهة على ما قلنا[11].

---

1 ويقال في العربية أيضا الخسي والحسي: ا ابس. حبج وخبج: خرجت منه ريح. فاحت وفاخت الريح. خمص وحمص الجرح: ذهب ورمه. المخسول . المحسول: المرذول. يتحوف ويتخوف: ينقص. وقرئ "إن لك في النهار سبحا طويلا وسبخا، أي فراغ (المزمل 7). نفس المرجع ص.111-112.

2 هكذا ترجم المؤلف المثال، وترجمة الجملة كاملة : دق في المدق (الهاون).

3 يقال عسق وعسك: لزم. دقم ودكم: دق ودفع. امتك وامتق في الضرع: شربه جميعا. عربي كع وقح. كشط وقشط عنه الجلد. (نفس المرجع، ج. 2 ص. 139).

4 سفر أيوب، إصحاح 16، فقرة10. والمعنى: فغروا علي أفواههم.

5 تتعاقب العين والغين في العربية فيقال: الوعى و الوغى: الضجة. ارمعن وارمغل الدمع: مطر وتتابع. أولع النشوغ والنشوع: السقوط. ((نفس المرجع، ج. 2 ص. 134).

6 يقصد ابن برون "الـگيم" لأن صوت "الجيم" لم يعد موجودا في اللغة العبرية.

7 الـگدس جمعه أگداس، وهو الحب المحصو المجموع. الـگداسة ما يجمع بعضه فوق بعض. ومنه في العبرية גדישה (گديشَه): التكديس والتكويم.

8 يقول صاحب لسان العرب: "الكرزم فأس مفلولة الحد...والكرزم والكرزن: الفأس، وقد أتى فيها باشعار لأبي حنيفة والفرزدق وجرير، وقول الأخير:

أورثك القين الفلاة ومرجلا وتقويم إصلاح الفؤوس الكرازم (مادة كرم)

9 سفر أيوب،12/40.

10 تتعاقب الدال والتاء في العربية فيقال: السدى و الستى لسدى الثوب. الدَّوْلج والتولج: كناس الوحش. مد ومت في السير. هرت وهرد الثوب: خرقه. (نفس المرجع).

11 تتعاقب الميم الباء فيقال الساسب والساسم: شجر. طحربة وطحرمة: خرقة، لطخة غيم. رتم ورتب: أقام. (نفس المرجع، ج. 2، ص. 52).

وضرب جاء بتعاور الحروف المتجاورة مثل النون والميم في בהן (بُهنْ)" إبهام. בטנים (بَطْنيم)" بَطْم: فستق. דשן (دِشِنْ): الذي هو من الدسم[1].

وضرب جاء بالقلب مثل וַתִּזְנַח מִשָּׁלוֹם (وتِزْنَحْ مِشَلوم) الذي معناه نزحت[2] . ومثل ברכים (برَخيم): رُكَبٌ[3].

وضرب جاء على طريقة التصحيف، مثل הַבָּזָק (هَبَزَق) الذى هو مثل ברק (برق): البرق[4].: . ومثل רצון (رصون) الذي معناه رضوان[5].

ويحسن أن قول في السين والشين والحاء والخاء والعين والغين أنه من هذا الباب، فإنه جار مجرى التصحيف .

وضرب وقع التشارك فيه باتفاق الضد الحقيقى مثل אָבָה[6] (أقَـهْ): شاء وأبى، فأنهما فعلان متضادان وهو قليل .

وضرب جاء التوافق فيه بالمعني لاباللفظ مثل גיל (گـيل) الذى معناه الطرب، فإنه يتصرف عندنا فى الفرح والحزن. والطرب عند العرب كذلك، وهو

---

1 تتعاور الميم والنون في العربية فيال: أسود قاتم وقاتن.طانه الله على الخير وطامه: جبله. أيم وأين: حية. ويقال الغيم والغين، انتقع وامتقع اللون. نجر ومجرمن الماء: أكثر من شربه. والحزم والحزن: الغظ من الأرض. نفسه 90-91.

2 هكذا ترجم المؤلف المثال، وترجمةُ الجملة كاملةً "ونزحت عن السلام". (مراثي إرمياء، 17/3).

3 ברכים (برخيم) جمع مفرده هو ברך (برخ): ركبة. ووقع القب المكاني بين الحروف، وهو ما سماه المؤلف "قلباً" ومثيله في العربية أيس وينس، وجبد وجذب.

4 المثال العبري من سفر حزقيال، 14/1. وجاء في اللسان: "...وبزقت الشمس كبزغت. وفي حديث أنس قال: أتينا أهل خيبر حين بزقت الشمس... ال الأزهري: هكذا روي بالقاف، والمعروف بزغت بالغين، أي طلعت. قال: ولعل بزقت لغة. والغين والقاف من مخرج واحد. قال: وأحسب "برقت" بالراء. (مادة بزق).

5 تتعاقب الصاد والضاض في مثل: ضنصئ وصنصئ: أصل. مناص ومناض: تنحى وتحرك. مصمص ومضمض اللسان: حركه. القبص والقبض. جاص وجاض: عدل. (كتاب الأمالي، ج. 2، ص. 22-23).

6 ورد الفعل في كثير من نصوص التوراة. وهناك فعل آخر بالواو אוה (أوه)، ويعني اشتهى. ويقابله في العربية "هويَ" ومعناه أحب واشتهى. وتنطق حالياً ו "الواو" مثل ב (الڤـا). وربما طرأ التغير على نطق "الواو" منذ القديم. ولعل هذا هو السبب في ترادف الفعلين אבה وאוה. وقد سمعت منذ سنوات حبراً مراكشياً ينطق "الواو" العبري مثل نطق أختها العربي.

أيضا قليل[1].

وسيتضح تفصيل هذه الجملة بالأصول التى تليها. فكل أصل منها كان اسما أو فعلا أو حرفا لايخرج عن نظام أحد هذه الضروب التى قدمتها على ما يظهر ذلك عند الاعتبار، ويبدو عند التذكر والاختبار[2] . ومتى وجدتنى قد ذكرت لفظة واحدة من جملة أصل ما، واتفقت فيها ترجمة لائقة بالمعنى، فلا تطالبنى أن يصحب ذلك الأصل كله، ولا تحتج علي بأن تلك الترجمة لاتحسن في لفظة أخرى منه. كما أنى لا أطلب أنا باعتقادها، ولا ألومك على دفعها. ولكن إذا كانت تلك الترجمة واقعة موقعها من المعنى، منتظمة على الحقيقة به، فاخلق بإيثارها على سواها مما يخرج مخرج المجاز والاستعارة[3].

والنـگيد رضي الله عنه[4]، يقول:"إنا لانخرج اللفظة من الحقيقة إلى المجاز إلا بعد امتناع الحقيقة، لأن الحقيقة أصل والمجاز عدول عن الأصل. فلسنا نعدل دون ضرورة، وهى أن يكون المعنى غير مستصحب للحقيقة. فجميل إحزاج اللفظة إلى المجاز إذا كان المجاز مواتياً فى ذلك المعنى". وفى مثل ذلك يقرل الأوائل عليهم السلام: "אין מקרא יוצא מידי פשוטו (إينْ مِقْرا يوصِيء مِيَدي پْشوطو)[5]: ليس هناك نص توراتي لا يمكن فهمه على حقيقته اللغويةً.

فالمعنى إذا كان قائماً تاماً بأى وجه أمكن، على ما جاء فى النص، فالصواب أن يعبر عنه بذلك النص، دون زيادة ولا نقصان، لاسيما إذا كان الوجه

---

1 גִיל (گيل) تعني الفرح والبهجة، كما جاء في سفر إشعياء 10/26. ولا تدل مفردة على الحزن، وقد تدل على الرهبة في مثل עִבְדוּ אֶת-יְהוָה בְּיִרְאָה; וְגִילוּ, בִּרְעָדָה. (عَڤْدو إِتْ يَهْوَه بيرْاه وگِيلو برَعَدَه): اعبدوا يهوه بخوف وابتهجوا برعشة. (مزامير، 11/2). أما الطرب فهو الفرح والحزن، وقيل خفة تعتري عند شدة الفرح أو الحزن والهم. وبهذا المعنى يكون شبيهاً لما في الفقرة التوراتية أعلاه. (أنظر لسان العرب، مادة طرب, وأنظر الأضداد للأصمعي، [تحقيق أوغست هفنر]، بيروت، 1912، رقم 98، 556.

2 يريد أن يقول إن ما عرضه في هذه المقدمة النظرية سيتضح أكثر عندما يتناول الأصول (الجذور) أصلا أصلا.

3 أي انه يفضل أن تكون ترجمة اللفظة من العربية إلى العبرية على حقيقتها لا على المجاز كلما أمكن ذلك.

4 يقصد بـ"النـگيد" شموئل اللاوي الوزير اليهودي الأندلسي الذي سبق أن ترجمنا له.

5 דף סג, א גמרא: א"ל (الجمرا (تلمود) ص. 63، أ).

وجهاً حسناً. ولا ينبغى أن يقال فى معنى أنه يحتاج إلى حذف أو إلى زيادة أو إلى إخراجه مخرج المجاز والاستعارة إلا بعد ألا يتجه فى تخريجه على مقتضى النص وحقيقته، فعند ذلك يجب أن يتبع الوجه الأقرب فالأقرب، الذى يطابق المعنى بأخف تحامل فى زيادة أو نقصان، وأقرب وجه يمكن من وجوه المجاز والاستعارة. وربما كان في أصل واحد عدة معان، ولم يكن فيها ما يوافق اللغة العربية إلا معنى واحد أو لفظة واحدة. فإنى إنما أذكر ذلك المعنى أو تلك اللفظة فقط. وإلى سائر ذلك قدمت وقلت إن مذهبى إنما هو جمع ما توافقت فيه اللغتان لا غير ذلك. إلا أنه إن مر في أصل من الأصول معنى من غير شأن الكتاب يقتضى شرحاً له وتنبيهاً عليه، فإنى أبين ذلك العنى وأوفيه. وان كان خارجاً عن المقصد الذى أقصده وأنتحيه . . . . . . رأيت وان أجلب مثالات . . .."[1]

هذا أنموذج من الوضع المعجمي في العصر الوسيط، دعت إليه إذ ذاك رغبة علمية رام صاحبها أن يضع بين يدي المهتمين بالعبرية، وخصوصاً الناظرين في التوراة والراغبين في تفسيرها، أداة بها يتواصلون مع لغتهم في تاريخهم العقدي والفكري. ومنه ننتقل إلى أنموذج آخر في البحث، رام منه أصحابه أن يحولوا اللغة العبرية من لغة متحف إلى أداة بها يتواصلون في العصر الحديث، فما الملابسات التي رافقت ذلك؟

1 ضاع ما بقي من هذه المقدمة, وبعد هذا يبدأ المؤلف في شرحه المعجمي بجذر אב (أب) يقول " אב (أب)...فيجانس الأب الذي هو المرعى، فال الشاعر:

جذمُنا قيس ونجد دارنا   ولنا الأبُّ به والمكرع


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل السادس
المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوي[1]

يتناول بحثنا، المعجم العبري تاريخاً ومشاكل وتطلعات. ويجمل زمنا بدأ حوالي القرن الثالث أو الثاني عشر ق.م، ويمتد إلى يومنا هذا. ويتعرض لمجموعة إنسانية شغلت حيزاً جغرافياً ترامت أطرافه، فكانت شرقاً أوسطياً، وغرباً إسلامياً. فأوربا غربية وشرقية، وهي مجموعة تحدثت وكتبت لغة تباعدت زمناً وتباعدت أقواماً وسكناً، بدأت شرقية عروبية، يريد أهلها الآن أن يغيروها لتصبح غربية غربية.

ويأتي الموضوع كالتالي :

I- مصادر اللغة العبرية.

II- المعجم العبري حتى العصر الوسيط.

III- المعجم العبري في عصر التنوير اليهودي والعصر الحديث.

I– مصادر اللغة أو مصادر المعجم العبري، وهي :

1- لغة التوراة

2- لغة التلمود والمدرشيم[2]

---

1 نشر البحث في ندوة تكريم الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال، مراكش، المطبعة الوراقة الوطنية، 2003، من ص. 70 إلى ص. 85.

2 يعني التلمود لغة، الدرس والتعليم، وقد كتب باللغة العبرية والآرامية، إذ يتكون من :

أ- المشنا أي التوراة الشفوية التي بدأت أسانيدها منذ ظهور اليهودية حتى 220م.

ب- الـگمرا أي الشروح والتفاسير والتعاليق التي تعتمد أساساً نص التوراة، وهي أعمال قام بها شيوخ وتلامذة الأكاديميات اليهودية الفلسطينية والبابلية (العراق) ما بين 220م- 500م. والتلمود تلمودان، أحدهما فلسطيني ويدعى يروشليمي (ق 4)، وثانيهما التلمود البابلي (ق 5) وهو أهمهما. =

3- لغة العصر الوسيط.

4- أدب الهسكلا[1]

5- الآداب الحديثة.

6 - الألفاظ والعبارات الأجنبية التي تعبرنت[2].

1 – لغة التوراة وهو العهد القديم.

لم يصل البحث التوراتي إلى تحديد تاريخ بداية الكتابات التوراتية، وينتهي عهدها في المائة الخامسة أو الرابعة ق.م. وتجدر الإشارة إلى أن العهد القديم لم يضم كل اللغة العبرية المعاصرة له، وأنه يضم جزءاً كبيراً مكتوباً باللغة الآرامية، ولم يخل من الدخيل، فبه آثار آكادية وسومارية ومصرية وفارسية ولغات أخرى[3]. ولغته فقيرة، إذ لا يتعدى معجمه 8000[4] كلمة، استقت من مجتمع بدوي رعوي، فنما لذلك معجم (لغة) الظواهر الطبيعية المرتبطة بهذا الواقع، وقلت معاني التحضر والعمران والتجارة والمهن[5].

=والمدرشيم مفردها مدراش، وهي الآداب الدينية اليهودية التي يدور معظمها حول تفسير التوراة، وتعتمد المثل والحكاية، وقد تكون رأياً تأويلياً لحبر من الأحبار. والآداب المدراشية هي الكتابات الربية التي كتبت بعد جمع التلمود. ويعد كل اجتهاد ديني يتخذ النص التوراتي أساساً له "مدراش" ولذا يمكننا أن نجد كتابات حتى في عصرنا الحاضر، يطلق عليها هذا الإطلاق

1 الهسكلا: اصطلاح يعني حرفيا العقلانية، ويطلق على حركة ظهرت في عصر التنوير اليهودي أي في القرن الثامن عشر. وتدعو إلى استعمال اللغة العبرية الصافية أداة لنقل الآداب العالمية أو خلق أدب معاصر إذ ذاك. وقد ارتبطت بالحركة التحريرية اليهودية التي كانت تدعو إلى الحفاظ على الهوية اليهودية دون الانعزال عن المجتمعات الأوربية التي كانت تعيش بها هذه الطوائف اليهودية.

2 مقدمة ابن شوشان، المعجم الحديث، القدس 1971.

3 قشطر، تاريخ البحث اللساني، طبعة ثانية ، جامعة بارإلان، 1969 ص 13، (بالعبرية).

4 CHAIM RABIN, ARIEL : 21, P 27

5 نجد مثلا ثمان عشرة لفظة للشوك، وعشرين للآبار وقنوات السقي، وكثيرًا من أسماء المطر والسحاب وكثيراً من المترادفات المتعلقة بالمحيط البدوي، في حين أن ألفاظ العمران والصنائع والتجارة والمهن، جاءت بلغات غير العبرية. (قشطر، ص 15)

2- لغة التلمود والمدرشيم

وتسمى لغة الربيين ولغة المشنا[1]. وتختلف لغة هذه المصادر عن لغة التوراة نظرا لتأثرها بالآرامية، وتباعد العهد بينها وبين أصولها، وكثرة الكتابات والمتطلبات. وفيها أيضاً دخيل من الآكادية والفارسية واليونانية، وقليل من اللاتينية. أما الآرامية فقد كان لها في لغة التلمود والمدرشيم تأثير كبير في الشكل والمضمون، بل أصبحت لغة الربيين خليطاً من العبرية والآرامية، وذلك لأنها كانت لغة حديث، إضافة إلى كونها لغة بحوث دينية وتفسير[2].

3- لغة العصر الوسيط

ظلت لغة اليهود في الشرق، خصوصاً في العراق، تسير على المنوال الذي أشرنا إليه أعلاه. ثم تضاءلت اللغات اليهودية مع مجيء الإسلام وانتشار العربية[3]. فأصبح لسان اليهود لساناً عربيا كتابة وحديثاً[4]. ثم تمكن اللسان العربي من الفكر اليهودي في مواطن ازدهارهم الجديد، أي في الأندلس. فألف مفكروهم وعلماؤهم وفلاسفتهم ولغويوهم، باللغة العربية، مؤلفاتهم العلمية والفلسفية، بل والعقائدية، في حين حافظوا على اللغة العبرية في أشعارهم وكتب تشريعهم. ولم يكن استعمالهم اللغة العربية استعمالاً وظيفياً استفادوا منه في كتاباتهم وحديثهم، وإنما تأثروا أيضاً بمناهج البحث العربي الإسلامي، في كتبهم التفسيرية والنحوية واللغوية وأشعارهم وآدابهم[5]، وفي مجادلاتهم العلمية التي لم تخل أحياناً من عنف. واهتموا في نفس الوقت بالعلوم الحقة من رياضيات وكيمياء وطبيعيات وفلك وتنجيم وفلسفة في لغتها العربية أخذاً وتأليفاً، حتى القرن الثاني عشر

---

1 انظر هامش 1.

2 قشطر ص 149، وانظر في موضوع الدخيل في التوراة والمشنا : A. NEUBAUER, Notice sur la lexicographie hébraique, journal Asiatique, décembre 1861, P 443-445.

3 لم تنقطع اللغة العبرية تماماً عن الاستعمال، ولكنها ظلت منحصرة في البحوث الأكاديمية الدينية والبيع والصلوات.

4 خير ممثل لهذا التحول هو سعديه گون الفيومي في مصر، وهو أول من وصلتنا عنه ترجمة للتوراة بالعربية.

5 انظر الفصل الخاص بموسى بن عزرا، في كتابنا التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي.

الميلادي. وعندها طرأ تغير على واقعهم في أرض الأندلس، فهاجر الكثير منهم جنوباً إلى أرض المغرب العربي، وشمالاً إلى إسبانيا المسيحية وجنوب فرنسا. ثم كانت الهجرات الكبيرة في أواخر القرن الخامس عشر، أي بعد خروج العرب واليهود من الأندلس، وعندها وجد اليهود بين أيديهم، بعد هجرتهم، تراثاً ضخماً يهودياً وإسلامياً مكتوباً باللغة العربية بحرف عبري، فدعتهم الحاجة إلى ترجمته للغة العبرية[1]، حتى يستطيع اليهود الذين ترك آباؤهم الغرب الإسلامي، والذين لم يحظوا بشرف النبتة في روض الأندلس، الاطلاعَ على هذا التراث. وكانت لغة هذه الترجمات، ولغة علماء اليهود الذين عاشوا في الأندلس وأولئك الذين هاجروا إلى شمال إسبانيا وجنوب فرنسا فإيطاليا، مع بعض كتابات يهود المشرق، هي اللغة التي يطلق عليها لغة **العصر الوسيط**. وكان من الطبيعي أن تكون الميزة الغالبة على هذه اللغة، هي المسحة العربية أسلوباً وصياغة ونهجاً علمياً، مما أغنى معجمها ألفاظاً وصيغاً واقتباساً وصناعة.

4 – الهسكلا

أو لغة عصر التنوير اليهودي[2]. وهي نتيجة لرياح عصر النهضة الأوربية التي هبت على يهود الغرب. والهسكلا حركة فكرية اجتماعية ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر في أوربا الوسطى وألمانيا والنمسا ثم روسيا فأوربا الغربية. وكان الهدف منها تحرير اليهود من نير ما ظلوا يرزحون تحته من خنوع، والاعتراف بحقوقهم المدنية. فهي إذا حركة سياسية تدعو إلى خلق هوية يهودية في الأوطان التي يوجد بها اليهود، وكان نتيجة لهذا التطلع، أن رأى مفكرو اليهود أن طريق التحرر تبدأ أولاً من اليهودي

---

1 لا يعني هذا أن اليهود لم يترجموا أعمالهم إلا بعد هذه الفترة، بل الواقع أنهم كانوا، حتى قبل هذه الفترة، يترجمون كتباً عربية إلى اللغة العبرية لدواعي كانت تدعو إلى ذلك، غير أن حركة الترجمة لم تزدهر إلا بعد هذه الفترة لأسباب سياسية وعلمية وعقائدية لا مجال لذكرها هنا.

2 لم تكن نقلة الفكر اليهودي من العصر الوسيط إلى عصر التنوير وعصر الإحياء نقلة فجائية، بل كانت هناك حلقة ذات أهمية كبرى، تلك هي الحركة الفكرية الأدبية التي ظهرت في إيطاليا في القرن السادس عشر، وكان من روادها موشي حييم لوتساطو، انظر (ف. لحوفير، تاريخ الأدب العبري الحديث، طبعة دفير، تل أبيب، 1966، ج 1. (الفصل الأول). (بالعبرية).

نفسه، إذ عليه أن يتخلى عن تقاليده العتيقة وثقافته التقليدية التي بليت في زوايا البيع المظلمة[1]. ورأوا أيضا أن اللغة العبرية يمكن أن تكون أداة لهذا الفكر اليهودي التحرري، شريطة أن يستعملها اليهود في نقل الآداب الإنسانية العالمية. فظهرت حركةٌ ترجمةٍ نشيطة، ترجمت أمهات الأدب الروسي والآداب الغربية عامة، وكتب اليهود أنفسهم شعراً وروايات استوحوا مواضعها من التوراة، ولكنهم أضفوا عليها واقع الحياة المعاصرة[2]. ونظراً لأن بداية عصر النهضة الأوربية كانت دعوة للرجوع إلى الأصول والعودة إلى الآداب الكلاسيكية، فإن مفكري التنوير اليهودي اعتمدوا أسلوب لغة التوراة الصافي في كتاباتهم، أدبية كانت أم صحفية، ودعوا إلى إيجاد لغة واحدة مشتركة لدى كل اليهود، ورفضوا استعمال اللغات اليهودية الأخرى مثل اليدش واللادينو[3].

5 – الآداب الحديثة

فشلت دعوة مفكري عصر التنويراليهودي، وهي الدعوة التي تدعو إلى إدماج اليهود في الأوطان التي يوجدون بها كحل لمشكلة اليهود. و نتيجة لأسباب سياسية معروفة، أهمها ولادة الصهيونية الحديثة مع تيودور هرتسل 1894، فوعد بلفور سنة 1917، بدأ عهد جديد للغة العبرية وآدابها، وهو العهد الذي نعرفه اليوم، فأصبحت اللغة العبرية لغة أدب وعلم وصحافة وحديث. لغة للمفكرين والعلماء والسوقة والعوام. وكان هذا انقلاباً في تاريخ اللغة العبرية دعا إلى إيجاد سيل من المعاجم، وفي مختلف المجالات. ودعا إلى استعمال عديد من اللغات للهدف المعجمي نفسه، أو للضرورة العلمية التي قضت بإيجاد مصطلح

---

1 ترددت هذه الدعوة في كثير من أشعار الشاعر نحمان بياليك (1873-1934)، وكان هذا الشاعر رأس المدرسة الشعرية العبرية الحديثة.

2 تاريخ الأدب العبري الحديث (الفصل الرابع) من الجزء الأول.

3 اليدش : لغة "خليط" من الألمانية والعبرية، وهي لغة استعملها اليهود الأشكناز، أي اليهود الغربيون في ألمانيا وأوربا الشرقية، ويعدها بعض الباحثين لهجة من لهجات ألمانيا. أما اللادينو فهي خليط من العبرية والإسبانية. وكان يستعملها اليهود السفرديون من أصول إسبانية.

C. RABIN,La renaissance de la langue hébraique, Ariel, N°21, 1970, p : 25

جديد لاحتياجات الحياة المعاصرة والبحث العلمي، وهذا ما سيكون الرافد السادس الذي هو الألفاظ والعبارات الأجنبية التي تعبرنت.

II – الحركة المعجمية

توقف استعمال اللغة العبرية تداولاً مع النفي البابلي وسلطان الآراميين، وعندها أصبحت اللغة الآرامية لغة الحديث والكتابات الدينية لدى اليهود، فكان من الضروري أن تترجم التوراة إلى اللغة الآرامية، وتعرف هذه الترجمة بـ : **"الترگـوم"**[1].

وإذا كانت الترجمة مرحلة أولى من عمل المعجم، أي معجم في انتظار الترتيب، فإن هذا العمل يعد أول معجم مزدوج كامل عرفته لغة التوراة. ولم يظهر معجم للغة العبرية أو لغة المشنا في تلك العهود، وإنما كانت هناك حركة يمكن أن نسميها حركة معجمية تجاوزاً، إذ ارتبطت بتفسير النص المقدس، كما عرف ذلك في تفسير القرآن عند ابن عباس وكبار المفسرين الذين كانوا ينطلقون من درس لغوي نحوي لينتهوا أخيراً بدرس أصولي أو شرعي أو بلاغي.

وأول معجمي يهودي هو سعديه گؤون الفيومي (882- 942)، وهو عالم من علماء اليهود وشيوخهم، مصري المولد والنشأة، وكان من كبار العلماء بالأكاديمية اليهودية بالعراق، وله معجمان، أحدهما الإگرون[2]، وهو كتاب لغة

---

1 الترگوم : جمعه ترگوميم، وتعني الترجمة. إذ حدث بعد النفي البابلي أن توقفت العبرية عن الاستعمال في فلسطين، فحلت محلها اللغة الآرامية، فكانت النصوص المقدسة التي تتلى في البيع وفي المناسبات الدينية، وهي نصوص عبرية، تشفع بترجمة آرامية. ومن هنا سميت الترگوم أي الترجمة. أخذت هذه الترجمات طابع الدرس والتأويل والشرح على مر الزمن فكونت تراثاً ضاعت أعماله الأولى. ويرجع تاريخ أول ترگوم كامل وصلنا إلى القرن الأول الميلادي، وهو ترگوم للعهد القديم. وأشهر الترگوميم = ترگومان : ترگوم انكلوس، وهو ترجمة التوراة، أي القسم الأول من العهد القديم، وينسب لانكلوس، وترگوم يونتن، وهو ترجمة الأنبياء أي القسم الثاني من العهد القديم.

Alexandre Sperber, the Bible in aramie

V. I. The Pentateuch/according to Targum ONKELOS (1956).

V. II. The former Prophets according to Targum JONATHAN (1956).

V. III The latter Prohets according to Targum JONATHAN (1962).

2 انظر حول هذا المعجم قسطر ص : 14.

وشعر، إذ قسمه صاحبه قسمين : قسماً رتب فيه اللغة ترتيباً ألفبائياً، وقسماً رتب فيه القوافي على نفس الطريقة. وكان هدفه إحياء لغة التوراة وإبعاد الدخيل على لسان علماء التلمود. والمعجم الثاني هو كتاب السبعين لفظة [1]، وهي الألفاظ التي وردت مرة واحدة في التوراة. وقد فسر هذه الألفاظ بلغة علماء التلمود. كما استعمل اللغة العربية في تفسيره لغوامض الكتاب المقدس. وتعتبر ترجمة التوراة إلى العربية أيضاً، أول معجم عبري عربي وقف في مرحلته الأولى، أي ما قبل الترتيب الألفبائي، كما رأينا في ترجة الترگوم السابقة الذكر[2].

وكان يعاصر سعديه گؤون الفيومي، يهودا بنُ قريش الطاهرتي (نسبة إلى طاهرت في الجزائر) ووضع "معجماً" كان عبارة عن رسالة بعثها إلى يهود فاس[3]. والأصل في عمله هذا هو تنبيه يهود فاس إلى أهمية استعمال الآرامية التوراتية، فبين لهم أن التوراة تحتوي عديداً من اللغات وكلها مقدس. وجاء في معجمه هذا كثير من الآرامية والعربية واللاتينية والأمازيغية. وعليه فابن قريش، يعد من أوائل المقارنين، كما أن معجمه يعد اللبنة الأولى في هذا الباب[4].

---

1 كتاب السبعين لفظة لسعديه گؤون، حققه نحميا الوني القدس 1956.

2 كتبت الترجمة بحرف عبري كالعادة، ونشرت مراراً في تفاسير التوراة، وكنا اشتركنا في مشروع مع مجموعة من الباحثين، في المركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي، في إعداد نشرة علمية بالحرف العربي وترجمة فرنسية، مع دراسة عقائدية لغوية لنص سعديه گؤون، وظهر الجزء الأول من هذا العمل تحت إشراف Haîm Zafrani et André Caquot بعنوان La version arabe de la Bible de Sa'adya Gaon. L'Ecclesiaste et son commentaire « Le Livre de l'Ascèce »Maisonneuve et Larose. Paris 1989.

3 طبعت الرسالة مراراً، وظهرت آخر طبعة منها في حوالي أربعمائة صفحة، سنة 1984، بعنوان הרסאלה של יהודה בן קריש, מהדורה ביקורית מאת דן בקר (رسالة يهودا بن قريش، تحقيق دن بقر)، بتل- أفيف 1984. وهي أهم طبعة ظهرت لهذا المعجم، ويعد تحقيقها هذا أكمل تحقيق وهو لـ دن بقر، الذي نشر النص العربي بحرف عبري مع الترجمة العبرية.

4 هذا هو الشائع في الدراسات المعجمية، والظاهر أنه كانت هناك معاجم قبل هذه الفترة غير أنها ضاعت. إذ ألف الربي (صمح بن بلوطي) من علماء القرن التاسع ، معجما للغة التلمود (تاريخ يهود الأندلس ج1ص:89(بالعبرية) وهناك معجم آخر بعنوان(تفاسير الفقهاء لكتاب الطهارة) مجهول التاريخ والمؤلف. ويعتقد البروفسور(يـ. ن.. أفشاطين أن مؤلفه هو شمعون قيارا في نهاية القرن التاسع. وعليه فهو سابق حتى عن معجم سعديه. وقد استعمل المقارنات اللغوية في هذا المعجم، فضم لغة التوراة والأحبار والترگوم والعربية. وشرح كلمات من اليونانية والفارسية، فهو إذاً أول كتاب لغوي مقارن. نشر المعجم أفشطاين مع مقدمة بالألمانية، ثم أضاف ملحقاً له في مجلة (تربيص عدد 16).

وظهر بقرطبة كبار أعلام اللغة العبرية، مثل مناحم بن سروق (ق. 10) صاحب كتاب "الكناشة"[1]. ودوناش بن لبراط، صاحب كتاب "الأجوبة"[2]. ويهودا حيوج (منتصف القرن 10) صاحب كتاب "الأفعال المعتلة"[3]. وأبو الوليد مروان بن جناح (النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي) وهو أهمهم جميعاً، وله عديد من المؤلفات، أشهرها كتاب "التنقيح" الذي قسمه إلى قسمين، قسم خاص بالنحو وأسماه **اللمع**[4]، وقسم خاص باللغة وأسماه **الأصول**[5].

وظهر في آخر المائة الحادية عشرة بالأندلس، إسحق بن برون، صاحب كتاب "الموازنة بين اللغتين العبرانية والعربية". ويختلف هذا الكتاب عن سابقه، أي عن مؤلف ابن جناح. فإذا كان هذا الأخير يشرح النحو واللغة العبرية بالعربية، فإن ابن برون كان يقارن بين النحو العبراني والعربي واللغة العبرانية والعربية[6]، ولذلك فإنه قسم أيضا الكتاب إلى قسمين، قسم خاص بالنحو وقسم خاص باللغة، أي المعجم، والقسم الأول منه هو الذي أدرجناه في مؤلفنا هذا.

وظهر في القرن الثاني عشر أبو سليمان داود أبراهام الفاسي، وهو أحد كبار المعجميين القرائين[7]، ومعجمه هو " الأكرون" أو كتاب جامع

---

1 Ménahem ben Saruq, Mahberet, Angel Sắenz-Badillos,Universidad de Granada, Granada, 1986.

2 دخل هذا النوع من التأليف في باب الخلاف في النحو لدى اليهود، إذ يعتبر هذا الكتاب رداً على ما جاء في كتاب "الكناشة" لابن سروق.

3 يقول فيه موسى بن عزره، صاحب كتاب المحاضرة والمذاكرة: "فكان أول المؤلف (بن) (هكذا) أبو زكريا يحيى بن داود الفاسي ثم القرطبي، كتابه في جملة النحو العبراني ،الملقب باسمه حيوج..." ص. 56. ويقول أيضا صاحب المحاضرة في دوناش أنه بغدادي الأصل فاسي النشأة ص. 58.

4 نشر DEREMBOURG نصه العربي بحروف عبرية سنة 1886. ونشر ترجمته العبرية، وهي ترجمة يهودا بن تبون (ق 12م)، گولدبرك بفرانكفورت 1856، وأخرج م. ولنسكي النص من جديد ببرلين سنة 1929. ثم نشرت الأكاديمية العبرية سنة 1964 ترجمة أخرى لـ د طنا. وكان قد ترجم إلى الفرنسية ونشر على يد م. مصكر بباريس 1889. والكتاب موضوع لعديد من الأطروحات الجامعية في الخارج. وكان موضوع لأطروحة أشرفنا عليها بكلية الآداب بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء.

5 نشره بحروف عربية NEUBAUER بأكسفورد سنة 1875. ونشر باكر ترجمة يهودا بن تبون ببرلين سنة 1897، ثم تعددت نشراته فيما بعد سواء بالعربية أو العبرية.

6 أنظر الفصل السابق.

7 القراؤون أصحاب مذهب يهودي ظهر في العرق، وتأثر بمذهب الاعتزال، وكان عقلي النزعة، رفض التلمود وخرافاته، واعتبر التوراة هي المرجع الوحيد لليهودية، واسم التوراة عندهم هو "المقرا" وإليه انتسبوا.

الألفاظ[1]. وقد أسسه على ثنائية الجذر، وبناه على مذهب القرائين اليهود، أي الذين لا يقبلون أصلا لليهودية إلا التوراة، ويرفضون سائر كتبها الأخرى مثل التلمود والمدرشيم.

وتتابعت الحركة المعجمية، سواء في كتب التفسير أو في كتب المعاجم الخاصة[2]، مثل معاجم الأفعال، أو المعاجم العامة، سواء في الأندلس أو في جنوب فرنسا. غير أن أسلوبها ونهجها قد تغير، فلم تعد اللغة العربية لغة تحريرها. كما أن منهجية المقارنة فيها لم تعد ذات بال، وهذا طبيعي، إذ لم يعد اللسان العربي لسان العلماء اليهود، فتغير لذلك هدف المعجم. فبعد أن كان الهدف منه، إضافة تفسير الغامض من لغة التوراة، والغوص في عمق العبرية وبلاغتها، انطلاقاً من ثقافة عربية عرف أصحابُها الخليلَ[3]، وابنَ المعتز، وعلماءَ البلاغة والبيان العربيين، أصبح القصد من المعجم ومن التأليف اللغوي العبري عامة، دراسة اللغة العبرية لذاتها وفهم نصوصها. ومن المعجميين الذين قاموا بهذه المهمة : أبراهام ابن عزرا (ق : 11) وأصله من الأندلس وهاجر إلى أوروبا، وشمله بن اسحق، (ق 11 - 12م)، ويوسف قمحي وموسى قمحي (ق. 12 - 13م) بفرنسا، ونتن بن يحيل، وشلمه بن فرحون بإيطاليا.

فما هي المميزات التي ميزت هذه المعاجم الوسطوية؟

1 - أول ما ميز هذه المعاجم هو تأثرتها بالمدارس المعجمية العربية المعروفة إذ ذاك، إذ بالإضافة إلى أن جلها، وخصوصاً أمهات المعاجم، كتبت

---

1 أخرجه في نشرة مختصرة S.L SKOSS, The Bible known as Kitāb Jāmi' Al –alfāz (Agron) of Divid Ben Abraham Al- Fāsi, Yale Oriental series, Researches XX, XXI New Haven (1936-1945)

2 مثل القاموس الذي وضعه صمونل بن تبون لترجمته لكتاب ابن ميمون دلالة الحائرين. وقد أخرج منه المصطلحات الفلسفية الواردة فيه.

3 ذكر طدروس طدروسي، وهو مترجم كتاب الخطابة لابن رشد إلى العبرية، منهجه في الترجمة ومدى استفادته من كتاب العين للخليل ابن أحمد. انظر :

E. RENAN, Ecrivains guifs français, Paris M. DCCCLXXVII. P : 571

وانظر مقالة نحميا الوني : نتف من أكرون سعديه كؤون (بالعبرية) في مجلة (تربيص) المجلد 19 عدد 2، 1948 ص : 89، وذكر فيه أثر منهج جمهرة بن دريد في سعديه كؤون.

بالعربية بحروف عبرية، فإنها نهجت نهج المعاجم العربية الموسوعية، إذ تنطلق من ترتيب ألفبائي لشرح اللفظة شرحاً لغوياً، غير أنها تستقرئ نصوص التوراة وغوامضها بحثاً عن المعاني المختلفة، مستعملة وسائل الاستنباط والاستقراء والتأويل والمقابلة.

2- القصد الأول من المعاجم في الأندلس، هو تفسير النص المقدس، فهو الهدف الأول والأخير. وإذا عرف التفسير الإسلامي جدل المذاهب من اعتزال وظاهرية،، فإن المعجم العبري أيضاً عرف جدل الربيين والقرائين[1]. فقامت خصومات مشهورة حول التأويل القريب والبعيد، لم تخل منها كتب الفلسفة والكلام اليهوديين، مثل كتاب **دلالة الحائرين** لابن ميمون[2]. كما ظهرت خصومات أخرى تشبه الخصومات الواردة في كتب الخلاف والمدارس الأصولية والنحوية، منها ما دار حول العقيدة، ومنها ما دار حول عدد حروف الجذر، ومنها ما دار حول صلاحية الاستشهاد بالعربية.

3- ظهور المقارنات اللغوية. تعد المعاجم العبرية - العربية أول المعاجم المقارنة في العروبيات (الساميات)، وذلك كان نتيجة لواقع يهود الأندلس والغرب الإسلامي، فلغتهم العلمية هي العربية، ولغة كتابهم المقدس والتلمود هي العبرية والآرامية، والآرامية أم للسريانية، وقد عاشوا ينتقلون بين إسبانيا المسلمة والمسيحية، إما لأعمالهم التجارية أو للمهام الدبلوماسية التي كلفهم بها أصحاب السلطان أو لأسباب غير ذلك، فكان لا بد من أن يستعملوا اللغات القشتالية واللاتينية، بل عاش جلهم في أرض المغارب فاتصلوا باللغات الأمازيغية، فلاحظوا علاقة القربى والتآخي في الأخوات العروبيات-الحاميات، والتباعد بينهما وبين اللاتينيات. ولذلك كانت هذه المعاجم، خصوصاً معجم يهودا بن

---

1 انظر مقدمة السبعين لفظة لسعديه كؤون، وكتاب جامع الألفاظ لداود بن أبراهام الفاسي. وتعني لفظة الربيين عند اليهود، العلماء الذين اعتبروا نص التلمود وملحقاته امتداداً للوحي أو وحياً شفوياً متمماً للتوراة. أما القراؤون فهم العلماء الذين لا يقبلون إلا نص التوراة، أي "المِقرَا" ومن لفظ "المقرا" جاء اسمهم، و"المقرا" يقابل لفظ قرآن عندنا.

2 انظر مقدمة الدلالة، وكذا الفصل الأول منه، وقد ترددت أصداء الخصام في كثير من مواد كتاب الموازنة بين اللغتين لابن برون.

قريش، وأبي الوليد بن جناح، وإسحق بن برون، وداوود الفاسي، معاجمَ مقارنة بالغة الأهمية والغنى.

4 - إن هذه المعاجم، وخصوصاً المذكورة أعلاه، لم تتخذ العربية لغة تفسير وشرح ومقارنة وحسب، لكنها اتسعت في المجالات الحضارية العربية الإسلامية، فنقلت الكثير من الشعر العربي جاهليه ومخضرمه ومولده، والكثيرَ من الأمثال والأقوال السائرة العربية جاهلية وإسلاميةً، بل منها الذي استشهد بالحديث والقرآن على صحة لغة التوراة، مثل معجم ابن برون الموازنة.

5 - بعض هذه المعاجم، خصوصاً معجم شلمه بن إسحق وشمه بن فرحون، قد أدخل لغات أوربية إذ ذاك، مثل الفرنسية، ووصف بعض المظاهر الحضارية الأوربية.

6 - إن أمهات هذه المعاجم، خصصت قسماً للنحو وقسماً للمعجم، مثل تنقيح ابن جناح، وموازنة ابن برون، ومخلول داود قمحي[1].

7 - لم يخل التأليف المعجمي اليهودي في هذه الفترة، من الروح العقائدية المذهبية التي اعتبرت اللغة روح الوحي، والفعل مسلك الإدراك والفهم. فانتقل الخصام من عدد حروف الجذر إلى الأزمات السياسية داخل الطائفة ولدى ذوي النهي والأمر، ثم أصبح جدلاً فلسفياً في كتب فلاسفة العصر الوسيط اليهود مثل ابن ميمون ويهودا اللاوي وابن وقار وابن جرسون وغيرهم.

III – العبرية في عصر التنوير والعصر الحديث

لم يظهر للغة العبرية معجم يذكر في عصر التنوير اليهودي، إذ كان هم المثقفين أثناء هذه الفترة، هو ترجمة الأعمال الأدبية العالمية إلى اللغة العبرية،

---

1 داود قمحي (1160 – 1235)، نحوي عاش بجنوب فرنسا، ألف كتبه النحوية باللغة العبرية أصلا. ويعتبر الواسطة بين الإرث النحوي الأندلسي واليهود الذين لا يعرفون العربية. قسم كتابه كذلك إلى قسمين، قسم النحو وقسم اللغة. وقارن فيه بين اللغة التوراتية ولغة التلمود والآرامية. وترجم W. CHOMOSKY القسم الخاص بالنحو إلى الإنجليزية.

وكان هَمُّ النخبة وضعَ لبنات مذهب أدبي سياسي يدعو إلى الاندماج في المجتمعات المضيفة من جهة، والحفاظ على هوية ثقافية يهودية من جهة أخرى. وتجلت هذه الرغبة لخلق هوية ثقافية، في نشر كثير من آثار الفكر اليهودي الوسطوي في الثمانينات، من القرن التاسع عشر، خصوصا نشر نصوص كتابات يهود الأندلس وجنوب فرنسا، أدباً وفلسفة وعلوماً ولغة، سواء المكتوبة بالعربية بحروف عبرية أو المكتوبة أصلا بالعبرية. كانت صحيفة "هشحر" (الفجر)، وهي صحيفة يهودية عبرية، وكانت تصدر بفيينا (بالنمسا)، منبراً يروج لآراء أهل التنوير الداعية إلى الاندماج في المجتمعات والحفاظ على الهوية. ثم حدثت أحداث كبرى بروسيا سنة 1880، فعرضت يهود هذا البلد إلى اضطهادات دامية، مما جعل محرر الصحيفة المذكورة، برتزسمولينسكين يعيد النظر في أفكاره وما يعرض من آراء في صحيفته. ثم حدثت في فرنسا القضية المشهورة بقضية دريفوس[1]. فدفعت بصحفي شاب كان مراسلا للصحيفة المذكورة بباريس، إلى أن يكتب كتاباً أصبح ذا شهرة في تاريخ الصهيونية، ذاك هو تيودور هرتسل، وكتابه الدولة اليهودية l'Etat juif[2].

كانت الحادثتان وقوداً جديداً أشعل نار المسألة اليهودية. وهذه المسألة هي التي عبر عنها صحفي يهودي آخر في الصحيفة المذكورة سنة 1879، في مقال بعنوان **سؤال ذو أهمية**[3]. خلاصة المقال هي:

1- إحياء وطنية يهودية عصرية.

2- إقامة وطن يهودي بفلسطين.

---

1 دريفوس ضابط يهودي فرنسي اتهم بالخيانة العظمى سنة 1894، وقد أحدثت هذه القضية ضجة لم تشهد فرنسا لها مثيلا. فقسمت المجتمع الفرنسي إلى قسمين، إلى الذين يتهمون دريفوس والذين يبرؤونه، وكان من بين هؤلاء إميل زولا صاحب المقالة الشهيرة في الموضوع "إني أتّهم". ومن أهم المؤلفات التي ألفت حول هذا الموضوع كتاب:
Joseph Reinach, l'histoire de l'affaire Dreyfus, ، 1901-1911.
وهو في سبعة أجزاء.

2 Théodor HERZL (1860-1904) هو أب الصهيونية المحدثة، ألف كتيبه المشهور L'etat juif على إثر الحادثة المذكورة. عقد أول مؤتمر صهيوني ببال (سويسرا) سنة 1897.

3 RABIN, Ariel, N° 21, p : 29

3- استعمال اللغة العبرية في الحديث اليومي واستعمالها لغة التدريس في المدرسة.

والمقال هو في الحقيقة محاولة عكسية لمجريات التاريخ اليهودي. إذ اعتبر اليهود، منذ النفي البابلي، بقايا اللغة العبرية، أو بالأحرى اللغة العبرية الدينية، وطناً لهم يتعدى حدود الأوطان، ويزيل حواجز الزمن، وكان مقال اليعزر بن يهودا، وهو كاتب المقال المذكور، قَلْباً لهذه المجريات، إذ يريد أن يجعل من فلسطين وطناً يحتوي الوطن القديم الذي هو اللغة. ويريد أن يتخلص من اللاحدود التي كانت صفة مميزة لليهودية، ليضع اليهود في حدود جغرافية معروفة. كانت أحداث روسيا وقضية دريفوس، بالإضافة إلى النشاط السياسي الذي قام به هرتسل، أبُ الصهيونية الحديثة، عاملاً مساعداً لتحقيق فكرة ابن يهودا. ولكنه كان أيضاً عاملاً مقلقاً، إذ لا بد من لمِّ شتات آلاف من اليهود المهاجرين من أصقاع متباعدة وبلغات مختلفة. وكان على ابن يهودا أن يحقق من جديد، معجزة بابل، بطريقة مقلوبة، فإذا كان قضاء الإله، كما جاء في التوراة، قد قضى ببلبلة الألسن وتفرقها وتشعبها واختلافها، فإن على ابن يهودا أن يُقوِّم من شأن هذه البلبلة، وهذه الألسن، لتصبح لساناً واحداً هو العبرية. وتحققت له المعجزة كما قال هو نفسه في مذكراته[1]، وتحقق الحلم، أولاً لأنه لم يكن ليصدق معجزة العودة، وثانياً لأن بين يديه لغة فقيرة كانت تصلح لمتطلبات ما بين القرن الثاني عشر قبل الميلاد والخامس الميلادي. ترك ابن يهودا، عملاً لتحقيق الحلم، المشكلَ الأول، مشكل الوطن، للسياسيين، وشمر ساعدَه للمشكل الثاني، أي مشكل اللغة. وبدأ ابن يهودا بعائلته، فكان طفله أول طفل تحدث العبرية دون غيرها في العصر الحديث.

فما هي الأدوات التي هيأها ابن يهودا لهذا الإحياء اللغوي والمعجم الجديد؟

---

1 החלם ושברו, ירושלים, 1970(الحلم وتحقيقه، إلي عزر بن يهودا، القدس 1970). النص الذي اطلعنا عليه طبعة جديدة.

تعددت هذه الأدوات، غير أنها انطلقت من عزمه وقلة من أصحابه، على أن يكون حديثهم بالعبرية وبها دون غيرها، لتكون بعد ذلك لكل اليهود، وسخروا لذلك وسيلتين:

وسيلة سياسية ووسيلة فكرية. تكفلت الأجهزة الصهيونية بالوسيلة السياسية داخل فلسطين وخارجها، وسخرت لذلك كافة أجهزتها التنفيذية والتشريعية والنقابية والمالية، مثل ذلك الملتمس الذي قدمه الشاعر بياليك وصموئل ازنشطدط سنة 1927 إلى المؤتمر الصهيوني السابع عشر، يدعوه فيه إلى مساندة لجنة إحياء اللغة العبرية، ومثل التقريرين اللذين قدمهما المندوب السامي البريطاني سنة 1920 وسنة 1922.

أما النشاط الفكري، فقد تجلى أولا في التدريس باللغة العبرية في مدارس القرى منذ 1890، وثانيا في خلق جمعيات ونواد أدبية لغوية خارج فلسطين وداخلها. من ذلك: تأسيس لجنة إحياء اللغة العبرية التي رأسها ابن يهودا سنة 1890. تأسيس أول روض للأطفال بالقدس سنة 1903. تأسيس لجنة من اللسانيين لإغناء اللغة سنة 1910. تأسيس لجنة أخرى بيافا سنة 1913. تأسيس صندوق الثقافة العبرية أثناء المؤتمر الصهيوني الحادي عشر بفينا. تأسيس مدرسة المعلمين العبرية. تأسيس جمعية أنصار اللغة العبرية 1928. اتصال لجنة إحياء اللغة العبرية بأكاديمية اللغة العربية القاهرة 1931[1]. تأسيس مجلس الثقافة العبرية، باشتراك مع الجامعة العبرية وقسم التربية المنبثق عن اللجنة الوطنية ومركز الثقافة التابع لنقابة الهستدروت ونقابة المعلمين والعاملين في الإذاعة بفلسطين سنة 1946، ثم الإعلان عن أكاديمية اللغة العبرية 1948.

أما في خارج فلسطين، فقد تعدد نشاط هذا الإحياء بخلق مؤسسات ونوادي، كما حدث ذلك في روسيا سنة 1907، حيث ظهرت جمعية إحياء اللغة العبرية وجمعية ثقافية بموسكو سنة 1917، وفي برلين سنة 1923. وكان يواكب

---

1 صموئل إيزنشطدط، لغتنا العبرية الحية، تل- أبيب، 1967 ص 314.

هذا النشاط الداخلي والخارجي، دعاية ثقافية منسقة، مثل المحاضرة التي ألقاها مدير مكتب لجنة إحياء اللغة العبرية، د. صموئل إيزنشطدط، برلين سنة 1929 بعنوان "إحياء اللغة العبرية في فلسطين ونشاط لجنة الإحياء"، محاضرة يوسف قلوزنر بتل أبيب سنة 1931 بعنوان "حاجات اللغة العبرية حاضراً"، محاضرة لنفس المحاضر سنة 1945 بعنوان " اللغة العبرية تدعو إلى قيام دولة عبرية)، محاضرة ايزنشطدط في نفس السنة بعنوان "تطور اللغة في سنوات الحرب" وأخرى له سنة 1947، بأكسفورد "ستون سنة من إحياء اللغة العبرية".

وبالرغم من هذه الجهود السياسية والفكرية التي كانت نتيجة لنشاط ابن يهودا مدة حياته - واستمرت بعد موته - فإن هذا الأخير ظل يشعر بحاجة اللغة العبرية إلى معجم عصري شامل يستجيب لرغبات الشارع والبيت والمدرسة والإدارة والطالب والعسكري والسوقي والعالم. فكرس ما بقي من حياته، أي منذ هجرته إلى فلسطين حتى وفاته سنة 1922، لإعداد معجم العبرية الحديثة. وقد أسس منهجه على رفض دعوى مفكري عصر الأنوار (النهضة اليهودية)، الذين يتشبثون بلغة التوراة وأسلوبها دون غيرها. إذ اللغة العبرية كانت عنده وحده متكاملة تبدأ بلغة التوراة، وتنتهي بكراسة الأطفال. فجاء عمله ضخماً، ضم سبعة عشر جزءاً، رتب خمسة منها في حياته وأتم ترتيب الباقي وإعداده، رأس الأكاديمية العبرية، طور سيناي، فأخرجه آخر سنة 1959[1].

وإذا كان المجال لا يسمح بالإسهاب في وصف هذا المعجم، فإننا نكتفي بالقول بأن ابن يهودا اعتمد المناهج المعجمية العربية من بين ما اعتمد، واعتبر العربية مصدراً مفضلاً في كثير من ما وضعه من ألفاظ جديدة، سواء عن طريق الصياغة أو الاشتقاق أو النحت، وكذا في شرحه لكثير من غوامض الألفاظ التوراتية التي لم تشف فيها كتب التفسير غليلا.

1 إلي عزر بن يهودان المعجم الحديث، الطبعة الدولية نيويورك – لندن، 1960 (الطبعة 59).

كان معجم ابن يهودا موسوعة لغوية أحيت ماضي اللغة العبرية، كما كان ملتقى للغات، إذ بالإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه، فإن صاحبه يضع لكل لفظة مقابلها بالفرنسية والإنجليزية والألمانية. وتعد مقدمته، وسماها المقدمة الكبرى، وطبعت في كتاب على حدة فيما يقارب الثلاث مائة صفحة، من أهم ما كتب عن تاريخ العبرية والعروبيات والمناهج المعجمية.

مات إليعزر ابن يهودا سنة 1922، أي قبل الإعلان عن قيام إسرائيل بستة وعشرين عاما، حدث فيها فوق هذه الأرض، الكثير مما غير من المصائر، وتوالت عليها الهجرات العديدة، خصوصاً بعد 1948، فقامت مدينة بابل من جديد، نظراً لتقاطر أجناس يهودية تعددت لغاتهم وألسنتهم، ولم يستطع عطار ابن يهودا وحده أن يصلح ما أفسده الأقوام، فتوالت الحركة المعجمية متنوعة، وتتباعت فهارس النصوص المقدسة مثل فهرست التوراة والتلمود ولغة الربيين ولغة كبار المفكرين، وكثرت معاجم المصطلحات والمعاجم المتعددة اللغات والموسوعات العامة والخاصة. ولا يتسع المجال لذكر هذه الأعمال المتعددة والمتنوعة، غير أننا سنذكر بعض العناوين التي لها مغزاها، مع ذكر سنوات الصدور، لأن هذه السنوات كافية بنفسها لتصوير هذه الحركة المعجمية، ووضعها في إطارها التاريخي والسياسي، ففي 1928 صدر العدد الأول من مجلة לשוננו (لشونِينو) (لغتنا) وهي أهم أداة لتطويع اللغة العبرية، وما زالت لحد الآن اللسان الناطق باسم **مجمع اللغة العبري**. ثم توالى صدور المعاجم، فصدر سنة 1925 معجم المصطلحات التقنية. 1930 معجم النباتات ومعجم المصطلحات الكهربائية: التلفون والتلغراف. 1932 معجم الأسماء الجغرافية المصوبة بفلسطين. 1933 معجم المصطلحات المهنية لسائقي القطارات. 1934 المصطلحات الطبية وعلوم الطبيعية. 1936 معجم مصطلحات فن الإعلام. 1938 معجم مصطلحات مسك الدفاتر. 1946 معجم نباتات فلسطين. 1947 معجم مصطلحات النسيج، ومصطلحات المطافئ. 1950 معجم علم النفس.

بالإضافة إلى عديد من النشاطات الصحفية التي اعتبرت معركة اللغة العبرية واجباً مقدساً استرخصت من أجله كل شيء.

لم يعد معجم ابن يهودا وهذه الحركة كافيين للاستجابة لمتطلبات المستجدات، فدعت الضرورة إلى إيجاد معجم آخر يستدرك ما استجد، فظهر المعجم الحديث لأبراهام بن شوشان، في سبعة أجزاء ما بين 1948 و 1952. وظهرت أول طبعة منه سنة 1966، فتناول 71251 مادة مع أصولها العروبية ومقابلاتها وشواهدها من كل عهود اللغة العبرية. وأورد فيه صاحبه عشرين ألفاً من الأقوال والأمثال والعبارات، عبرية ومعبرنة، وذيل الكل بذيل لمختصر نحوي وصرفي، وبأسماء المكاييل والأوزان والنقود والأعلام والمشاهير.

لم تقنع كل هذه الأعمال المعجمية علماء اللغة اليهود المعاصرين، فظهر مقال في مجلة Ariel، وهي مجلة خاصة بالآداب والفنون، تصدر في إسرائيل (العدد 13 سنة 1966)، يدعو إلى وضع معجم تاريخي للغة العبرية، وهو مقال فصل فيه كاتبه بن حييم، الدواعي التي دعته إلى التفكير في هذا المشروع، حيث بين أن فترة أربعين سنة، وهي الفترة الفاصلة بين إعداد معجم ابن يهودا وسنة 1966، تدعو إلى إنجاز مشروع المعجم التاريخي، وبين المنهج الذي يجب أن يبنى عليه هذا المشروع. وظهر أول إنجاز من هذا المشروع سنة 1969، وقد اعتمد الحاسوب كتابة وإنجازاً وتحقيقاً. ويستحق هذا العمل حديثاً خاصا لتبيان طريقة الانتقاء والمنهج واختيار المصدر[1].

وبهذه المناسبة نشير إلى أن هناك مشروعاً آخر، تشرف عليه G. Bensimon- Choukroun وهي باحثة من السربون الخامسة، يروم إعداد معجم لغات اليهود بشمال إفريقيا، وهو جزء، كما أشارت إلى ذلك في مراسلة لي

1 (المعجم التاريخي للغة العبرية، أكاديمية اللغة العبرية، العمل وطريقة إنجازه) القدس 1969. عندما كتبنا هذا البحث كان العمل لم يوضع كاملاً، وأثناء زيارتنا للمدرسة العليا للدراسات اللاهوتية اليهودية في أمريكا The Jewish Theological Seminary of America بنيويورك سنة 1997، اطلعنا على المعجم كاملا في ميكروفيش .

خاصة، مؤرخة ب 25 دجنبر 1986، من مشروع كبير هو معجم لغات يهود العالم.

إنها حركة معجمية نشطة، فهل وضعت حداً للمشاكل اللغوية العبرية؟

إن الصراع حول اللغة العبرية كان وسيظل، وهو صراع يتردد بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، إذ هناك من يرفض استعمال اللغة العبرية لغة حديث، لأنها في نظره لغة إلهية، ولا يجب أن تستعمل إلا في ما هو إلهي. وهناك من يرفض هذه اللغة كما هي الآن، لأنها فتحت ذراعيها لكل دخيل وأجنبي، ويريد أن تكون صافية توراتية لا شية فيها. وهناك من يرفضها ويريد بديلاً لها لغة اليدش. وهناك من يريد أن تكون كما هي عليه الآن، فهذا دليل على عودة الحيوية إليها وعصرنتها. ومقدمات المعاجم المتأخرة تنبئ عن ذلك، خصوصاً مقدمات معاجم l'argot، "اللغة السوقية" أو معاجم ما أسماه اللغويون اليهود "أبناء الزنا" في اللغة.

إنه صراع ضروري في مجتمع تعلمت فيه الأمهات اللغة من أفواه أطفالها، مجتمع يغلق باب بيوته على عشرات اللغات، تبعاً لأصول القادمين والمهاجرين، ويسير في الشارع ظاهرياً، بلغة واحدة تضع قبعة الأوربي على رأسها وتتدثر بعباءة يعقوب، إنه المجتمع الذي أطلق عليه بعض علماء الاجتماع، المجتمع "الكوكتيل" (الخليط)، هذا "الكوكتيل" الذي ظهر حتى في لغة علماء اللسان والبحث والعرفان. وعلى الرغم من ذلك، ظلت الرغبة في تحديث العبرية أمراً قائماً على مستويات متعدة، وفي نماذج مختلفة، منها هذا الذي نعرض له في الفصل الموالي.

الفصل السابع

قاموس قجمان العبري-العربي[1]

يعتبر قاموس قجمان من القواميس العبرية المزدوجة، وقد صدرت الطبعة التي اعتمدناها في بحثنا، عن دار الجيل ببيروت، لبنان، ومكتبة المحتسب بعمان الأردن. وليس للطبعة تاريخ إذا ما استثنينا التاريخ الذي ختم به حزقيال قجمان مقدمة قاموسه وهو سنة 1970، ويقول واضع المعجم في المقدمة، إنه عندما كان يترجم من اللغة العبرية إلى اللغة العربية، شعر بالحاجة الماسة إلى قاموس يستعين به على تذليل صعوبات الترجمة، فبدأ يسجل كلماته، غير أنه لم ير في ذلك فائدة لتكاثر الكلمات وعدم ترتيبها، فوضعها في جذاذات ورتبها ترتيباً، فتحول عنده هذا العمل إلى هواية أنتجت آلاف الكمات، فشجعه بعض معارفه وساعدوه على تفريغ هذه الجذاذات في قاموس ينفع الناس. ويشعر قجمان بأنه لم يوفر الصفات القاموسية الكاملة "كتصريف الكلمات وتحديد جنسها وترتيب المعاني ترتيباً منطقياً واستعمال المختصرات الخ". ومع نلك تابع جمعه حتى تضمنت هذه الطبعة التي بين أيدينا الآن، وهي التي اخترنا منها نماذجنا، خمسين ألف مصطلح". ويختم قجمان مقدمته قائلا: "فليس القاموس الحالي إذن سوى إشراك ألقراء الكرام بمجموعة الكلمات التي توفرت لدي، وآمل أن تتاح لي في المستقبل فرصة إخراجه في قالب جديد يستوفي الصفات القاموسية التقليدية ويضم مزيداً من المصطلحات. وأملي وطيد في أن يكون هذا القاموس، على نواقصه، عوناً للعاملين في هذا الحقل، وحافزاً نحو التقدم في مضمار إيجاد القاموس الواسع الوافي الذي ما زالت الأنظار ترنو إليه. آ ب 1970".

---

1 قدم هذا البحث ضمن أعمال ندوة المصطلحات الموحدة ودورها في صناعة المعجم العربي الحديث، كلية آداب عين الشق-البيضاء، 2-4 ديسمبر 1997، ونشر في مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، عدد 48، 1999، من صفحة 233 إلى ص. 243.

ويظهر أن قجمان لم يف لحد الآن بوعده، فعلى الرغم من أن هذه الطبعة التي أعتمدها في هذا البحث، مؤرخة بتاريخ المقدمة في الطبعة الأولى، أي سنة 1970، فإن المعجم منذ ذاك ظهر مرات عديدة في طبعات منها الكبير الحجم ومنها صغير الحجم، دون وضع التاريخ الحقيقي لكل طبعة، ولعل ذلك كان مقصوداً.

تتضمن هذه الطبعة التي اعتمدناها 50000 مصطلح، كما يقول قجمان. والمقصود بـ"المصطلح" هنا اللفظ العبري من حيث هو، دون أن يعني اللفظ الذي وضع لمعنى خاص يخرج به عن الاستعمال اللغوي الشائع. فالمعجم معجم لغة عبرية-عربية بإطلاق، جاء في 1035 صفحة من القطع الكبير، قسمت فيه كل صفحة إلى عمودين، وخصت الصفحات من 1036 إلى 1038، وهي بدون ترقيم، لتصحيح الأخطاء الواردة في المتن.

ونشير بدءاً قبل الحديث عن معجم قجمان، إلى أن اللغة العبرية، مثلها مثل اللغة العربية واللغات العروبية القديمة، تنبني على الجذر، ومن الجذر تصاغ مختلف الصيغ، إلا القليل من الجوامد. ومعظم الجذور في اللغة العبرية ثلاثية، وفيها الكثير من المضاعف العين، كما أن بها جذوراً رباعية وخماسية.

وللأوزان العبرية أهمية كبرى في تغيير وتنويع الدلالة، كما أن لها أهمية قصوى في البنية النحوية والصرفية. فقد يكون الجذر الثلاثي لازماً على سبيل المثال، فإذا زيد بحرف أو تضعيف، صار متعدياً إلى مفعول وحد إذا كان أصلاً لازماً، وإلى مفعولين إذا كان أصلاً متعدياً إلى مفعول وحد.

وللعبرية سبعة أوزان أولها الثلاثي פָּעַל (پـعَلْ)، ويسمى في اللغة العبرية קַל (قَلْ) أي المجرد. والستة الأخرى مزيدة وهي: נִפְעַל (نِفعَلْ)، مزيد بالنون. פִּעֵל (پـِعِلْ)، مزيد بالتضعيف. פֻּעַל (پُـعَلْ)، مزيد بتضعيف العين مبني للمجهول. הִפְעִיל (هِفعيل)، بزيادة الهاء في أوله والياء بين عينه ولامه. הָפְעַל (هُفْعَلْ)، بزيادة الهاء في أوله مبني للمجهول. הִתְפַּעֵל (هِتْـپـَّعِلْ)، بزيادة الهاء

والتاء ولتضعيف للمطاوعة[1].

وعلى مدار هذه الأوزان السبعة تجري الأصول العبرية في اللغة. وقد تأتى على صيغ أخر غير هذه فيما هو دخيل على اللغة العبرية. وصار التقليد في وضع المعاجم أن توضع الصيغ بدءاً بالثلاثي المجرد، ثم الصيغ المزيدة تبعا للترتيب أعلاه. والجدير بالذكر أن الجذر العبري قد يأتي مستعملا في الأوزان السبعة، وقد يأتي في بعضها دون الآخر.

وقد أصيبت اللغة العبرية الحديثة بلوثة الدخيل حتى فيما هو جار على اللسان في العبرية القديمة، ولعل هذه الظاهرة تكون شائعة عندما يتبنى الإنسان لغة من اللغات وهو في سن متقدمة، وله لغة أم أعرق في ذهنه، ويحدث نفس الأمر لدى أبنائه.

نريد بهذه الملاحظات أن نقول إن معجم اللغة العبرية، مثله مثل المعاجم العربية الشائعة، ينبني في ترتيبه على الجذر، فيبدأ الترتيب بالثلاثي في معظم الجذور، مع مراعاة مضعف العين أو الأدوات الثنائية، ثم الرباعي، وهكذا دواليك، وتوضع الصيغ المشتقة في جميع صورها وأوزانها تحت الجذر، إضافة إلى الجامد والدخيل تحت حرفه. وجل المعاجم العبرية صارت على هذا النهج.

فما هو المنهج الذي اختاره قجمان في وضع قاموسه هذا؟ هل اتبع الطريقة التقليدية المتبعة في المعجم العروبي أم اختار له نهجا آخر؟ على أي فقد اعتذر في مقدمته، كما ألمحنا إلى ذلك، لأنه لم يضع معجمه "في قالب يستوفي الصفات القاموسية التقليدية". فجاء معجمه مقسماً إلى 22 باباً، تبعاً لعدد أحرف اللغة العبرية[2].

---

1 أنظر تفصيل هذا في الفصل الخامس.

2عدد أحرف العبرية 22 حرفا، غير أن في هذه الحروف حروفا تلفظ بطريقتين، إحداهما رخوة وثانيتهما مشددة. وهذه الحروف هي: ב (ب) وتنطق "ب" و"ڤ". وכ (خ) وتنطق "خ" و"ك". وפ (پ) وتنطق "پ" و"ف". فيصير عدد الأصوات 25 صوتاً لـ 22 حفاً.

א (ألف) من ص. 1 إلى 54. ב (ب) 55- 88. ג (گ)[1] ד (د) 118-145. ה (هـ) 146-206. ו (و) 207-212. ז (ز) 213-234. ח(ح) 235-285. ט (ط) 286-301. י (ي) 302-324. כ (ك أو خ) 325-362. ל (ل) 363-384. מ (م) 385-523. נ (ن) 524-575. ס (س)[2] 576-620. ע (عين) 621-685. פ (ف) 686-751. צ (ص) 752-782. ק (ق) 783-849. ר (ر) 850-902. ש (ش) 903-989. ת (ت) 990-1035.

فإذا رتبنا الحروف تبعاً لما يدخل تحتها من جذور وحروف ذات معان، وصيغ مشتقة وجامدة ومختصرات، فإننا نجد حرف الميم يشغل 138 صفحة[3]. حرف الشين والسين[4] 86 ص. القاف 66 ص. الفاء 65. العين 64. الهاء 60. الألف 54. الراء 52. النون 51. الحاء 50. التاء 45. ס (السين) 44. الكاف 37. الباء 33. الصاد 30. الجيم 29. الدال 27. الياء 22. الزاي 21. اللام 21. الطاء 15. الواو 5 صفحات.

ويلاحظ أن أكبر كمية من الألفاظ وردت في باب الميم وأقلها في باب الواو. ولا يرجع السبب في كثرة ألفاظ باب الميم إلى حقيقة لغوية، ولكنه يرجع إلى احتطاب قجمان احتطاباً لا يعتمد الجذر أو الصيغ والأدوات التي تبدأ أصلا باليم، وإنما كان يضع في هذا الباب كل لفظ ، مفرداً أو مركباً اسماً أو اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدراً. وهذه تبدأ جلها في العبرية بحرف الميم وهذه أمثلة من اختياراته:

מזמן (مزْمَنْ): مُذ أمد فاللفظ مركب من מ (م)=من، وזמן (زمَنْ):زمان. وكان عليه أن يأتي بهذا اللفظ في باب الزاي.

מאור (مَؤورْ): مضيئ وهو من الجذر אור (أور): ضوء، فالميم الأولى

1 تنطق الجيم اليوم گ ولا غير.
2 توجد صورتان لحرف "س" في اللغة العبرية وها ס وשׂ وهذا غير طبيعي، وعليه فلا شك أن العبريين القدامى كانوا يخصون كل رمز بصوت.
3 وهذا أمر طبيعي لأن الميم حرف يزاد في كثير من الصيغ.
4 جرت العادة في العبرية بوضع الشين والسين في باب واحد.

هي ميم صيغة اسم الفاعل، وكان عليه أن يضعه في باب الهمزة.

מקלט (مِقلط): ملجأ، من קלט (قلط): لجأ+ م اسم المكان، وكان عليه أن يضعه في باب القاف.

מברך (مِقْـرَّخْ):مبارك، من ברך (برخ): بارك+ م صيغة اسم المفعول، ومكانه باب الباء.

מברק (مِبْرَقْ): تلغراف، من ברק (برق): أبرق+ م صيغة اسم الآلة. ومكانه باب الباء.

ولعل هذا النهج الذي نهجه قجمان سهل عليه الأمر وعلى المبتدئ إذ يصعب أحياناً معرفة الجذر الأصل، وخصوصا الجذور العبرية المعتلة.

وهذا أنموذج من مستعمل قجمان في باب א (الألف).

يبدأ الباب بمعاني حرف الألف مجرداً:

1 א: حرف الهجاء الأول.

2 א: رقم 1 ، وقد يركب مع غيره، مثلاً כ=20+א=כ"א=21.

3 א: الأول، مثال יום א يوم أ: يوم الأحد.

כתה א (كِتَّه): فصل+أ: الفصل الأول.

4 א, א (أ،أ)=אלף (إلِفْ) 1000، خاصة في حساب السنين.

מ א ועד ת (مـ[ن] ألِفْ وعَدْ تِتْ): من الألف إلى التاء.[1]: من البداية حتى النهاية.

5 אינו יודע צורת א (إينو يودِيَعْ ثصورت الأف): لا يعرف كيف ترسم الألف"= أمي.

---

1 نقول في العربية: "من الألف إلى الياء" لأن الياء هي آخر حرف في الترتيب العربي، ويقال في العبرية "من الألف إلى التاء" لأنها آخر حرف في الترتيب العبري.

6 סוג א"א (سوگ أ"أ): نوع ممتاز.

ويُثبع واضع المعجم هذه الألفاظ والعبارات بالمختصرات. ومن الجدير بالذكر أن استعمال المختصرات في اللغة العبرية شائع كثير، بما في ذلك اختصار الاستعمال اللغوي العادي:

7 א"א (أ"أ) ولها صور هي:

אי אפשר (إي إفْشَرْ): غير ممكن.

אין אומרים (إينْ أومريم): لا يقال.

אברהם אבינו (أڤْرَهَمْ أڤينو): أبونا إبراهيم.

8 אאע"ה (أأع"هـ)=אברהם אבינו עליו השלום (أڤْرَهَم أڤينو عَلَوْ هَشّلوم): أبونا إبراهيم عليه السلام.

9 לא בא" רבתי (لو با رڤوتي): بالطبع لا.

10 אאולית (إأوليتْ): أداة صوانية (بشكل إزميل أو حربة).

11 אאוליתי (إأوليتي): ظراني (متعلق بالفترة الأولى من العصر الحجري

12 אארטה (أأورطة): الأبهري، الشريان الأبهر.

13 אא"כ[1] (أأ"ك)= אלא אם כן (إلاّ إمْ كِنْ): ما لم، إلا إذا.

14 אא"ע (أأ"ع)= ארגון אמהות עובדות (إرْگونْ إمَّهوتْ عوڤْدوتْ):منظمة الأمهات العاملات.

وبعد هذا ينتقل قجمان إلى الثنائي:

---

1 من المتبع في المعاجم العبرية أن يأتي الواضع بالحروف المختصرة كلها على حدة، ثم بعد ذلك تأتي الألفاظ المفردة فالعبارات، ويلاحظ هنا أن قجمان لم يحترم هذا المنهج، فأدرج بين المختصرات أولاً العبارة رقم 9، ثم ثلاثة ألفاظ دخيلة: رقم 10، 11، 12.

15 אב (أب): أب، والد، سلف، رئيس(عائلة)، رب عائلة، فائدة، الله، شيخ، سيد، هام، عظيم، معلم.

وبعدها أتى باللفظ الثنائي المركب:

16 אָב חורג[1] (أب حورگ): رابـ [ربِّي]، زوج الأم.

17 אב-בית-דין (أڤ بيت دين): رئيس هيئة محكمة.

18 אב (أڤ) أو מנחם אב مُنَحِم أڤ): آب، الشهر الحادي عشر من أشهر السنة العبرية المبتدئة بشهر تشري.

19 תִּשְׁעָה בְּאב (تِشْعَه بِأڤ) التاسع من آب، يوم خراب بيت المقدس، وهو يوم صوم عند اليهود.

وبعد ذلك يورد قجمان ثنائياً آخر يختلف حركة ومعنى على السابق:

20 אֵב (إڤ): برعم، نبتة، نضرة، اخضرار، الشباب، القوة.

21 בְּאִבּוֹ (بإِبُّو): في عنفوان شبابه، في شرخ شبابه.

ويعود إلى حروف الاختصار:

22 א"ב (أ"ڤ): ألف باء.

ثم الجامد مفرداً ومركباً.

23 אַבָּא (أبا): أبي.

24 אַבָּא אריכא (أبا أريخا): كنية للرباني.

25 אָבּאָרַצְיָה (אָבּאָרַצְיוֹת): أباإِرْصيَه (أباإِرْصِيوت): إنحراف، زوغان، خلل، زيغ.

---

1 يأتي لفظ חורג (حورگ) في بابه، ومعانيه: زائغ، شاذ، منحرف، قرابة ناشئة عن طريق الواج(هكذا) سابق أو لاحق.

وينتقل إلى الرباعي:

26 אִבְּגֵד (إِڤْگِـدْ): تهجأ، رتب حسب الحروف الأبجدية.

27 אַבֲגָדִי (أَڤْگَـدي): أبجدي.

28 אִבְּגוּד (إِڤْـگود): تهجي.

29 אֶבְגִינוֹס (إِڤْـگينوس): نبيل، شريف.

30 אֶבְגֶנִיקָה (إِڤْـگَنيقه): تحسين النسل، اليجينيا.

31 אַבְדִינוּת (أَڤْدِينوت): رئاسة هيئة المحكمة.

ويلاحظ في الرباعي، أنه ليس جذراً لغوياً أصيلاً، فالأرقام 26- 28، هي تركيب من الحروف أ ب ج د، أما الرقم 29 فهو لفظ مركب من أصلين يونانيين ευ: جيد+ genos : أصل: جيد الأصل. وشبيه بهذا اللفظُ لفظُ 30 اليوناني الأصل، المركب من نفس العناصر. أما الرقم 31، فهو مركب من אב (أڤ): أب وדינות (دينوت): شرع. (أب الشرع): رئاسة هيئة المحكمة.

ونظراً لأن الجذر אגב (أ گ ڤ)غير مستعل (مهمل)، فإن قجمان انتقل إلى الثلاثي وهو:

32 אָבַד (أَڤَدْ): ضاع، اختفى، فني، زال.

33 אָבַד אֱמוּן בּ (أَڤَدْ إِمُّونْ بِـ): فقد الإيمان بـ...

34 אָבַד דֶּרֶךְ (أَڤَدْ دِرِخْ): ضل، تاه.

35 אָבְדוּ חוּשָׁיו (أَڤْدو حوشَّوْ): أغمي عليه.

36 אָבַד לִבּוֹ (أَڤَدْ لِبُّو): ارتبك، وهن عزمه، تبلبل.

وبعد أمثلة متعددة من المركب بلفظين أو أكثر، يعود المؤلف إلى صيغ الأوزان، فيبدأ بالمزيد بحرف النون:

37 נֶאֱבַד (نِإِڤَد): ضاع، اختفى.

والمزيد بتضعيف العين:

38 אִבֵּד (إِبِّدْ): أضاع، أفقد.

والمزيد بحرفين فتضعيف:

39 הִתְאַבֵּד (هِتْأَبِّدْ): انتحر.

والمزيد بحرفين[1]

40 הֶאֱבִיד[2] (هِئِڤِيدْ): حطم، دمر، خرب.

أما المشتقات من هذا الثلاثي فجاءت في المعجم كالآتي:

41 אָבֵד (أَڤِدْ): ضائع، قابل للتلف، سريع الفساد.

42 אֲבֵדָה (آڤَدَه):خسارة، ضرر[3].

43 אֲבַדּוֹן (آڤَدونْ): خراب، دمار، فناء، جهنم، الجحيم[4]

44 אִבּוּד (إبوڊ): ضرر، خسارة، تبذير.

45 אָבוּד (آڤودْ): ضائع، مفقود، فانٍ، لا أمل في إصلاحه.

46 אָבִיד (أَڤيدْ): فان، هالك، ضائع.

ويختم قجمان جذر "أ ڤ د" بلفظ خماسي دخيل:

47 -1- אַבְדֵרָאִי (أبْدِرائي): من سكان مدينة "أبدير" Abdera مسقط

1 يأتي المزيد بحرفين، في ترتيب المعجم، قبل المزيد بحرفين وتضعيف. وقد خالف قجمان هذا الترتيب هنا.

2 سبق أن قلنا بأنه ليس من الضروري أن يستعمل الجذر في كل الأوزان (فيه ما هو مهمل وما هو مستعمل)، وعليه فالمستعمل هنا هو المجرد والمزيد والمزيد بالنون والمزيد بتضعيف العين والمزيد بحرفين وتضعيف وبحرفين، بمعنى أن الجذر استعمل مع خمسة أوزان من سبعة. ويلاحظ التغيير الذي يطرأ على الدلالة تبعاً للوزن المستعمل.

3 أتى واضع المعجم هنا بكثير من التراكيب في لفظين أو أكثر.

4 ترتب الصيغ من 41 إلى 46 بالأوزان المذكورة السابقة.

رأس ديموكريتس الفيلسوف اليوناني.

2- أحمق، يضحك من تلقاء نفسه.

وبعد هذه الأنموذج اللغوي، نعرج على ألفاظ بنت عليها العبرية الحديثة مصطلحات علمية، أي نستعرض نماذج من المصطلحات العلمية بالوضع الذي انتقاه بها قمجمان في معجمه هذا، ونختار أنموذجا عبرياً أصلا مع مركباته الأجنبية، وآخر دخيلاً وأنموذجا ثالثاً مركباً تركيباً مزجياً.

أ- المصطلح العبري منفرداً أو مركباً مع دخيل:

مثال ذلك אֲוִיר (أوير): واللفظ أصبح أصيلاً في اللغة العبرية لوروده في النصوص القديمة واصطباغه بالصبغة الصرفية والصوتية العبرية، وإلا فإن أصله يوناني فلاتيني من aer [1]: هواء، طقس، جوٌ. وقد أورد قجمان تحت هذه المادة ما يأتي:

1 [2] אֲוִיר דָחוּס (أوير نَحوس): هواء مضغوط.

2 אֲוִיר צַח (أوير صَحْ): هواء نقي.

3 ד׳אַר אֲוִיר (دُأر أوير): البريد الجوي.

4 חֵיל אֲוִיר (حِيلْ أوير): القوات الجوية، السلاح الجوي، سلاح الطيران، الأسطول لجوي.

5 כִּיס אֲוִיר (كيسْ أوير): جيب هوائي، مطب.

6 מֶזֶג אֲוִיר (مِزگ أوير): الجو، حالة الطقس.

7 מִזּוּג אֲוִיר (مِزّوگ أوير): تكييف الهواء.

---

1 هذا ما تأتي به المعاجم الغربية التأثيلية، وإلا فاللفظ عروبي (سامي) قديم، من "عبير" [أبير=أڤير]. وتعاور الحرفين "ع وأ" طبيعي كلما تعلق الأمر بلغة عروبية وأخرى هندو- أوروبية، أو داخل العربية نفسها كما رأينا أعلاه.

2 الترقيم منا ولم يرد في الأصل.

8 נְתִיב אֲוִיר (نِتيف أوير): خط جوي.

9 סְפִינַת אֲוִיר (سفِنَتْ أوير): منطاد ذو محرك.

10 רַכֶּבֶת אֲוִיר (رِخِفِتْ أوير): خط تموين جوي.

11 בְּדֶרֶךְ אֲוִיר (بدِرَخْ أوير): جوّاً.

12 בַּאֲוִיר החפשי (بأويرْ رَحُفشي): في الهواء الطلق.

13 אֲוִירָאוּת (أڤيرَؤوتْ): المهارة في قيادة الطائرة.

14 אֲוִירַאִי (أڤيرَئي): طيار، ملاح جوي.

15 אֲוִירָאִית (أڤيرَئيتْ): طيارة [امرأة]، ملاحة جوية، امرأة تعمل بالملاحة الجوية.

16 אֲוִירָה (أويرَة): جو، الجو.

17 אֲוִירָה חֲגִיגִית שָׂרְרָה בָּאוּלָם (أويرَة حَگِيگيتْ سَرْرَه بَأولمْ): ساد القاعة جو مرح.

18 אֲוִירוֹבַּטִיקָה (أڤيروبطيقه): بهلوانية جوية.

19 אֲוִירוֹדִינָמִקָה (أڤيروديناميقه): الإيروديناميت: الديناميكا الهوائية، فرع من علم الديناميكا يبحث في حركة الهواء والسوائل الغازية الأخرى وفي القوى المؤثرة في الأجسام المتحركة عبر الهواء.

20 אֲוִירוֹדְרוֹם (أڤيرودروم): مطار.

21 אֲוִירוֹן (أڤيرون): طائرة.

22 אֲוִירוֹנוֹטִיקָה (أڤيرونطيقة): الطيرانية، فن أو علم الطيران.

23 אֲוִירוֹנוּת (أڤيرونوت): طيران.

24 אֲוִירוֹסְטָט (أڤيروسطط): منطاد، سفينة جوية.

25 אֲוִירוֹסְטָטִיקָה (أڤيروسططيقة): الأيروستاتيات، علم توازن الهواء والغازيات.

26 אֲוִירִי (أڤيري): هوائي، جوي.

27 קו אֲוִירִי (أقو أڤيري): خط جوي.

28 צִי אֲוִירִי (صي أڤيري): أسطول جوي.

29 אֲוִירִיָּה (أڤيريهْ): السلاح الجوي، القوة الجوية، سلاح الطيران.

30 אֲוִירִיּוּת (أڤيريوت): ابتهاج، مرح.

31 אֲוִירָן (أڤيران): المكروب الحيهوائي. بَكْثير لا يعيش إلا بوجود الأكسجين

32 אֲוִירָנוּת (أڤيرنوت): طيران، الطيرانية.

33 אֲוִירָנִי (أڤيرني): حيهوائي.

وننهي هذا الأنموذج الذي أورد فيه الواضع المصطلح العلمي والاستعمال اللغوي الشائع بالملاحظات آتية:

1- اللفظ אֲוִיר (أويرْ) دخيل في ألّلغة العبرية وأصله يوناني كما يزعمون، ولم يرد له ذكر في نص التوراة، ولكنه ورد في الكتابات التي أتت بعدها مثل التلمود ولواحقه. وإذا كانت المعاجم اللغوية التأثيلية في اللغة العبرية أرجعته إلى اليونانية فاللاتينية، فالملاحظ أن لفظ "عبير" العربي أقرب إليه من تلك، بل لعله الأصل، ونحن نعرف أن العين في مثل هذه الأحوال تنقلب ألفاً، وقد حدث هذا في الألفاظ العينية الأكادية عندما كتبت بالرمز المسماري الذي كانت تكتب به السومارية، وهي لغة غير عروبية، ومنها استعارت الأكادية رمزها.

2- المصطلح رقم 18 هو مركب من אֲוִיר (أويرْ) :هواء واللفظ اليوناني batos الذي يعني عَبْر. والعنصر الثاني في المصطلح رقم 19 هو dinamis

وتعني القوة. و في رقم 20 dromos وتعني المجرى/المركض، وفي 25 statikos تعني المتوازن. وكلها يونانية الأصل.

ب المصطلح دخيلا أو به عنصر أصيل في العبرية

مثال ذلك אלקטרון (إلِقطْرون)[1]. ومعلوم أن أصل الكلمة يوناني، ويعني الكهرمان. و هذه بعض مصطلحات صيغت من اللفظ:

34 אֶלֶקְטְרוֹ (إلِقطْرو): بادئة معناها الكهرباء.

35 אֶלֶקְטְרוֹדָה (إلِقطْرودَه): اللاحب الإلكترود، القطب الكهربائي.

36 אֶלֶקְטְרוֹדִינָמִיקָה (إلِقطْروديناميكا): الديناميكا الكهربائية.

37 אֶלֶקְטְרוֹמַגְנֵט (إلِقطْروميـگـنَه): المغنطيس الكهربائي.

38 אֶלֶקְטְרוֹלִיט (إلِقطْرويط): الإلكتروليت، المنحل الكهربائي.

39 אֶלֶקְטְרוֹלִיזָה (إلِقطْروليسه): التحليل الكهربائي، الحل الكهربائي، القضاء على جذر الشعر بتيار كهربائي.

40 אֶלֶקְטְרוֹמֶטֶר (إلِقطْرومطر): المكهار، أداة لقياس القوة الكهربائية أو للكشف عن وجود الكهرباء.

41 אֶלֶקְטְרוֹן (إلِقطْرون): الإلكترون، الكهيرب، شحنة كهربائية سالبة تشكل جزءاً من الذرة.

42 אֶלֶקְטְרוֹנִי (إلِقطْروني): إلكتروني، كُهيْرب.

43 אוֹפְּטִיקָה אֶלֶקְטְרוֹנִית (أوبطيقة, إلِقطْرونيت): البصريات الإلكترونية.

44 מַחְשֵׁב אֶלֶקְטְרוֹנִי (مِحْشَـڤ إلِقطْروني): حاسبة إلكترونية.

---

1 يكتب هذا اللفظ الدخيل في العربية بالتاء وفي العبرية بالطاء.

45 מִיקְרוֹסְקוֹפּ אֶלֶקְטְרוֹנִי (مِقروسكوپ إلِقطْروني): مجهر إلكتروني.

46 מִקְלַע אֶלֶקְטְרוֹנִי (مِقلع إلِقطْروني): مدفعة إلكترونات.

47 פצצה אֶלֶקְטְרוֹנִית (پِصَصَه إلِقطْرونيت): قنبلة إلكترونية.

48 שְׁפוֹפִית אֶלֶקְטְרוֹנִית (شِفوفيت إلِقطْرونيت): أنبوبة الكهيرب، الصمام الإلكتروني، الأنبوبة المفرغة.

49 אֶלֶקְטְרוֹנִיקָה (إلِقطْرونيقه): الإلكترونيات (فرع من الفيزياء).

50 אֶלֶקְטְרוֹסְקוֹפּ (إلِقطْرو سكوپ): المكشاف الكهربائي.

51 אֶלֶקְטְרוֹקַרְדִיוֹגְרַמָּה (إلِقطْروقرديوگرامه): (الصورة البيانية الكهربائية) لعمل القلب، (صورة القلب الكهربائية)

52אֶלֶקְטְרוֹקַרְדִיוֹגְרַף (إلِقطْروقرديوگرف): (مرسمة القلب الكهربائية).

53 אֶלֶקְטְרוֹ תֵּרַפְּיָה (إلِقطْرو تروفيت): (المعالجة الكهربائية).

ويلاحظ أن المصطلحات المندرجة أعلاه كلها من êlektron أو مركبة منه. ومعنى اللفظ، هو يوناني أصلاً، ويعني الكهرمان الذي من خواصه جذب الأجسام الخفيفة. وهكذا يضاف إلى "الإلكترو" في المصطلح رقم 35 hodos اليوناني، وهو الطريق=عبر، وإلى المصطلح رقم 36 dunamus وهو القوة، وأضيف في الرقم 37 magnates lithos، وهو الحجر المغناطيسي. ومغنسية مدينة في آسيا الصغرى. وأضيف إلى رقم 39 lysis ويعني تحليل، وإلى الرقم 40 metron ويعني قياس، وركب رقم 43 من optikos وتعني بصراً وبصريات. أما مركبات رقم 45 فهي من mkros: صغير وskopein : رؤئة، وأضيف إلى الرقم 50 من نفس اللفظ skopein . وركب المصطلح 51 من kardia : قلب وgramma : كتابة، والمصطلح 52 من kardia وgraphein : نقش، كتابة.

وكل هذه الألفاظ يونانية إلا الأخير هو لاتيني. أما المصطحات 44 و46

و47 و48 فجزؤها الأول عِبريٌّ أصلاً، وهو على التوالي:מחשב (مِحْشَف): حاسوب،מקלע (مِقْلع): مدفع، פצצה (پصَصَه):قنبلة،שפופית (شِفوفيت): أنبوبة.

ج- المصطلح العبري المركب

صاغت اللغة العبرية الحديثة عدداً لا حصر له من هذا النوع من المصطلحات، وسنقتصر على نماذج قليلة تكفي للتمثيل. ومن هذه المصطلحات التي أوردها قجمان المصطلح المركب من מַד (مد): قاس. من ذلك:

1מַד (مَد): مقياس، مكيال، معيار.

2 מד-אור (مد- أور): مِضواء، فوتومتر، مقياس شدة الضوء.

3 מַד-גֶרָה (مدـگِـرَه): المحضن: جهاز لحضانة البيض أو تفقيسه صناعياً، آلة تفريخ.

4 מַד-גֶשֶׁם (مدـگِشِمْ): مقياس المطر.

5 מַד- זָוִית (مد- زَويت): منقلة.

6 מַד-זְמַן (مد- زَمن): كرونومتر، ميقت، أداة لقياس الزمان.

7 מַד-זֶרֶם (مد- زرِمْ): مقياس التيار الكهربائي.

8 מַד- חם (مد- حُمْ): محرار.

9 מַד-חַן (مد- حَن): عداد الوقوف، عداد يوضع في موقف مخصص بوقوف السيارات.

10מַד-חַשְׁמַל (مد- حَشْمَل): مكهار، أداة لقياس القوة الكهربائية أو الكشف عن وجود لكهرباء.

11מַד-כּבֶד (مد- كَڤِدْ): بارومتر.

12מַד-כֹּחַ (مد- كُوَّحْ): المِقْوى، أداة لقياس القوة الميكانيكية.

13מַד-לַחוּת (مد- لحُوتْ): مِرْطاب، أداة لقياس الرطوبة.

14מַד- לַחַץ (مد- لحَصْ): مضغاط، أداة لقياس ضغط الرطوبة الجوية.

15 מַד- מִגְבָּה (مد- مِـگـبَه): الرُّبْعِية، مقياس الارتفاع (فلك).

16מַד-מַיִם (مد- مَيـمْ): عداد الماء، العداد المائي، مقياس الماء.

17מַד-נְשֹׁם (مد- نِشِمْ): مقياس التنفس.

18מַד-קֹטֶר (مد- قُطِرْ): مقياس القطر.

19מַד-רוּחַ (مد- رُوَحْ): مرياح، مقياس شدة الريح.

20 מַד-שֶׁטַח (مد- شِطَحْ): ممساح، أداة لقياس مساحة الشكل المستوي.

21 מַד-רַעַד (مد- رَعَدْ): المرجفة، مرسمة الزلازل.

يلاحظ أن هذه المصطلحات التي أوردها قجمان مصوغة من الجذر "مَدَّ"، خالية كلها من أي زائد غريب على اللغة العبرية. وهناك كثير من المصطلحات المبنية على هذا المنول في كثير من جذور هذه اللغة. ونختم بالأمثلة الآتية من الجذر קוֹל (قول) الذي يعني صَوَّتَ، فمنه:

1 קוֹלָן (قولان): مضخم، مكبر (كهرباء)، شوكة رنانة.

2 קוֹלְ-נוֹעַ (قولنُوَّع): سينما، سينما ناطقة.

3 רַמְ-קוֹל (رَمْ قولْ): مجهار، مكبر أو مضخم الصوت.

4 רְשַׁמְ-קוֹל (رِشَمْ قولْ): المسجلة الشريطية، آلة التسجيل الشريطية.

ويلاحظ أن المصطلحات الثلاثة الأخيرة كلها مركبة من اللفظ الأساس "قُول" وجذور فعلية. ففي المثال رقم 2 קוֹלְ (قولْ) (القسم الأول من المصطلح)=صوت+ נוֹעַ (نُوَّع)=متحرك: الصوت المتحرك=سينما ناطقة. وفي رقم 3 يبدأ المصطلح ب רַמְ (رَمْ): عال، مرتفع، ثم קוֹל (قولْ)=صوت: رافع

الصوت= مجهار، مكبر أو مضخم الصوت. وفي رقم 4 يبدأ المصطلح ب רְשַׁם (رَشَمْ): رسم، سجل ثم קוֹל (قولْ)=صوت: مسجل الصوت= المسجلة الشريطية، آلة التسجيل الشريطية.

هذه نماذج مختلفة اقتبسناها من معجم قجمان، أو من "قاموسه" كما سماه هو، لنبين طريقته في العرض والترتيب والجمع، ولا يزيد عمله هذا على الأخذ من المعاجم العربية والعبرية الكثيرة التي اتخذها سنداً له في عمله هذا وإن لم يذكرها. ففي القاموس جمع وليس فيه إبداع، ولم يدع قجمان الأمر. ومع ذلك، فلعل هذا القاموس هو أكثر القواميس العبرية رواجاً في عالمنا العربي. ولهذه الميزة الأخيرة اخترناه ليكون موضوع بحثنا هنا.

هذه قضايا لغوية ومعجمية نظرت في اللغات العروبية وفي تفاعلها مع اللغة العربية، على مدى تاريخ اتضحت بعض معاليم حلقاته، وظلت أخرى منه مجهولة، نأمل أن تكشف عن بعض خفاياها بحوث أركيولوجية يقوم بها عرب مسلمون لا غيرهم، لأن هذا الغير مهما رام التجرد فإنه لا يستطيع، لاختلاف الذهنية والمشارب الحضارية وتأثير المحيط. ونورد في الباب الثاني بحوثاً لغوية أولها عرض لقضية التعريب والمصطلح، وما بعدها لصيقة بتربة المغرب والمغاربة وبآمال الجامعة في التفتح على الدراسات الشرقية في مفهومها الواسع وبعدها الشاسع.

الباب الثاني

قضايا لغوية في مغرب اليوم

الفصل الأول

التعريب حصيلة مجهود يسعى الى الحفاظ على مقومات الشخصية العربية[1]

كانت اللغة العربية قبل الإسلام في أصولها العريقة، لغة حضارات بلغت شأواً في معارفها العقائدية والعملية، وفي آدابها وإبداعها. وتلون هذا الخلق اللغوي تبعاً لمصائر تلك الحضارات، فأتت عليه أحيان من الدهر أغنى واستغنى، وأحيان أخرى ضعف وافتقر. وقد كان للغة العربية قبل الإسلام، رواءٌ له مميزات جعلت من العربية لغة تستجيب لواقع تاريخي كان يعاصر مخاضاً لما آلت إليه مصائر هاتيك الحضارات، وهي تصارع ممالك شرقية وغربية تريد أن تستحوذ، أو تأمل أن تتخذ حليفاً نصيراً. غير أنها في جميع الحالات تريد أن تفرض معتقدها الديني والمدني. وكان ظهور الإسلام خاتمة لذلك المخاض، كما كان في نفس الوقت بداية واقع اجتماعي له من المؤهلات ما جعله يغير حياة الناس، ويوجه حضارتهم وجهةً غير وجهتها في سلوكهم ومعتقدهم وتعبيرهم. فزادت اللغة العربية ثراء حضارياً بنزول القرآن الكريم، وهو بلسان عربي مبين، وزادتها الأحاديث النبوية زخماً من المفاهيم والمصطلحات الجديدة مما لم يكن لها به علم. وكان لا بد لانتشار الكلمة في أصقاع بعيدة من أن يخلق هو أيضاً، واقعاً لغوياً جديداً، اتخذ له كل أبعاده في عهد الدولة العباسية وفي حضارة الإسلام في الغرب الإسلامي. ولم يعد من الملائم سرد هاتيك العلوم اللسانية والشرعية والفلسفية والعلمية والطبية التي رعتها الحضارة الإسلامية، لأن فعاليتها في مسار حضارتنا تنوب عن الذكر. فحضارة اليوم شاهد حي ناطق عما

1 هذا البحث هو خلاصة لكتابات كنا شاركنا بها في نشاطات مكتب تنسيق التعريب عندما أسندت إلينا مسئولية إدارته، ووضعاه في البابا الخاص بقضايا اللغة في المغرب، باعتبار أن المكتب عندما أسس كان مغربياً أصلاً، وأسس للنظر في قضايا التعريب في المغرب عند استقلاله، ولأن جل المعجمات التي أشرف عليها المكتب اقترحت ونسقت أعمالها ونظمت جل ندواتها وروجعت وصححت في المغرب وفي مؤسساته العلمية.

كان للغة العربية تعبيراً ومصطلحاً، اعترف بذلك من اعترف أو تنكر لذلك من تنكر.

ومن الطبيعي أن يصيب الوهنُ الأممَ والشعوب، وقد دب في أوصال ذوي اللسان العربي، لأسباب مقبولة في عرف التاريخ. وكونت أمم الغرب حضارات مادية سرت عمقاً في أعماق المحيطات، وسمت ارتفاعاً تجوب المجرات، ونفذت أفقاً في عقل الإنسان وجيناته، وهي عين على ما دق في دماغه وما تمجهر في خلاياه. كما أن العالم اليوم تقلص ليصبح نقطة في شاشة الحاسوب يقلبها لإنسان حيث شاء، وينفذ أبعادها من أين شاء، أو فضاء رحباً يجمع شتاتّه عالمُ المنقولات المرئية أو المسموعات المنقولة[1]. وهذه هي التحديات الكبرى التي على لغتنا العربية أن تكون قادرة على السير في موكبها والتحدث بنفس معاييرها. أو بمعنى آخر، فهذه هي القضايا الكبرى التي على اللغة العربية أن تتعامل معها بيسر وتمكن، لتحقيق تعريب نافع ومفيد.

ونقصد بالتعريب هنا تعريباً يعتمد اللفظ وتطويع اللغة، ثم يتعدى ذلك إلى امتدادات أخرى تشمل مجال التربية والحضارة والعلم والتقنيات وقضايا الكتابة والحرف والرموز وكل مجالات الثقافة التي تعكس نشاط الإنسان في حياته اليومية ومشاغله الإبداعية واختراعاته النافعة في التدبير والصون، وكذا حمايته من أسباب التسرب الذي يكتسي جوانب حضارية لها من الخصوصيات ما يجعلها مخالفة لسلوكنا الحضاري المميز بالاعتدال والتوسط والتكافل.

لقد جابه هذه القضايا أو قريباً منها أسلافُنا فاستطاعوا أن يصنعوا من لغتهم العربية لغة علم في مجالات الفلسفة والرياضيات والطب والكيمياء والفيزياء وعلم الحِيَل وعلوماً إنسانية أخرى لم تكن من صميم اهتمام من سبقهم في تاريخ العرب، ونجحوا في مهمتهم لأسباب منها:

---

1 من بحث لنا بعنوان جهود مكتب تنسق التعريب في قضايا اللغة المعربية والتعريب، ندوات أكاديمية المملكة المغربية،الرباط 8-11/9/ 1993

1- أن الإسلام قدس العقل والإنسان، وجعل الإرادة خادمة للعقل والعقل خادماً للإرادة، وجعل كمالهما طريقاً إلى السعادة الأبدية التي لا تقيس الأمور بعاجل الجزاء، فأخلص العلماء أنفسَهم لبلوغ هذا المقصد الأسمي.

2- أن النموذج الحضاري الذي سبق الإسلام، سواء لدى الشعوب العروبية أو الشعوب الأخرى كاليونان والرومان والفرس، لم يكن يمثل قمة علمية لا يمكن الوصول إليها، والدليل على ذلك أن اللغة العربية اكتسحت مواطن تلك الحضارات في وقت كانت مجتمعاتها متداعية روحاً واجتماعاً واقتصاداً وعلماً.

3- أن المسلمين عندما أرادوا أن يؤسسوا علومهم الخاصة بهم، اعتمدوا علوم سابقيهم، وكانت تلك العلوم في كل مجالاتها الفلسفية والطبية قد وقفت في التاريخ. بمعنى أنها أصبحت محصورة في الخلق والإبداع. وهذا "التجمد" مكّن العرب والمسلمين من الإحاطة بها مصطلحاً، إما توليداً أو تعريباً أو خلقاً. وعندما حركوا هاتيك العلوم الجامدة وأخرجوها من حدودها التاريخية التي وقفت عندها، كانوا هم أصحاب السلطة اللغوية وأصحاب القدرة على الخلق في الآلة والعلم وبالتالي في صناعة المصطلح.

غير أن أمتنا لم تعد تملك زمام قدرتها العلمية، لأنها عاشت واقعاً مناقضاً للأسباب المشار إليها أعلاه من ذلك:

1- لم يستطع العقل العربي أن يخدم الإرادة العربية نتيجة للانكسار الحضاري الذي تعرض له العرب المسلمون بعد نكبتهم التاريخية المعروفة. وبعد الابتلاء بالاستعمار الذي كان يريد أن ينهب خيرات أمتنا العربية الإسلامية شرقاً وغرباً، فحول مقولة رجال الكنيسة التي كانت تعنى: "كلما كان الإنسان جاهلا كلما كان أقرب إلى الله"، إلى مقولة أخرى هي: "كلما كان المستعمَر جاهلا مكّن من نفسه وخيراته لمستعمريه".

2-أن أمم الغرب كونت لها حضارات مادية طفرت بها طفرة لم يعرف

لها التاريخ مثيلا، واجتمعت عليها كلمة علماء الغرب بعد أن استفاد أهله من علم قديم أسهمنا فيه، ومن خيرات مادية ابتُزَّت منا، وعند نهوضنا من غفوتنا تلك، وجدنا أمم الغرب ذهبت بعيداً في ضروب العلم، فأُصبنا بهلع المسافة، وبحركية العلم، وبتضافر جهود أصحابه. وكلها أمور لم يعرفها أجدادنا عندما أسسوا علمهم. أو بمعنى آخر، استعظما عقدة الدونية، ووصل جلنا إلى حقيقة مفادها أن علمنا لا يمكن أن يكون إلا تابعاً لعلمهم، وبالتالي فان أصلح اللغات هي تلك اللغة التي استعملها أولئك الناس. وهذا الشعور، لسوء حظنا، هو الذي جعلنا نقع في غير المعقول، أي جعلنا نعتقد أن للعلم جنسية، في حين أن أجدادنا لم يسلكوا نفس المسلك، واعتبروا العلم واجباً إنسانياً تسهم فيه الأمم بقدراتها ومقدراتها. فهو لكل الناس وليس لأمة بعينها، شريطة أن تكون المساهمة المبدعة، وبالتالي فإن الذي يميز تلك المساهمة الإنسانية ويعطيها خصوصيتها هو اللغة.

إن النظر في واقع العلم بهذا المفهوم، مفهوم المساهمة الإنسانية، وإن إيمان بعض أعلام أمتنا في العصر الحاضر بقدرة العقل واللغة العربيين، جعلاهم يستنهضون الهمم لتدارك ما فات، وكان البدء بمعرفة العلوم الحديثة قبل المساهمة فيها، ثم بتطويع اللغة العربية لتصبح أداة سليمة نفهم بها هذا العلم أولاً وقبل كل شيء.

وتعددت الجهود اللغوية في كل مجالات المعرفة، وكان لمجامع اللغة العربية أثرها الكبير في تطويع اللغة العربية نحواً ومعجماً. وتعتبر مجلاتها وتحقيقاتها ومؤلفات أعلامها، المصادر الأساس للغة العربية المعاصرة. وقد كانت المجامع قدوة لعلماء ومؤسسات ممن اهتم بتطوير اللغة العربية في مجالات من العلوم مختلفة، ونكتفي هنا بعرض جهود العلماء في مجالات التِقانة والطب وجهود مكتب تنسيق التعريب في وضع المعجم العلمي الموحد. فعرض هذه النماذج من الجهود عنوان على العمل المثمر الذي ينتظر من يتفاعل معه.

1- التـــقانـة

وضعت المجامع اللغوية والمجلات المختصة ومجلة اللسان العربي[1]، الآلاف من المصطلحات التقنية، كما وضعت العديدُ من المؤسسات معجمات مختصة في فروع شتى في هذا المجال. نذكر من ذلك سبعة عشر معجماً أصدرتها مطابع الأهرام ولايبزك بألمانيا في فروع: التكنولوجية الأساسية، والكيميائية، والحديد والصلب، والنسيج، والطيران، والكهرباء، والعمارة، وانشاء المباني، والهندسة الزراعية، والمعادن، وهندسة السيارات، والتبريد والتكييف، وتكنولوجيا لبلاستيك، والأجهزة السمعية والبصرية، والحراريات والأفران، وفنون الطباعة والورق، واللحام، والاتصالات. وتضمنت هذه المعجمات حوالي 24000 مصطلح باللغة الانجليزية والفرنسية والآلمانية والعربية.

وصدر بالإضافة إلى ما سبق، عن مؤسسات وأفراد، حوالي ثلاثين معجماً في مختلف فروع التقانة. ولعل من أهمها معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (انجليزي-عربي)، الذي أشرف عليه أحمد شفيق الخطيب (بيروت (1971) "ويضم هذا المعجم قرابة ستين ألف مادة (60000)، تغطي شتى فروع العلم الحديث والصناعة، وبه أكثر من 1300 صورة ورسم إيضاحي وعشرات الجداول المتعلقة بالمقاييس والوحدات وخصائص المعادن والجداول الرياضية والفيزيائية والكيميائية والمختصرات العلمية. والمعجم خلاصة لكل ما صدر عن مجامع اللغة العربية والمؤتمرات العلمية والمعاجم المتخصصة في بطاقات متسلسلة بترتيب ألف بائي... وقد مسح عشرات المعاجم التكنولوجية والعلمية الأجنبية العامة والمتخصصة في مختلف الحقول، من الهندسة (بمختلف فروعها) والكهرباء والميكانيكا والجيولوجية وصناعة الزيت والفيزياء والكيمياء... إلى علوم الطيران والإكترونات والفلك وريادة الفضاء".

ويضاف إلى هذا المعجم الضخم معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا،

---

1 مجلة محكمة يصدرها مكتب تنسيق التعريب (الرباط) التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وتعنى بقضايا اللغة العربية والترجمة والمصطلح.

وهو ترجمة لمعجم Mc graw Hillw الذي صدر بالولايات المتحدة في طبعة أولى عام 1974 متضمناً للتعريف بنحو 88000 مصطلح موزعة على أكثر من علم وتخصص، ويمكن إجمال هذه التخصصات في الأبواب الرئيسة التالية :

العلوم والرياضيات (4 تخصصات).

العلوم الفيزيائية (21 تخصصاً).

العلوم الكيميائية (8 تخصصات).

علوم الحياة (33 تخصصاً).

العلوم الهندسية (29 تخصصاً).

العلوم الجيولوجية (8 تخصصات).

وأعيد طبع المعجم عام 1979 مشتملا على نحو 100000 مصطلح معرف. وتكلفت الهيئة القومية للبحث العلمي، معهد الإنماء، بترجمته وطبعه سنة 1982، فجاء في أربعة أجزاء، وخص الجزء الخامس للمصطلحات الأساسية العربية الانجليزية، مع ملاحق تشتمل جداول تحويل وحدات القياس ورموز العناصر الكيميائية والرموز والعلامات الرياضية والثوابت الأساسية وعوامل تحول الطاقة ومختصرات ورموز أشباه النواقل والجسيمات الأولية ثم التعريف بحوالي ألف علم من المشاهير.

وصدر بعد هذا المعجم، المعجم الموحد الشامل للمصطلحات الفنية والتكنولوجيا والعلوم، وهو بلغات ثلاث هي الانجليزية والفرنسية والعربية. وقد صدر في أحد عشر جزءاً، ويتضمن ما يقارب 82000 مصطلح، بعناية اتحاد المهندسين العرب ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي سنة 1986.

ويتضمن جماع هذه المعجمات، وجماع جهود المجامع والمؤسسات المختصة والعلماء المهتمين باللغة وبالعلوم التكنولوجيا حوالي 500000 مصطلح، فيها طبعاً الكثير من المكرر، وقد تحتاج إلى جهد كبير ليسهل

استعمالها ويعم نفعها[1].

2- العلوم الطـــــــبية

ولعل تراثنا الطبي أكثر علومنا استعمالا للغة العربية في تاريخنا المجيد، ولعل لغته أكثر غنى في المصطلح والتأليف، ويكفي أن نرجع إلى مؤلف ابن أبي أصيبعة **عيون الأنباء في طبقات الأطباء، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء** للقفطي **وطبقات الأطباء والحكماء** لابن جلجل الأندلسي **وكشف الظنون** لحاجي خليفة ولواحقه، وأمثال هذه من كتب الرجال التي أرخت لعلماء من المشرق والمغرب، لنعرف غنى ما ترجم إلى العربية أو ما ألف فيها قبيل العصر العباسي وحتى عصر حضارة العرب في الأندلس. ولقد ظهر هذا الثراء عندما بدأت مصر في تعريب طبها، فألف وترجم ستة وسبعون كتاباً، اشتملت على آلاف المصطلحات، خلال تعريبها الذي دام زهاء سبعين عاما، قبل ابتلائها بالاستعمار الانجليزي. وكذا حدث مدة تعريب الطب في سوريا بعد أفوله في مصر، فوضع العاملون في هذا الحقل بضعة عشر كتاباً في ظرف اثني عشرة سنة إذ ذاك. وإذا كانت سوريا أكثر الناس حرصاً على الحفاظ على لغة الطب حتى يوم الناس هذا، فإن النتيجة كانت مشرفة بما ألف في جامعات سوويا من مؤلفات طبية جاوزت المئات[2]

كما أن عديداً من البلدان العربية أخلصت الجهود لترجمة المفيد من أمهات الطب، ويمثل المركز العربي للوثائق والمطبوعات الطبية بالكويت، مثالا جميلا لهذا الجهد المجسد في العديد من التآليف والترجمات الطبية، وكذا في اقتراحه مؤتمراً سنوياً يهتم بتعريب الطب والمصطلح الطبي.

ولعل أهمية تعريب الطب تتجسد في جهود اللغويين والمشتغلين بالطب ولغته، إذ صدر ما بين 1883 و1992 ما يزيد على خمسين معجماً طبياً،

---

1 أنظر عرضنا "جهود وسبل مكتب تنسيق التعريب في صناعة المعجم وآفاق المصطلح التقني، اللسان العربي، العدد 37، السنة 1993، ص. 314.

2 أنظر بعض التفصيل في عرض قدمناه في "ندوة المصطلح العلمي والطبي: الحاضر والتصور"،جرت وقائعها في البحرين، ونشر البحث في مجلة اللسان العربي العدد37 السنة 1993/1413،ص. 303-313.

بالإضافة إلى آلاف المصطلحات التي ظهرت في مجلات المجامع اللغوية العربية ومكتب تنسيق التعريب. ولعل زبدة هذه المعجمات تتحقق في المعجم الطبي الموحد.

المعجم الطبي الموحد[1]

هو مشروع لإنشاء منظومة مصطلحات وتوحيدها من أجل تعريب العلوم الطبية والصحية.

بدأت فكرة المعجم الطبي الموحد بمبادرة من اتحاد الأطباء العرب سنة 1966 برعاية من المكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية، فتشكلت لجنة العمل الخاصة بالمصطلحات الطبية، حيث وضعت أسس العمل، ومنذ ذاك تضافرت جهود أطباء وباحثين وجامعيين، من بلدان الوطن العربي، من أجل إغناء وتطوير المعجم الطبي الموحد. ومنذ ذاك وحتى اليوم ظهرت من المعجم طبعات ورقية[2] وأخرى إلكترونية. وظهر آخر إصدار إلكتروني على قرص مضغوط سنة 2001، ويتضمن نحو 150,000 مصطلح. ووزعت المصطلحات على نحو تسعين معجماً فرعياً متخصصاً، بثلاث لغات هي الإنكليزية والعربية والفرنسية. ويمكن البحث في المصطلحات تبعاً للتخصصات الفرعية أو الترتيب العام، مع إمكان الترجمة فيما بين هذه اللغات. ويمكن الاستفادة من المعجم الطبي الموحد بواسطة الإنترنت، حيث يتاح البحث عن المصطلحات وترجمتها من الإنكليزية إلى العربية وبالعكس.

ولكي يظل المعجم الطبي مواكباً للتطورات الطبية، عقد المكتب الإقليمي لشرق المتوسط في نهاية أغسطس 2003 الحلقة العملية الأولى لتعريب العلوم الطبية والصحية في مقره في القاهرة، وشُكلت أثناء ذلك شبكة AHSN [3] لتعريب

1 المعجم الطبي الموحد (Unified Medical Dictionary)، اختزاله UMD.
2 الطبعة الأولى، مطبعة المجمع العراقي في بغداد 1973، وأعيدت طباعتها في القاهرة في 1977. الطبعة الثانية، جامعة الموصل، العراق 1978. الطبعة الثالثة، ميدليفانت، سويسرا (إنكليزي - عربي - فرنسي) 1983. الطبعة الرابعة، بيروت، 2006.
3 يمكن الدخول إلى هذا الموقع بواسطة الأنترنت.

العلوم الصحية، مهمتها مواكبة ما جد وإغناء المعجم الطبي الموحد الذي سيصدر على فترات.

وشبيه بهذا المعجم الإلكتروني، أو مشارك له في أساسياته، المعجم الطبي الثلاثي اللغات، الذي أشرف على أنجزه وبمساهمته العلمية، الأستاذ الدكتور أحمد ذياب[1] من تونس. ويتضمن هو الآخر 140000 مصطلح طبي باللغات الثلاثة العربية والفرنسية والإنجليزية. وللدكتور أحمد ذياب معجم إلكتروني في التشريح البشري في خمس لغات هي العربية والإنجليزية والفرنسية الحديثة واللاتينية والفرنسية القديمة[2].

3- المعجم العلمي العام

أما ما يتعلق بالمعجم العلمي العام، فقد تكفل به مكتب تنسيق التعريب، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهو "جهاز عربي متخصص، يُعنى بتنسيق جهود الدول العربية في مجال تعريب المصطلحات الحديثة، والمساهمة الفعالة في استعمال اللغة العربية في الحياة العامة وفي جميع مراحل التعليم وفي كل الأنشطة الثقافية والعلمية والإعلامية، ومتابعة حركة التعريب في جميع التخصصات العلمية والتقنية". وأسس المكتب في مؤتمر التعريب الأول الذي انعقد بالرباط سنة 1961، ليقوم بمهامه التي هي:

"أ- تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة.

---

1 سبق للأستاذ أحمد ذياب أن وضع معجماً طبياً فرنسياً عربياً طبع في تونس بالمطبعة العربية 1992، وقد أسهم بمجهود كبير في المعجم الطبي الموحد، كما أنه في غلاف قرصه هذا يشير إلى أنه اختار "المصطلح العربي من المصطلحات الدولية وهو المصطلح الطبي الموحد".

2 المعجم الطبي الثلاثي اللغات (الطبي1) ومعجم التشريح البشري (الطبي2) وقد تفضل الأستاذ الدكتور أحمد ذياب فأهدانا نسخة من كل قرص، فله الشكر الجزيل.

ب- تتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها.

ج- تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمي والحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة.

د- الإعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب"[1].

وتعتبر مجلة اللسان العربي أداة من أهم أدوات المكتب، وبها تنشر البحوث اللغوية النظرية حول الترجمة وصناعة المصطلح وكذا المشروعات المعجمية. وكانت هذه المشروعات المعجمية هي أس المعجمات التي أخرجها مكتب تنسيق التعريب إلى الوجود.

جهود مكتب تنسيق التعريب-الرباط (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) في وضع المصطلح العلمي

نغض الطرف هنا عن آلاف المصطلحات التي وردت في مجلة اللسان العربي، ونكتفي بذكر معجمات المكتب المتخصصة، لأن الكثير مما نشر في المجلة أصبح جزءاً من هذه المعجمات، وهذه هي:

1- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، 1968[2]، (3059 م)[3]

2-المعجم الموحد لمصطلحات الفيزياء العامة والنووية،1989،(6318)

3- المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك، 1990، (الرياضيات 3431)، و(الفلك 643).

1 أنظر بحثنا حول مكتب تنسيق التعريب في مادة "التعريب" معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،1995/1415»،مجلد 7، ع. 2414-2416.

2 أعيد طبع هذا المعجم بمطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002. والطبعة منقحة ومراجعة وبها تعاريف، وقد ابعد منها الكثير من المصطلحات غير الدقيقة أو التي تدخل في باب العام. وتتضمن 1744 مصطلحاً.

3 يشير هذا الرقم إلى عدد المصطلحات الواردة في المعجم.

4- المعجم الموحد لمصطلحات الموسيقى، 1992، (846 م)

5- المعجم الموحد لمصطلحات الكيمياء، 1992، (4535 م)

6-المعجم الموحد لمصطلحات علم الصحة وجسم الإنسان،1992، (2146م).

7- المعجم الموحد لمصطلحات الآثار والتاريخ، 1993، (3018 م).

8- المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء، 1994، (6596 م).

9- المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا، 1994، (2701 م).

10- المعجم الموحد لمصطلحات التجارة والمحاسبة ، 1995،(8846).

11- المعجم الموحد لمصطلحات الطاقات المتجددة ، 1996، (1180).

12- المعجم الموحد لمصطلحات التعليم التقني (كهرباء- طباعة)، 1996، (1383 م) ج 1.

12- المعجم الموحد لمصطلحات التعليم التقني (البناء والنجارة) 1996 (3734 م) ج 2

13- المعجم الموحد لمصطلحات العلوم الإنسانية ، 1997، (1740م).

14- المعجم الموحد لمصطلحات القانون، 1996 (1588 م).

15- المعجم الموحد لمصطلحات السياحة، 1996 (3121 م).

16 - المعجم الموحد لمصطلحات الزلازل، 1996 (1962 م).

17- المعجم الموحد لمصطلحات الاقتصاد، 2000(2039 م).

18- المعجم الموحد لمصطلحات الجيولوجيا، 2000(4623 م).

19- المعجم الموحد لمصطلحات النفط (البترول)، 1999، (6089 م).

20- المعجم الموحد لمصطلحات البيئة، 1999، (1747 م).

21- المعجم الموحد لمصطلحات الهندسة الميكانيكية، 1999،(2828 م).

22 - المعجم الموحد لمصطلحات الفنون التشكيلية، 1999، (1524 م).

23- المعجم الموحد لمصطلحات الإعلام، 1999، (3428 م).

24 - المعجم الموحد لمصطلحات التقنيات التربوية، 1999، (1314م).

25- المعجم الموحد لمصطلحات الأرصاد الجوية، 1999، (2031).

26- المعجم الموحد لمصطلحات المياه، 2000، (2190 م).

27 - المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية، 2000، (3208 م).

28- المعجم الموحد لمصطلحات الاستشعار عن بعد، 2000، (1196).

29 المعجم الموحد لمصطلحات علوم البحار، 2000، (3913 م).

30- المعجم الموحد لمصطلحات الحرب الإلكترونية، 2004، (1021).

31- المعجم الموحد لمصطلحات تقانات الأغذية، 2004، (2683 م)[1].

بلغ عدد مصطلحات هذه المعجمات 83187 مصطلحاً، وقد أُعِدت المعجمات بعناية مختصين اعتمدوا من ضمن ما اعتمدوا، جهود المجامع اللغوية العربية والمؤسسات المهتمة بالمعجمات والمصطلحات والصناعة اللغوية، عربية وغير عربية، وتميز إعداد المعجمات بالعمل الجماعي الذي تبدأه مجموعة من الباحثين، ثم تراجعه مجموعات أخرى في ندوات مختصة تعقد عادة في مجمع من مجامع اللغة العربية. ولم تصبح هذه المعجمات معترفاً بها رسميا إلا بعد مصادقة مؤتمر التعريب[2] الذي يعتبر غطاء سياسياً يستوجب، من الناحية

---

1 شُرفت بإدارة مكتب تنسيق التعريب ما بين 1990 و1995، وأثناء ذلك تم إعداد اثني عشر معجماً من هذه المعجمات، وهي رقم 15و16و20 إلى 29.

2 أسس مكتب تنسيق التعريب إثر مؤتمر تعريب، وظلت مؤتمرات التعريب تنعقد دورياً وبالتناوب في البلدان العربية، وكان يحضرها وزراء التعليم والثقافة أو من ينوب عنهم والمختصون في قضايا اللغة والمصطلحات من رؤساء المجامع اللغوية والجامعات والأساتذة الباحثين في العلوم واللغات، وكانت تعرض فيها قضايا التعريب وفيها يصادق على معجمات المكتب.

النظرية، استعمال المعجم في كافة الوطن العربي.

كل هذه المعجمات ثلاثية اللغة، فالمدخل والترتيب إنجليزي، وأسفله المصطلح بالفرنسية، ومقابلهما المصطلح العربي. ويأتي بعد الترتيب الإنجليزي الفهرست الفرنسي مرتباً ترتيباً هجائياً وفي مقابل كل مصطلح الرقم التسلسلي، ثم الفهرست العربي مرتباً ترتيباً هجائياً، ومقابله أيضاً الرقم التسلسلي. اكتفى جل هذه المعجمات بمسارد المصطلحات مع مقابلاتها، في حين وضعت بعضها تعاريف للمصطلحات، وكنا اقترحنا أن يوضع التعريف لكل المعجمات التي خلت من التعاريف، حين إعادة طبعها مرة ثانية، كما حدث في الطبعة الثانية لمعجم اللسانيات[1]. ونأمل أن تؤخذ هذه التوصية بالاعتبار.

وجماع هذه المعجمات يكوِّن أساس المعارف الإنسانية حسب التصنيف الدولي المتعارف عليه.

ويصب هذا المجهود كله في إطار الإعداد للمعجم العلمي العام الذي يفرض على المكتب أن يعود إلى التفريعات الدقيقة لكل علم علم، مع مراجعة معجم كل علم من العلوم المذكورة أعلاه، نظراً لتجدد المعارف ونظراً لما يطرأ على النظريات والأبحاث والاختراعات من طارئ لم يعد في مقدور أي مخطط[2] أن يعرف مداه أو منتهاه.

وإذا كانت المؤسسات اللغوية لا تألو جهدا في إعداد العدة لتطوير اللغة العربية لتساير ركب حضارة اليوم، فإن الجهد يحتاج إلى شروط أخرى لابد من أن تكتمل لتحقيق التعريب، من ذلك:

1 لما عينت في المكتب حرصت أن تكون مصطلحات هذه المعجات معرفة بدل أن تكون عبارة عن مسارد مصطلحية كل ما أمكن ذلك.
2 تُعد هذه المعجمات تبعاً لبرامج ومخططات زمنية تقترحها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وفي سياق مخصصات مالية، في حين أن تطور اللغة والحاجة إلى المصطلح أمر دائم السريان ويجب أن لا يقيد بمخططات ثنائية السنوات أو خماسيتها.

أ- تغيير أسلوب صناعة المصطلح ووسائط التنسيق، إذ يصعب اليوم، على أي كان، أن يتتبع ما ينتجه العلم لحظياً، وفي كل مجالات المعرفة، بالطرق التقليدية التي أنجزت بها المعجمات المشار إليها، فوضع المصطلح اليوم وترصد المسميات الحديثة، يتطلب جهازاً ضخماً يتكون من علماء في مجالات العلوم المختلفة، ومختصين في العربية يجمعون بين عميق المعرفة اللغوية والتخصص العلمي، وفنيين يحسنون تدبير الآلة والسيطرة على الحواسب، وعمال يُنَشِّطون المعامل ويتبادلون لغة العمل. وعلى هذا الطاقم في هذا الجهاز، أن يكون قادراً على الربط بين وشائج التواصل بين المؤسسات العلمية والجامعات والمجامع اللغوية والعلمية ومراكز التخصص ومراكز التصنيع ومخابر المقايسة ووسائل الإعلام، مرئية وسمعية ومكتوبة، ودور الصناعة، مثل المفاعلات النووية، ومصانع السيارات، ومصانع الطيران ومصانع التجهيزات الطبية ومراكز صناعة الأغذية والمؤسسات الرياضية، وورشات العمال مهما صغر حجمها... ويكون هذا الربط بواسطة الأقمار الصناعية والأنترنيت، وعلى مدى أربع وعشرين ساعة ودون انقطاع، حيث تصنف العلوم لحظياً وتستخرج مصطلحاتها وترتب وتحول في نفس الآن إلى جهاز المصطلحي المختص الدقيق ذي المواصفات السابقة، ليعيد ترتيبها هو أيضاً في مجالها حاسوبياً فيطبعها. **ونقترح أن يتخذ المصطلح الأجنبي المشترك في أكثر من لغتين أجنبيتين بمنطوقه، مصطلحاً عربياً معرباً ربحاً للوقت وتسهيلاً للغة العلم وتوحيدها**. وهكذا يكون لكل يوم نتاجه المصطلحي، ولكل أسبوع نتاجه, ولكل شهر نتاجه. ويجتمع في آخر السنة مجلس علمي مؤهل تتمثل فيه كافة الدول العربية، ليُعِد المعجم العلمي السنوي الشامل، والمعجمات الفرعية المختصة تبعاً لفروع المعرفة. ويُعقد مؤتمر التعريب كل سنتين لإضفاء الصبغة التوحيدية السياسية على هذا الجهد وإخراجه ورقاً وإلكترونياً، كما يشاع في الناس موقعه الإلكتروني للأخذ منه والاقتراح عليه. ويجب إن يرتبط هذا الجهد الكبير بـ:

ب-1- تعريب التعليم في كافة مجالاته. وهنا يجب أن نفرق بين تعريب التعليم ووضع المصطلح، فهما أمران مختلفان كل الاختلاف.

2- انشاء وحدات مصطلحية في كل الجامعات العربية مع ربط بعضها ببعض بواسط المطارف لتبادل النتائج والاتفاق من أجل اختيار الأفضل والأصوب خدمة للعلم، في إطار يربطها دوماً بمراكز العلوم الدولية ذات الاختصاص.

3- إنشاء أكاديميات لغوية إضافة إلى أكاديمياتنا الرائدة، يكون عملها يوميا وبالوسائل التقنية المتقدمة.

4- إيجاد أقسام متخصصة في صناعة المصطلح في بعض كلياتنا.

5- حث الجامعات الأصيلة، مثل القرويين والأزهر والزيتونة، على إيجاد تخصصات لغوية تجمع بين التعمق في اللغة العربية وتراثها والتخصص الدقيق في علم من العلوم، مثلا: قسم اللغة العربية تخصص فيزياء، رياضيات، كيمياء، طب ... ويشترط في هذه الأقسام الاهتمام الكبير بالتراث العربي في مختلف الاختصاصات، وكذا الممارسة العلمية في التخصصات العلمية (طب، كيمياء...) والتمكن من آليات الحاسوب.

6- إيجاد هيئات علمية تمهد السبل لتسهيل النحو العربي واختيار الأساسي من القواعد، في منظور حديث يستفيد من نصوص سهلة سلسلة محملة بدلالات حضارية وإنسانية تغري الذين يتعلمون اللغة العربية وتحببها إليهم.

7- إلغاء صفة الإقليمة عن المصطلح، ذلك أن الدول العربية التي كانت تابعة للاستعمار الإنجليزي لا تزال اليوم تتخذ اللغة الإنجليزية مرجعها ومعتمدها، ولذلك فمرجعيتها المصطلحية إنجليزية، وتلك التي كانت تابعة للاستعمار الفرنسي لا تزال اليوم تتخذ اللغة الفرنسية مرجعها ومعتمدها، ولذلك فمرجعيتها المصطلحية فرنسية. ويظهر الأثر السيئ لهذه الوضعية في المؤلفات العلمية العربية أو الترجمات العلمية التي تنجز اليوم، بحيث تختلف المفاهيم

واللغة العلمية من بلد إلى بلد، ويصبح الكتاب العلمي العربي، الذي كان من المفروض فيه أن يكون مشترك الفهم واللغة في كل أرجاء الوطن العربي، حبيسَ إقليمية المصطلح ومحدودية المنفعة. ونقترح, لتجنب هذه الوضعية، توحيد الكتاب المدرسي والجامعي، وقد يكون ذلك باجتماع وزراء التعليم والسلطات الجامعية العليا والمجامع ومن يهمهم الأمر، في ندوة علمية، يوزعون فيها بين أقطارهم تأليف الكتاب المدرسي والجامعي، فيتكفل بلد من البلدان بإعداد مؤلف في مجال من المجالات العلمية، باعتباره المسئول، ويشرك معه مختصين في اللغة والعلم المعني، من جميع الدول العربية، لإضفاء طابع الشراكة العلمية والتوقي من أثر الإقليمية المشار إليها، بحيث يصبح الكتاب بعد تأليفه مؤلفاً قومياً لا قطرياً، موحداً مفهوماً ولغة ومصطلحاً. وقد تكون مصر مثلاً مَقرّاً لوضع مقررات الرياضيات في كل المستويات الدراسية، والمغرب مَقرّاً لوضع مقررات الفيزياء، وسوريا للطب، وهكذا. وعندما يتم إعداد هذه المؤلفات والمقررات، يجبر العمل بها في كل الوطن العربي. ويستقل كل بلد بوضع مؤلفات العلوم الإنسانية الخاصة به.

8- السعي من أجل جعل الجامعة جامعة عربية عالية القدرات، موحدة في المناهج والرؤى واللغة طبعاً. ومن شأن هذا التوحيد أن يحقق كثيراً من الأهداف، من ذلك توحيد المستوى العلمي العربي، وجعل المقررات منسجمة مع حاجيات المنطقة والمعطيات الخاصة بالجهة، والتخطيط العلمي العربي المبني على النظرة الشمولية والإحصائيات العلمية الدقيقة، تجنباً لوجود الفائض من المتخرجين في علم من العلوم أو الخصاص في علم من العلوم. توحيد المصطلح الذي يكون نتيجة حتمية لتوحيد المناهج والكتب والمقررات. وكل هذا رغبة في إعداد الطالب في التخصص المراد وفي المكان المراد وللحاجيات الملحة وبالمصطلح الواحد. وبهذا تكون الجامعة جامعة الأمة، وخريجوها خريجو الأمة. وبهذا أيضاً توفر الإمكانات ليجد الخريجون العمل المناسب على امتداد الوطن

العربي، مما يوفر الأطر القادرة للأمة، والأمن والاستقرار للأفراد، وينهض بالوطن العربي.

9- تخصيص صندوق عربي يتكفل بنفقات دراسة الأذكياء النابغين في مجالات العلوم والتقنيات في كل بلد عربي، بحيث يُختارون بطريقة منهجية تضع لها الجهات المختصة أسسها ومبادئها، كما تضع لتكوينهم مخططاً زمنياً يراعي الحاجات ويرمي إلى الاستغناء عن الأجنبي، ويكوّن في نفس الوقت الأطرَ العلمية العليا التي يمكن أن تبدع وتخترع وتصنع. ولعل من المفيد في هذه النقطة أن توضع عقولنا المهاجرة في الحسبان، فقد تكون هي عماد التكوين، لنتجنب الخلفيات التي تجعل المؤطر الأجنبي يُدخل الكثير من وسائل العلم في حيز الأسرار المضنون بها على غير أهلها. وغنى عن القول أن إنجاز هذا العمل لا يمكن أن يتم إلا بإعداد التجهيز الفائق، والمختبرات الراقية، والإمكانات المادية الضرورية

10- اعتبار المدينة مؤسسة تربوية يجب الحرص على سلامتها لغة. إذ تعتبر المدينة بكل فعالياتها امتداداً للعملية التربوية في البيت وفي المدرسة. كما أنها تعتبر مساعداً فعالاً لتلقين اللغة، بل والعمل على تكوين الملكة اللغوية فيما هو سائر من أحوال الناس ومعاشهم وعلاقاتهم الاجتماعية. ولا يقل دور ما تستعمله واجهات وإعلانات ومنشورات المدن خطراً وتأثيراً عن وسائل الإعلام الأخرى. كما يمكن لهذه الكتابات المدينية التي أصبحت ذات أثر فعال في العملية الاقتصادية، أن تكون رمزاً حضاريا يُؤثر إيجاباً وسلباً في تفكير وشخصية الفاعل الأول في المدينة، وأعني "الفرد" تاجراً ومستهلكاً.

وإذا كانت الأمة العربية اليوم تريد أن تتأكد من ثوابتها التي هي: اللغة العربية، المعبر الحقيقي عن شخصيتها ومقوماتها، والاستقلال الحضاري الواعي الذي لا يريد أن يجعل من تاريخه كل شيء، ولكن لا يريد في نفس الوقت أن يعتبر أن حضارة الغرب هي مدار كل شيء، والنضج الاقتصادي الذي يفهم حق

الفهم مدى تشعب العلاقات المحلية والإقليمية والعالمية، فإن هذا التأكد قد ينطلق من هذا الرمز المتألق ضوءاً أو ألواناً في مدن الناس، خصوصاً عندما يكون سليماً في اللغة وفي المفهوم وفي الوعي. ومخجل اليوم ما نراه مكتوباً في واجهات المدن والمتاجر، إنه عُهْرُ لغوي مزعج ومخز، فلا هو عربية ولا هو إنجليزية ولا هو شيء يذكر.

والحقيقة أن أهمية التعريب لا تتجسد في جهود المؤسسات اللغوية والمهتمين بالتعريب، ولكنها وبالدرجة الأولى، تجد لها أهميتها، بل وكل قضاياها في إيمان المجتمع العربي، علماء وعاملين وأناساً عاديين، بقدرة اللغة العربية على مسايرة الضروري في الحياة العادية والمناشط العلمية، من جهة، وبأن قضية المصطلح وما يقابلها من قضايا تحويل المصطلح من لغة إلى أخرى، عند غيرنا من الأمم - أي الفرنسة (نقل المصطلحات من لغة ما واستعماله في اللغة الفرنسية) بالسبة للفرنسيين، او النَّرْوَجة (من اللغة النرويجية) او الألمنة (من اللغة الألمانية) إلى غير ذلك - أمر طبيعي لأسباب ثلاثة:

الأول: أن المجتمع الإنساني واحد في تدبير الأرض وإن اختلفت ألوانه وألسنته.

ثانيا: أن من طبيعة هذا الوجود الإنساني، أن يكون مجتمعات تختلف ألسنتها ولغاتها.

ثالثا: أن كل مجتمع يُسهم بحظ في رفاه المجموع أو في شقائه، فيضع الآلة ومسماها، ثم تحتاج الأمم الأخرى إلى استعارة ذلك أداةً ولغة، وقد تبحث لها عن مقابل لغوي خاص بها.

ومن هنا فقضية المصطلح اليوم، ليست من خصوصيات قضايا اللغة العربية، ولا هي مشكل انفردت به. وتاريخ العلوم منذ الزمن القديم إلى اليوم ، يدل على هذه البديهية التي تخرج عن بال بعض الناس. وعليه فقضية المصطلح في لغة لغة، هي قضية أهل لغة ينتجون علماً أو لا ينتجون. فإن كانوا ينتجون هذا

العلم، أنتجوا معه لغته، وإذا استعاروه استعاروا لغته أوهم مدعوون إلى صناعة لغوية عليها أن تجد مقابل مسميات العلم الدخيل. وقد كان أهل العربية في عصورهم الذهبية صانعين للعلوم وللغاتها، وعندها شغلوا الأمم الأخرى بالبحث عن المصطلح اللاتيني أو الأجنبي الذي يقابل العربية، ليعم أولئكَ الأجانب العلمُ وينهلوا من حياضه. وحالت الأحوال وأصبح الغني اختراعاً فقيراً، مع بقاء لغته غنية لطبيعة في تكوينها وميزة خصت بها. ولعل هذه الخاصية هي التي حركت الهمم منذ عصر النهضة وإلى اليوم، من أجل إيجاد اللفظ للعلم الوارد والمخترع الجديد.

إن اعتبار التعريب ووضعَ المصطلح قضيةٌ طبيعية غيرَ شاذة، هو الضمان الوحيد لخلق تعريب سليم يحافظ على مقومات شخصيتنا العربية التي يجب أن يكون من ميزاتها الوحدةُ في اللغة والثقافة والمنهج والسلوك الحضاري البناء، والتحررُ من كل قولبة فكرية أو علمية أو اقتصادية. وهذا يهيئ لأمتنا من أسباب الصحة النفسية ما يعيدها إلى الاعتدال، لتؤمن بأنها أمة أسهمت في بناء الصرح الحضاري بالقدر المراد، ويجب أن تستفيد من نتائج هذا الصرح اليوم بالقدر المراد، محافظة على قيمها الدينية والتاريخية والخلقية الإنسانية، مع العزة واعتبار اللغة العربية مصهراً مباركاً يصوغ آمالها صوغاً واقعياً يؤكد أن اللغة القومية هي كيان الإنسان العربي، وهي التي تشكل وجدانه وعقله، وهي رمز الفخار في وطنه، فإذا عوض بها غيرها في الحديث بين أهله، والتأليف في علمه لأهله، فهو مهاجر دوماً، ويعيش غربة أبدية. ولا فرق عند أصحاب اللغة المستعارة بين مهاجر الخبز ومهاجر اللغة، فكلاهما يحمل دونيته ويعيش كياناً من الدونية والعوز المادي والمعرفي. وكلما ملك المواطن العربي لغة الآخر مع لغته بمقدار الحاجة، وعرف كيف يتصرف في ذلك، كان أقدر منه على فهم حقائق الحضارات والاستفادة من العلم بوعي. هذا الوعي الذي تميز به المغرب منذ القديم، وفي تاريخه كثير من النماذج يمثل الفصل الموالي واحداً منها.

الفصل الثاني
تيفيناغ والأصول ما قصة هذا الحرف في تاريخ الكتابة؟

قصة الأمازيغية والعربية في هذا البلد قصة تليدة ورائعة، وهي على كل حال قصة حب بعيد الغور تعدى حدودَ الزمان، وتخطى حواجز الأصول، لخصيصة خص الله بها هذا المغرب الرائع الرائع، بالقدر الذي لا تستطيع اللغة أن توفر وسائل التعبير عنه. عَدِّ عن الظروف الطارئة، فكلُّ الأمم الكبرى عرفت في تاريخها إرادة الهجرة، وإرادة السخط، وإرادة التعبير عن الرفض بما تَوَفّر. غير أن شعوب الأمم الكبرى، أفراداً وجماعات، يعودون دوماً إلى الوطن إما من خارج الأوطان، وإما من داخل أنفسهم بعد أن غلّقوا عليهم منافذ رؤية الحقائق التي تبرئ دائماً الأوطان وتُجَرِّم من أجرم في حقها. وكثيراً ما تُحْجَب الحقائق بفعل أخطاء إنسانية عن غير إرادة، وبأخطاء إنسانية عن جشع، وبأخطاء إنسانية لسقطة تاريخية ليس من قدرها الثبوت والدوام.

الأمازيغية والعربية في مغربنا قدر لا يمكن أن يكون إلا كما كان. فطبع المغرب منذ تاريخه العريق العريق، وهو يرفض الوَثَنَ، ويرفض السجود الذي يكون بالغريزة لا بالعقل، ويرفض الرفض الذي يكون من أجل الرفض، لأن هذا فعل لا يخضع لمنطق. وما عهدنا المغرب إلا كياناً يقضي في كل أموره بالعقل والمنطق. وهذا ما يفسرعناق الديانات السماوية في المغرب حين ظهورها، رفضاً للوثنية غير المبررة. وهذا ما يفسر قلة النتاج الأدبي المرتبط بالخيال، قياساً مع المعارف التقعيدية، في علوم اللغة والشرع. حتى عُرِفَ المغرب بشعره التعليمي، في اللغة والتشريع والتاريخ والجغرافيا والطب، وفي تعليم اللغة الفرنسية أيضاً.

الأمازيغية والعربية في مغربنا الرائع، قصة حب أينع ثماراً رائعة منذ إدريس الأول، حيث فتح الأمازيغ الكرماء بيوتهم لـ"بركة" سماوية هي وحدها قادرة على تغيير مصائر الناس، عندما يشمر هؤلاء الناس السواعد للبناء. وكان المغاربة دوما أقدر على التشمير عن السواعد. وهذا هو الشرط الأساس. فـ"البركة" والتواكل لا تصنع المعجزة. فقامت دولة المغرب، وما أرهبهم عِظَمُ البحر، عندما "حَرْ كُو" السفن، إصراراً منهم على النصرة والانتصار ونشر المبدأ ورفع شأن دولة المغرب. وامتد سلطان المغرب الذي كان يعني عندها القوة العاقلة، فاجتاز المغاربة بتضافر جهود الأمازيغي المغربي والعربي المسلم المغربي، بحكم أن مفهوم الحدود الضيق لم يكن إلا وليد عصور الخوف، وعصور التخلف- وأوروبا اليوم في هدمها للحدود برهان ساطع- وكانت النتيجة بناء حضارة رائعة تخطت حدود الأصول، وحدود التصلب والرفض، فأسهم المغاربة الأصلاء والوافدون جميعهم في بناء أسس العلم الحديث في كل تفاصيله. ذاك أنهم جميعاً استبطنوا علومهم العتيقة، وعلومهم المرتبطة بدينهم وما تفرع عنها من علوم- وكانت جديدة في حينها- وعلومَ الفرس والهنود واليونان، وكلَّ معرفة كيف ما كانت، لأنهم كانوا أقدر على تجريد العلوم من خواص ما يفرق بين البشر وتحويلها إلى علم نافع وكفى. وهذا سر نجاح هذه الحضارة الأمازيغية العربية في غرب إسلامي كان له في بناء الحضارة الإنسانية الحظ الأوفر، من صناعة الآلة إلى حقوق الإنسان. هذه ميزة بلدي، لأن فيه "شَرْفَا" [شُرَفاء] من أصول نبوية انتشروا في كثير من جبال السوس، قِدْماً، ولم يتكلم أحفادهم إلا لغة واحدة، هي الأمازيغية، ومع ذلك كانوا يسمون "مولاي ..."[1]، وكانوا يحرثون ويزرعون ويَتَشَيَّخُون[2]، ويسمون "أمْغَارْ". ولأن فيها أمازيغ انتشروا في كل سهول المغرب، وكانوا معجزة في حفظ القرآن والأحاديث ومعرفة الشرع،

---

1 لا يضاف لفظ "مولاي" للاسم (مولاي أحمد مثلا) في المغرب، إلا لمن كانت أصوله نبوية شريفة، وكثير من الأمازيغ يسمون "مولاي فلان" مما يدل على أصولهم الشريفة النبوية.

2 "يتشيخون" من "الشيخ" وهو رتبة اجتماعية وإدارية اليوم أيضاً. فالشيخ هو رأس القبيلة قدماً والمكلف بقضاياها الإدارية اليوم. و"أمغار" تعني الشيخ في مفهومه الاجتماعي القديم. رأس القبيلة.

وخُصُّوا بمعرفة غريب اللغة العربية دون غيرهم حتى صاروا فيها رواة لا فرق بينهم وبين رواتها في سالف عهدها في الجزيرة العربية. ورحم الله من قال "سبحان من عَرَّبْ دُكَّالة وشَلَّحْ مَسِّيوَة". وهذه ميزة بلدي لأن فيه أمازيع وعرباً تكلموا كلهم لغة واحدة سنة 1930، عندما أراد الاستعمار أن يصنع من اللغة والأصول أقفاصاً يحبس فيها هؤلاء وهؤلاء. وكانوا أقدر على استعمال لغة البيان التي يتألف كَلِمُهَا من حب الوطن والتربة والأصول المشتركة الموثقة بالتاريخ والدين ولحمة الأنساب المندمجة المتوحدة.

وفي بلدي أمثالي أنا، كاتب هذه الكلمات، ابنُ أب أمازيغي من آيت إمور، ومعناه في اللغة "أهل الحمى والوطن" والقوة والمنعة. وأم إدريسية، ومعناه أن أصولها من النسب الشريف وفدت أصولها مع الوافدين من شرق بعيد إلا عن القلوب. وكنت أنا ثمرة ذاكم الكرم الكبير الذي هو حمى المستجير حتى الرياسة. أصول جمعت بين رفض الضيم فراراً منه إلى الحرية، ورفض الوثن فرارًا منه إلى ما يستقيم مع العقل. وأجمل صنيع في الحضارات قدرتها على صهر المسهمين في بنائها. ولعلها لهذا كانت حضارة.

مسيرة حضارية كونت وحدة صلبة ترابط فيها كل شيء، من الأسرة المركبة المندمجة الموحدة، التي جمعت بين الأصل القائم والوارد المقيم، إلى اللغة المركبة المندمجة الموحدة، التي جمعت بين الأصل القائم والوارد المقيم. وفي "تِـكَمِّ" (tigəmmi)[1] (المُقام) تكون اللغة رابطا متيناً لا تنفصل مكوناتها التي يراد منها التواصل وبالقدر الكافي المبين، ولا ينفصل فيها المضمون المحمل بالمفاهيم والعواطف ووجوه الإحساس، عن الرمز الذي اختاره أصحاب هذه ليستأمنوه على مكامن خواطرهم ليحتفظ بها كما هي، للأجيال اللاحقة التي لها الحق في إرث تراثهم وثرواتهم.

---

1 نجد في "تِـكَمِّ" الجذر گــم (گـ(ـا)م)=(قام)، أقام يقيم مقاماً= تِـكَمِّ: مقاماً= مسكناً.

واللغة المضمون بالمناسبة، هي الأمازيغية التي تشترك واللغة العربية في الأصول العريقة البعيدة في التاريخ، وفي المهد المحتد منطلقاً ومستقراً، وفي أساليب التطور الطبيعي للغات، تبعاً لحركيتها وكمونها- والمناسبة هنا لا تسمح بالعود إلى الحديث عن اللغة- والرمز هو المسطور على الحجر أو الطين أو سعف النخيل أو الجلد أو أي شيء استأمنه الأقدمون أسرارهم لِمَا رأوه فيه من أهلية لذلك، فخلد بنات أفكارهم التي تحدثت بها لغاتهم التي بها حلموا وتخيلوا وأبدعوا وفرحوا وتألموا. وأنـّةُ الخاطر تنعكس بالطبع في رموز اللغة، ورموزها المنبثقة عنها هي الأقدر على نقل موروثها نقلا سليماً، إلا إذا توقف تواتر اللغة أو التسطير برموزها لسبب من الأسباب، وفي هذه الحالة تجب الحيطة من الاجتهاد، خصوصاً إذا كان المجتهد من غير أهلها، وفي ظروف لها مقاصد وخلفيات.

الأمازيغية إذن بما هي عليه من ثبوت القدم في المحتد، وبما هي عليه من غنى في الحمولة الفكرية المكتسبة بحكم التاريخ، وإمكانيات الموقع الجغرافي الذي تخيله القدماء "ذيل طاووس" لجماليته، ولكن لموقعه في نقطة الملتقى الطبيعي في مجمع البحار، لا بد لها أن تعود إلى إرثها الغني الغني الذي لم تبتعد عنه في يوم من الأيام، في وطن عرف كيف يسبك من كل مواطنيه خلال كل تاريخه، وحدة متراصة لصنيع اختاره هؤلاء المواطنون أنفسهم عندما تحدث العربي القح الأمازيغية في جبال الوطن ولم يعد يعرف غيرها، وعندما صار الأمازيغي القح راوية لغريب اللغة العربية لم يتفوق عليه عيره فيها، وعندما صار للابن أب من الأمازيغ وأم من العرب أو العكس، ومنهم من حافظ على لغته ومنهم من أضاعها منه وضْعُ الحال على كل حال .

ويكون الحوار حول الرمز الذي تجب العودة إليه في كتابة الأمازيغية، وتحددت الخيارات في ثلاثة: الحرف العربي، الحرف اللاتيني، حرف تيفيناغ. ولكل اختيار من هذه كفتا ميزان، لن تستقر على عَدْلٍ إذا لم يوضع الأمر في ظروفه وسياقه. وهو أمر طبيعي في حياة اللغات التي عاشت أوضاعا تاريخية

عرفت المد والجزر في الحياة السياسة التي عاشها المتكلمون بلغة خالطتها لغة أخرى في الحيزين الزماني والمكاني، وإن كانوا من نفس العائلة اللغوية والمعتقد. وهذه حال لم يستثن فيها من الشعوب إلا القليل.

ونبدأ النظر في كتابة الأمازيغية بالحرف العربي.

لقد اجتهد أسلافنا، وهم على رأس دول كبرى، كدولة الموحدين، في ملامسة قضية كتابة الأمازيغية بالحرف العربي في هدوء، وكانت المرشدة لابن تومرت، وكانت ترجمات النصوص الإسلامية الأساسية، مثل الأحاديث النبوية وكتب التشريع، وربما بعض الكتب التعليمية اللغوية وغيرها مما هو من حياة الناس، رائجة بالخط العربي، بين أيدي طلاب العلم والقائمين على أمر الدولة، كما يفرض ذلك منطق الظرف وأوضاع الأمة. وعلى الرغم من هذا الاستعمال الطبيعي، فإن القطع في أمر علاقة الحرف باللغة عندها لا يفهم إلا إذا نظرنا بعمق في خفايا ما جاء في كتاب "أعز ما يطلب". ففي ثنايا الكتاب ومضمونه تكمن النتائج والأهداف التي خطط لها القائم بأمر الدولة في قضية اللغة والكتابة، وإن كان الأمر تضميناً. وما كان بالإمكان أبدا أن تكون عندهم قضية الكتابة "مسالة". ولم تنقطع كتابة النصوص الأمازيغية بالحرف العربي خلال كل تاريخ المغرب، كما يدل على ذلك ما تحتضنه الخزائن المغربية العامة والخاصة، وكما تدل عليه مؤلفات شهيرة مثل "الحوض" في الفقه المالكي لأحمد أوزال و"بحر الدموع"، المجموع الشعري، لنفس المؤلف الذي عاش في مراكش السعدية. وما نظن حي بن يقظان والإنتاج الأدبي الرفيع للرايس بلعيد, إلا مدوناً بالحرف العربي عند محبي الأدب الأمازيغي. إن تحويل قضية الأمازيغية، لغة وكتابة، "مسألة"، كان نتيجة لمنهاج معرفي اعتمد التاريخ والأركيولوجيا وعلم الإثنيات (الأنتروبولوجيا)، وعلم السياسة والمصالح الظاهرة والباطنة. وكلها بحوث لم ننتجها نحن في الأصل، إنما تتلمذنا فيها على غيرنا بما هي عليه من علم وبما هي عليه من إديولوجيا. وطلبنا المعرفي في حد ذاته ليس عيباً. ولم تصبح مسألة الأمازيغية، لغة وكتابة، قضيةً في إطار وطني مغربي محض، إلا في العقد

السابع من قرننا الذي ودعناه قريبا. وكانت أيضاً هادئة عند ذوي الترزن. إذ نجد من بين علمائنا الأستاذ الأكاديمي محمد شفيق، يكتب كتابه دروس النحو الأمازيغي ومعجمه الأمازيغي الكبير، الذي وضعه في إطار أكاديمية المملكة المغربية، باللغة العربية. وما كان الكتاب والمعجم ليُعرفا، سواء في المغرب أو غير المغرب، في الغرب أوالشرق، لولا تحريرهما باللغة العربية. و ما كان لترجمة ميثاق حقوق الإنسان إلى الأمازيغية، أن تعرف لولا كتابتها بالحرف العربي، لأمر طبيعي جداً، هو أن الأمازيغ كلهم، باستثناء بعض البحاثة، (يعدون على رأس الأصابع) لا يعرفون الأمازيغية إلا بهذا الحرف. هذه حقيقة.

ولم تكن مسألة النطق الأمازيغي والحرف الذي يكتب به أمراً عائقاً في كل هذه الأعمال المذكورة، رغم وجود أصوات أمازيغية لا يعبر عنها الحرف العربي بما هو عليه، فعَمِل أسلافنا وعلماؤنا قدر الإمكان لإيجاد المقابل المُرضي. ولم يعتبر غياب الرمز الموالم للصوت مانعاً للكتابة بالحرف العربي لأسباب، منها:

أن لغات هندو أوروروبية، مثل الفارسية و(الأردية)، وبعض لغات إفريقية، احتضنت الحرف العربي منذ القديم، واستطاعت مع الأيام أن تجد حلولا للمشاكل الصوتية بما استحدثته من رموز تخصها، بالرغم من عدم وجود البرمجيات الحاسوبية التي تمكن من إيجاد الرموز الموالمة للخصوصيات الصوتية إذ ذاك.

أن الأمازيغية أمازيغيات، تختلف أصواتاً ومخارج حروف، مما يدعو إلى تعدد الرموز وإيجادها تبعاً لتعدد اللهجات، فنكون في هذا الوضع بين أمرين، إما أن نوحد أصوات الأمازيغية في المغرب، شمالا وجنوباً ووسطاً، وهذا أمر لا يمكن أن يكون صناعياً. وإما أن نعدد الكتابات بخص كل أمازيغية برموزها، وهذا أمر لا يمكن من النهضة بهذه اللغة، وهو المرغوب الأسمى عند الغيورين على هذه اللغة ونحن منهم. هذه عقبات قائمة لا محالة. والعقبات في هذا الباب

قائمة حتى في اللغة الواحدة عندما يتحدث بها أبناؤها المهاجرون، أو أبناء بلدة معينة في نفس الوطن، عندما يختصون بنطق معين.

ونأمل أن يفهم طرحنا لهذه النقطة بالذات، على أنه طلب للتنوير من المختصين، لا انحيازاً لوجهة أو دخولا في جدل. وأنه عرض لواقع استطاع فيه الحرف العربي أن يوفر إمكانيات استفاد منها أجدادنا ومعاصرونا، وحسناً فعلوا، فرأبوا الصدع بعبقرية متميزة، لأنهم كانوا يعرفون أن وشائج القربى قد تسهل من المأمورية. والعربية والأمازيغية الحامية، تشتركان في كثير من الوجوه، وقد شعروا بذلك رحمهم الله وجزاهم خير الجزاء.

وكتابة الأمازيغية بالحرف اللاتيني لن تستجيب لكل متطلبات أصوات هذه اللغة بالأولى والأحرى، لأن الأمازيغية أبعدُ من وجهة النسب، من العائلة الهندو- أوروبية، التي استعارت هي نفسها من كتابة هي أم الكتابات وهي الأقرب إلى اللغة العربية والأمازيغية في النسب. ولأنها تبعاً لذلك لن تحل المشاكل الصوتية. فهذه اللغة التركية التي تخلت عن الحرف العربي وتبنت اللاتيني- وهي في إطار النسبية أقرب إلى الهندو أوروروبية- وجدت نفسها تلهث وراء رموز لا وجود لها في الحرف اللاتيني الذي ظنت فيه النجدة، فعقدت أمر لغتها وهي تريد التسهيل والتخفيف. ومن الأكيد أن الذين شاركوا في لقاء باريس الذي اختاروا له عنوانا هو:

ROPOSITIONS POUR LA NOTATION USUELLE A BASE LATINE DU BERBER Atelier "Problèmes en suspens de la notation usuelle à base latine du berbère" (24-25 juin 1996)

يعرفون ما نرمي إليه. فالمسألة هَمٌّ علمي قبل كل شيء. ولا أرى ضرورة للحديث الطويل عن هذا الاختيار، فهو اختيار في نظرنا غير مفيد.

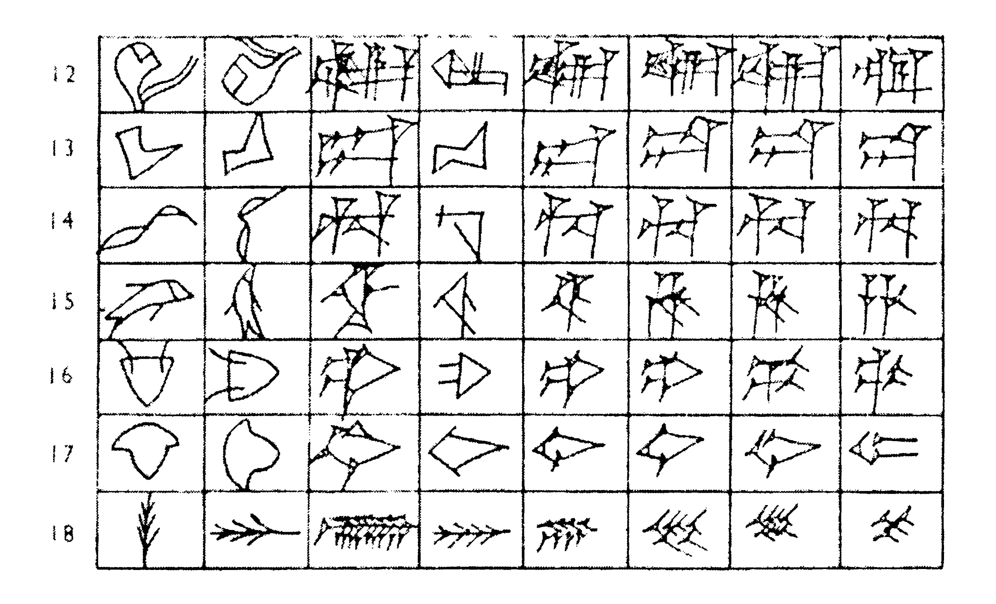
والخيار الثالث هو حرف تيفيناغ. وقد قر رأي القائمين على أمر الثقافة الأمازيغية بعد مخاض، على اختيار هذا الحرف، وأصابوا في السياق الذي

يعملون داخله من أجل تحريك المشهد الأمازيغي وهو كُلٌّ، واعتبارا من أن المسألة هي مسألة ثقافية وليست سياسية في مغرب اليوم الذي يرى حقيقته في وحدة مختلفة مؤتلفة، وباركت الاختيارَ أعلى سلطة في البلاد.

إنه اختيار سليم من حيث منطق الأشياء، ومن حيث ربط اللغة بأداتها التاريخية، إذا كان الأمر ينحو نحو الجهد الأكاديمي الذي يريد أن يؤسس لاتجاه معرفي متكامل البنيان لا يفصل بين المضمون والشكل في وعي يسعى إلى الإحاطة بالموروث المغربي في كل تنوعاته الغنية التي تبرهن على وحدته في أصوله ومبتغاه. ونحن على يقين بأن الأمر سيتطلب اجتهاداً وجهداً وطول معاناة وزمان. ذلك أن تيفيناغ، وهي الحرف الأمازيغي التاريخي، ذو أصول متينة مثبتة بالنسب والتواتر. وهو الأقرب إلى أُولى الألفبائيات في التاريخ، وهو الأحق بالاجتهاد إذا كان لا بد من اجتهاد في تطوير الكتابة والحرف الأمازيغي، في المفهوم الأكاديمي الواسع الذي لا يرتبط بحساسية الظرف القائم. وتاريخ هذا الحرف هو الذي نريد أن نذكر به في هذه المناسبة، القارئَ من غير المختصين. فما محل الكتابة تيفيناغ من قصة الكتابة؟.

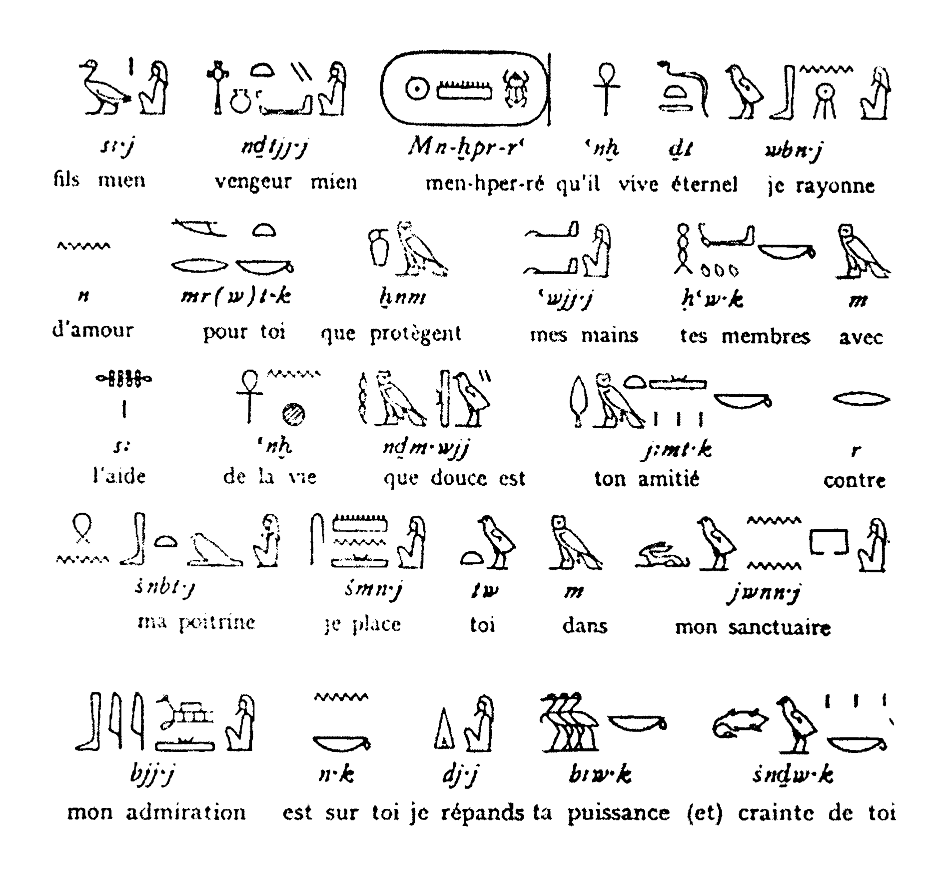
اخترع السوماريون الكتابة قبل حوالي 5000 سنة في ما بين النهرين (العراق حاليا). وكانت عبارة عن رموز، وكل رمز كان يعبر عن مسمى أو موضوع أو فكرة. فرسْمُ كوكبة من النجوم قد يعني الليل مثلا. ومن الطبيعي أن تتعدد الرموز بتعدد خيال الناس وأوهامهم وما يريدون حصره زماناً في مكان، وهو تعدد يصعب معه ثبوت الرمز والاصطلاح على عدد قليل منه، وبالتالي يصعب بناء مدنية متكاملة في ذاتها متواصلة عبر الزمان بغيرها. وبعد حوالي ألف عام، واستجابة للمطلب "المدني" وسرعة الحركة، اهتدى السوماريون أنفسهم إلى تحويل تلك الكتابة التصويرية إلى رموز مقطعية، هي في حقيقة أمرها صور ابتعدت مع الزمان عن صورة المسمى إلى رمز مخالف له مخالفة تنسي صورته وتستقل برمزية تصلح لتسجيل ما عداه. وقد استعمل السوماريون في اختراعهم هذا القصب المدبب الرأس المثلث الذيل على صورة مسمار، ومن

هنا سميت الرموز المقطعية السوماريةُ "المسمارية"، بحيث كانوا يثبتون هذه الأقلام القصب أفقاً وعموداً وانحرافاً على ألواح طينية مجففة، فتنطبع على وجه اللوح وتخلد المراد من الفكرة أو القول. وفاقت هذه الرموز ثمانمائة رمز. وهكذا كان رسم الثور كاملا هو معناه، ثم اقتصر على جزء منه هو رأسه ذو القرنين، ثم مسامير مركبة في شكل مثلث يجمل صورة رأس الثور، على قاعدته المقلوبة إلى الأعلى فوقها مسماران أي القرنان، إلى صورة مقطع ابتعدت عن المسمى كلا فجزءاً لتصير الكتابة المقطعية، كما يمثلها الرسم رقم1 (السطر 16)[1]



1 أخذنا الرسم من كتاب
Samuel Noah Kramer,L'Histoire commence à Sumer,Arthaud Paris1975,p. 24.

وهذا المنهج بالذات هو الذي اتبعه المصريون في كتابتهم "الهيروغليفية" التي كانت في البدء من خاصة الكهان المصريين[1]. فقد انطلقت هذه أيضاً من رسم الصورة كاملة دلالة على مسمى الشيء المرسوم أو الفكرة، ثم اختزل الرمز في جزء من صورة المسمى مقطعا. والمقطع هو رمز لصوت أو منطوق كلامي لا يحل إلى أبسط منه ويتمثل ذلك في الرسم رقم 2[2].



---

1 ومن هنا جاء اسمها: "هيرو"= مقدس و"غليف" = رقم، أو رسم، أو (جلف، گـلف = گـلِفْ " (الكتابة المقدسة)

2 أخذنا الرسم 2 من كتاب

E. Doblhofer, Le déchiffrement des ECRITURES, Arthaud Paris1959, p.88.

ولتقريب ما نريد شرحه، نفترض أن المقطع في اللغة العربية هو وسيلة كتابتها، فيكون "مَسْ" مقطعا له رمز ثابت هو ╤، وهو الذي يدخل في رسم عدد كبـير من الكلمات، مثل " ╤ند" (مسند)، "╤لخ" (مسلخ)، "╤بح" (مسبح)، "╤كن" (مسكن)، "╤لك" (مسلك) و"╤رح" (مسرح)، وبه يتم معناها. وعليه تكون الكلمات هي: "مسـ+ ند"، " مسـ+ لخ"، و" مسـ+ بح"، " مسـ+ كن"، " مسـ+ لك" " مسـ+ رح". والرمز المَقْطَعُ هنا وهو "╤" لا يحل إلى أبسط منه، في حين أن "مس" تحل إلى م+ س، ولكل من الميم والسين صوته الخاص به. وهذا هو التطور الكبير الذي طرأ على الكتابة عندما ظهرت الألفبائيات. ذلك أن الطريقة التصويرية أو وليدتها المقطعية، لم تمكن الإنسان من سرعة تسجيل الفكرة بنفس سرعة خَطْرِها في باله، لكثرة الرموز بكثرة المسميات والمواضيع. فخطر ببال الأوغاريتيين، وهم سكان أوغاريت التي شهدت نهضتها في منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، على أرض هي سوريا وفلسطين اليوم، أن يطوروا الكتابة المسمارية المقطعية إلى ألفبائية خلصتها من كثرة الرموز، وحصرتها في حوالي ثلاثين رمزاً، بما في ذلك الحركات الثلاث' وهذه هي[1].

alpha	beta	gamla	ḫa	delta	ho	wo	zeta	ḥota	ṭet	
ʼa	b	g	ḫ	d	h	w	z	ḥ	ṭ	
yod	**kaf**	**šin**	**šinš**	**lamda**	**mem**	**ḏal**	**nun**	**ẓu**	**samka**	**ain**
y	k	š	$š_2$	l	m	ḏ	n	ẓ	s	ʻ
pu	**ṣade**	**qopa**	**rasha**	**ṯaana**	**ġain**	**to**	**s_2u**	**i**	**u**	**word**
p	ṣ	q	r	ṯ	ġ	t	s_2	ʼi	ʼu	divider

1 أخذنا هذه الألفابائية بواسطة الأنترنيت من L'encyclopédie Wikipédia

فخَطَوْا بالفكر البشري خطواً تمثل في كثرة ما خلفوه لنا من كتابات أدبية وغير أدبية. غير أنهم ظلوا مرتبطين بصورة المسمار. ولم تظهر الألفبائية الحقة إلا مع الفينيقين، وهم شعب عُروبي (سامي) اشتهر بالتجارة والرحلة وجَوْبِ البحار، وهذه جميعها تفترض سرعة في الحركة الذهنية ودقة في الحَوْط بمقدار السلع وعددها وصرفها، والخفة في المحمول مما يُكتب فيه أو يكتب به أو بواسطته، وتفترض أيضاً معرفة السُّمُوت ومنازل الأفلاك وحساب المسافة وشساعة المراحل على عَجَل. وكلها حاجات ملحة جعلتهم يتركون الرمزَ المسماري في صورته المقطعية، وهو أكثر من ثمانمائة رمز، والألفبائية الأوغاريتية في حروفها الثلاثين لارتباطها ببَرْي القصب المسماري الشكل، ولصقه على طين يحتاج إلى عجن فتجفيف، فجهدٍ في الحمل وحَيِّزٍ كبير للتخزين. ورجعوا بعبقرية نادرة، إلى مبدأ الكتابة التصويرية التي بدأ بها السومرايون والمصريون، واستخلصوا 22 رمزاً حروفاً، من صور كلمات بعينها، ثم تُنوسِّيتْ الكلمات وبقيت حروفها الأولى أبدية خالدة، في أعظم اختراع بشري كان هو الأساس فيما وصلت إليه البشرية اليوم.

وهكذا يصبح الثور، واسمه في الأكادية "ألَفْ"، مجسما في رأسه بقرنين هو الألف: . والبيت (بَيتْ) مجسما في صورة خيمة هو حرف الباء: . والجَمَلُ (كَمِلْ) مجسما في صورة عنقه هو الجيم: . والباب (دِلِتْ) في صورة فتحة خيمة مثلثة هو الدال: . والشبكة (؟) في صورة شبكة بعصا هي الهاء: . والوتد (يَتِدْ/وَتِدء) في صورته كاملة هو الواو: . والسلاح (زينا) في صورة عصا بطرفين هو الزاي: . والحائط (حوط؟) في صورته كاملة: . والحنش (طيتْ) في إدارته هو الطاء: . واليد (يُدْ) في طيها هي الياء: . والكف (كَفْ) في رفعه هو الكاف: . وعصا الراعي (اللَمِدْ) هي اللام: . وتموج الماء (مايِيم) هو الميم: . وظَهْر النون (الحوت) هو حرف النون: . وعظم السمك (سَمِخْ) هو حرف السين: . ومحجر العين(عَيِنْ) هو حرف العين: . وفتحة الفم (پِّه) هو حرف الفاء/البَّاء: . وخطوط صورة

عابد (صَدِّيقْ؟) هو حرف الصاد: ᛘ. وظِلّ قرفصاء القرد (قِرِّدْ)هو حرف القاف: Φ. وقفا ومقدم الرأس (رُشْ)هو حرف الراء: ᑫ. وصورة الضرس (شِنْ) هو حرف الشين: W. والعلامة (تاوْ) هو حرف التاء: +.

والأسماء التي أخذت حروفها الأولى لتصبح رمزاً ثابتاً لم تعد ترتبط بمسمياتها، هي أسماء مشتركة من حيث التعبير عن حياة البداوة والرعي والصيد، وكانت مشتركة في اللغات العروبية كلها. واشتراكها دليل على قدمها ودليل على ارتباط الألفبائية الفينيقية بالمنطقة والحضارة المحيطة.

انتشر الحرف الفينيقي لهذه الطفرة في التبسيط، منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد، في الأراضي التي أصبحت تعرف فيما بعد بسوريا ولبنان وفلسطين إلى قبرص. ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد، امتد العمل به في أراضي الأناضول وسردينيا وما بين النهرين واليونان وإيطاليا وأسبانيا ومصر والمغارب. وكان بالإضافة إلى ذلك، هو أصل الحرف الآرامي والعبري والنبطي والسرياني والعربي الجنوبي، في تنوعه السبئي والحميري، والعربي والخط الحبشي. وهذه كلها من اللغات العروبية. ومن المعلوم أن أسماء الحرف العربي اليوم هي بمعانيها العروبية، ألف: ثور. باء (بيت): بَيْت. جيم: جـ[مل]...

وكان الحرف الفينيقي أيضاً أصلاً لحروف أسرة لغوية لا علاقة لها أصلا بأسرتنا اللغوية العروبية، مثل السنسكريتي والتامولي والهندي. وأصبح الحرف الفينيقي بالأخص، أصلا لكتابة اللغة الإغريقية واللاتينية. إذ من المعلوم أن الإغريق كانوا يستعملون كتابة هي من صنيع المينيين (2200 ق.م.-1450ق.م.) الذين عاشوا في جزيرة "كريت" في الأبيض المتوسط، وعرفت كتابتهم بـ "لينيار"، وعنهم أخذها المسينيون الإغريق الذين قضوا عليهم حوالي منتصف القرن الخامس عشر ق.م. ثم تخلى الإغريق عن هذه الكتابة واستعملوا الحرف الفينيقي حوالي القرن الحادي عشر ق.م. والتعبير الإغريقي Υράμματα

أو Φσινιχηια σημεῖα (الكتابة الفينيقية) يدل على أصول الحرف الإغريقي التي هي الفينيقية. كما تدل عليه أسماء الحروف

Ά άλφα, Β βήτα, Γ γάμμα, Δ δέλτα, Ε έψτλόν, Ζ ζήτα, Ηήτα Θ θ ήτα, Ι ίώτα, Κ χάτα, Λ λάμδδα, Μ μύΝνύ, Ξ έί, Ο μιχρόν, Π πίΡρώ, Σ σίγμα, Ττανῖ, Γ ιλόν, Φ φῖΧχι,῀Ψ ψι῀,῀Ω ώ μέγα)

"ألفا" "بيتا" "گما [ل]" "دِلتأ، ومعانيها السامية على التوالي: الثور والبيت والجمل والباب. وهي معان ليست إغريقية طبعاً.

والملاحظ أن هذا الترتيب في جملته هو نفس الترتيب الفينيقي الذي هو ترتيب أ،ب، جـ، د... وقيمته الرقمية هي نفس القيمة الرقمية الفينيقية. وكان اتجاه الكتابة الإغريقية في بدئها من اليمين إلى اليسار، ثم صارت من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، فعل الفلاح الذي يحرث حقله دون قطع خطه، لتستقر في الأخير في اتجاهها الذي هي عليه اليوم، أي من اليسار إلى اليمين.

أضاف الإغريق رموز "الحركات" التي لم يكن لها مقابل في الفينيقية. وعد الدارسون وضع الحركات خلقا هندو- أوروبياً محضاً، واعتبروا وضعه بمثابة وضع الحرف ذي الأصول العروبية بل أكثر. لأن دور الحركات في الكتابة ذو أهمية كبرى في تدقيق المفاهيم. ونسوا أن أصول الحركات هي أيضاً عروبية، لأن أهل أوغاريث، السوريين- الفلسطينيين، هم من وضع الحركات عندما طوروا الكتابة المسمارية، كما سبق أن رأينا. ونعتقد أن الإغريق، وكانت الرحلة والتجارة تجمع بين هؤلاء وهؤلاء، استفادوا من مبدئهم الذي وضعوه وزادوا عليهم بأن وضعوا الرمز بعيداً عن العلامات المسمارية.

تلقف الإترووريون Etrusques، وكانوا يقيمون في الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الإيطالية، هذه اللألفبائية من الإغريق، حوالي القرن السابع ق.م. وطوروها بعض التطوير، حيث سلموها هم بدورهم إلى شعب Latium حوالي القرن الخامس ق.م. وأصبحت الأصول الفينيقية في القرن الثالث ق.م.، الفبائية

لاتينية من تسعة عشر حرفاً. لأن الإترورييين لم يستعملوا Z ,Y, X لخلو لغتهم من الأصوات المقابلة لها. ومن هذه تفرعت الخطوط الأخرى. فظهرت القبطية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين. والقوطية في القرن الرابع الميلادي. والأرمينية في الخامس، والكتابات السلافية (Cyrillique) في القرن التاسع. وقد كان للمسيحية الأثر الكبير في نقل هذا الحرف على هذه المساحة الشاسعة.

هذه رحلة الحرف الفينيقي في الزمان والمكان. وهذا تأثيره في كل الكتابات باستثناء المقطعية الصينية وما تفرع عنها، وبعض كتابات الحضارة الهندية الأمريكية.

فما علاقة الحرف "تيفيناغ" بالحرف الفينيقي؟. إنها العلاقة كل العلاقة، فهو الأشد قرباً من كل هذه اللألفبائيات التي تحدثنا عنها، إلى الحرف الفينيقي وإلى اللغة الفينيقية، إذا ما وضعنا الأمازيغية ضمن الفرع الكنعاني، وإذا ما وضعناها في الصُّنافَة "الحامية" (اللغة الحامية)، مع أن هذا التصنيف لا يعتمد أي مرتكز تاريخي. وإنما نستعمل نحن المصطلح تقريبا للفهم لا أكثر.

وجود حرف يفترض ضرورة وجود لغة، واللغة هي أداة التواصل تلك التي تعرف اليوم بـ "تمزيغت". وزاد عمرها عن الألفي سنة. وطرأ عليها من التغيير ما يطرأ على كل لغة ينتقل أصحابها من مكان إلى مكان، توسيعاً لرقعتهم، أو بحثاً عما يقيم أَوَدَهُم، أو حملا لتجارتهم، أو فراراً من مكروه يهدد حياتهم. وفي هذه النقلة يموت من اللغة الأصل ما يموت، لغيابه في المكان الجديد، أو يولد فيها ما يولد لغيابه في المكان القديم، أو يدخلها دخيل، لفظاً وبنية تركيبياً أو صوتاً. ومما يطرأ عليها بالأولى اكتساب رمز به تخلد بنات أفكار المتحدثين بها لينتصروا على الزمان ويَخْلُدُون. وهذا الرمز الحرف هنا، هو تيفيناغ. ومن الأكيد أنه تعرض هو بدوره لكثير من التقلبات. وهذه التقلبات هي الأصل في البحث عن أصوله. وترددت الفرضيات بين أن يكون أمازيغياً

محضاً، فهو إبداع من أصحاب اللغة محلي. وأن يكون من أصول فينيقية. وأن يكون خليطاً من المحلي والمتأثر بالفينيقي، أو يكون مجهول الأصل بالمرة.

وقبل أن نرجح نحن إحدى الفرضيات، نشير إلى أن خط تيفيناغ عَمَّر زمناً طويلا يتعدى ما افترضه المفترضون، وهو القرن السادس ق.م. وأنه انتشر جغرافياً انتشاراً واسعاً. إذ أصوله اللوبية الأقدم تفرعت إلى شرقية وغربية. وامتدت الغربية على طوال ساحل الأبيض المتوسط، من "لقبايل" إلى المغرب فالجزر الكنارية. والشرقية من قسطنطينة إلى الأوراس فإفريقيا (تونس). وقد ساعدت النقوش من الفرع الشرقي، على استخراج الحرف "التيفيناغ" ورسمته في 22 حرفا (من 24). ويرجع الفضل في هذا الاستخراج إلى النقوش المزدوجة اللغة: اللوبية- البونية. وأقدم النقوش التي وصلتنا يعود تاريخه إلى 139 ق.م. وهو نقش يخلد بناء للملك ماسيناسا. وظلت تيفيناغ تخط الكَلِمَ الأمازيغي في شمال إفريقيا حتى القرن السابع الميلادي، في اتجاه هو من الأسفل إلى الأعلى أفقياً. وبقيت حية مستعملة في كتابات الصحراء والطوارق بصورتها القديمة، ثم

عادت في خضم المسألة الأمازيغية في العقود الأربعة الأخيرة من القرن السابق، خطاً مستحدثا في اجتهادات الأكاديمية الأمازيغية التي اعتمدت تيفيناغ الطوارق في رسمها الذي أصبح يستعمل في كتابات الأمازيغية اليوم، في شكله الآتي:

ب: Ф . د: Λ . ذ: E . ف:][. ج(G): Ⴟ . هـ: Ø . حـ: ⅄ . خـ: Ӿ . ك: ⴽ . ل: ‖ .
مـ: ⊏ . ن: ǀ . ق(q): ⵇ . غ: ⵖ . ر: O . س: ⊙ . ش: ⵛ . تـ: + . ث: × . و: ⊔ . ي: ⊓ .
ز: ⵣ . ـَ(a): • . ـِ(i): Σ . ـُ(u): ⁝ .

هذا مختصر لمسيرة الكتابة تيفيناغ منذ القديم وإلى اليوم. والحديث عن المسيرة لا يعفي من العود إلى الأصل. وأصل تيفيناغ في نظرنا هو الخط الفينيقي لأسباب منها:

أن الاسم "تيفيناغ" هو الدليل الأقوى، فهذا اللفظ لا يعني إلا "تفينيقت" وهي الصيغة الأمازيغية للفظ "فينيقية". ولا نرى صوابا لمن أرجع لفظ

"تيفيناغ" لـ "تيفي"= وجد، و"إناغ" = نحن، (نحن وجدنا). يريد بذلك أن الأمازيغ هم الذين أوجدوا هذا الحرف فهو لهم. "تفي إناغ" لا معنى لها مطلقا إذا لم تكن في سياق. ولا توجد لغة بدون سياق منطوق أو مومأ إليه أو يدخل في ضرب من المجاز المقبول.

أن الكتابة "تيفيناغ" هي الأكثر شبهاً بالحرف الفينيقي، من كل الألفبائيات التي أشرنا إليها، من الآرامية إلى اللاتينية وما تفرع عنهما. ولا يحتج بقول من يرفض هذه العلاقة بدعوى أن الشبه لا يتعدى ستة أحرف، متناسياً أن الزمن الطويل الذي عاشته هذه الكتابة، ووسائل الكتابة من إزميل وحجر أو قصب وجلد أو ورق، وصحة وعلة الكاتب، ومتى كان يكتب وكيف، وقلة الضوء وكثرته، وجودة خطه ورداءته، بل تغير اتجاه الكتابة التي كانت من اليمين إلى اليسار، إلى اتجاهات مختلفة، كلها أمور تتدخل في تطوير شكل الأصول. وكثيرا ما كان يردد أستاذنا في الفينيقية[1]، عندما كنا نصادف صعوبات في قراءة النقوش، بسبب ابتعاد الحروف عن أصولها في نفس الفينيقية،- وكانت حروف النقش الأقدم تختلف إلى حد الغُربة عن النصوص الأحدث، وتبعا للمكان أيضاً-: "لا تنتظروا من الكاتب الناسخ، قديماً أو حديثاً، أن يكون فنانا، أو متكهنا بما ستفعلونه، ليقدم لكم نصا جميلا ثابتا، فهذه لا تكون إلا مع آلة الطباعة". ويكفي أن نعود إلى الكتابة الآرامية وما تفرع عنها، والإغريقية واللاتينية وما تفرع عنهما، وكلها اليوم لا يوجد فيها حرف يذكر بالأصل الفينيقي، بالقدر الذي تفعله تيفيناغ. ومع ذلك لا يشاح أحد في أصلها العروبي ذاك.

وخلاصة القول أولا، إن حرف تيفيناغ هو أكثر الحروف قاطبة شبها بالحرف الفينيقي، وأن علاقته بهذا الحرف علاقة طبيعية تستوجبها الأصول

1 الأستاذ Maurice Sznycer، هو الأستاذ الذي درست عليه مدة أربع سنوات، في L'Ecole pratique des Hautes Etudes بباريس (السربون)، العبرية القديمة والفينيقية، ويعد من كبار المختصين في الأوغاريتية والفينيقية وقراءة النقوش العروبية (السامية)، ونشر كثيراً من النصوص في هاتين اللغتين.

اللغوية المشتركة، والتاريخ المشترك، والجغرافيا المشتركة. وأن الحرف الأَوْلَى باللغة الأمازيغية، في إطار العود إلى هذا التراث المغربي، من الوجهة الأكاديمية، وفي إطار الفعل الثقافي المُؤَصِّل، هو هذا الحرف العريق، ويكون من المخجل استعمال الحرف اللاتيني أداة لكتابتها، لأن الحرف اللاتيني نفسه "فُرَيْع" من الأصل الفينيقي، ولأنه لا يحل أي مشكل من مشاكل الكتابة التي هان أمرها اليوم بوجود البرمجيات. وإلا فإن الحرف اللاتيني نفسه في لغة أصحابه، عائلة لاتينية أو جرمانية-أنـگلو سكسونية، أو فـي العائلة السلافية، لم يعد كاف لنقل المعارف الجديدة بما استحدثته من رموز في الجديد من العلوم، فقد تساوى الكل، وفاز من وفر الأسباب للبحث العلمي.

وخلاصة القول ثانيا، إن المغاربة جميعهم بما كانوا عليه، منذ تاريخهم العريق، هم وحدة في حب الوطن وحب مكوناته الثقافية في جميع أشكالها وأنواعها، لا يفضل في ذلك أحدُهم الآخرَ، كلهم يعملون من أجل صونها ووضعها في مكانها المناسب بما هم عليه في تاريخ المغرب وفي أصولهم. وهم وحدة في مكونات الوطن. وحدة مركبة لا تعطي الحياة إلا إذا ظلت عناصرها المكونة لها متداخلة متفاعلة منسجمة. وما الماء، وهو أصل الحياة، لو كنا نأخذه أكسيجيناً أو هيدروجيناً في عناصر منفصلة متباعدة؟ هل كان بإمكانه أن يكون مصدرا للحياة؟ وإننا نحمد الله، لأن أبناء هذا الوطن، بجميع مكوناته، بما ميزهم به الله من حصافة عقل، ورجاحة تمييز، يحبون ثقافاتهم في خصوصياتها، ولكنهم يحبون الوطن في كليته أضعافاً مضاعفة. فعل كل شعب أصيل. وهو شعب أصيل فعلاً، لأنه قدر كل مركبات فكره وقدرها وأفسح المجال لمبدعيها في كل نحلهم وعاداتهم وتقاليدهم، وما ازدهار النتاج العبري في المغرب على مدى عصوره إلا علامة من علامات النضج والنبل الذي يبرهن عن صدقهما الفصل الموالي.

الفصل الثالث

التراث العبري في المغرب [1]

أصول اليهود المغاربة

عرف المغرب الوجود اليهودي منذ القدم، إذ كانت بعض القبائل الأمازيغية اختارت التوحيد بدل الوثنية في عصور ما قبل المسيحية، ثم توالت الوفود اليهودية على المغرب، فوصلت منهم أعداد في ركائب الفينيقين وأخرى أيام الحكم الروماني البزنطي وغيرها استهواها مناخ المغرب بعد الإسلام، وخصوصاً في عهد المولى إدريس الثاني حيث توافدت مجموعات كبيرة، فراراً من أحداث رآها الشرق وبعض بلدان شمال إفريقيا في تلك الفترة. ومنذئذ لم تتوقف هجرة اليهود إلى المغرب في يوم من الأيام حتى الفترة الأخيرة من عهد الحماية واستقلال المغرب. وقد جرت عادة المشتغلين بتاريخ اليهودية في المغرب، بتقسيم يهود هذ البلد إلى فصيلين، أحدهما فصيل اليهود תושבים (توشَڤيم) أو البلديين، وهم جماع أحفاد اليهود الأصلاء المغاربة، أو ممن وفد على المغرب حتى قبيل سنة 1492 [2]، والفصيل الثاني هم המגורשים (هَمْگورَّشيم) أو المهجرون، وهم الذين وفدوا على المغرب بعد هذا التاريخ.

يهود المغرب والعبرية

اللغة العبرية هي اللغة التي كتبت بها التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم، ويعود تاريخها إلى حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهي واحدة من أسرة اللغات العروبية التي تنتسب إليها اللغة الآكادية والفينيقية والآرامية والسريانية والحبشية والعربية. وتتشابه العبرية والعربية في كثير من الوجوه، بل

---

1 نشر المقال في معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2003/1424، مجلد 17، ص. 5938-5942.

2 تؤرخ هذه السنة لسقوط آخر معقل في الأندلس: غرناطة. وعلى إثر هذا الحدث طرد المسلمون واليهود من مدن الأندلس وتوافدت وفود كثيرة من المهجرين مسلمين ويهوداً على المغرب .

لم تكونا إلا فرعين لأصل واحد مشترك. والجدير بالذكر أن الحرف الذي كتبت به التوراة أو غيرها من الكتب اليهودية، لا يمثل الحرف العبري القديم في شيئ، وإنما هو الحرف الآرامي أو الخط المربع، كما سماه علماء اليهود القدامى.

ارتبطت اللغة العبرية لغة وخطاً، بالنص التوراتي والتلمودي، ولأن الفرد والجماعة يرتبطان بهذين المصدرين الدينيين دوماً في طقوسهما الدينية ومعاملاتهما الاجتماعية، كان فرضاً على كل يهودي ذكر، أن يلم إلماماً باللغة العبرية، وحتى الآرامية، إذا كان من ذوي العلم والطلب. ومن هذا المنطلق المنطقي يسوجب العقل أن تكون العبرية في نصوصها الدينية أمراً معروفاً إلى حد ما في المغرب، في عهود اليهودية القديمة فيما قبل الإسلام، وإن كانت هناك دراسات تشكك في معرفة يهود المغرب بنصوص كتابهم المقدس كما يجب، أو على الأقل لم يكن لهم علم بما كان يجري في الأكاديميات اليهودية البابلية والفلسطينية، وبالأحرى أن يكون لهم علم بالتلمود وتوابعه. غير أن الثابت هو أنهم كانوا على الأقل يستعملون الحرف العبري في كتاباتهم منذ القديم، ذاك أن شواهد قبورهم في أقدم مقابرهم بالمغرب، كانت مكتوبة بهذا الحرف. ومن الأكيد أن حالهم تغير بعد الإسلام، إذ من المفروض أن يكونوا قد عقدوا الصلات بيهود بابل وفلسطين بعدها، أو وصلت إليهم من هناك وفود المنشغلين بعلوم التوراة والتلمود، ومن الأكيد أن المغرب عندها عرف معاهد علمية، ذاك أن كثيراً من أعلام العصر العبري الذهبي الأندلسي (ق. 8-12) هم مغاربة أصلا وكانوا قد برزوا في اللغة والشعر والفتوى وعلوم التوراة والتلمود، بل العلوم العقلية على اختلاف أنواعها.

وعليه فإن اللغة العبرية في المغرب كانت لغة دين وطقوس وتعبد، وبهذه الصفة ارتبطت بالتعليم والمعرفة، ولم تكن لغة كلام دارج إلا في حدود ضيقة جداً انحصرت بين الأحبار ومريديهم في سياق الدرس والتحصيل، أو في التواصل مع يهودي أجنبي عن المغرب واللغة العربية.

العـــــبرية والتعليم

ارتبط استعمال اللغة العبرية في المغرب بالعقيدة والدين كما رأينا، ولذلك كان لزاماً على الأب أوالجد أن يبدأ تلقين الطفل اللغة العبرية بواسطة حفظ بعض نصوص التوراة والصلوات والأشعار الدينية، سماعاً وعن ظهر قلب، قبل أن يلتحق بمكان الدرس، وتمثل هذا المكان في:

1- أ- החדר (هَحِدِرْ) أو "اصْلا"

أطلق اليهود لفظ "اصْلا" على مكان تعليم الأطفال، لأن الأصل في التعليم أن يكون في البيعة، وكانت البيعة تسمى عندهم أيضاً "اصْلا" أي مكان الصلاة. وظل هذا الإسم يطلق على مكان الدرس، سواء كان التعليم يجري في البيعة أوفي دكان أوغرفة أو غير ذلك. ويشبه استعمالهم هذا استعمال مواطنيهم المسلمين الذين سموا مكان الدرس "مْسِيدْ" ،وهو ترخيم للفظ "مسجد" الذي هو أيضاً مكان الصلاة.

أما لفظ חדר "حِدِرْ"، ومعناه بالعبرية غرفة، فهو استعمال استعاره يهود المغرب من إخوانهم "الأشكناز" أو يهود أروبا الشرقية، الذين كانوا يطلقونه على مكان الدرس. ولا نعتقد أن له علاقة بلفظ "حْضَارْ" الذي استعمله أهل جنوب المغرب بدل استعمال لفظ "مسيد".

ب – תלמוד תורה "تَلْمودْ تُوراهْ"، وتعني حرفياً دراسة الشريعة. وهذه المؤسسة بناء عام تُسيّر أمورَه الطائفةُ. ويضم مجموع غرف، ويسهر على كل غرفة معلم يتقاضى أجرته من مال الطائفة العام. وتلاميذ هذه المؤسسة هم عادة من أبناء الفقراء والإيتام. والفرق بين "اصلا" أو "الحدر" و"تلمود توراه"، أن الطائفة هي التي تؤدي أجرة معلمي هذه الأخيرة بينما الآباء هم الين يؤدون عن ابنائهم في المؤسسة الأولى. واستعمل الاسمان فيما بعد دون تفرقة، خصوصاً بعد الحماية وبعد أن أصبحت المؤسسة التعلمية اليهودية مؤسسة عصرية.

وهدف هاتين المؤسستين تعليم الطفل الحروف كتابة وقراءة، فالحركات فبعض القواعد النحوية الأساسية، ومعرفة النطق السليم ومخارج الحروف والنبر. ويُعتمد في ذلك النصُّ التوراتي، الذي يرسخه المعلم في ذهن التلميذ بالتكرار والإستظهار حفظاً، مما يسهل عليه قراءة لفائف التوراة التي غالباً ما تكون بدون حركات أو نقط. ويرفق المعلم كل ذلك بتفسير توراتي مقسم حسب القراءة التوراتية الأسبوعية. ويقتصر الشرح اللغوي على ترجمة النص التوراتي إلى اللغة المحلية التي هي العربية الدارجة أو الأمازيغية أو إحدى اللهجات اليهودية الأخرى المستعملة لدى يهود المغرب كل في منطقته. وقد يستعين بعض المعلمين النابهين بتفسير الربي شلمه بن إسحق المعروف براشي (1010-1105م) وببعض فقرات التلمود. ولا يتعلم الطفل الكتابة إلا في مرحلة متأخرة. ومعلوم أن الخط اليدوي متنوع ولا يتبع أي قواعد في معظم الأحيان في هذا المستوى، اللهم إلا في كتابة الوثائق، وعندها يستعمل الخط المعروف براشي. وكان التلميذ ينسخ نصوصاً من "المشنا" (قسم من التلمود مكتوب بالعبرية) وكتاب "شلحان عروخ" (المائدة النضدة)، وهو من أمهات الفقه اليهودي، في المستوى الأعلا من الدراسة الذي سنتحدث عنه فيما بعد.

وقد جرت عادة الرِّبِّي (المعلم)، في جماعة وادي تدغى بالأطلس الكبير، ليلة שבעות "شفعوت" (عيد الأسابيع)، الذي يخلد ذكرى نزول الوحي على جبل سيناء، أن يكتب الحروفَ بالعسل على لوح، ويطلب من الطفل لعقه حتى تثبت هذه الحروف في ذهنه وعقله، كما كانوا يعتقدون. وجرت العادة عند يهود التخوم الصحراوية الجزائرية المغربية، بأن يكتبوا الحروفَ على بيضة يُطعم بها للطفل.

ولم يتوقف تعليم الطفل على المعلم وحده في المدرسة، بل كان يمتد في البيت، حيث كان الأب أو الجد يكمل هذا التعليم بمتون أخرى مثل كتاب "الزُّهَرْ"[1] وبعض الشروح الصوفية التوراتية.

---

1 كتاب "الزهر" أو كتاب البهاء، هو شرح تأويلي باطني للتوراة، وينسب لشمعون بر يوحاي وابنه الربي إلي عزر، (ق. 2 م). ويقال بأن الكتاب كان ضائعاً حتى عثر عليه موسى ليون، وهو من=

ويبدأ الطفل تعليمه الأولي هذا في العادة، بدءاً من الثالثة من عمره وحتى بلوغ سن البلوغ الديني الذي يصادف السن الثالثة عشرة. وعندها يُحتفى به في حفل ديني يسمى בר מצוה "بَرْ مِصْفه"، ويعني حرفياً ابن الوصايا، أي القدرة على أداء الواجبات الدينية. وتعتبر هذه المناسبة أيضا فرصة يبرهن فيها التلميذ على ما حصله من معرفة، إذ هو الذي يقود القداس الديني، وهو الذي يلقي الخطبة التي تفتتح بمقدمة نثرية مسجوعة، تدور حول مبحث هو عبارة عن تراكيب لفقرات توراتية تنبت فيها فقرات تلمودية وأقاصيص تنتقى من الموروث اليهودي. والجدير بالذكر أن طقوس هذا الاحتفال تشبه بوجه من الوجوه "التخريجة"، وهي الحفل الذي يكرم فيه الطفل المسلم عندما يحفظ جزءاً من القرآن أو القرآن كله.

2- הישבה "اليشِـڤا"

يعني لفظ "يشيڤـا لغة المجلس، وهذا هو اللفظ الذي يطلق على مكان التعليم بعد الدرس الإبتدائي. وفي "اليشِـڤا" تلقن الدراسات العبرية العليا في مجالات التفسير والفقه والتلمود والعلوم الربية على اختلاف أنواعها، من قضاء وإمامة وقواعد عامة، تشمل كل الطقوس الدينية، من الصلاة إلى قواعد المحرم والمحلل من الطعام، ومهام العدول، من زواج وطلاق وإرث ونساخة.

والأساس في تعليم "اليشِـڤا" هو الدراسات التوراتية والتلمودية والتراث اليهود من أقدم عهوده، في أعلا المستويات، من اللغة إلى التأويل إلى استنباط الشرائع، والنظر في التاريخ والأخلاق اليهوديين، وكتاب "الزوهار"، وأمهات الكتب الفقهية كـ "شلحان عروخ" (المائدة المنضدة)[1].

="القبليين" (علماء التأويل) في شبه الجزيرة الإيبيرية في القرن 13م. ويظن بأن هذا الأخير هو الذي جمع مادة الكتاب من تراث يهودي قديم وصاغه تبعاً لما كان عليه علم "القبلا" في العصر الوسيط.

1 יוסף קארו,שולחן ערוך, ונציה בשנת ה' שכ"ה - 1565 (يوسف كارو، المائدة المنضدة، [أول طبعة] البندقية 1565.

وتستغرق دراسة النص المختار فصلين من السنة أو السنة كلها، وتتوج نهاية دراسة الفقرة بحفل يسمى סיום "سِيُوم" أو الختم. وفي هذه المناسبة يلقي الطالب النابه درساً مستنبطاً من التوراة يتوخى فيـــه الجـــدة أو الـ חדוש "الحِدُوش" أو الاجتهاد، أمام الوجهاء وكبار الأحبار وأقرانه المجتهدين. وكان تعليم "اليشفا" يتقيد في غالب الأحيان بتقاليد المدرسة القديمة التي تعتمد حفظ التوراة وفقرات من التلمود وبعض المتون القديمة مشفوعة بتعاليق وآليات تمكن الطالب من أدوات الجدل والبرهنة والنقاش فيما يسمى סוגיה "سوكْيَه" أو الموضوع المحلل، كما يسمى بالآرامية.

وباختصار، تتمثل الدراسة في "اليشـڤا"، في مجملها، في مجموع ضخم من المعارف الفقهية: הלכה פסוקה "هَلَخا ڤْسوقا" أو شرائع وأحكام الفقه الرَّبِّي، بالاضافة إلى العلوم الأخرى المشار إليها. لذلك كثيراً ما كان يستعين الطالب بأراجيز ينظمها له أستاذه أو ينظمها هو بنفسه، أو بمختصرات هي عبارة عن مقطعات حروف وتراكيب لفظية تنظم من رؤوس الكلمات أوالقواعد، على طريقة أراجيز العلم ومختصراته في الثقافة الإسلامية. ويسمى طالب هذه المؤسسة תלמיד חכם " تِلميد حَخَم" حرفياً العاقل، وتعني "طالب العلم". ولم يكن الالتحاق بها محدداً في سن، كما لم تكن عدد سنوات الدراسة محددة حتى عهودها الأخيرة. وكان الطالب إذا أتـم دراسته يحرز على סמיכה לרבנות "سْميخَ لرَبَنوتْ"، وتعني حرفياً إجازة الحبرانية، وتقابل الإجازة أو العالمية في التعليم العالي الإسلامي. وهذه المؤسسة هي التي كانت ترفد الطائفة بعلمائها وأحبارها وقادتها الروحيين. فمنها كان يتخرج الأحبار والقضاة والأئمة والمعلمون والنساخ وخدام الطائفة إجمالا.

وكانت "اصلا" و"الحدر" منتشرة في كل مكان يوجد به يهود، مدناً وقرى وجبالا وتخوم صحراء، وكان الفقيه المسلم يشترك والربي اليهودي في نفس المكان في بعض جبال المغرب، أحدهما يحفظ القرآن لتلاميذه والآخر يحفظهم التوراة. كما عرفت المدن الكبرى "يشـڤات" عَدَّت شهرتُها المغرب،

كـ"يشـﭬا" فاس التي جلبت سمعتها أكبر فلاسفة اليهود، موسى بن ميمون، على العهد الموحدي، و"يشـﭬا" مراكش، وهي المدينة التي كانت تعرف عند اليهود بـ"يروشليم" (قدس) المغرب. ولقبت مدن أخرى عندهم، بنفس اللقب، لسلطان التعليم فيها ومكانتها الروحية.

لم ينحصر التعليم اليهودي في "الحِدِرْ" و"اليـشِـﭬا"، بل كان هناك تعليم مستمر عن طريق הדרשה "هَدْرَشَه" أو الإرشاد والوعظ الذي يحضره المهتمون أيام السبوت والأعياد. وفي هذه الحلقات كان الواعظ يلقي درساً في التوراة أو التلمود أو الزهر أو המוסר "هَموسَرْ"، أو الأخلاق. وتجري وقائع هذه الدروس إما في البيعة أو في "الزاوية" أو في نوادي طوائف الصناع والحرفيين والتجار. وقد يكون المتحدث ربياً قاضياً أو معلماً أو تاجراً، ممن تمثلوا العلم وبرعوا فيه. وقد يكون زائراً غريباً عن الطائفة.

وعرف يهود المغرب تقليداً آخر تعليمياً تمثل في السهرات الليلية التي كانوا يحيونها للنظر في أسفار الأنبياء من كتاب العهد العتيق، وكانوا يتدارسون في هذه الليالي كذلك كتاب שלחן ערוך "شلحان عروخ" (الطاولة المنضدة) في الفقه، والتلمود، خصوصا في الهزيع الأخير من الليل. وعرف المغرب كثيراً من مريدي الزوايا الذين يقضون الليل في الدرس وقراءة آداب الصوفية وإنشاد الأشعار والأمداح الدينية، مثل الجماعة المسماة חברות רבי שמעון בר יחאי "حبروت الربي شمعون بر يوحاي" (جماعة الربي شمعون بر يوحاي). وعرفت جل مدن المغرب زوايا من هذا القبيل، اشتهرت بكبار منشديها، مثل داود بروخ إفلاح وداود القايم وحاييم أفرياط بالصويرة، وداود بوزگلو بالدار البيضاء، ونسيم نقاب بفاس.

وتجدر الإشارة إلى أن البنت في التقاليد اليهودية كانت معفاة من عناء الدرس، ولم يكن مطلوباً منها أن تعرف القراءة أو الكتابة، وكان ذلك حتى ظهور المدرسة اليهودية الحديثة بالمغرب.

لقد ظل التعليم العبري على هذه الحال حتى منتصف القرن التاسع عشر، حيث ظهرت حركة إصلاحية لم تكن أصولها من داخل المغرب، ولم تكن أيضاً لترضي جماعة كبيرة من اليهود التقليديين، وكانت هدفاً لهجوم الأحبار. تلك هي حركة כל ישראל חברים "كُلْ يسْرَئِلْ حَـڤِـرِمْ"، وترجمتنا الحرفية: إسرائيل جماعة واحدة، فقد أسست هذه المدارس التي أصبحت تعرف بـ"مدارس الإتحاد الإسرائيلي العالمي" L'Alliance israëlite universelle، انطلاقاً من مقر الاتحاد الذي كان بباريس .

اهتم الاتحاد بيهود الشرق وافريقيا، وكان هدفه، كما جاء في محاضره، تحسين حال يهود هذه المناطق. "ومن أهم وسائل تحسين وضعهم، خلق مدرسة حديثة تنقل إليهم التهذيب والتحضر"، كما جاء في أهداف الإتحاد. فأسس هذا أول مدرسة للأطفال بتطوان سنة 1862، ثم في طنجة 1865، فالصويرة 1868، ففاس 1881، فمراكش 1901، فالرباط 1903، فالجديدة 1906، فآسفي 1907، فمكناس وسطات 1910، فصفرو وأزمور 1911. أما بالنسبة للبنات فقد أسس الإتحاد أول مدرسة بتطوان 1868، فطنجة 1874، ففاس 1899، فالبيضاء 1900، فالصويرة والعرائش ومراكش 1901، فالجديدة 1906، فآسفي 1907، فمكناس والرباط 1910.

وأنشأ الإتحاد مدارس مهنية يؤمها التلاميذ الفقراء، فكانت أولاها بطنجة 1873 وثانيتها في تطوان 1874، وهما خاصتان بالأطفال، ثم أسس للبنات مدرسة في تطوان 1889، وأخرى بالبيضاء 1909 .

وكانت البرامج التعليمية محلية حتى سنة 1882، بعدها فرضت اللجنة المركزية للاتحاد التي كان مركزها في باريس، مقرراً عاماً يطبق في كل مدارسها. ويحتوي هذا البرنامج اللغة الفرنسية لغة تعليم، واللغة الانجليزية والإسبانية والإيطالية، تبعاً للمدارس المحلية، والحساب والهندسة والفيزياء والكيمياء والتاريخ العام والجغرافيا واللغة العربية، بالإضافة إلى اللغة العبرية،

نحواً وتوراتاً وتاريخاً مقدساً، زيادة على مواد قد يضيفها المدرسون المحليون. وظلت هذه المدارس تشتغل حتى العقد السابع من القرن العشرين وبعدها تقلصت ولم يبق منها اليوم إلا بضع مدارس أهمها مدرسة السماش وثانوية ابن ميمون في مدينة الدار البيضاء. وتدرس هذه اليوم برامج تابعة للبعثة الفرنسية، اللهم إلا اللغة العبرية، باعتبارها مادة لغوية، أو بعض المواد الدينية المتصلة بالطقوس والتاريخ العبري، فهذه بالغة العبرية .

الإرث الفكري العبري المغربي

لم تصلنا كتابات عبرية مما هو من نتاج يهود المغرب قبل الإسلام، وموروث تلك العهود كان شفوياً على العموم. ويُعتقد أن يهود المغرب (موريتانيا كما جاء في الوثائق اليهودية)، ما كانوا على علم بما كان يجري في بابل (العاق) وفلسطين، ولم يكن لهم علم بالمشنا والتلمود. ولم يبدأ اتصالهم الديني والعلمي مع علماء بابل وفلسطين إلا أيام إدريس الثاني الذي تولى الملك سنة 793 ميلادية. وبقي من هذه الفترة بعض الفتاوى التي أجابهم بها علماء بابل، وكذا بعض فتاوى سعديه گؤون الفيومي (882-942م)، عندما كان في مصر وقبل أن يغادرها إلى بابل. كما وصل من تلك العهود فتاوى الربي هيا گؤون، وهي أجوبة أجاب بها يهود تلمسان- وكانت مغربية إذ ذاك- وأخرى أجاب بها يهود سجلماسة سألوه فيها هل يجوز لهم أكل الجراد الميت. وإذا كنا قد استشهدنا بهذه النماذج ، فإنما لنبين أن المكتوب العبري في اللغة العبرية أصبح شائعاً معروفاً منذ هذه الفترة الإدريسية. ويؤكد ذلك ما بلغته المعارف اليهودية منذئذ، خصوصاً وقد أصبح المغرب الذي عبر منه طارق بن زياد إلى الأندلس، مصدراً ورافداً للثقافة العبرية في الأندلس. فبالإضافة إلى العلاقات العلمية الوثيقة التي كانت بين الضفتين، كما تدل على ذلك مكاتبات يهود المغرب إلى الوزيرين اليهوديين الأندلسيين حسداي بن شبروط وشموئل هالنـگيد، أيام الحكم الأموي وملوك الطوائف، فإن المغرب كان موطناً لأكبر علماء اليهود الذين رحلوا إلى الأندلس، إذ كان المغرب موطن يهودا بن قريش (ق. 9م)، وهو من أوائل واضعي منهج

المقارنة في اللغة والنحو العبريين. ودوناش بن لبراط، وهو أول من أدخل أوزان الشعر العبري في القصيدة العبرية. ويهودا حيوج، رأس النحاة في قرطبة، وهو أول من وضع تصانيف في نظريات الفعل العبري. وداود بن أبراهام الفاسي، وهو أول من وضع معجما منبنياً على أسس فلسفية عقدية. ودوناش بن تميم الفيلسوف اللغوي. ويعقوب بن دوناش وأدونيم بن نسيم اللاوي، وهما شاعران. ويهودا بن شموئل بن عباس المغربي، وهو عالم شاعر. والربي إسحق الفاسي، وكان من كبار التلموديين والمفتين. ويوسف بن يهودا بن عقنين، وكان مشتغلا بالفلسفة. ونسيم بن مالكا، وكان مشتغلا بالقابالا أو التصوف (ق.14). وعاش هؤلاء في المغرب والأندلس بين القرنين التاسع والرابع عشر الميلاديين.

عاش هؤلاء الأعلام حياتهم إما كلا أو جزءاً في المغرب، وخصوصاً في فاس، وألفوا ونَظَموا بل أبدعوا عَلوماً لم تكن معروفة من قبل في التراث العبري، كتقعيد النحو، ووضع المعجم بأسلوب علمي واضح، والتنظير في أبنية الفعل، والتعرض لمشكل عدد أحرف الجذر، بل وضع بعضٌ منهم مناهج في التربية والتعليم، مثل الكتاب الذي وضعه الربي يهودا بن اشموئل بن عباس سنة 1250 بعنوان יאיר נתיב "يَئِّيرْ نِتِيڤ" أو منير المسالك، وذاك الذي وضعه الربي يوسف بن عقنين معاصر ابن ميمون، بالعربية وبحرف عبري، بعنوان طب النفوس. وبفضل هؤاء وجدت اللغة العبرية وعلومها، في المغرب ثم في الأندلس، التربة الخصبَ والمناخ الملائم لتحافظ على العلم وأسبابه.

ولعل أكثر الإنتاج العبري في هذه الفترة، أي ما بين القرنين 8 و14 الميلاديين، تمثل في كتب التشريع والفتوى. وجاءت هذه المؤلفات في عناوين مختلفة مثل: דינים "دِينيم": تشريعات، أو פסקי דינים "پِسْقي دِينيم": قرارات قضائية أو תשובות "تْشوڤوت": فتاوى فردية، أو תקנת "تَقْنوتْ": فتاوى جماعية، أو חדוש הלכות "حِدُّوشْ. هَلَخوتْ": اجتهادات فقهية، أو נמוקים ושטות "نِمُّوقيم وشِطُّوتْ": حواشي وتعاليق، أو פרושים أو "پِرُّوشيم": شروح، أو קונטרסים "قُنْطْرسيم": مجامع وكراسات، أو לקותים "لِقُّطيم":

منتخبات أو קצורים "قِصوريم": مختصرات أو מפתחים "مِفتَحيم": فهارس.

غير أن الكتابة العبرية منذ ذاك وحتى استقلال المغرب، عرفت أنواعاً أخرى من الكتابات نجملها فيما يأتي:

I- **פנקסי וספרי הקהל "بِنْقِسي وسِفْري هَقهَل"**: سجلات ومذكرات الطائفة، وتسجل في هذه كل أنشطة الطائفة من تسجيل المواليد إلى تدبير الطائفة. وتتضمن كذلك المراسيم والأحكام.

II- أ- **פנקסי דינים "بِّسنْقِي دينيم"**: الأحكام القضائية، مثل مجموع حييم طوليدانو السلاوي، وإلياهو حزان المراكشي، وداود كوهن من دبدو. وهذا عنوان عام.

وهناك مجامع أخرى في هذا الباب عنونها أصحابها عناوين خاصة مثل:

אסף המזכיר "إسِف هَمَزْخير": مجموع الكاتب. وתאבת עניים "تِئِفَتْ عَنِييم": مقصد المحتاجين، وكلاهما ليديدا مونسونيكو، وמשפטים ישרים "مِشْبَطيم يَشَريم": أحكام سوية، لرفائيل بردوكو. وתרביץ החצר "تربص هحصر": حديقة الفِناء، لرفائيل موسى الباز الصفريوي.

ب **תקנות "تَقنوتْ"**: فتاوى جماعية، منها כרם חמר "كِرمْ حِمِر": كرمة النبيد، الذي جمعه أبراهام أنقاوا المولود في سلا (ق.19م). وهناك أكثر من واحد وثمانين مجموعاً من هذا النوع، كما جاء ذلك في كتاب ملوك الأحبار ليوسف بن نئيم[1].

---

1 أنظر بحثنا "أعلام يهود المغرب من تراثهم: يوسف بن نئيم وكتابه أمراء الأحبار"، ندوة اللغات والحضارات الشرقية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، مطبعة الأمنية، الرباط، 2005، من ص. 11 إلى 63.

III- **שאלות ותשבות** "شِئِلوت ْوتْشوفوت": فتاوى. وجاءت هذه الفتاوى في مجاميع تحت هذا العنوان العام أو معنونة بعناوين خاصة. ومن نماذج الفتاوى التي عنونها أصحابها، المجموع:

- ספר הבתים "سِفِرْ هَبَتيم": كتاب البيوتات، لحاييم ابن حبيب، (أواخر القرن 15 وبداية 16م فاس).

- יש מאין "يشْ مِئِينْ": الخلق من عدم، لإلياهو يلوز (ق.19م تافلالت).

- גפול בנימין "گْفُولْ بنيمين": حدود بنيمين، لابنيمين الخرييف (ق.19م مكناس).

- חיי עמרם "حَيِّي عَمْرَمْ": حياة عمرم، لعمرم الباز (ق.18م صفرو).

- קרית חנה דוד "قِرْيَتْ حَنّه دَوِد": قرية حنا داود، لداود هكوهن الصقلي (ق.19- 20 م دبدو).

- רחמים פשטים "رَحَمِيمْ بِّشوطيم": الرحمة الحق، لرفائيل حييم موسى بن نئيم (ت. 1920م تطوان).

IV- **דברי הימים "دِڤري هَيَّميم"**: أخبار الأيام (التاريخ)

ذكر ابن نئيم في كتابه المشار إليه، عدداً كبيراً من كتب التاريخ، وبعض هذه، كتبه أصحابه بالدارجة المغربية. وهناك عديد من الكتابات التاريخية المطبوعة والمخطوطة. ونورد نماذج من الكتابة التاريخية كالآتي:

- מאמר סדר הדרות "مَأمَرْ سِدِرْ هَدُروتْ": مقالة في توالي الأجيال، لسعديه بن ميمون بن دنان المولود في فاس، (ق.15م).

- דברי הימים "دِڤري هَيَّميم": التواريخ، لشؤول سريرو المولود حوالي 1566.

- זכרון לבני ישראל "زخرون لبني يسرائيل": تذكار لبني إسرائيل، ليهودا بن عطار، ت.1812م.

V- שרים "شيريم": المجامع الشعرية:

كان يهود المغرب كثيري النظم والقول، وقد خص حييم الزعفراني الفصل الثامن من كتابه الشعر اليهوي في الغرب الإسلامي[1] بقوائم هذه المجامع الشعرية المطبوع منها والمخطوط، فذكر من المطبوع سبعاً وأربعين مجموعاً ومن المخطوط تسعة وثلاثين، وكلها استخرجها من كتاب ابن نئيم. وذكر منها أيضاً ما يوجد في المكتبات المعروفة، من ذلك ثلاثة عشر مجموعاً مصوراً، وثلاثين مجموعاً مخطوطاً، في المكتبة الوطنية والجامعية بالقدس. وستة مجامع في معهد ابن تصڤي في القدس، وخمس عشرة مجموعة خاصة، في القدس، وخمس عشرة مجموعة في المكتبة الوطنية في باريس، قسم المخطوطات الشرقية، وسبع مخطوطات في خزانة أمستردام، وثمانية في مجموع V. Klagsbal-Paris.

ونذكر من هذه المجاميع والدواوين العناوين الآتية، مراعين في ذلك الامتداد الزماني والجغرافي:

- דרושים "دروشيم": ابتهالات، لشؤول سريرو بن داود .

- קינת רבים "قِنَتْ رَبِيم": مراثي الجموع، ليعقوب بريانتي، بداية القرن 16م.

- עת לכל חפץ "عِتْ لِكُلْ حِفِتْص" : لكل أمر زمانه، ليعقوب أبنصور، (1673-1752م)، فاس.

שירים וקנות "شيريم وقِنوتْ": أشعار ومراثي، لأبراهام بن سوسان،(ق.17)، تطوان.

---

1 H. Zafrani, Poesie juive en Occident musulman, Paris, Geuhner, 1977.

- נעם שמים "نُعَمْ شَمَاييم": نغم السماء، لشموئل بن يهودا الباز، تـ. 1844، صفرو.

- קונטרס קנות "قونْطَريس قِنوتْ": كراس المراثي، لحاييم يهودا طوليدانو، (ق. 19)، سلا.

وذكر يوسف بن نئيم في كتابه מלכי רבנן "ملخي ربنان": أمراء الأحبار، الذي أشرنا إلى صاحبه مراراً، وهو كتاب فهرست من النوع الجيد، ثمانمائة وثلاثة وثمانين عنوانا مما خطه يهود المغرب، منذ عرفوا الكتابة. منها 222 فتاوى وأحكام، و104 في التوراة والتفسير، و72 حول التلمود، و60 في الخطب والوعظ، و33 في نظم الشعر، و33 قبالا وتصوف، و14 حول كتاب الفصول لابن ميمون (تلمود)، و13 حول كتاب المائدة المنضدة ليوسف قارو (تشريع)، و10 تاريخ، و9 فلك وتوقيت، و5 فلسفة، بالإضافة إلى عناوين في القراءة والنقط والنحو واللغة والأخلاق والرحلة والنساخة والتوثيق والأوزان والقياسات والعملة والطب والنبات والاستسقاء والفهرست والسياسة.

وأحصى الأستاذ حاييم الزعفراني، في تقرير حول التراث اليهودي المغربي المخطوط، أعده لوزارة الثقافة المغربية، مؤرخ في 15 دجنبر 1992، 244 مخطوطاً في العلوم الشرعية والفقهية والفتاوى والنوازل والأحكام الربية. و133 مخطوطاً في المجاميع الشعرية، و133 في الموعيظ والأدعية والابتهالات، و200 في القبالا أو التصوف اليهودي والزهد والسحر.

غير أن المهم من كل هذه الآثار هو معرفة محتوياتها وقيمة ما تضمنته، وهذه مهمة أخرى على الباحثين أن يخصصوا لها الوقت والجهد والصبر.

إن المغربي، بما حباه الله به من قدرة ذهنية جعلته يتمثل الحضارت والثقافات على اختلاف أنواعها، كما ظهر ذلك من الفصل أعلاه. ومن مجمل تاريخه, يستفيد اليوم من مناهج البحث اللغوي والمقارنات، ويجد في اللغة العربية ما لم يجده فيها غيره من مخبوء لابَسَ الحرف ولبسته المعاني. الفصل الموالي أنوذج جميل ويدعو إلى التأمل.

الفصل الرابع

الطريقة العربية الجديدة للتحليل اللغوي

Méthode étymologique pour l'étude du vocabulaire

كتاب ألفه الباحث اللغوي، الأستاذ محمد بن عبد الجليل بلقزيز، وتضمن الكتاب مقدمة (ص. 3-14) ثم تقديماً نظرياً لطريقته التي سيتبعها في تنقيبه اللغوي، ولم يضع عنواناً لهذا القسم (ص. 15-33). فالقسمَ الأول، وعنوانه "المواد اللغوية المركبة" (ص. 35-356)، وألحقه بالقسم الثاني بعنوان "المواد اللغوية البسيطة" (ص.357-431). وبعد هذا وضع ثلاثة فهارس: 1- "الفهرس العام للمواد اللغوية المدروسة في الكـتـاب". 2-"فهرس القسم الأول الخاص بالمواد المركبة". 3- "فهرس القسم الثاني الخاص بالمواد البسيطة وكلها بفصيلة واحدة" (ص. 433-439).

أما الجزء الثاني، وهو غير مفصول عن الأقسام السابقة، ولم يسمه المؤلف بهذا الاسم: "الجزء الثاني"، فيتضمن "فهرس المفردات الفرنسية المقابلة للمفردات العربية المدروسة في الكتاب"

Index vocabulaire français correspondant au vocabulaire arabe traité dans ce livre.

ويبدأ في الجهة اليسرى من الكتاب (ص. 1-286).

المقدمة

يعرض المؤلف في مقدمته كثيرا من القضايا، فيها ما هو متعلق بتجربته الخاصة في ميدان البحث في اللغة العربية، وفيها ما يتعلق بالجانب التنظيري لطريقته الجديدة التي يقترحها على العاملين في وضع المصطلح العلمي والتأليف في اللغة.

وينطلق المؤلف من تجربة مفادها أن اللغة العربية تعيش واقعاً يتلخص في أن جزءاً منها "مفهوم ومتداول"، وجزءاً "مفهوم فهما سيئا"، وجزءاً ثالثاً "متروك لخفاء دلالته". والكل هو إرث عربي غني لم نحسن الانتفاع به، وبَيْن ذا وذاك جدل عقيم بين من يرى في اللغة العربية قدرة على بلوغ مستوى اللغات العالمة اليوم ويبن من ينفي ذلك، في حين نصطنع المصطلحات العلمية التي لا تكاد ترى النور حتى تصبح في عداد الموات. ويرى المؤلف أسباب هذا الاضطراب في عجزنا عن إيجاد طريقة تمكننا من امتلاك اللغة الأصيلة وتضع بين أيدينا الأساليب القادرة على توسيع هذه اللغة. ويضع المؤلف سؤالا يفترض أنه يجول في عقول المتكلمين والمشتغلين باللغة العربية، وهو: ما هي الصعوبات التي تعترض محب اللغة المنشغل بدراستها؟ ويرى من هذه الصعوبات:

1- عدم فهم المصطلحات العلمية التراثية، ذاك أنها كانت تعبر تاريخيا **عن كثير من المعاني في أصولها، وعندما اجتزئت وخرجت عن السياقات، غمض معناها ولم يصل إلى ذلك المعنى إلا المتعامل معها في مقابلات أجنبية فرنسية أو إنجليزية أو ألمانية، وهذا من صنف الخبراء لا من صف القراء الذين يريدون فهم نص علمي حديث، وهؤلاء هم المراد من عملية تحديث اللغة.**

2- جهل واضعي المؤلفات العلمية العربية بمصطلحاتهم الأصيلة، فهم ينقلون في ما يكتبون مصطلحات أجنبية أو معربة تبعد عن طبيعة السلامة العربية وتعقد المفهوم وتثقل اللغة بما يجعلها خارج طبعها.

3- تركنا لقسم كبير من لغتنا لأننا لم نعد نفهمه لأسباب كثيرة، فأهملناه حتى صار نسياً منسياً، وأهملنا معه جانباً كبيراً من تراثنا العربي وفيه علم، وفيه رصيد كبير من لغتنا الأصلية الذي يمكنها أن تصبح لغة علم وبحث وتقصي، سواء في ما هو أدبي أو فيما هو علمي حديث.

4- عدم توفق معجميينا القدماء في وضع مقاييس للإحاطة بالمادة اللغوية الأصيلة، وتفريع دلالاتها في سياق يفرع المعاني ويحتفظ دوما بالمعنى الأولي

المشترك الذي يربط تلكم المعاني المتفرعة باللفظ المفتاح وبنواة الدلالة.

5- غياب المعاجم التأثيلية التي تتتبع الألفاظ وتطور معانيها وتميز بين معانيها القديمة والمحدثة بطريق علمي متسق ثابت.

نظرالمؤلف في هذه القضايا وهذه الصعوبات، فوجد أنه لامتلاك الرصيد اللغوي الأصيل وتطويعه ليصبح قادراً على خلق لغة عالمة في مستوى اللغات الأجنبية لا بد من:

الرجوع إلى البحوث العلمية العربية التي هي من وضع علمائنا الذين اشتغلوا بالعلوم، في عصور اجتهادنا، ونوعوا فيها لغتهم، سواء كان ذلك في لغة الأدب إبداعاً وكتابات بلاغية وبيانية، أو مصطلحات "وأسماء أعيان في النبات والحيوان والعلل" وغيرها من العلوم النظرية والتطبيقية.

إتقان لغة أجنبية على الأقل، فبهذه يتمكن الباحث من النظر في المصطلح الأجنبي الموضوع والبحث عن مقابله في التراث العلمي العربي الموروث.

حسن الاطلاع على القوالب والصيغ العربية المتنوعة والممكنة، لمعرفة كيفية وضع أخرى جديدة، على غرار ما فعله نحاتنا الأقدمون، حتى نصوغ منها قوالب تمكننا من وضع صيغ يلبسها المصطلح العلمي العربي الجديد، ليكتسب الصفات التي مكنت للمصطلح الأجنبي فاشتهر وثبت وراج وفهم من نفسه لا من سياقات لغوية لا يمكن أن تكون حاضرة دوماً في الذهن والذاكرة. ولن يتأتى هذا إلا "بتغيير طريقتنا لدراسة اللغة الأصيلة"

"تغيير طريقتنا لدراسة اللغة الأصيلة"

يعني المؤلف هنا تغيير الطرق التي اتبعت سابقاً في وضع المعجم وفهم معنى اللفظ وفرضيات أصول اللغات وإصلاح المنهج الذي اعتبر به لغويونا بعضاً من العربية قحاً وبعضاً دخيلا. وهو تغيير توصل إليه هو في طريقته الجديدة بعد معاناة وتأمل وبحث في اللغة العربية في مجالات علمية مختلفة، وبعد

فرضيات متكررة، وخلال زمن طويل.

هذا النظر المتأمل في اللغة العربية وفي معانيها ومعاجمها أوقف المؤلف على المفتاح السر. وهذا المفتاح السر يتمثل في كون اللفظ العربي واللفظ اللاتيني يشتركان في المعنى الأول ويشتركان في المعاني المتفرعة عن المعنى النواة. وقد توصل المؤلف إلى هذه الحقيقة عندما وقف على ما سماه المعجميون العرب "دخيلا". فمقارنته للصوامت والصوائت الموجودة في هذا الدخيل وفي اللفظ العربي، مكنه من معرفة المقابلات الثابتة التي يكفي أن يلحظها الباحث ليعرف كيف ينتقل من اللفظ اللاتيني إلى اللفظ العربي، وكأن إحدى اللغتين مُعيرة والأخرى مستعيرة، أو كأنهما معاً أخذتا من مصدر واحد. نظرية غريبة لم يقل بها كل الذين درسوا اللغات، فقد عدوا اللغة العربية فرداً في أسرة (العروبيات) واللاتينية فرداً في أسرة أخرى (الهندو أوروبية) ولا يجمعهما جامع. وقد شعر المؤلف نفسه بهذه الغرابة في الرأي الذي تبناه، غير أنه يعتبر الحديث عن العوائل اللغوية من مشاكل التأريخ للغات، ومع ذلك يتساءل، فقد قال: "بعد إدراكي لهذه المطابقة [مطابقة اللفظ اللاتيني للفظ العربي] أصبحت أتساءل: ألا تكون اللغة العربية - كما ائتلفت بالتأثيرات الشرقية لحضارة اليمن وقريش ومصر والهند والكلدانيين والآشوريين والبابليين- قد أثرت في اللاتينية أيما تأثير؟"(ص. 8). بل يتعدى السؤال إلى تقرير حقيقة رسخت عنده، تلك هي تأثير اللغة اللاتينية في اللغة العربية -"حقيقة" نقف عندها نحن بتحفظ، وسنعود إليها- فهو يفترض في شأن تقارب اللغتين أربع فرضيات:

الفرضية الأولى: إما أن نعتبر اللغة واحدة فرداً، وهي أصل توقيفي، [إي علمها الله الإنسان ولا دخل لهذا في تطويرها وتفرعها ...][1] وهذا "مشكل ميتافيزيقي لا قبل لنا به"، كما يقول.

الفرضية الثانية: أن تكون اللغة العربية أصلا للاتينية، غير أن هذه

---

1 مابين معقوفتين شرح لنا لما لم يذكره المؤلف.

الأخيرة أثقلت لفظها ونزلت به عن رتبة جمال اللغة العربية، وأفقرت لفظها اشتقاقاً وتفرعاً، فجاءت دون النموذج الذي اقتدت به.

الفرضية الثالثة: أن اللغة العربية أخذت عن اللاتينية وامتازت عنها بعبقرية مكنتها من:

أ- تغيير أصوات الحروف، فصار اللفظ العربي متعددا في حروفه الأولى، أي بصيغ متعددة يقابلها لفظ لاتيني واحد. (وهذا ما سنراه في الفقرة الأولى **I**).

ب - زيادة حروف الحلق والواو والياء من حروف اللين التي غابت في الأصل اللاتيني.

جـ - القدرة على تغيير وضع الحروف المستعارة من الفظ اللاتيني ليصبح اللفظ العربي سهلا ومقبولا.

د- جعل اللفظ الواحد يؤدَّى بصور كثيرة أحيانا بدلالة موحدة وأحيانا بدلالات مختلفة، وهكذا يمكن أن يُقابل اللفظ اللاتيني الأصل بمآت المفردات أو أكثر في اللغة العربية، وكلها تدور حول الدلالة اللغوية الأولى [الأصل].

هـ - غنى أساليب الاشتقاق، المتمثلة في اللزوم والتعدية والصفات والمصادر، بحيث يشتق من اللفظ [الأصل=الجذر] العربي الواحد عشرات الصيغ ولا يقابلها في نفس اللفظ اللاتيني إلا عدد قليل من الصيغ.

هذا إذا كانت اللغة العربية أخذت عن اللاتينية.

الفرضية الرابعة: أن أصل اللغتين العربية واللاتينية مشترك، تعود أصوله إلى الحضارات المصرية والآشورية والكلدانية وغيرها، وقد أخذ من هذا الأصل العرب والإغريق الذين اعتبرت لغتهم أصلا للاتينية.

ويرى المؤلف أن هذه الفرضية الأخيرة هي الأقرب إلى الصواب، وأن طريقته التي ابتدعها مكنته من الوقوف على حقيقة مفادها أن العربية هي أسْلَسُ

اللغات وأخفها وأكثرها مطاوعة وأكثرها قبولا لوضع المصطلح العلمي وأقدرها على مجارات الاختراع والكتابة العلمية.

وبغض الطرف عن هذه القضايا الشائكة التي ترتبط بالأصول وبالتأثيل وبالتأريخ للغات وعوائلها، فإن المؤلف يرضى في اللحظة الحالية بأن يعتبر اللفظ اللاتيني مقابلا للفظ العربي دون أن يحقق في من الأصل ومن الفرع، فذلك أمر متروك للزمان، وأن الذي يعنيه حالا في جهده هذا، هو الفوائد التي ستجنى من طريقته المبتدعة، وهذه الفوائد هي:

الفائدة الأولى: **دقة إدراك المفردة العلمية الأصلية** [العربية]

وذلك بالاطمئنان إلى معناها عندما يدعم بالمقابل اللاتيني وفي كل فروع الأصل اللاتيني.

الفائدة الثانية: **إدراك المادة اللغوية بتمامها**

فالمتَّبَعُ من قبلُ واليوم أيضاً عند اللغويين والمترجمين، هو استعمال ما قدروا على إدراكه في اللغة، أما العويص والغميس منها فتركوه، وفوتوا على اللغة الكثير منها، واتهموها بالقصور كلما قارنوها باللغات الأجنبية المعاصرة، والقصور منهم لا من اللغة. كما أنهم- "وأنا كنت منهم في هذا الجانب"، كما يقول المؤلف- جهلوا أن الغالب على المادة اللغوية هو التعدد لا الوحدة[1]، أما المواد البسيطة بدلالة عامة موحدة فنادرة للغاية[2]. "هذه المواد المركبة هي بدلالات عامة ومتكثرة. فالمادة اللغوية هي، واحدة من حيث مادة اللفظ، وهي متعددة من حيث الدلالات العامة للفصائل التي تتركب منها، كل فصيلة هي بدلالة عامة مستقلة عن الأخرى" (ص. 9).

ويعترف المؤلف بأن الوصول إلى هذا التعدد في المعنى غير سهل، ويفرض التأملَ والنظرَ في اللفظ في اللغتين العربية واللاتينية، ويفرض أيضا

---

1 ينظر في هذا القسم الأول : المواد اللغوية المركبة، (ص. 34-356).
2 ينظر في هذا القسم الثاني: المواد اللغوية البسيطة، (ص. 357-430).

التأملَ والنظر من أجل الإصابة في ترتيب المواد اللغوية في فواصلها. والواقع أن الناظر في هذا الجهد الذي بذله المؤلف، يلاحظ أن ما توصل إليه تكتنفه صعوبة كبرى، فأصول المعاني المشتركة قد لا تتمثل في اللفظ اللاتيني إلا في حرفين مرتبين أو غير مرتبين داخل كلمة قد تفوق الخمسة أو الستة أو السبعة حروف، مع مقابلات أخرى قد تكون حروف حلق (هـ. ح. ع) أو حروف لين (و.ي.ا)، مما لا يستطيع الوصول إلى كنهه حتى المتمرس في البحث اللغوي. على أي فإن الوصول إلى هذا السر مكّنَ من:

الفائدة الثالثة وهي: **امتلاك اللغة الأصلية**

التمكن من هذا المنهج الذي ينظر في الأصول العربية واللاتينية يمكن الباحث اللغوي من استخراج الحروف المشتركة المبهمة في المقابل اللاتيني، سواء كانت حروفا حلقية أو حروف لين، أو تلك التي انبثت داخل اللفظ اللاتيني المثقل بالزيادات وهي مرتبة وغير مرتبة. ويرى المؤلف أنه هو وحده اكتشف هذا السر وأبدع هذه الطريقة التي توصل إلى "امتلاك اللغة الأصلية".

الفائدة الرابعة: : **تطوير سريع للغة العربية**

طريقة الأستاذ محمد بن عبد الجليل بلقزيز قد أزالت الفواصل الموجودة بين اللفظ العربي واللفظ اللاتيني، بل جعلت من اللغتين لغة واحدة بعد معرفة القوانين التي تتدخل في تغيير النطق أو زيادة الحروف أو تغيير ترتيبها، وبذلك صار في الإمكان نقل المصطلحات العلمية المستعملة في اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، لأنها منها وإليها، بعد تطبيق المنهج الذي اقترحه لكشف اللفظ المشترك والمعنى المشترك أصلا في اللغتين.

بهذا الاكتشاف يصل المؤلف إلى حقيقة أساسية، تعتبر عنده نصراً، في جهده اللغوي، فإدراكه لعبقرية اللغة العربية مكنه، من معرفة "القدرات الواسعة للغة العربية واستعدادها غير المحدود لاستيعاب البحوث العلمية"- ويضيف قائلا- "وما أشك أنها أقدر اللغات الشرقية القديمة على الاتصال بالفكر الغربي

وهضمه وتجاوزه".

"هي لغة سامية بصورها وقوالبها، وهي آرية بمادتها. هي إذاً لغة شرقية وغربية في آن واحد، هي لغة سامية وآرية في آن واحد". (ص. 13).

ويعتبر اللغة العربية لغة وسطاً بين اللغات، ويذكر بأنا أمة وسط بين الأمم في الدين، ونحن أيضاً أمة وسط في اللغة، "وسط بين حضارات شرقية وغربية، نحن أمة قد تمثلت في الماضي فضائل الحضارات الشرقية القديمة، وحاضراً تكتسب مؤهلات لا تملكها غيرها من اللغات لاستيعاب فضائل الحضارات الغربية، ولبلوغ أوج الحضارة الإنسانية الحالية في مجمل العلم والصناعة وفي كل مجال معرفي". (ص. 13).

بهذه المقدمة النظرية المركزة المليئة بحب اللغة العربية والغيرة عليها والافتخار بعبقريتها، يفتتح المؤلف كتابه الفريد هذا في تأثيله وتحليله وتنظيره. فما هي المادة اللغوية التي شغلت المؤلف في بحثه الأنموذج هذا؟ ونقصد هنا بالأنموذج شيئين اثنين: إنه أنموذج في طريقة لم يتبعها غيره، وأنموذج لأنه لم يقدم إلا عينة من اللغة العربية وعينة من اللغة اللاتينية لم تتعد مائتي "أصل" من اللغتين العربية واللاتينية من بحر زاخر في اللغتين.

إذاً سيشتغل المؤلف في كتابه على عينة محدودة من اللغتين، لا تتجاوز مائتي أنموذج. اعتمد في اقتنائه "الأصل" العربي **لسانَ العرب** لابن منظور، واعتمد في اقتنائه "الأصل" اللاتيني معاجم مشهورة متداولة اليوم في مجال البحث اللغوي اللاتيني[1].

---

1 هذه هي المصادر التي اعتمدها المؤلف في عمله هذا:
ابن منظور، لسان العرب [محمد بن مكرم] دار صادر، بيروت.
عبد الله بن أحمد الأندلسي المالكي، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية.
إدوار غالب، الموسوعة في علوم الطبيعة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
Encyclopaedia universalis, Paris
Dictionnaire Larousse du 20ème siècle.
F. Gaffiot, Dictionnaire latin français, Hachette.
A. Gariel, Dictionnaire latin français, Hatier.
E. Decahors, , Dictionnaire latin français, Hatier.

ومهد المؤلف لبحثه بتبيان الحروف المتقابلة في اللغتين العربية واللاتينية، فبدون الوقوف عند هذه الحروف ومعرفة طرق تبادلها وتعاورها يصعب الوصول إلى كُنْه عمله، بل يستحيل فهم ما اتبعه من اختيار ومقابلات في جماع بحثه هذا. ومعرفة أسرار تقابل الحروف هي المفتاح للطريقة المبتدعة، ويبدأ بمقابلة الحرفين، أي الحرف العربي والحرف اللاتيني.

الحروف اللاتينية والحروف العربية

تنقسم الألفبائية اللاتينية إلى قسمين: صوائت وصوامت، والصوائت هي رموز الحركات: الفتح والضم والكسر، وسماها المؤلف "أوالا" جمع "وأل"، لأنها ترجع صوت الحرف علواً (الفتح الضم) أو سفلا (الكسر)، وقد تأتي في أول اللفظ ومع ذلك لا تعد حرفاً بل تعتبر أوالا، أي يَبْتَدِئ بها اللفظ. ويقابلها في اللغة العربية حروف الحلق والواو والياء و[الألف[1]]، وهذه عربية محض، أضافها العربي[2] عندما عرب اللفظ اللاتيني لتحسينه.

وبعدها **حروف المد** "وهي التي يضاعف فيها الحرف الحركة، وقد يقابلها في اللغة العربية حرف حلق أو حرف لين، مثل Ae = ح. و. ع (أنظر الفقرة **I**

حروف صوتية [صوامت] وهي غير الحركات.

الحروف الذوالق وهي L.M.N.R .تقابلها في العربية أمثالها. ومن المقابلات:

بـ b، **فـ f** ، وقد تعوِّض حروفا أخرى.

تـ ثـ د ذ ط ض ظ، يقابلها في الحروف اللاتينية أحد حرفين **d t** "وقد يكرر بصورته أو بصورة أخرى من المجموعة".

---

1 لم يدرج المؤلف الألف فهو إضافة منا.
2 يفترض المؤلف هنا أن اللفظ العربي مقترض من اللاتينية.

ولم تتضح بعد للمؤلف المقابلات اللاتينية للحروف العربية **س ش ص ز**

وأهم الأشياء التي يجب أن يُنتبه إليها في هذه الطريقة، هي أن الحروف الموجودة في اللفظ العربي، عندما توجد في مقابل لاتيني، فهي قد تأتي مرتبة متوالية أو مختلفة أو متباعدة داخل اللفظ اللاتيني المقابل للعربي، والأعم أنها تأتي في وضع مخالف لما هو في المقابل العربي، وتكون الحروف المشتركة في اللفظين العربي واللاتيني غير متساوية، فاللفظ اللاتيني أكثر حروفا ولا يكوِّن فيه المشتركُ إلا جزءا من الكلمة مرتبا أو غير مرتب بمقابله الحرفي أو بمتغيراته وهي كثيرة، كما نرى في الأمثلة أسفله .

- الحروف اللاتينية والحروف العربية التي تقابلها[1] **I**
Alphabet latin et Alphabet arabe correspondant

A

الحرف الحركي A في أول المفردة اللاتينية يقابله في العربية حرف حلق
أ- ح- خ- ع- غ- هـ. (A = أ- ح- خ- ع- غ- هـ).

Ae

ح- حامية "ج" حوام (حجر بناء)	Caementum (aem) moellon
و- وجع (بوجع بألم)	Aegre (aeg) avec douleur
و- وجع (وجع ألم)	Aegror (aeg) douleur
عي- إعياء (تعب)	Aerumna (ae) fatigue

حرف المد اللاتيني **Ae** (حرف حركي مضاعف) يقابله حرف **حلق** أو حرف **حلق** مع حرف **لين** (**Ae** = **ح ع و**).

B

بـ - بَقسٌ (نبات)	Buxus (bx)

الباء **B** لا يقابلها في العربية إلا **ب**. (**B**= **ب**).

1 سنورد كل الأمثلة التي أوردها المؤلف لأن ما سبق أعلاه لا يتضح إلا بها.

C

ك- كلس (جِص-صاروخ)	Calx (clx) chaux
ق- قُرط (ما يعلق في الأذن)	Crotalia (crt) pendant d'oreille
ز- جاز (مر مرّاً)	Trajicere (jc) passer
س- نُسْءُ (حبل في بداءَته)	Conceptus (nc) conception
ش- شَعَر (ما ينبت على الرأس)	Crinis (cr) cheveu
ص- صِمْغ (إفراز شجر)	Cummis (cm) gomme
غ- غِنيً (كثرة ما يملك)	Pecunia (cn) fortune
خ- خرَّ (سقط)	Corruere (cr) s'écrouler
ج- جرى (أسرع)	Currere (cr) courir

الحرف اللاتيني أعلاه C يقابله في العربية ك- ق- ز- س- ش- ص- غ- خ- ج.
(C = ك- ق- ز- س- ش- ص- غ- خ- ج).

Ch

ش -شراحة (بَطُّ العضو لإصلاحه)	Chirurgia (chr) chirurgie
س- سِلِهام	Chlamys (chlm) chlamyde
خ-خَيِّر(طيب أو أفضل من غيره)	Pulchre(chr)trés bon
ك- كَمادَرْبوس (نبات)	Chamaedrys(chmdrs)germandrée

الحرف اللاتيني أعلاه Ch يقابله في العربية ش- س-خ-ك.(h = ش- س-خ-ك).

D

ت- تَبَّ (هلك)	Deperdere (dp) perdre
ث-ثفأ(ثفأ القِدْر مثلا)(أبردها وهي تغلي)	Defervere(df)cesser de bouillir
ط- أثبَط (أثبطه المرض، لم يكد يفارقه)	Tabidus (tbd) phtisique
د- مأدبة (أدْبَة ومأدبة: طعام لدعوة)	Dapis (dp) banquet
ذ- ذاق (تعرف على الطعم)	Degustare (dg) gouter
ض- هضم (هضم حقوق: الإضرار بها)	Damnum (dm) tort
ظ- أظهر (أبان)	Edere (dr) faire voir-montrer-exhiber

الحرف اللاتيني أعلاه D يقابله في العربية - ت-ث-ط-د-ذ-ض-ظ. (D= ت-ث-ط-د-ذ-ض-ظ).

E

أ- أفرَ (غلى غليانا)	Effervescere (fr) bouillonner
ح- حفر (ثقب لتهيئ حفرة)	Efforare (fr) percer
ع- عالٍ (مرتفع-سام)	Elatus (el) haut
غ- غَلول (ما ذُقتُ غَلولا= طعاما)	Epulum (ul) aliment
هـ- هَبّ (انتبه من نومه)	Evigilare (ev) se réveiller

الحرف اللاتيني أعلاه E يقابله في العربية أ-ح-ع-غ-هـ.(E = أ-ح-ع-غ-هـ).

F

ف- فاصوليا (لوبياء)	Faséolus (fsl) haricot

الحرف اللاتيني أعلاه **F** يقابله في العربية مثله **ف (F= ف)**.

G

ج- جَليد (ماء متجمد)	Gelida (gld) eau froide
خ- أخْنى (ولَدَ)	Generare (gn) enfanter
غ- غَنْغَرِينَة (تآكل في البدن من عفن...)	Gangraena (gngr) gangrène
ق- خَنَق (عصر مجرى النفس...)	Angere (ang) etrangler

الحرف اللاتيني أعلاه **G** يقابله في العربية **ج-خ-غ-ق. (G= ج-خ-غ-ق)**

H

ح- حارَ (تردد)	Haerere(hr)hésiter-être embarrassé
خ- خبا (خبا النور: خَفَت ضوءه)	Habescere(hb)s'émousser-perdre son ècla
ع- عبري (ينتمي إلى العبريين...)	Hebraicus (hbr) des bébreux
غ- غَرِيَ (لصِق)	Haerere (hr) être adhérent
هـ- هالة (حلقة انعكاس ضوء تحيط كوكبا	Halos (hl) halo

الحرف اللاتيني أعلاه **H** يقابله في العربية **ح-خ-ع-غ-هـ.(H = ح-خ-ع-غ-هـ)**.

أ-ألِقَ (تألق تألقا)(برق بروقا ولمع لمعان	Illucere (ilc) luire
ع- عانَة (منبت الشعر فوق القُبُل)	Inguen (in) aine - bas ventr
هـ هجر (هجر بلاده تركها اغيرها)	Emigrare (igr) émigrer
ح- حَمِيَّة (غضب، أنفة، هيجان)	Impetus (im) impétuosité

الحرف اللاتيني أعلاه **I** يقابله في العربية أ-ع-هـ-ح.(**I** = أ-ع-هـ-ح).

Ie

ي- يسوع (النبي عيسى (ع))	Iesus (iesu) Jésus

حرف المد أعلاه **Ie** يقابله في العربية ي. (**Ie**= ي).

J

Jubere (jbr) commander	ج- جبر (ألزم)
Jugare (jug) unir –marier	ز- زوج (تَزَوّج: ارتبط بأنثى للإنجاب)
Jacere (jc) être bas	خ- خَسَّ (سَفُل)
Judaicus (jud) judaïque	ي- يهودي (....)

الحرف اللاتيني أعلاه J يقابله في العربية ح-ز-خ-ي.(J = ح-ز-خ-ي).

L

Lapsus (Ips) faute	ل- لبْسٌ (خطأ)

حرف اللام L هو من الذوالق ولا يقابله في العربية إلا ل.(L = ل).

M

Macerare (mer) macérer	م- مَقرَ (نَقعَ)

حرف الميم M هو من الذوالق ولا يقابله في العربية إلا م.(M = م).

N

Navare(nvr)faire avec empressement	ن- نَفرَ (عمِل أو خرج مسرعا)

حرف الميم N هو من الذوالق ولا يقابله في العربية إلا ن. (N= ن).

O

Obsidere (obs) assiéger – investir	ح- حبس (حبسه سجنه)
Odor (odr) parfum	ع- عِطْر (رائحة طيبة)
Operculum (opr) opercule	غ- غِفارة (ما يستر به رأس الشيء)
Joculus (ocl) plaisanterie	هـ- هَزْل (ضد الجد)
Os (os) visage	و- وجه (ما بين الأذن طولاً والأذن من الرأس عرضاً وبين منابت الشعر والذقن)

لحرف الحركي أعلاه O يقابله في العربية حرف حلق أو لين.(O=ح ع غ ه و).

P

Pastinator (pstn) ouvrier qui travaille à la houe	ب- بستاني (من يعمل بالفأس ويسعى لغرس النبات والعناية به
Purpura (prpr) pourpre	ف- فرفير (صبغ أحمر قد يستخلص من المُرّيْق)

الحرف اللاتيني أعلاه P يقابله في العربية ف أو ب(P= ف أو ب).

Q

Quadrare (qdr) tomber juste	ق- قدّرَ ([قدر الشيء فصادف])
Aequare (qua) égaliser	س- سَوّى(سواه جعله متساويا أي غير متعادٍ بحيث لا تعدو جهة في العلو جهة أخرى)

الحرف اللاتيني أعلاه Q يقابله في العربية ق أو س.(Q = ق أو س).

R

ر- رد (إرجاع الشيء)	Redditio (rd) action de rendre

الحرف اللاتيني أعلاه **R** يقابله في العربية ر. (**R**= ر).

S

س- سُلُوٌّ (الغفلة عما يكدر ويحزن)	Solatium (sl) consolation
ش- شَرِبَ (تناول سائلاً فطعمه)	Sorbere (srb) boire
ص- صَلْد (شديد غير لين)	Solidus (sld) solide
ز- بِزَّة (ثوب)	Vestis (vs) vêtement
ج- (فجٌّ) (واسع)	Vastus (vs) vaste

الحرف اللاتيني أعلاه S يقابله في العربية **س أوش أو ص أو ز أو ج**، وتعتبر هذه الحروف –عند المؤلف- مكونة لمجموعة خاصة من الحروف العربية، وهي متقاربة المخرج كما ترى. (**S**= **س أوش أو ص أو ز أو ج**).

T

ت- تابوت (خيمة)	Tabernaculum (tb) tente
ث - ثبَط (أثبَطه المرض، أنحله ولم يكد يفارقه)	Tabidus (tbd) phtisique
د- دافيء (بين الحار والبارد)	Tepidus (tp) tiède
ذ- ذاب (انحل بالحرارة)	Tabescere (tb) fondre
ط- طلع (أطلعه رفعه)	Tollere (tl) soulever
ض- ضريبة (خراج....)	Tributum (trb) tribut
ظ- ظئر (مرضع)	Nutrix (tr) nourrice

الحرف اللاتيني أعلاه **T** يقابله في العربية **ت- ث د- ذ- ط- ض- ظ**. (**T**= **ت- ث د- ذ- ط- ض- ظ**).

TI

س- مسْخ (تغير الصورة)	Deformatio (mti) déformation
ش- شِيَّة (عيب)	Vitium (tiu) défaut
ص- وصم (عيب)	Vitium (tim) défaut
ج- جأي، جوى: أنتن. جُؤْوَة: نَتْنٌ	Graveolentia (tia) puanteur
ق- حمق (فقدان العقل)	Dementia (mti) folie
ك- بُنْكٌ (بنك الشيء خالصه)	Substantia (bnti) substance
ض- قضاء (إنجاز الشيء وتحقيقه)	Functio (cti) accomplissement

الحرف اللاتيني أعلاه **TI** يقابله في **العربية** **س- ش- ص- ج- ق- ك- ض**. (**TI**= **س- ش- ص- ج- ق- ك- ض**).

U

Uberare (ubr) fertiliser	أ- أبّر تأبيرا (لقح)
Urere (ur) bru1er par le feu	و- أورى إيراء (أحرق بالنار)
Habitudo (ud) habitude	ع- عادة (إجريا: كيفية يتحقق بها الفعل كل مرة
Usurpare (usp) usurper	غ- غصب (غصبه... سلبه)

الحرف الحركي أعلاه U يقابله في العربية حرف حلق أو لين. (U=أ و ع غ).

V

Vador (vd) promettre	و- وعد (جعله يأمل أمرا وينتظره)
Vipera (vi) vipère	ح- حية (...[زاحف] ..من ذوات السموم)
Varicare(vrc)écarter les jambes	ف- فرق (فرق رجليه، أبعد بينهما)
Vis (vs) force	ب- بأس (شدة وقوة)

الحرف اللاتيني أعلاه V يقابله في العربية و-ح-ف-ب. (V= و ح ف ب).

X

Calx (clx) chaux	س- كِلس (جِص، صاروخ)
Exilis (xl) maigre	ز- هزيل (نحيف)
Capax (px) ample	ج- فجٌّ (عريض)

الحرف اللاتيني أعلاه X يقابله في العربية س-ز-ج. (X= س ز ج).

X-cs

Exponere(x=cs) raconter	قص- قصَّ (حكى)
Lanx(x=cs)plat(ustensile)	قص-قِصعة ج قصاع صحن كبير عريض)
Bombyx(x= cs) bombyx	قز- قزّ (دودة القز)
Onyx (x = cs) onyx	جز- جزع -جزيز (عقيق)
Nux (x = cs) noix	جز- جوْز (فاكهة)
Expansio (x = cs) expansion	صك-أصُك الأذن:قوفُها أي جهتها المستعرضة
Expansio (x = cs) expansion	سك- إسكَة (إسكة الفرج: شفته الخارجية، وهي مستعرَض غشاء البظر)
Expeditus (x = cs) alerte	سج- واسِج (سريع)
Sexus (x = cs) sexe	كس- كُسٌّ (فرج)
Mixio (x = cs) mélange	زج- مزيج (خليط)
Vexamen(x=cs)secousse	زز- زعزعة (تلتلة-قلقلة

في الأمثلة أعلاه لا يتبين التقابل إلا مع اعتبار الحرف اللاتيني محلولا ومؤتلفا من حرفين

Z

ز- زُنَّار (الزَّنَّار: صانع مناطق) Zonarius (znr) fabricant de ceintures

هذا الحرف **Z** لا يقابله في العربية إلا مثله وهو ز (**Z**= ز).

بعد هذه النماذج التي عرضها المؤلف لبيان أنواع التقابلات الحرفية الموجودة داخل اللفظ العربي واللفظ اللاتيني، وفيها متقابلات صوامت وأخرى صوائت، ينتقل إلى عرض نماذج أخرى وهي مفردات عربية رتبت حروفها ترتيباً مخالفاً لترتيب حروف المفردات اللاتينية، والمفردتان معا تؤديان نفس المعنى. (63 مفردة في اللغتين). وقد قدم هذه النماذج ليتبعها بـ"بيان الإشارات المستخدمة للتعريف بالحروف المتقابلة في المفردة العربية واللاتينية" (ص. 27-28).

الوقوف عند هاتين الصفحتين ضروري، فبدون فهم مضمونهما فهما جيداً، يصعب تتبع طريقة التحليل التي اتبعها المؤلف في إيجاد اللفظ العربي اللاتيني والعكس. وبعد ذلك، وتقريبا لفهم القارئ - ويجب أن يكون من المختصين- قدم ثلاث قوائم في 30 أنموذجا تمثل إمكانية التقابل:

المجموعة الأولى: مثل للحروف المتقابلة على التوالي في المفردة العربية واللاتينية، مثل:

1- ضعيف = Defectus(affaibli) **(dعيf)** "ض[عيـ]ف".

انقلب حرف الحلق عـ إلى إ مكسورة وحذف حرف اللين ي[1].

2- أفرَ: غلى غليانا = **Effervescere: (bouillonner) (أfr)** [أ]فر.

انقلب حرف حلق من أ إلى إ (E).

---

1 وضعنا نحن الأنموذج بهذا الشكل ليسهل على القارئ فهم المقصود.

3- عال: مرتفعُ= Elatus: (haut) (ع‍el). [عـ(يـ)]ال.

سقط حرف الحلق وأميل الفتح إلى الكسر.

4- هجر: هجر بلاده: فارقها=Emigrare: émigrer (gr[أ]هـ). **[هـ](إ)جر.**

انقلب حرف حلق من هـ إلى إ (I).

5- نَتْنٌ: [ذو] رائحة كريهة=Graveolentia :mauvaise odeur (ntن) **نتـ[ن].**

حذفت النون. ربما للوقوف عليها بالسكون، والنون الساكنة تحذف.

6- حبس: حبسه: سجنه= Obsidere :assiéger (Obs[ح]) **[حـ](أ)بس.**

انقلب حرف الحلق من حـ إلى أ.

7- وجه (...) =Os: visage (Os(h)) **وجـ[ـه].**

انقلب حرف اللين و ضما O وانقلبت **ج** لتصير S لقرب المخرج.

وحذفت ال**هـ** لأنها حرف بعيد في قعر الحلق.

8- ذاب: انحل بالحرارة=Tabescere : fondre **(T(ذ)ab) ذ(تـ)اب.**

ذ و**ت** T كلاهما من أسلة اللسان، ولذلك يسهل تبادلهما.

9- طلع: أطلعه: رفعه= Toller : élever (Tlع) **طل[ع].**

ط و **ت** صوتان يفرق بينهما الترقيق والتفخيم، ويسهل بناء عليه تبادلهما، والـ ع حرف حلق بعيد الغور في الحلق، ولذلك يصعب النطق به.

10- زعزعة: قلقلة: تحريك بعنف = Vexamen : secousse ([ةعـx[عx).ز[ع]ز[عة].

صوت x مركب من كـ +س ويقابلان في نطقهما مركبين ومفصولين صوت ز، والعين المكررة في العربية من حروف الحلق البعيدة في الحلق ويصعب نطقها.

المجموعة الثانية: مثل للحروف المتقابلة على العكس في المفردة العربية واللاتينية، [أي تأتي الحروف المشتركة مرتبة من اليمين إلى الشمال في اللفظ اللاتيني]،مثل:

1- ذلق: حاد =Aculeatus : pointu ((ق)cl(ذ)t) **[ذ]ل[ق]**.

ذ أسناني احتكاكي، و **ت T** أسناني انفجاري، و **ق** لهوي أقصى حنكي، انفجاري شديد، و ك **C** أقصى حنكي، انفجاري شديد، لذلك أمكن تعاورهما (تبادلهما) صوتا.

2- كِفِرِّينٌ : داهية= Artificiosus :ingéieux **(rfc) كفر[ين]**

ين، غير موْجودة، ويراد بها في اللفظ العربي المبالغة.

3- أنْجَل: ليل أنجل: ألبس كل شيء ظلمة= Caliginosus : sombre **(lgn[أ])** **[أ]نگ(جـ)ل.**

أ زيادة في الصيغة العربية.

6-[1] سفينة: مركب بحري = Navis :embarcation **(n(ف)vs) سـ(ف)[يـ][نـ][ة].**

ف و V من مخرج واحد تقريبا.

المجموعة الثالثة: مثل للحروف المتقابلة على غير ترتيب في المفردة العربية واللاتينية، مثل:

1- بَطَلٌ: لا يهاب الحرب=Bellator : guerrier **(Blt)** [بلط].

تعاور الحروف وتبادلها الأمكنة.

3- درس: تعلمَ=Ediscere : savoir-apprendre à fond **(dsr)** [رسد].

تعاور الحروف وتبادلها الأمكنة.

---

1 الرقم هنا هو رقم المثال في الكتاب، ولن ننقل هنا كل الأمثلة التي أوردها المؤلف في هذه الفقرة، وعددها 10، إنما نكتفي بما يبلغ المقصود، وهو تقديم طريقة المؤلف في البحث والتقصي.

7- بَطَل: ...لم يعد معمولا به...=Obsolétus : suranné (blt) [**طلب**].

تعاور الحروف وتبادلها الأمكنة مع مقاربة المخارج.

9- زرف: ...الجرح انتقض=Solvere : désunir (Svr) [رف(ف)س(ز)].

تعاور الحروف وتبادلها الأمكنة (ز1-ف3-ر2) مع مقاربة المخارج.

ظَفَرٌ: نصر= Victoari : victoir (Vtr) [**ق(ف)ت(ظ)ر**]

تعاور الحروف وتبادلها الأمكنة (ظ1-ف3-ر2) مع مقاربة المخارج.

يعد المؤلف كل هذه النماذج المختلفة- (تقابلات حرفية، التراتيب المختلف داخل اللفظين العربي واللاتيني)- مدخلا ضروريا ومساعدا لفهم طريقته في مقابلة الألفاظ في اللغتين، وبعدها يبدأ معجمه التحليلي المقارن بـ القسم الأول:

المواد اللغوية المركبة، والمقصود بها الألفاظ ذات الدلالات العامة المتكاثرة، سواء في لفظها العربي أو اللاتيني، وقد اختار في كتابه هذا مائة لفظة عربية من لسان العرب بالدرجة الأولى ومن أمهات المعاجم اللاتينية التي أشرنا إليها في إحالة سابقة، والألفاظ الأصول المختارة هي: أثر (19 [20][1])،أثم 4، أجر 7، بدد 17، بسر 19، بضض 11، ترر 18، تعس 4، تلل 16 ، ثج 5، ثرر 7، ثول 12، جلا 15، جنح 10، جنن 21، جوب 10، حبر 24، حبل 14، حجب 9، حقب 11، خدج 6، خصب 10، خضل 7، خلج 29، درأ 22، درس 26، دهر 10، ذلق 11، ذنن 7، ذوب 13، رزز 9، رقن 8، رنق 15، زجل 15، زرق 10، زقق 9، سبأ 17، سفن 6، سكك 20، سنع 4، شبل 4، شرح 20، شرخ 10، شكم 5، صهى 8، صوح 12، صيص 4، ضخم 5، ضعف 10، ضيق 16، طرر 24، طنفس 3، طوس 10، ظئر 8، ظرر 3، ظفر 10، عثا 6، عرب 28، عرر 43، عقق 26، غبر 18، غسق 6، غنج 6، غيل 17، فأر 9 ،

1 يعني الرقم هنا عدد الفصائل، أي المعاني المتعددة لكل لفظ، سواء في العربية أو اللاتينية.

فأس 4، فلل 20، فلك 5، قرح 30، قرص 8، قلل 17، قمط 7، كحل 9، كفر 25، كنف 13، كوكب 14، لجف 5، لدد 11، لفف 14، لين 4، مجن 9، مقر 6، ملخ 17، مور 7، نجل 25، نخر 6، نصص 17، نصل 9، هجر 22، هدم 15، هزل 7، هوي 25، وحف 11، وري 16، وزغ 4، وشى 15، يسر 18، يفع 4، يقظ 4،ينع 4.

هذه مائة لفظة أصول تقابلها ألف ومائتان وأربع وعشرون فصيلة (1224).

دراسة مفصلة مقارنة شغلت من الكتاب ثلاثمائة وواحداً وعشرين صفحة (من صفحة 35 إلى 356).

نأخذ أنموذجاً الأصلَ الأول" أثــر"

1- الدلالة العامة

1) علّمه بعلامة. 2) بقي منه بقية. 3) تبعه تبعية. 4) أصْل. 5) صانه صيانة. 6) دام مدة. 7) ألح إلحاحا. 8) نشر نشرا. 9) قصّة-تاريخ. 10) نشر نشرا أو قصة وتاريخ أو بقي منه بقية. 11) مكرمة فضيلة. 12) اعتبره اعتبارا-احترمه احتراما. 13) أفضَلَ-خير. 14) استبد بالشيء. 15) كثر كثرة. 16) عزم عزما. 17) برق برقا. 18) استخرجه استخراجا. 19) سابقٌ عليه. 20) حال شديدة-قسوة.

2- المعجم اللاتيني

(1) notare (tr) marquer (2) restare (tr) rester (3) sector (tr) suivre (4) mater (tr) origine (5) protegere (rt/tr) protéger (6) constare (tr) durer (7) constare (tr) persister (8) emittere (tr) publier (9) historia (tr) récit histoire (10) emittere (tr) publier ou historia (tr) récit ou restare (tr) rester (11) virtus (rt/tr) vertu - mérite (12) considerare (tr) considérer -

estimer (13) potior (tr) meilleur - préférable - (14) trahere (tr) tirer à soi - (15) scatere (tr) abonder (16) decidere (tr) décider (17) renidere (tr) luire (18) extragere (tr) extraire (19) anterior (tr) antérieur (20) atrociatas (tr) atrocité.

3- النص اللغوي

الأثيرة من الدواب العظيمة الأثر في الأرض بخفها أو حافرها بينة الإثارة. الأثرة أن يسحى باطن خف البعير بحديدة ليقتص أثره. أثرَ خُفٍّ البعير يأثُره ُأثرا وإثرة حزه . والأثر سِمة في باطن خف البعير يقتفى بها أثره، جمع أثُور. والمئثرة والثُؤْرور حديدة يؤثر بها خف البعير لتعرف أثره في الأرض . الأثر ما بقى من رسم الشيء. أثرْته وتأثرته تبعت أثره. التأثير إبقاء الأثر في الشيء. أثرَ في الشيء ترك فيه أثرا. والآثار الإعلام. قال الزجاج في قوله تعال " أثارة من علم". الأثارة في معنى العلامة، ويجوز أن تكون على معنى بقية من علم. أثر الجرح أثره يبقى بعد ما يبرأ.

2- الأثر بقية الشيء جمع آثار - أثور.(تنظر بقية المادة في الكتاب من صفحة 35 إلى 38).

القسم الثاني:

المواد اللغوية البسيطة

اختار المؤلف مائة مادة بسيطة من **لسان العرب** لابن منظور، وكان بحثه عنها عويصاً، كما يقول، لأنها نادرة إذا ما قيست بالمادة المركبة. وهذه أصو لها:

أسك، أكف، أمع، أين، بأل، بخل، بخنق، بذرق، برأل، برسم، بهق، تمأل، تمهل، تنم، ثوخ، جبب، جردق، جسق، جلفط، جنأ، جوع، جيف، حرمل، حسد، حضل، حنب، حنر، حنظل، خدن، خير، درمك، دمسق، دنس، دنف، دهدر، دوف، ذآي، ذحل، رحض، رزدق، رعظ، رير، ريرق، زئبر، زعنف،

سحك، سرل، سلحف، سندس، شحك، شرشف، شرعف شغز، شمخ، شوظ، صأصل، صعب، صعمر، صطك، ضخ، طرغل، طمث، طوع، ظمخ، ظين، عرصف، عيش، غسل، فجع، فكر، فلور، فهرس، قربس، قرطس، قرنفل، قزل، قسطس، قوط، قيظ، كندل، كهف، لظى، لفظ، لهن، محر، محض، مخ، نخص، نضج، نعظ، نكص، نمرق، نوك، هيق، ورس، وطر، يرنأ، يستعر، يقق، يلق.

أنموذج للطريقة التي نهجها المؤلف في دراسته،

الجذر الأول "أســـــك".

أســـــك

الدلالة العامة: جوانب العضو ومستعرضه

المعجم اللاتيني: Fxpansio (X=CS/ SC expansion

النص اللغوي

الإسْكَتان جانبا الفرْج، وهما قُذَّتاه، وطرفاه الشُّفْران (بن سيدة).

الإسْكَتان شُفْرا الرحم، وقيل جانبيه مما يلي شُفْريه، ج. أسَـــــك وأسْك، امرأة مأسوكة أخطأتْ خافِضَتُها فأصابت غير موضع الخَفْض. (يقصد ههنا أن الخافِضة بدلا من أن تقتصر على محل الخفض، وهو نزع قُلْفَة البُظْر، تعدته فأخذت من الإسْكة شيئا ونزعته، الفعل هو للنزع).

4- الترجمة

إسْكَة (معنى عام)، ج. إسَك: الجهة التي يُستعرض بها العضو:

expansion (d'un organe)

إسكَة (معنى خاص هو معناه في النص)، ج. إسَك (الشفة الداخلة للحَر):

Petite lèvre (de la vulve)

مأسوكة (وصف للأنثى 1 مقطوعة الشفة الداخلية للحر عند الخفاض- يحدث ذلك إذا كانت المُبظرة غير ماهرة):

Qui a perdu la petite lèvre de sa vulve à la suite d'une ablation défectueuse du capuchon du clitoris

دراسة مفصلة مقارنة شغلت من الكتاب مائة وثلاثا وسبعين صفحة (من صفحة 358 إلى 431).

بعد هذه الأصول في مقابلها العربي واللاتيني (494 صفحة) يضع المؤلف معجماً فرنسياً للأصول وفروعها في 281 صفحة، بحيث يحيل أمام كل لفظ إلى رقم اللفظ الأصل في الدراسة ورقم الكلمة الترجمة الفرنسية.

جهد جبار كَمّاً وكيْفاً، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كتب المؤلف الأخرى التي أنجزها من منطلق نظرية هذا الكتاب[1]، كَمّاً: لأنه نيف فيها على العشرة آلاف صفحة، وكيفا: لأنه نقب فيها في المعجم العربي التراثي واستخرج منه ما استخرج ليضعه في موازاة مع اللغة اللاتينية باعتبارها متكأ المصطلح العلمي الغربي، وثلّثَ ذلك بمقابلة الكل باللغة الفرنسية لغة ومصطلحا. أربعون سنة من الجهد المخلص، قضاها الأستاذ محمد بلقزيز، ليبين قدرة اللغة العربية، بل تفوقها على غيرها في صناعة المصطلح العلمي المعاصر. جهاد يفند به دعاوى من يتهمون اللغة العربية بالعجز عندما يتعلق الأمر بلغة العلم، بل ذهب بعيدا ليبين أن اللغة اللاتينية ما كان لها أن تكون ما كانت، عندما نمّتْ وطورت المصطلح العلمي الغربي، لولا اللغة العربية. فاللاتينية، حسب رأيه، فرع من العربية ورثت كل عراقتها وأثقلت نفسها بزوائد اللفظ والكَلِم، مما جعلها تخفي أفضال اللغة العربية عليها. رأي يستغربه الكثير من الناس، حتى من يهتم منهم باللغة

---

1 ألف المؤلف قبل وبعد تأليف هذا الكتاب المعاجم التأثيلية التحليلة الآتية "العين: تشريح وعلل"، "مدخل الطريقة العربية الجديدة للتحليل اللغوي"، "الطريقة العربية الجديدة للتحليل اللغوي" (725 صفحة)، "تشخيص الصيغ اللغوية في اللغة العربية، بطريقة التأثيل" (جزآن 808 صفحة)، "الكليات لابن رشد": تحقيق النص مع مقدمة بالعربية والفرنسية (406 صفحة)، "مصطلحات العلل في المراجع العربية الأصيلة، بطريقة التأثيل" (3 أجزاء 1082 صفحة)، "مصطلحات العلاج في المراجع العربية الأصلية، بطريقة التأثيل" (جزآن1114 صفحة)، "مصطلحات التشريح في المراجع العربية الأصيلة، بطريقة التأثيل" (جزآن 712 صفحة)، "الحيوان: مصطلحات عامة في المراجع العربية الأصيلة، بطريقة التأثيل (جزآن). وطبع جل هذه المؤلفات في مطبعة النجاح الجيدة بالبيضاء، وطبع بعضها في مطابع أخرى. ومن مؤلفاته التي تنتظر الطبع "الألوان في اللغة العربية بطريقة التأثيل"، "الأصباغ في اللغة العربية بطريقة التأثيل"، "الحيوان أسماء الأجناس والأنواع بطريقة التأثيل" (ثلاثة أجزاء). زيادة على هذا الجهد، له مشروع طموح في دراسات لغوية تجمع بين "الهندسة المعمارية" و"المعادن" و"الأفلاز" و"الأجسام الكيميائية". وله أبحاث علمية رصينة شارك بها في محافل أكاديمية وترجمات في ميدان الهندسة والتعمير.

والمصطلح، غير أن من يقرأ كتابه هذا الذي عرضنا مضمونه "الطريقة العربية الجديدة للتحليل اللغوي"، لا يستطيع إلا أن يسلم له بدعواه. وهذا الكتاب هو أس كل الكتب اللغوية المصطلحية المذكورة في الهامش، فهو النظرية وهي التطبيق، هو الباب لمن يريد أن يعرف أفضال لغة الضاد على غيرها، وبالأخص على اللاتينية، خصوصا وأن مؤلفه وضع نصب عينيه المعاجم القديمة، ثم تفرس جيدا لغة عصر النهضة الغربي: اللاتينية، ودقق الفكر في بناها اللفظية والصرفية، فاستخرج منها السر الغابر، وأولدها ما استبطنته خلال السنين ليجد أصول اللغة العربية ثاوية في الأحشاء، مستقرة في عقول من وضع أثافي عصر الأنوار، دون أن يبوح من صنع عصر الأنوار بذلك. منهاج البحث اللغوي الذي وضع أصوله الفقيه اللغوي محمد بلقزيز فريد في البحوث اللغوية المعاصرة، لأنه لم يأبه بكل تلك الأدبيات التي وضعت اللغة العربية في عائلة، ووضعت اللغة اللاتينية في عائلة. وحتى اليوم، عندما يتكلم الناس عن العوائل اللغوية، يعتبرون الفرنسية والإيطالية والاسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا، أبناء خلصا للغة اللاتينية، فجاء الأستاذ محمد بلقزيز ليبين بالملموس أن المعجم اللاتيني في جُماعه تقريبا، لا يبتعد عن معجم "لسان العرب" فهناك وشائج قربى لا يخفّيها إلا الجهل بعميق اللغتين، وعليه فاللغة العربية أقرب إلى اللغة اللاتينية من أبنائها الخلص. حقائق توصل إليها بمداومة نظر، وحفر في اللغة، وبفراسة مقتفي الآثار. والواقع، فعلى الذي يريد أن يقرأ كتاب "الطريقة العربية الجديدة للتحليل اللغوي" أن يتجلد بالصبر، لأنه وعر ويحتاج إلى صبر وأناة وفهم أولا وأخيراً.

وفي رأينا المتواضع، فإن هذا الكتاب لا يمكن أن يُقرأ ليستجلب به من ينتظر النوم نومه، ولا يمكن أن يقرأه من لم تكن اللغة العربية، بل اللغات، همّه وشغله، فهو للخاصة وليس للعامة، بل لخاصة الخاصة. وهو كتاب يمكن أن تأسس عليه مؤسسة علمية شبيهة بمجمع لغوي، أو مجمع لغوي، يحلق حوله مجموعة ممن البحث اللغوي ميدأنهم وديدانهم، وينكبون على نظريته بوعي وأناة، وخلال سنين، إذا أردنا أن نستفيد منه، وأن نستخرج المصطلح العلمي

والمادة اللغوية العالمة. لقد درس الباحث في كتابه هذا مائتي (200) أصل عربي استخرجها من "لسان العرب" لابن منظور، ومقابلها من الأصول اللاتينية، استخرجها من المعاجم اللاتينية المتوفرة، وحرر مادة المائتي جذر هذه في 725 صفحة، فإذا أخذنا بعين الاعتبار عدد ما تضمنه "اللسان العربي" من أصول، وما تضمنه المعجم اللاتيني من أصول وهي تفوق 35000 مدخلا، فإننا نعرف حجم المؤسسة التي يجب أن تخلق لتطبق نظرية الكتاب، وكم من باحثين يجب إن يعدوا أنفسهم للنظر في لغتين عريقتين أقامتا كل على حدة، وهما معاً، صرح حضارة وارفة. يُبين هذا الكتاب إلى أي حد اشتركتا في بناء حضارتنا اليوم، ويبين أن مصيرهما، كما ربطهما في الماضي سيربطهما في المستقبل، وسيبرهنان، وهما لغتا العلم والتأمل، على أن الصراع الذي تصوره مهووسو الخوف والخيال، لا يوجد بين الحضارات العريقة، وإنما هو في عقول من قصر فهمهم عن بلوغ مغازي التاريخ. هذا الكتاب يبين بسواد على بياض، أن الحضارات السَّوِيَّة هي التي تتكامل وتتلاقح، وهي التي تتحاب عندما يدعو الداعي إلى نفع الإنسان، وإن من يرى غير ذلك، إنما يتيه في جهل المعرفة، وصحراء العمران، وحماقة العقل. ويعتبر الفصل الموالي أنموذجاً على التكامل الفعال بين اللغات والعلوم، وعلى الرغبة في نفع الإنسان بإفشاء العلم النافع والجهد المخلص.

الفصل الخامس

من المصطلح إلى الترجمة، الطب أنموذجا
هل يمكن تدريس الطب بالعربية؟[1]

كثيراً ما يربط المتنكر للغة العربية والرافض لها فعَلَه هذا، بدعوى فقر اللغة العربية من المصطلح العلمي. ويعتقد هو أو من يعتقد مثله من ذوي اللغات الأخرى ممن أصيبوا بنفس المَسِّ، أن استعمال اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية أو الألمانية أو الروسية أو الإيطالية، حتى في أبسط أمور الحياة، يحل المشكل اللغوي ويضع الأمة في مصاف الأمم العالمة. وقد قصدت تعداد هذه اللغات، لأنها فيما بينها تعيش نفس المشكل، فالإنجليزية في حاجة ماسة إلى المصطلح الروسي في العلم الذي بَرَّز فيه الروس حتى يضع له أصحابُ الإنجليزية مقابله، والروسيةُ في حاجة إلى المصطلح العربي المغربي إذا أراد الباحث فيها أن يكتب عن "البَلْغَة المغربية"، (حذاء تقليدي)، وهكذا دواليك.

إذن اللغة أي لغة، ليست قاصرة في ذاتها، إنها قاصرة بعجز أصحابها في الاختراع، وليس في الاختراع وحسب، بل في العمل في صناعة لغة العلم الذي لم تصنعه، لأنها تستطيع لو أرادت أن تفعل، ما دام المصطلح من حيث هو، لا يرتبط في غالب الأحوال بمسماه. فالذي وضع مصطلح : Mousse / Souris (فأرة) لم يضع في حقيقة الأمر أي مشكل لمستعمل اللغة العربية على سبيل المثال، لأن مسماه لا يرتبط أصلا بصناعة الحواسب، إنه مسمى اخترعه صاحبه من صورة قفزت إلى ذهنه حين وضْعِه المصطلح، نتيجة للأداة التي وضعها وقد اتخذت شكلها من كف يديه أكثر من الفأرة التي لم يكن لها وجود في بيته على الإطلاق. والدليل الأوكد على ما نقول أن ذلك التصور الذي وضع من أجله

---

1 قدم البحث في ندوة الترجمة في المغرب، أي وظيفة وأي استراتيجية؟ ونشر في سلسلة ندوات وزارة الثقافة. مطبعة دار المناهل، 2003، من ص. 135 إلى ص. 149 والنص هنا مزيد.

المصطلح لم يعد قائما في الحواسب الحديثة، فلمس سطح الحاسوب يقوم بنفس مهمة الـ Mousse فيها، ومع ذلك لم تتغير التسمية .

ولو كانت هذه الدعوى، دعوى هجران اللغة لندرة المصطلح، سليمة، لكان العالم على غير ما هو عليه اليوم، ولكانت الحضارة العربية محض ادعاء، ولتأخرت حضارة النسبية والصواريخ والذرة والحواسب وعلم "الجينات"، وغير هذه من العلوم. ذاك أن بنية أوروبا العلمية كلها مبنية على العلم العربي. والعلم العربي، عندما بدأ خطوه لم يهجر لغته لعدم وجود المصطلح المناسب، فلم يتخذ له مثلا اللغة السريانية أو الإغريقية، لغة استعمال، عندما لم يجد مصطلحات كان في حاجة إليها. فأول مترجم لخطابة أرسطو بدأ ترجمته قائلا: "إن الريطورية (الخطابة) ترجع على الدياليقطيقية (الجدل) وكلتاهما توجد من أجل شيء واحد..."[1]. وبشر متى بن يونس القنائي في نقله كتاب الشعر لأرسطو من السرياني إلى العربي ذهب أبعد من ذلك. فقد قال أرسطو في الفصل الأول من كتاب الشعر: "حديثنا في الشعر: حقيقته وأنواعه، ...وكذلك في سائر الأمور التي تتصل بهذا البحث ...فنبدأ بالمبادئ الأولى: الملحمة والمأساة، بل والملهاة والديثرمبوس، [dithyrambe] وجل صناعة العزف بالناي والقيتارة ...". يترجم بشر متى بن يونس الجملة الأخيرة هكذا: "فكل شعر وكل نشيد شعري ينحى به إما مديحا وإما هجاء وإما ديثرمبوس الشعري، ونحو أكثر أوليطيقس..."[2] فقد وضع بشر بن متى مصطلح "المدح" مقابل "المأساة" ومصطلح "الهجو" مقابل "الملهاة"، وترك مصطلح فن العزف على الناي كما هو "أوليطيقس". ولا نعتقد أن هذا كان خطأ مفاهيمياً قبل أن يكون لغوياً.

---

1 أرسطوطاليس، الخطابة، الترجمة القديمة، [تحقيق عبد الرحمن بدوي]، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ص. 3.

2 ترجمة الفقرة الأولى من عمل عبد الرحمن بدوي عن الإغريقية، من كتاب فن الشعر لأرسطو، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص. 3-4. ونشر ع. بدوي ترجمة بشر متى بن يونس في نفس الكتاب. والنص المنقول في الصفحة 85-86. ويعني لفظ "الديثرمبوس" (dithyrambe)، نشيدا كان يغنى في أعياد باخوس إله الخمر عند اليونان. وهذا اللفظ نفسه ليس يونانيا. و"أوليطيقس" يعني فن العزف على الناي.

فالمترجم كان على وعي بأن الفنين الأدبيين الإغريقي والعربي غير متماثلين. ولو فكر في وضع المقابلات اللغوية الحقيقية - وهي غير موجودة على كل حال- لهذه المصطلحات لكان فعله نَشاجاً أو بدون معنى، وكان شبيها بفعل المتحدث الذي قدم زوجة أخيه إلى أحد معارفه الجدد ممن لا يعرفه بما فيه الكفاية، بترجمة من الفرنسية سيئة قائلا: "إليك أختي الجميلة"، يريد بذلك ترجمة العبارة "Ma belle-soeur"، دون أن يشعر بالفوارق الحضارية الخفية، مما جعل هذا الصديق الأجنبي عن حضارته، يظن به الظنون.

لقد قبل ابن رشد في شروحه لكتابي أرسطو فن الخطابة وفن الشعر هذين المصطلحين: "المدح" و"الهجاء" في مقابل "الملهاة" و"المأساة"، واتهمه الكثيرون بعدم الفهم، وهو العارف بالشعر العربي والمتمرس في قراءة أرسطو تمرسا جعل علماء اللاتين يقولون فيه: "شرح أرسطو الطبيعة وشرح ابن رشد أرسطو". إن`المترجمين الأوائل والشراح الأوائل من أعلام أمتنا، وهم علماء في زمانهم، كانوا على وعي بأن اللغة هي حمالة المفاهيم، وأن اللغة الأم هي الأقدر على تبليغ تلك المفاهيم في كل تجلياتها، وأن الإبداع يرتبط دوما باللغة الأم، فلم يتركوا لغتهم عندما أعوزهم المصطلح، إنما أخذوه كما هو ثم طوعوه في علوم أبدعوها. ولو لم يخطوا تلك الخطوة، لظل العرب والمسلمون بدون علم، ولتأخرت أوروبا كثيرا لغياب العلم العربي الجريء. فالجرأة في المشاريع الكبرى الإنسانية فرض عين ولازمة خلقية. وسلامة الطوايا في مثل هذه المشاريع أم الأخلاق.

والواقع أن المنكرين على اللغة العربية قدرتها في الصناعة العلمية اللغوية، اتهموا المصطلحات العلمية العربية، مما أوجده المجتهدون، بالغرابة والحُوشِيَّة، ورأوا في ذلك عجز العربية في صناعة المصطلح. مع العلم أن الصفات الأولى التي يجب أن تميز المصطلح هي غرابته وحوشيته في الاستعمال اللغوي العادي. ونضرب مثالا على ذلك، مصطلحات علم التشريح

الدولية التي اختيرت من غريب اللاتينية بقصد وسبق إصرار، ومنذ كانت وهي نفسها القائمة على الرغم من الثورة التي شهدها هذا العلم.

بل من الطبيعي أن تتميز كل لغة علم بغرابة وحوشية وصعوبة، إذا ما قرأها القارئ بالطريقة التي يقرأ بها القصة والشعر، مع أن هذين اذا كانا إبداعا جيدا، يحتاجان إلى علم النقد الذي لا يمكن أن يكون له وجود دون المصطلح العلمي. إن العلم، أي علم هو معاناة وتجربة ومعبر مَخْبَر، وهذه هي التي تضفي على المصطلح ولغة العلم، السهولة واليسر والرواج. ونلمس ذلك في علومنا التقليدية التي هي أس لغتنا العربية، بل منطلق لغتنا العربية. فقد جاء في كتاب سيبويه "هذا باب حروف أجريت مُجرى حروف الاستفهام وحروف الأمر والنهي، وهي حروف النفي، شَبَّهُوها بحروف الاستفهام، حيث قُدِّم الاسم قبل الفعل، لأنها غير واجبات، كما أن الألف وحروف الجزاء غير واجبة، وكما أن الأمر والنهي غير واجبين"[1]. فهذه فقرة في اللغة العربية، وفي كتاب هو أس التأليف في اللغة العربية، ومع ذلك فهي تحتاج إلى معاناة وتمارين وتجربة لذوقها وفهمها.

استعمال اللغة الأم منطق طبيعي لا دخل له في تقدم العلم أو تأخره. واللغة الأم هي المستعملة في تدريس العلوم عند الأمم الطبيعية، وفيهم أمم لم تُعَان لغتها من العلم العُشْرَ مما عانته لغتنا عندما كانت إنجليزية العصر.

هذا الشعور الأخلاقي الوطني، حث عالمين طبيبين من ذوي الشهرة العالمية في اختصاصهما، ومساعديهما-عندما شعرا بألم العجز المفاهيمي، وهما ينقلان إلى طلبتهما معارفهما، وهي معارف خطرة بكل المعاني، بلغة أجنبية - على الجد في إعادة صناعة الطب العربي إلى مجدها الغابر. إذ لمسا، مع أنهما

---

1 سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، [عبد السلام محمد هارون]، دار الجيل، بيروت، ط. أولى، جـ 1، ص. 154

تلقنا هذا العلم ولقناه بلغة أجنبية وفي جامعات غربية مشهورة تحملا فيها مسؤوليات التعليم ومسؤولية البحث العلمي، أن الأمر الطبيعي، سواء بالنسبة لصناعة الطب، وهي عريقة في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، أو بالنسبة لهما، باعتبارهما يصنعان صنيعهما بتجربتهما الفريدة في كلية الطب المغربية، أن اللغة العربية ضرورة فكرية وأخلاقية ومعرفية، وأنها المنفذ الأسلم، على المدى البعيد، لطلبة أصبح تعاملهم مع اللغة الأجنبية محكوما بكثير من الظروف، دون أن تغيب عنهما أهمية اللغات الأجنبية، وخصوصا الفاعلة منها اليوم، في أخذ المعارف والتجاوب معها بالخلق والإبداع العلمي، وهو ما مثلاه في أبدع الصور. فبدءا، وثلة من رفاقهما مشروعاً طموحاً، بواكره الأولى هي الكتب الآتية:

-CORRELATIONS ANATOMO-FONCTIONNELLES ET IMAGERIE DE L'ENCEPHALE

"علائق التشريح الوظيفي ومَصْوَرات الدماغ"

-ANATIOMIE TOPOGRAPHIQUE ET APPLICATIONS ANATIOMO-CHIRURGICALES).

"التشريح الطبغرافي وتطبيقات التشريح الجراحي"

"معجم العلوم الطبية المصور الثلاثي اللغات" (في عشرة أجزاء في طور الإعداد).

في هذا الإطار نُعَـرِّف في هذا المقالة بالكتاب الأول من هذه السلسلة المباركة، وفي نفس الوقت نشيد بصاحبيه. إذ يعتبر عملهما في كليته، إحياء لمجد تاريخ الطب العربي عندما كان صناعة عربية، لغة وإبداعاً. وثالثة نترجم أنموذجين من الفرنسية إلى العربية، مستعملين في ذلك المصطلحات الثلاثية اللغة التي وردت في آخر الكتاب، لنبين أن أخذ الطب باللغة العربية ليس مستحيلا، شريطة أن يتعمق الطالب لغات أجنبية أخرى، لأنها هي منفذ النظر في كل جديد،

ولأنه باستعمال لغة الوعي واللاوعي أي لغة الأم، واللغات الأخرى، يمكنه أن يشارك في البناء العلمي وأن يكون فاعلا ومنفعلا في نفس الآن .

المؤلفـــات

صاحبا الكتاب إذن هما الأستاذ الطبيب عبد الحفيظ لهلايدي والأستاذ الطبيب محمد جيدان. وهما أستاذان راسخا البحث في جامعتنا المغربية.

أ- الأستاذ الطبيب عبد الحفيظ لهلايدي

تحمل الأستاذ الطبيب عبد الحفيظ لهلايدي مسؤوليات التدريس والبحث العلمي في كلية الطب بجنيف قبل تحمله مهام التدريس والبحث العلمي في الجامعة المغربية، (علم التشريح وجراحة القلب والأوعية). وشرف بأوسمة وجوائز تقديرية هي:

وسام تقدير من جامعة لشبونة (1972) .

جائزة المملكة المغربية الكبرى في العلوم (1986).

وسام تقدير من جامعة مونريال(1987).

الجائزة العلمية لرئيس الجمهورية التونسية (1987).

الجائزة العلمية لرئيس الجمهورية الجزائرية(1989).

الوسام الذهبي للأكاديمية الوطنية الفرنسية للطب(1990).

وسام أكاديمية العلوم بعمان- الأردن (1991).

وهو عضو في اتحاد أطباء التشريح في الجامعات السويسرية، وجمعية الباحثين الشباب السويسرية، والجمعية الأوروبية لأطباء التشريح، والجمعية السوسرية لبحوث الأوعية، وعضو فوق العادة في جمعية البحث في الجهاز البولي السويسرية، والجمعية الأووبية لجراحة القلب والأوعية، والجمعية المغربية لعلوم الطب، والأكاديمية الإسلامية للعلوم، وأكاديمية نيويورك العلمية.

وألف ثمانية عشر مؤلفا جلها في الطب، وعشرات من المقالات الطبية وحوالي مائة وخمسين مشاركة علمية.

من مساهماته العلمية الكتاب الذي نتحدث عنه و:

* ANATOMIE TOPOGRAPHIQUEET APPLICATIONS ANATOMO-CHIRURGICALES, 5 volumes

V.I, (520 pages, 403 schémas et dessins en couleurs, (22x30)

V.II, (520 pages, 321 schémas et dessins en couleurs, (22x30)

V.III, (320 pages, 183 schémas et dessins en couleurs, (22x30)

V.IV, (472 pages, 405 schémas et dessins en couleurs, (22x30)

V.V, (456 pages, 373 schémas et dessins en couleurs, (22x30) Edition Livre Ibn Sina-Rabat-Maroc. 1986.

* CHEMINS DE LA REFLEXION, Edition Edition Livre Ibn Sina-Rabat-Maroc. 1994.

* ANATOMIE TOPOGRAPHIQUE TRILINGE, 2 volumes.

V.I, (720 pages, quadrichromie, (22x30), Edition Livre Ibn Sina-Rabat-Maroc. 2000.

ب- الأستاذ الطبيب محمد جيدان

وتحمل الأستاذ الطبيب محمد جيدان مسؤوليات التدريس والتأطير في مؤسسات جامعية فرنسية ومـــغربية (أشعة الأوعية والأشعة العصبية والتشريح والجراحة العصبية والمُصوَرات بالرنين المغناطيسي (IRM) والتصوير التفرسي (TDM).

وله حوالي خمسين بحثاً أساسياً وسريرياً في مجالات مُصَوَّرات الأشعة العصبية (Imagerie NEUTRORADIOLOGIQUE) في أمراض الدماغ والنخاع الشوكي الفقاري والرأس والعنق. وحوالي مائتي محاضرة ومشاركة في مؤتمرات دولية في حقول علم الأعصاب والأشعة العصبية.

وهو عضو مسئول في الجمعية المغربية لعلوم الأشعة، (S.M.R)، والجمعية المغربية لعلوم الأشعة في علم الأعصاب، والجمعية الفرنسية لعلوم الأشعة، والجمعية المغربية لعلوم الطب، والفيديرالية العالمية لعلوم الأشعة (W.F.N.)، والجمعية الدولية للكشف بالرنين المغناطيسي.

وشارك في مؤلفات في الاختصاص منها الكتاب الذي نتحدث عنه و:

*LES TUMEURS CEREBRALES, Par J.F.PAILLAS, Explorations Neuroradiologique en coll avec G.SALAMON, Masson Paris, 1982.

*"BRAIN ANATOMY AND MAGNETIC RESONANCE" , by A. G Ouaz and G. SALAMON. Le Cortex Sensori- Moteur en IRM Springer-Verlag 1988.

*" BINSWANGERS ENCEPHALOPATHY" by A.GOUAZ and G. SALAMON. Le Cortex Sensori-Moteur en IRM Springe

الكتـــاب

CORRELATIONS ANATOMO-FONCTIONNELLES ET IMAGERIE DE L’ENCEPHALE

وضع المؤلفان الكتاب باللغة الفرنسية في مجلد كبير يتكون من 417 صفحة من الورق الصقيل الجيد، وصدر عن دار ابن سينا، الرباط المغرب، وطبع سنة 1996 في مطابع PRINTEX بمدريد، إسبانيا.

تضمن الكتاب تمهيداً ومقدمة وتفرع إلى ثلاثة أقسام.

علائق التشريح الوظيفي ومَصْوَرات الدماغ.

القسم الأول: الأسس التشريحية الشعاعية للدماغ.

الفصل الأول: تذكير تشريحي لشكل الدماغ.

مدخل

ا- منظر علوي للدماغ.

ب- منظر (وحشي) جانبي للدماغ.

ج- منظر سفلي للدماغ.

د- منظر خلفي للدماغ.

هـ- مقطع سهمي للمخ في منظر إنسي.

و- منظر إنسي في مقطع سهمي مارا بمنجل المخ.

ز- مقطع جبهي للرأس في منظر خلفي مارا بمستوى العمود العنقي.

حـ- مقطع جبهي للرأس في منظر خلفي مارا بالثقب القذالي

ط- مقطع جبهي للرأس في منظر خلفي مارا بالسرج التركي

ي- مقطع جبهي للرأس في منظر خلفي مارا بسنسنات الفقرات العنقية

ك- مقطع أفقي للمخ في منظر علوي مارا بالمركز البيضوي

ل- مقطع أفقي للمخ في منظر علوي مارا بالقرون الجبهية وقذالي البطينين الوحشيين

م- مقطع أفقي للمخ في منظرعلوي مارا بالجسم المخطط

ص- مقطع أفقي للمخ في منظر علوي مارا بسقف البطين الثالث

ع- مقطع أفقي للدماغ في منظر علوي مارا بوسط البطينين الوحشيين.

الفصل الثاني: تذكير بالمفاهيم الأساسية للتصوير التفرسي والمصورات بالرنين المغناطيسي (TDM وIRM)

مدخـــــل

أ- التصوير التفرسي:

أ- المبادئ الأساسية لطريقة التصوير التفرسي.

ب- إنجاز وقراءة الفحص بالتصوير التفرسي (TDM).

ب- الرنين المغناطيسي الإشعاعي (IRM) (رمش).

1- القواعد الأساسية لظاهرة (IRM) (رمش).

ا- تأثير الحقل المغناطيسي الكثيف.

ب- ظاهرة الرنين المغناطيسي الإشعاعي.

ج- الإرخاء

2- تعاقب الذبذبات.

ا- التعاقب بالصدى الدوار(écho de spin).

ب- التعاقب بواسطة لحظة الإرخاء(T1).

3- المصورات بالرنين المغناطيسي الإشعاعي (IRMN).

أ- توضيع حيزي للإشارة.

ب- اختيار مستوى وسمك المقطع.

ج- مجموع الإشارة.

د - المعالم الأساسية في المصورات بالرنين المغناطيسي؟

هـ - طرق أخرى مستعملة في المصورات بالرنين المغناطيسي.

و - فحص جهاز المصورات بالرنين المغناطيسي.

الفصل الثالث: تذكير بتَكَوُّن الأوعية الشريانية للدماغ

أ - مدخـــل

ب - تكوُّن أوعية قشرة المخ.

1- الشريان المخي الأمامي .

2- الشريان المخي الوسطي.

3- الشريان المشيماني.

4- الشريان المخي الخلفي.

ج - تكون أوعية النواة السنجابية المركزية.

د - تكون أوعية الجذع المخي.

هـ - تكون أوعية المخيخ.

الفصل الرابع: تذكير بمناطق الدماغ الوظيفية

I- بنية قشرة المـــــخ.

أ – العيانية.

ب- المجهرية.

1- التضيق الخلوي.

2- التضيق النخاعي.

3- البنية النسيجية للقشرة المخية.

4- المنظم العمودي

II- المناطـــق القشرية.

أ - مناطق الحواس.

1- مناطق حواس اللمس.

ا - منطقة حاسة اللمس الأولية.

ب - منطقة حاسة اللمس الثانوية.

2- منطقة حاسة البصر.

ا- منطقة حاسة البصر الأولية.

ب- منطقة حاسة البصر الثانوية.

3- مناطق حاسة السمع.

ا- منطقة حاسة السمع الأولية.

ب- منطقة حاسة السمع الثانوية.

4- منطقة حاسة الذوق.

5- منطقة حاسة الشم

ب - المناطق الحركية

1- مدخـــــل

ا- المنطقة الحركية الأولية.

- رسم مقاطع الدماغ السهمية

- مفتاح شرح الألوان

- التوضيع الوظيفي على مقاطع الدماغ السهمية

- مدلول الرنين المغناطيسي .I.R.M

الفصل الثالث: التشريح الوظيفي ومصورات الدماغ على شكل مقاطع جبهية

- طريقة إنجاز مقاطع الدماغ الجبهية

- رسم مقاطع الدماغ الجبهية

- مفتاح شرح الألوان

- التوضيع الوظيفي على مقاطع الدماغ الجبهية

- مدلول الرنين المغناطيسي I.R.M

القسم الثالث: مفتاح الصور والرسوم ثلاثي اللغات وبيبليوغرافيا

الفصل الأول: مفتاح الصور والرسوم ثلاثي اللغات

الفصل الثاني: بيبليوغرافيا

الفهرست

هذه مواد هذا الكتاب الغني. غير أن الجديد فيه، بوصفه تأليفاً في الطب المكتوب باللغة الفرنسية، يتمثل في اهتمامه بالمستعمِل العربي اللسان، طالباً أو أستاذاً أو طبيباً. إذ تبرز الأهمية القصوى لهذا المؤلف، فضلا عن قيمته العلمية الأكاديمية المشار إليها، في وضعه النص المكتوب بالفرنسية ومقابله الرسوم واللوحات والمصورات بالرنين المغناطيسي مع مصطلحاتها الفرنسية مرقمة، ليأتي بعد ذلك المعجم الثلاثي اللغات (فرنسي إنْجليزي عربي) مرقماً بنفس أرقام القسم الفرنسي. وهي طريقة موفقة تمكن القارئ من استعماله المصطلحَ في لغاته

الثلاثة بكل يسر، وتعطي للمؤلّف بعداً جامعياً عالمياً. وهكذا يتضمن الكتاب 137 رسماً ولوحة ومصورات بالرنين المغناطيسي مع مصطلحاتها الثلاثية اللغة، البالغ عددها 1983 (ناقص7 لوحات لم يوضع لها معجم). وعدد الكلمات المستعملة في النصوص المقابلة، أي نصوص 130 صفحة، تبلغ حوالي 33000 كلمة. وهذا يؤكد ما بدأنا به الحديث، أي أن الارتباط باللغة الأجنبية بدعوى المصطلح لا يقوم على أساس، لأن المصطلح محدود العدد من جهة- فهو هنا في هذا الكتاب 1983 مصطلحاً في مضمون معجمه اللغوي بلغ 33000 كلمة- وهو ضرورة ومشكل لا تسلم منه لغة من اللغات، كلما اشتغلت بعلم لم يكن الناطقون بها هم الذين ابتدعوه أو أسهموا في إبداعه أو اهتموا بلغته.

ونقدم أنموذجين، نصين أصليين، ويتضمنان اللغة (فرنسية) مع مصطلحاتها الطبية، لنضع بعد كل نص ترجمة عربية (محاولة)، لنرى كيف استُعملت المصطلحات في الأصل والترجمة، ولنبين بأن المصطلح لا يمكن أن يكون عائقاً في استعمال اللغة الوطنية (العربية) في التلقين، ما دام الطبيب متمكناً من لغته العربية ومصطلحه، والطالب مجداً في تداول اللغات الأجنبية، ليكون قادراً على ولوج المعرفة بنفسه، كلما دعا الأمر إلى ذلك. وهذا هو الأسلوب المتبع عند الأمم السَّوية التي تريد أن تأخذ وتعطي، والتي لا ترضى بأن تظل عالة على غيرها.

أنموذج استعمال المصطلح في ترجمة النص، ص18، الرسم 1، ص. 19، المعجم، ص. 282.

RAPPEL ANATOMIOUE DE LA CONFIGURATION DE L'ENCEPHALE

Introduction :

Le système nerveux central se compose de **l'encéphale** (encephalon) et de la **moelle épinière** (medulla spinalis).

L'encéphale comprend tout ce qui se trouve à l'intérieur de la boîte crânienne. II correspond au **cerveau** formé par les **deux hémisphères** et le **diencephale** auxquels font suite le **tronc cérébral** et **le cervelet.**

Contenu à l'intérieur de la **boîte crânienne** (1)[1], l'encéphale est entouré par une capsule fibreuse, la **dure-mère** (2).

La moelle épinière est entourée par la dure-mère et les vertèbres. L'encéphale et la moelle épinière sont enveloppés par les méninges qui délimitent un espace rempli par le **liquide cérébro-spinal** (3) (liquor cerebrospinalis).

Le système nerveux central est protégé, de toute part, par des parois osseuses ainsi que par l'effet amortisseur du liquide cérébro-spinal.

Pour situer les structures cérébrales, les termes utilisés généralement en anatomie sont imprécis du fait qu'il existe plusieurs axes cérébraux.

Les diverses courbures que subit l'encéphale au cours du développement et la station debout de l'homme, ont provoqué une angulation du tube neural :

- L'axe **de la moelle épinière** est approximativement **vertical** (4),
- celui du **prosencéphale** est **horizontal** (5),
- l'axe du tronc cérébral est **oblique** (6).

La situation d'un élément sera définie en tenant compte de ces axes:

- l'extrémité antérieure d'un axe est désignée comme **orale ou rostale** (7),
- l'extrémité postérieure est appelée **caudale** (8),
- la face inférieure est dite **basale** ou **ventrale** (9)
- la face supérieure est dite **dorsale** (10).

Les parties inférieures (de l'encéphale) réalisant la transition avec la moelle épinière sont résumées sous le terme de **tronc cérébral** (11) (truncus cerebri), comprenant :

le **bulbe** (12), **la protubérance** (13), le **quatrième ventricule** (14), le **cervelet** (15), les **pédoncules cérébraux** 16), et **Les tubercules quadrijumeaux** (17).

La partie antérieure est appelée **prosencéphale** (prosencephalon).

Les différentes parties du tronc cérébral ont une structure uniforme. Comme la moelle épinière, le tronc cérébral donne naissance à des nerfs périphériques ou nerfs crâniens.

Le cerveau se compose de deux parties :

- le **diencephale** (18) (diencephalon) entouré des structures interhémisphériques **(corps calleux** (19)**, trigone** (20), **commissures blanches antérieure** (21) **et postérieure** (22)) et comprenant le **troisième ventricule** (23), le **thalamus** (24) les **glandes épiphysaire** (25) **et hypophysaire** (26) ;
- **Le télencéphale** (27) montrant le développement des deux hémisphères cérébraux qui comprennent entre eux le **diencéphale.**

1 هذا الرقم يشير للمصطلح كما هو في قائمة المصطلحات، وهو نفسه في الترجمة العربية.

محاولة ترجمة عربية: النص رقم1. ص. 18 في الكتاب
تذكير تشريحي بهيئة الدماغ

أ- "يتألف الجهاز العصبي المركزي من الدماغ ومن النخاع الشوكي.
ويتضمن الدماغ كل ما يوجد داخل الجمجمة، الذي هو المخ المتكون من نصفي كرة الدماغ البيني، إضافة إلى جذع الدماغ والمخيخ.
ويحاط الدماغ الذي يوجد داخل الجمجمة(1) بحافظة ليفية، الأم الجافية (2).
وكذا يحاط النخاع الشوكي بالأم الجافية والفقرات. ويغلف الدماغ والنخاع الشوكي أغشيةٌ سحائية تحد الحيز المملوء بالسائل المخي(3) .
ويقي الجهازَ العصبي المركزي من كل الجهات، جدارٌ عظمي وكذا السائل المخي الذي يخفف من وقع الإرتجاجات.
والفصْل المستعمل عادة في التشريح غير قادر على تحديد البنيات الدماغية بسبب تعدد المحاور الدماغية.
وقد تسببت التلافيف المختلفة التي حدثت للدماغ خلال التطور وبسبب قامة الإنسان العمودية، في بروز تقاطيع ذات شكل شوكي:
- فمحور النخاع الشوكي هو تقريبا عمودي(4)،
- ومحـور مقدم الدماغ هو أفقي (5)،
- ومحور جذع الدماغ مائل (6).
وتحديد وضع عنصر من هذه العناصر يلزم أخذ هذه المحاور بالاعتبار، إذ:
- يوصف طرف المحور الداخلي بأنه فموي أو منقاري الشكل (7)،
- يسمى الطرف الخارجي ذنبي الشكل (8)،
- تدعى الواجهة السفلى قاعدية أو بطنية (9)،
- تدعى الواجهة العلوية ظهرية (10).
وتكون الأجزاء السفلى من الدماغ الذي على اتصال بالنخـاع الشوكي، مقطعا يسمى جذع الدماغ(11)،
وتتكون من:
البصلة (12) والناشزة أو الجسر (13) والبطين الرابع (14) والمخيخ (15) والسويقات المخية (16) والحديبات الرباعية التوائم (17).
ويسمى الجزء الداخلي مقدم الدماغ.
وبنية أجزاء جذع الدماغ بنية متماثلة. ويتولد عن جذع الدماغ، مثله مثل النخاع الشوكي، ألياف عصبية محيطية أو ألياف عصبية جمجمية.
ويتكون المخ من جزءين:
- الدماغ البيني، (18) وهو محاط ببنيات بين نصفي المخ متداخلة، (الجسم الثَّفَنِي (19) والمثلث (20) والصِّوار الأمامي الأبيض الداخلي)(21) والصِّوار الخلفي (22)) ويتضمن البطين الثالث (23) والمِهاد (24) والغدة الصنوبرية (25) والغدة النخامية (26).
والدماغ الانتهائي (27) يُبْرِز نمو نصفي المخ الكروي الشكل، اللذين يحتويان داخلهما الدماغ البيني".

الرسم المجسم رق 1، ص. 19 في الكتاب

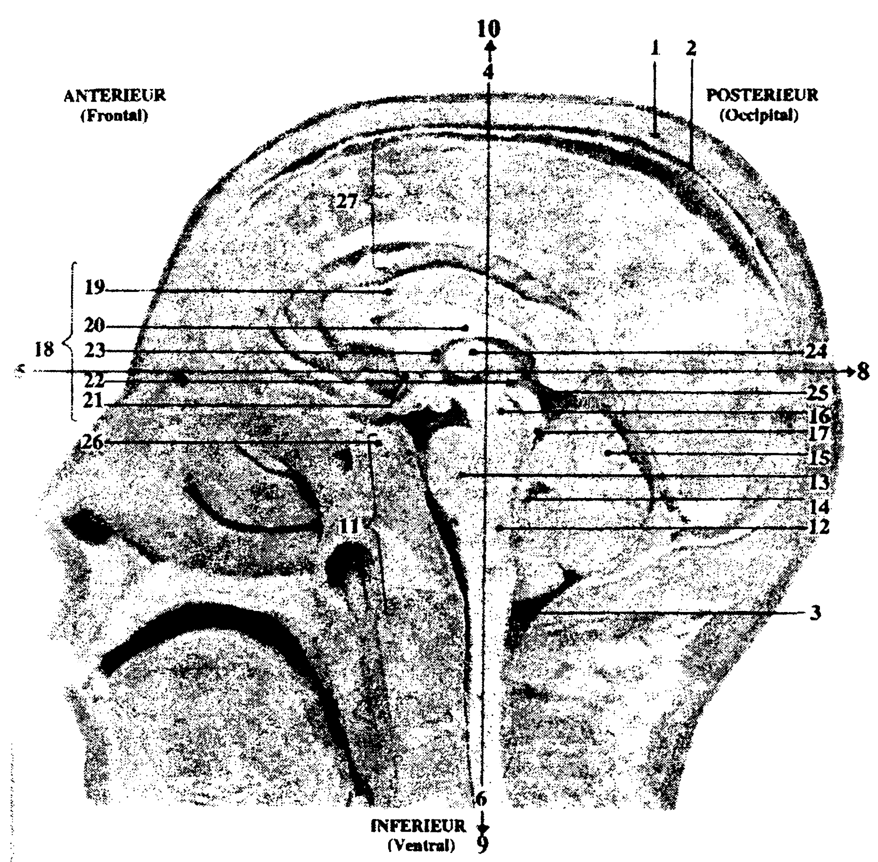


Figure 1 : **COUPE SAGITTALE DE LA TETE EN VUE MEDIALE MONTRANT LES AXES DE L'ENCEPHALE**

Figure 3

	VUE LATERALE DU CERVEAU	منظر وحشي للمخ	LATERAL VIEW OF CEREBRUM
1	Scissure interhémisphérique	الشق المخي الطولاني (مابين نصفي الكرة المخية)	Longitudinal cerebral fissure
2	Lobe frontal	الفص الجبهي	Frontal lobe
3	Scissure de Rolando	التلم المركزي	Central sulcus
4	Lobe pariétal	الفص الجداري	Parietal lobe
5	Lobe occipital	الفص القذالي	Occipital lobe
6	Lobe temporal	الفص الصدغي	Temporal lobe
7	Circonvolution frontale ascendante	التلفيف الجبهي الصاعد	Ascending frontal gyrus
8	Circonvolution pariétale ascendante	التلفيف الجداري الصاعد	Ascending parietal gyrus
9	Sillon post-rolandique	التلم خلف المركزي	Postcentral sulcus
10	Sillon pré-rolandique	التلم أمام المركزي	Precentral sulcus
11	Scissure pariéto-occipitale	التلم الجداري القذالي	Parieto-occipital sulcus
12	Sillon inter-pariétal	تلم بين الجدارين	Interparietal sulcus
13	Circonvolution pariétale supérieure	التلفيف الجداري العلوي	Superior parietal gyrus
14	Circonvolution pariétale inférieure	التلفيف الجداري السفلي	Infrior parietal gyrus
15	Scissure pré-occipitale	الثلمة أمام القذالي	Preoccipital notch
16	Scissure de Sylvius	تلم سلفيوس : التلم الجانبي	Sylvian sulcus (lateral)
17	Fosse latérale	الحفرة الوحشية	Lateral fossa
18	Opercule insulaire	الوصاد الجزيري	Insular operculum
19	Orbitaire	حجاجي	Orbital
20	Frontal	جبهي	Frontal
21	Rolandique	مركزي	Central
22	Temporal	صدغي	Temporal
23	Circonvolution temporale de Heschl	تلفيف هيشل الصدغي	Temporal Hechl's gyrus

تـعليــــــق
في النص الفرنسي الأصلي 355 كلمة[1]، أي أفعال في صيغ صرفية متعددة ومتكررة، وصيغ إسمية وأدوات، ولا يُكوّن فيها المصطلح إلا 27 مصطلحا (مفردا ومركبا). ويتكون نص الترجمة العربية من 264 [2] كلمة بما فيها ما يقابل المصطلحات.
النص رقم 2 أنموذج استعمال المصطلح في ترجمة النص. ص.22، الرسم 3، ص.23، المعجم، ص. 284

B. L'ENCEPHALE EN VUE LATERALE

La surface des hémisphères cérébraux est marquée par de nombreux sillons et des circonvolutions. Sous la surface de ce relief se place le cortex cérébral, organe nerveux suprême dont l'intégrité est nécessaire à des fonctions telles que la conscience, la mémoire, le raisonnement et les mouvements volontaires. Les deux hémisphères sont séparés par un sillon profond, la **fissure longitudinale** du cerveau ou **scissure interhémpisphérique** (1) (fissura longitudinalis cerebri).

L'hémisphère cérébrale est subdivisé en plusieurs lobes :
- **Le lobe frontal** (2), en avant, (lobus frontalis) que le sillon central ou **sillon de Rolando** (3) (sulcus centralis) sépare :
- du **lobe pariétal** (4) (lobus parietalis) au milieu,
- du **lobe occipital** (5) (lobus occipitalis) en arrière et,
- du **lobe temporal** (6) (lobus temporalis) en bas et en avant.

Le sillon central sépare la **circonvolution frontale ascendante** (7) (Gyrus praecentralis), région de la motricité volontaire, de la **circonvolution pariétale ascendante** (8) (gyrus postcentralis), région de la sensibilité. Les deux régions précitées sont résumées par le terme de région centrale. Cette dernière est limitée en arrière par le **sillon postrolandique** (9) (sulcus postcentralis) et en avant par le **sillon prérolandique** (10) (sulcus praecentralis).

La **scissure pariéto-occipitale** (11) (sulcus parieto-occipitalis) permet de situer les lobes occipital en arrière et pariétal, en avant, que le **sillon interpariétal** (12) (sulcus intraparietalis) visible, divise en deux parties :
- en haut, **la circonvolution pariétale supérieure** (13) (lobus parietalis superior),
- en bas, **la circonvolution pariétale inférieure** (14) (lobus parietalis inferior).

L'incisure pré-occipitale(15) (incisura preoccipitalis) sépare le lobe temporal, situé en bas et en avant, du lobe occipital, placé en bas et en arrière.

Le **sillon latéral** ou **scissure de Sylvius** (16) (sulcus lateralis) placé dans un plan horizontal de la face latérale du cerveau, représente l'un des principaux points de repérage du cortex cérébral.
Ce sillon cache, en profondeur, la **fosse latérale** (17) (fossa lateralis) avec un territoire cortical, **l'insula,** recouverte par les **opercules insulaires** (18) :
orbitaire (19), **frontal** (20), **rolandique** (21) ou **pariétal** (comprenant le pied de **F3,** de **FA** et de PA) et **temporal** (22) ou inférieur.
Sous **l'opercule temporal,** on notera la **circonvolution temporale de Heschi** (23). La scissure de Sylvius forme la limite supérieure du lobe temporal mettant en évidence sur cette vue latérale :
- la**circonvolution temporale supérieure** (24), (gyrus temporalis superior),
- la **circonvolution temporale moyennę** (25), (gyrus temporalis médius),
- la **circonvolution temporale inférieure** (26), (gyrus temporalis inferior).

---

1 تبعا لإحصاء الكلمات في برنامج Windows XP
2 عدد الكلمات في النص الفرنسي أكثر بسبب ورود المصطلحات مكررة بالفرنسة واللاتينية.

الترجمة العربية

بـ الدماغ من منظور جانبي

تَسِمُ سطحَ نصف الكرة المخي عديدٌ من الـثُّـلمِ والتلافيف. ويتموضع تحت سطح هذا النتوء القشرةُ المخية، وهي عضو عُصَبيٌّ فائق الأهمية، وضروري في كليته، لأداء عديد من الوظائف مثل حالة الوعي والتذكر والتمييز والحركات الإرادية. ويفصل بين نصفي الكرة المخية ثُلمَةٌ عميقة هي الشق المخي الـطولاني أو الفلق ما بين نصفي الكرة المخية (1) .

ونصف الكرة المخي يتفرع إلى عديد من الفُصُوص:

- الفَصُّ الجبهي (2) في الأمام، ويفصله الثَّـلمُ المركزي أو فص Rolando عن:
- الفص الجـــداري (4) في الوسط.
- الفص القذالـــــي(5) في الخلف.
- الفص الصـدغي (6) في الأسفل وفي الأمام.

ويفصل الثلمُ الأوسط التلفيفَ الجبهي الصاعد(7)، وهو منطقة الحركة الإرادية، عن التلفيف الجداري الصاعد،(8) الذي هو منطقة الإحساس. ويعبر عن المنطقتين المذكورتين معا بلفظ المنطقة المركزية. ويحد هذه الأخيرة في الخلف، الثلم خلف المركزي (9) وفي الأمام الثلم أمام المركزي (10)

ويسمح الثلم أو [الفلق] الجداري القذالي (11) بتحديد مكان الفصوص القذالية في الخلف، والجدارية في الأمام، وهي التي يجزؤها الثلم بين الجدارين (12) الظاهر، إلى جزأين:

- في الأعلى التلفيف الجداري العلوي،(13)،
- في الأسفل التلفيف الجداري السفلي (14)، .

وتفصل الثلمة أمام القذالي(15) الفص الصـدغي الواقع في الأسفل أماماً، عن الفص القذالـــــي، الواقع في الأسفل خلفاً.

ويمثل الثلم الجانبي أو ثلم سلفيوس (16)، المتموضعُ في وضع أفقي من الجهة الجانبية من المخ، إحدى النقاط الأساسية في مَعْلَم القشرة المخية.

ويُخْفي هذا الثلم عمقاً، الحفرةَ الوحشية (الجانبية) (17) مع منطقة قشرية، الجزيرة المغطاة بالوصائد الجزيرية (18) التي هي:

الوصاد الحَجَاجي(19) والجبهي (20) والمركزي (21) أو الجداري. (ويتضمن قاعدة الفص الجبهي والجبهي الصاعد والجداري الصاعد) والصدغي (22) أو السفلي.

ونلاحظ تحت الوصاد الصدغي تلفيف هيشل Heschl الصدغي (23).

ويُكَوِّن ثلمُ سليفيوس الحدَّ الأعلى للفص الصـدغي مما يبرز على هذا المنظر الجانبي ما يأتي:

- التلفيف الصـــدغي العلوي. (24)
- التلفيف الـصدغي الوسطي.(25)
- التلفيف الصدغي الـسفلي. (26)

الرسم المجسم رقم 3 ص. 23 في الكتاب

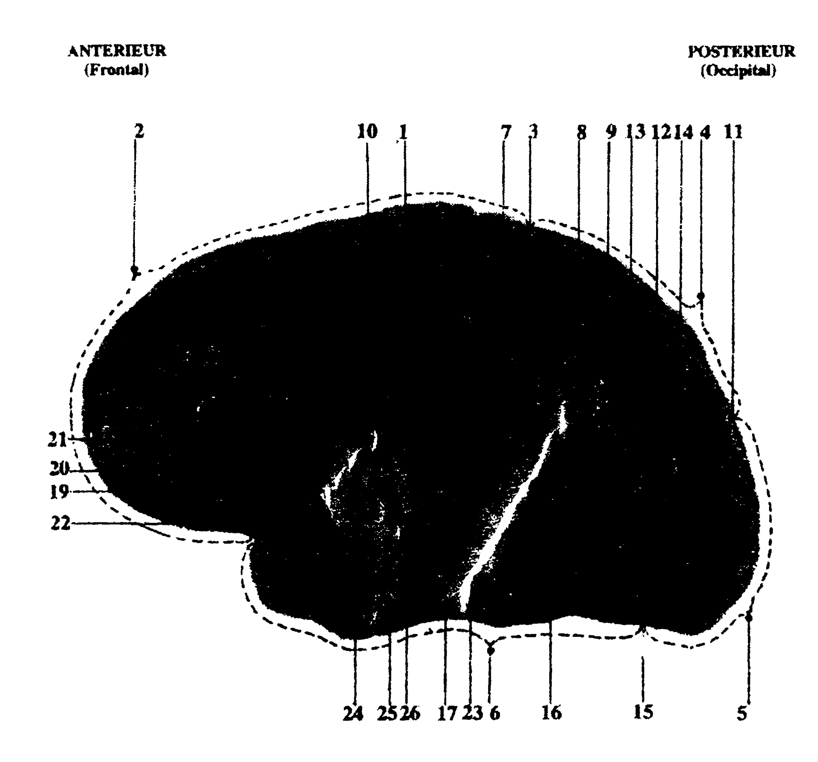


Figure 3 : **VUE LATERALE DU CERVEAU**

Figure 1

	COUPE SAGITTALE DE LA TETE EN VUE MEDIALE MONTRANT LES AXES DE L'ENCEPHALE	مقطع سهمي للرأس في منظر نصفي مبرزا محاور الدماغ	SAGITTAL SECTION OF THE HEAD IN MEDIAL VIEW SHOWING THE AXIS OF ENCEPHALON
1	Boîte crânienne	القحف - الجمجمة	Skull : cranium
2	Dure-mère	الأم الجافية	Dura mater
3	Liquide cérébrospinal	السائل المخي(الدماغ الشوكي)	Cerebrospinal fluid
4	Vertical	عمودي	Vertical
5	Horizontal	أفقي	Horizontal
6	Oblique	مائل	Oblique
7	Rostral	منقاري الشكل	Rostral
8	Caudal	ذنبي	Caudal
9	Ventral	بطني	Ventral
10	Dorsal	ظهري	Dorsal
11	Tronc cérébral	جذع الدماغ	Brain stem
12	Bulbe	البصلة	Bulb
13	Protubérance	الناشزة - الجسر	Pons
14	Quatrième ventricule	البطين الرابع	Fourth ventricle
15	Cervelet	المخيخ	Cerebellum
16	Pédoncules cérébraux	السويقات المخية	Cerebral peduncles
17	Tubercules quadrijumeaux	الحديبات الرباعية التوائم	Quadrigeminal tubercles
18	Diencéphale	الدماغ البيني	Diencephalon
19	Corps calleux	الجسم الثفني	Corpus callosum
20	Trigone	المثلث	Trigone
21	Commisssure antérieure	الصوار الأمامي	Commissura anterior
22	Commisssure postérieure	الصوار الخلفي	Commissura posterior
23	Troisième ventricule	البطين الثالث	Third ventricle
24	Thalamus	المهاد	Thalamus
25	Glande épiphysaire (Glande pinéale)	الغدة الصنوبرية	Pineal gland
26	Glande hypophysaire	الغدة النخامية	Hypophysi al gland
27	Télencéphale	الدماغ الإنتهائي	Telencephalon

في النص الفرنسي الأصلي 379 كلمة[1]، أي أفعال في صيغ صرفية متعددة ومتكررة، وصيغ اسمية وأدوات، ولا يتعدى فيها المصطلح إلا 26 مصطلحا (مفرداً ومركباً). ويتكون نص الترجمة العربية من 273 كلمة[2]، ومقابلات المصطلحات الفرنسية الـ 26. إذن لا يمكن أن يعتذر المعتذر عن استعمال اللغة العربية، بما يزعم من صعوبة المصطلح، فهذا على كل حال، نص حاولت ترجمته إلى العربية، وأظن أنه مفهوم، على الرغم من أني لست طبيباً ويصعب علي التصور الكامل لخلفيات الصناعة الطبية، ولو قدر لطبيب له حظ من العربية أن يترجم هذا النص، لصاغه صياغة لا يمكن أن تكون عاجزة على تفهيم المراد، وجعْلِ المفهوم الطبي سهلاً ورائجاً في مدرجات كلية الطب. صحيح أن في هذه المصطلحات بعض الغربة، ولكن الغربة والحُوشِيّة من خواص المصطلحات كما أشرنا أعلاه، ومصطلحات التشريح الدولية على الخصوص، وهي ذات أصل لاتيني، هي حوشية غريبة في الأصل، ولعل المؤلف قصد وضع هذه المصطلحات اللاتينية بجانب المصطلحات الفرنسية للتذكير بهذا الأمر.

جهد فيه من العلم الكثير، ومن الجهد الذي يخدم الإنسان ويرعى صحته الكثير أيضاً، ومنه ننتقل إلى الفصل الأخير في هذا الكتاب، ويجسم جهذ الجامعة المغربية في ترسيخ الدراسات الشرقية التي كانت إلى حين، من خاصة الآخر ومحمياته. وهذا هو الجهد.



1 تبعاً لإحصاء الكلمات في برنامج Windows XP
2 نفسه.

الفصل السادس

مدرسة مغربية في حقل الدراسات الشرقية[1]

جرت العادة بأن تُدرس الجامعات الغربية لغة أو لغات من اللغات الشرقية، ضمن تدريسها للغاتها القديمة كاللاتينية مثلا. ولعلها ورثت هذا التقليد عن العصور الوسطى، عندما كانت أعرق تلك الجامعات تتسور المعرفة للإطلاع على العلوم العربية التي كانت إنجليزية تلك العهود، أو للنظر في الكتاب (القرآن) وعلومه، للمجادلة الدينية والمقارعة اللاهوتية. ثم صارت المعرفة باللغات الشرقية باباً من أبواب البحث في عادات وتواريخ شعوب الشرق وآدابه. وكانت هذه اللغات في أحيان كثيرة، هي المصدر الوحيد الذي بنى عليه المستشرقون نظريات تاريخيةً خطيرة أو دراسات لغوية عجيبة. والمقصود هنا بـ"عجيبة" غرابة ما توصلوا إليه، حيث جعلوا من الشاذ الذي لا تقيس اللغة العربية عليه، قواعدَ ثابتة. فصارت هذه "مزية" لم تسلم لسانياتنا العربية الحديثة من بركاتها وأفضالها.

في هذا الإطار ورثت جامعتنا المغربية تدريس اللغة العبرية وكذا اللغة الفارسية، ولنفس الأهداف أيضا قررتها، دون شعور من الذين تكلفوا بهذه المهمة بدءاً، لأنهم لم يسعوا إلى سلوك منهج يكون أكثر عطاء أو على الأقل، يستفيد من المناهج الغربية التي كانت تروم مقارنة اللغات والأنحاء والبنى اللغوية في الأسرة الواحدة أو بينها وبين أسر لغوية أخرى. وإن الذي يشفع لهذا الوضع إذ ذاك، هو أنه كان سبباً في خلق روح استطلاع أتت أُكلها فيما بعد.

كان أول أستاذ تحمل هذه المهمة الأستاذ الفلسطيني الأصل حسن ظاظا، في بداية الستينات، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية الوحيدة إذ ذاك في الرباط. ولما انتقل قسم الأدب العربي إلى فاس في السنة الجامعية 1965-1966 نهض بهذه المهمة المرحوم ثقي الدين الهلال بمساعدة الأستاذ السموأل. وبعد أن افتتُح قسمُ الأدب العربي من جديد في الرباط تولت تدريس هذه اللغة الأستاذة المصرية نور الهدى.

وبعد هذه الفترة بقليل، أي في أكتوبر 1975، قدر لي أن ألتحق بكلية

---

1 قدم هذا العرض في ندوة انعقدت في كلية آداب الرباط في أكتوبر 2008، بمناسبة مرور 50 سنة على تأسيس الجامعة المغربية ولم ينشر بعد.

الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ولم تكن حصة الدرس تتعدى الساعة، في حين كان عدد الطلبة يتجاوز المئات. وكم كان العناء كثيراً من أجل إضافة ساعة أخرى.

كنت على يقين بأن حصص الدرس في ساعتيها التي لا تبدأ إلا في السنة الأولى من السلك الثاني، لن تسمن أو تغني من جوع، لذلك ارتأيت أن أقدم لدرسي بمقدمة طويلة كانت تستغرق زمناً طويلاً، كنت أعرف خلالها بحضارة الشرق القديم وباللغات التي توالت على ساكنيه، وعلاقة بعضها ببعض، وبموقع اللغة العبرية في منظومة هذه اللغات. كما كنت أقرب أهداف تدريس هذه اللغة في الجامعة المغربية، مع ربط كل ذلك بتاريخ الشرق وبتاريخ المغرب خاصة، مع تبيان المكان الذي يجب أن نضع فيه نحن أنفسنا لندرسها، وأي المناهج التي يجب أن نختار لذلك. وكنا نأمل من هذه المقدمة، تمكينَ الطالب من معارف نظرية تسهل عليه استيعاب الدرس العبري، سواء على مستوى اللغة أو الحضارة في مجملها، أو فيما يخص المغرب المتميز من وجهة تركيبته السكانية. كما رمنا من هذه المقدمة، أن نجعل من الزمان القليل الذي نملك، وعاء مفيداً وكافياً نظرياً. واخترنا لملئه، فيما يتعلق بالدرس اللغوي المحض، الأسلوب الفقه لغوي، لأنه عريق بوصفه هو أبجدية التحقيق، ولأنه الأمثل في أبواب علوم اللسان، للكشف عن أسرار اللغة العربية بواسطة العبرية، والذهاب بعيداً في المقارنات المعجمية والصرفية والنحوية وتشابه ظروف التطور الحاصل بين اللغة العبرية واللهجات العربية. وهذا أدعى إلى العناية به من اللسانيات النظرية الأجنبية، على الأقل في مستويات التعليم الجامعي الأول. لأن النظريات "النظريات" بدل أن تضئ سبل ومسالك اللغة العربية تزيد من ظلال مخفياتها، فلا هي، في الغالب، ربطت بين التراث اللغوي القديم، ولا هي وضعت نظريات عربية محض صراح.

ولكي نوطن رغبة الدرس في النفوس، أضفنا إلى مقارناتنا اللغوية مقارناتٍ حضاريةً وتاريخية وأدبية، وكلها أسباب ربطت الطالب بالمادة ولم تربطه بالأستاذ. وكان هذا هو السر في إيجاد أساتذة يدرسون اللغة العبرية في كل الجامعات المغربية، وربما في غيرها، على الرغم من قلة الحصص المدروسة، وقلة الإمكانيات البيداغوجية، وقلة الراحة النفسية، وعلى الرغم من أننا كنا نقوم بهذه المهمة في زوايا المغرب الأربع وفي مدرجات كانت تتضمن المئات من الطلبة الذين تمتد حصصهم أحيانا إلى ثمان ساعات متتابعة، وعلى الرغم أيضاً من انعدام المحفزات المادية العلمية، من' إيجاد مكتبة متخصصة وأجهزة لوجيستيكية، أو التشوف إلى الرحلة لموطن اللغة الحالي، لأسباب قومية وسياسية. وقد أثر هذا الواقع في تطوير هذا الدرس ولا يزال حتى الساعة هذه، فشقي المشتغلون بالدرس العبري شقاء يمكن أن يصبح موضوع درس في

المستقبل، عندما نؤرخ لتطور الدراسات الشرقية، ومنها العبرية، في الوطن العربي.

والحقيقة أن الإطار البيداغوجي في جامعتنا في هذه المادة، لم يكن هو الفاعل في تكوين أساتذة اللغة العبرية اليوم في المغرب، بل كوَّنهم تطلعهم المتعطش، وخيالهم الخلاق، ورغبتهم الفاعلة، ونضجهم الفكري المستنير، مع تشجيع من الجهات المسئولة إذ ذاك في وزارة التعليم العالي، حيث مكنت كل من اقترحناه، من المنح الضرورية لمتابعة دراسته خارج المغرب.

ولا ننسى أن نشير أيضاً، إلى تلميحات كانت من أعلى المسئولين، من أجل خلق مؤسسة علمية تهتم بالدراسات الشرقية، في وقت لم يكن عندنا فيه المرتكز التأطيري الضروري لخلق مؤسسة وطنية حقة، فأبدينا رأينا عندها بما مفاده: أن إيجاد مؤسسة تكون اسماً ولا تكون علماً، لا يُستَحسن، ومن الأفضل أن يبدأ الأمر بإعداد الأطر الفاعلة. ولهذا السبب تأخر إيجاد هذه المؤسسة، ومن المؤسف أن الفرصة لم تتح من جديد عندما توفرت الأطر.

وكنا اقترحنا في إطار نظام الوحدات وحدةً دبلوم، تحت عنوان "الأدب العبري في الغرب الإسلامي"، تُدرس فيها اللغة العبرية درساً معمقاً ومتنوعاً وفي مختلف المجالات. وقدمنا تصورنا، وأبرزنا أهداف الوحدة وشروط من سيتمكن من متابعة الدرس فيها، ووضعنا برنامجها التفصيلي بمناهجه وعدد ساعات التدريس ومن يدرس، وآفاق مستقبل الدارسين. ولكن ليس في الإمكان أبدع مما كان، فقد نظر في الأمر من لم يكن على هدىً من العلم، ومن لم يكن له به أدنى صلة، ومن كان يفتقد وعي آفاق الدرس، أو منعه من ذلك، ميل غريزي لرفض شيء لم تكن له فيه يد، فسبقته كلمة "لا" بدون ترو، فلم تر الوحدة النور، "وبهذا الفعل، تنكر هؤلاء لإرث علمي هو من خصوصيات المغرب ومن مميزاته، إذ كان بلدنا، كما سبق أن ألمعنا إلى ذلك في كثير من بحوثنا، وريثا شرعياً لكل إبداعات يهود العصر الوسيط، إذ ثقافتهم هي امتداد لثقافة المغرب، وكثير من علماء اللغة وأعلام الفكر اليهودي من أصول مغربية لحماً ودماً. والشعر العبري الأندلسي، الذي هو موضوع مشروعنا، يعتبر حفيداً للشعر العربي عامة، في مضامينه وأنواعه وقوالبه، بما في ذلك أوزان الخليل بن أحمد. والفكر العبري في الغرب الإسلامي يعتبر أيضاً رمزاً لسماحة الأمة الإسلامية واتساع أفق الثقافة العربية المغربية. وقد كُتب في هذا وعنه ما أصبح اليوم تراثا إنسانيا له مغزاه الحضاري.[1]

---

1 أنظر كتابنا الفكر العبري اليهودي في الغرب الإسلامي.

هذه لمحة مما كنا نريد أن نبرزه في الجامعة المغربية، وكنا نريد به أن تهتم جامعاتنا بتراث يمثل حلقة أساسية ربطت بين الفكر العربي الإسلامي والفكر الغربي، أدباً وفكراً، فحكم على المشروع من لا علاقة له به حكماً مسبقاً، هو أبعد ما يكون عن الأعراف الجامعية البسيطة التي ترجع الأمور إلى أهلها.

والموضوع الذي اقترحناه ما كان يدخل في باب العموميات، وهو من المواضيع التي نالت الصدارة في كبريات الجامعات العالمية مثل السربون وهارڤرد وكمبردج ومئات غيرها، من الأكاديميات العلمية التي تَعْتَبِر أقسام التخصص في "الأدب العبري في الغرب الإسلامي" - وهذه هي تسمية الوحدة التي كنا اقترحناها- من أهم أقسامها، ويُدَرِّسُ فيها كبار المتخصصين، وعنها صدرت مئات الكتب وعدد لا حصر له من الأبحاث، كلها في هذا الموضوع بالذات، وكلها تشيد بما عاشته الأندس في كل مكوناتها من ازدهار بفضل سماحة الإسلام في ظل الإسلام. مع العلم أن هذه المؤسسات هي أبعد ما تكون، جغرافية ولحمة تاريخية وسياسية، عن الغرب الإسلامي الذي يعتبر امتداداً للمغرب في دولة المرابطين والموحدين والدول المتعاقبة، وجل ثقافته لها جذور فيه، وهي بالتالي رمز حضاري لبعد الثقافة المغربية وحسها الحضاري الحليم المتفتح الواعي باحترام الخصوصيات"[1].

ثم اقترحنا وحدة دكتوراة تهتم مكوناتها العلمية بـ"الآداب واللغات الشرقية :الإبداع واللغات". وفي إطار هذه الدكتوراة، نوقشت العديد من الرسائل العلمية التي اهتمت بمجال المقارنات اللغوية والأدبية والدينية والفكرية.

كما أنا أسهمنا في إطار وحدة المناظرات الدينية، شعبة الدراسات الإسلامية، في كليتنا هذه، بدرس معمق في علوم التوراة والتلمود والفكر اليهودي، لغة وتاريخاً ومقارنات حضارية وفقهية. ونوقشت أبحاث ورسائل علمية أكاديمية عديدة في إطار هذه الوحدة. وفي إطار هذه الوحدة أيضاً درس الطلبة في دورة من الدورات، اللغة العربية الجنوبية، لغة اليمن القديم، بتأطير

---

1 هذا مقتطف من رسالة- مع بعض التحوير- كنت بعثتها للمشرف على مشروع برامج الوحدات إذ ذاك، أبنت له فيها عن أهمية المشروع، واستغربت أن تكون اللجنة التي بثت في أمره، من غير المختصين وممن لا يعرفون أدنى شيء عن الثقافة العبرية، فضلا عن الأبعاد الفكرية والحضارية للمشروع، وأمَّلت أن أتلقى جوباً عن رسالتي، أمر لم يحدث. وبدله اتصل بي السيد رئيس الجامعة عندئذ، واقترح علي أن أعيد تقديم المشروع في الدورة المقبلة. ما استطعت أن أستجيب للمقترح، وإن كنت أقدر صاحبه غاية التقدير، لأني أرفض أن تنتهك حرمات التخصص، خصوصاً ونحن في حرم جامعة لها من الأخلاقيات ما يجعلها بعيداً عن الأغراض والأهواء، واحتراما للسيد رئيس الجامعة، وحباً مني لطلبة كانت رغبتهم أن أرافقهم في مسيرة بحثهم، اقترحت مشروع وحدة الدكتوراه المشار إليها أسفله، وأشعر في أعماقي اليوم أن قبر المشروع أضاع عنا الكثير، من الوجهة الأكديمية البحث.

من المستشرق النابه عمانويل فيشر (عفاه الله).

وأسهمنا ببعض مجهود علمي، باسم كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، في نشاطات كليات أخرى لها شبيه بمناهجنا، وجل المشتغلين فيها اليوم هم من خريجي هذه الكلية. إضافة إلى ذلك كانت لنا مساهمات متواضعة في تأطير طلبة يدرسون في جامعات خارج المغرب، أو في مشاريع علمية تنجز في حرم هذه الجامعات.

ومن المعلوم أن كل كليات الآداب والعلوم الإنسانية في المغرب، تدرس اللغة العبرية والفارسية، بوصفهما لغتين شرقيتين، أو تنشط في وحدات مختصة في كل من كلية آداب وجدة وتطوان وفاس.

نتج عن هذا المجهود الذي أسهم فيه جلة من الأساتذة، وكذا الطلبة مِمَّن قدر لنا أن نصاحبهم في مسالك المعرفة هذه، نتاج فكري مكتوب نورد نماذج منه من صنف دكتوراة الدولة، من ذلك:

من قضايا التخطيط اللغوي في اللغة العبرية الحديثة (2000).
كتاب اللمع لأبي الوليد مروان بن جناح القرطبي: رائد النحاة اليهود (2001).
التقابل اللغوي بين اللغتين العربية والعبرية (2001).
تحليل الخطاب عند الزمخشري: مباحثه اللغوية وآلياته التأويلية (2002).
مظاهر التجديد في الفكر اليهودي الأندلسي ومصادره في الثقافة العربية الإسلامية (2003).
من قضايا الترجمة التوراتية: ترجمة سعديا گؤون الفيومي للعهد العتيق (2003).
اللغة الأمازيغية المعيارية: دراسة لسانية مقارنة بين اللهجات 2004).
مفاهيم الشعب الأرض السلام في خطاب عرفات 67- 1990 (2004).
أثر اللغة والأدب الفارسيين في الثقافة العربية الإسلامية (العصر الأول) (2004).
الأبواب اللغوية في الاستشراق الفرنسي: استكشاف للصور والمنهج (2006).
معجم ثنائي اللغة: فارسي-عربي للناطقين بالعربية، المنـــهج والتطـــبيق (2007).
ومن صنف الدكتوراة والدبلوم:

المنحى الاستشراقي في دراسة تاريخ اللغة العربية (1996).
يهود المغرب في كتابات حاييم الزعفراني (2000).
البحث المصطلحي تجلياته وأبعاده (2002).
تقنيات العبرنة والإنماء اللغوي: دراسة تصنيفية الألفاظ المقترنة في المعجم العبري الحديث ((2007).

إضافة إلى هذا بحوث أخرى على مدى ثلاثة عقود، فاقت المائة عنوان مما هو في صلب مقارنة الأديان واللغات والتراث الأندلسي والكتابات الإسلامية التي انشغلت بالتراث اليهودي في الشرق والأندلس والمغرب، والمعاجم الشعرية التي يندرج فعلها في الإعداد للمعجم العربي التاريخي.

لم ينحصر الدرس العبري والفارسي في مواد الفصول، بل عملنا في رحاب الكلية على خلق إطار فكري يسمح لنا، نحن مجموعة مدرسي اللغة العبرية والفارسية واللغات الشرقية الأخرى، (الأردية والتركية في فترة معينة) مستفيدين من الإمكانات العلمية المتوفرة، وحسب المستطاع، ومع مراعاة الظرفية الأخلاقية العلمية والأكاديمية وحساسية التخصص. وأعني بالإطار الفكري "الجمعية المغربية للدراسات الشرقية" التي هي جمعية فاعلة في إطار كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، منذ كانت. وتتكون من خريجي هذه الكلية وممن التحق بحقل البحث. وتهتم الجمعية في إطار هذه الكلية، أو الكليات الأخرى التي يدرس فيها أساتذة اللغات الشرقية بـ:

1- إلقاء محاضرات وتنظيم لقاءات علمية مختصة في اللغات والآداب والأديان والقراءات النقدية.
2-البحث والكتابة والتحقيق والترجمة في مجالات الاختصاص.

وفي هذا الإطار صدرت لنا شخصياً، أبحاث خاصة بالفكر العبري واللغات القديمة في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، وفي سلسلة ندواتها المتعددة. وفي هذا الإطار العلمي المشترك، نُظمت عشر ندوات من سلسلة الموائد المستديرة، كانت عناوينها كالآتي:
1-الدراسات الشرقية واقع وآفاق(1994)[1].

1 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، مطبعة الأمنية، الرباط، 2004.

2-اللغات والحضارات الشرقية: نظر وتطبيق (1997)[1].
3-الحضارات الشرقية وتلاقح الحضارات (1998).
4-آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات (2000)[2].
5- حضارة الشرق القديم بين علم الآثار وحفريات الإبداع (2001)[3].
6- الترجمة والتراث القديم: الفعل العلمي والقضايا المنهجية (2002)
7- تراث الشرق القديم: المواقع والنقوش والكتابات وسائط للتواصل المعرفي والحضاري (2003).
8- مدونات النصوص القديمة: أعمال المستشرقين والأركيولوجيين (2004).
9- ثمرات الدرس الشرقي: من القراءة إلى التأمل (2005)[4].
10- الترجمة في اللغات الشرقية (2006)[5].
11- رحلة النص بين الشرق والغرب: من نصوص الشرق إلى إبداع فارس واليونان وبلاد الأمازيغ (2007).
12- دورة تكوينية في اللغة الآرامية بإشراف المستشرق الألماني فيرنر أرلوند (2007)[6].

ويمثل اليومَ جماعُ الأبحاث التي قدمت في هذه الندوات موسوعة علمية رصينة غطت في معارف هذا الحقل، دراسات الكتاب المقدس اليهودي والمسيحي نصاً وتاريخاً ونقداً، والأبحاث الأركيولوجية الشرقية، واللغات الشرقية نحواً ومعجماً، والنتاج الحضاري الشرقي آداباً وتشريعاً، والتصوف المقارن، والدراسات العبرية والفارسية الحديثة في جوانب متعددة من حقول المعرفة، والقراءات النقدية للمؤلفات المهتمة بنتاج الشرق، وترجمة النصوص وتحقيقها، والبحث في قضايا عقدية وسياسية ترتبط بواقع الشرق الأوسط اليوم.

هذه هي الحال التي عليها درس العبرية مذ قرر في الجامعة المغربية، مع إمكان ملاحظة التغيير الطارئ عليه في نظام المسالك. ونظراً لخاصية الظروف التي يجري فيها هذا الدرس الشرقي في جامعتنا، وقد ألمعنا إليها من قبل، سَعَيْنا إلى رسم مسار مجالات البحث التي جسدها الطلبة، سواء في أبحاثهم في آخر الإجازة أو في رسائلهم وأطاريحهم، مذ بدأت اللغات الشرقية تدرس في

1 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، مطبعة الأمنية، الرباط، 2005
2 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، مطبعة فضالة، المحمدية، 2005.
3 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006.
4 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.
5 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007. نشرت الأعمال بعنوان آخر هو: كتابات شرقية في الأخلاق والتصوف والأديان.
6 الندوات الأخرى ستنشر قريباً.

الجامعة، وكان ذلك في مجالات البحث الآتية:

1- الإبداع واللغة والفكر، وذلك في:

أ- ألدراسات القديمة، مثل اللغات والآداب المصرية القديمة والأكادية والأوغاريتية والفينيقية والآرامية والسريانية والحبشية واللغات الحامية الإفريقية وإبداع الأسطورة. ذلك لأن الأصول اللغوية لمعظم هذه اللغات واللغة العبرية، مشتركة بوجه من الوجوه، ويتمم بعضها بعضاً، ويشرح بعضها بعضاً. (ويمكن أن تتشعب حقول المعرفة بقريب من هذا في المقارنات الهندوأوروبية والفارسية).

ب- في مجالات المعارف الأروكيولوجية في منطقة الشرق على سعته.

2- الدراسات اللاهوتية والدينية، مثل التوراة والتلمود والأناجيل ومقارنة النصوص المقدسة ومقارنة الأديان.

3- أ- ألكتابات اليهودية قبل الإسلام، وهي كتابات متعددة في المجالات الفقهية والأدبية والتاريخية .

ب- الكتابات اليهودية بعد الإسلام في الشرق والغرب الإسلاميين، وهي أنواع:

1- كتابات دينية وفقهية وفتاوى (وتتضمن المقارنات الفقهية والتشريعية وما يدخل في اختصاصات كليات الحقوق في جامعتنا المغربية).

2- كتابات أدبية تجمع بين الشعر والنثر والقصة والمقامة، (وتشمل هذه بدورها مجال المقارنات).

3- كتابات فلسفية تجمع بين الأصيل والدخيل.

4- كتابات علمية تجمع بين الطبيعة والطب وما بينهما.
3- تراث الترجمة المختلف والغني الذي شمل كل المعارف المعروفة في العصر الوسيط. وهو تراث كان له أثره الكبير في تطوير الفكر الإنساني، وقد أبنا عن ذلك في بحوثنا التي أنجزناها في كليتنا هذه، ومنها أطروحتنا "ابن رشد والفكر

العبري الوسيط: فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي"[1]. وترجمتنا لكتابي ابن رشد "الضروري في السياسة"[2] و"أخلاق نيقوماخيا"[3]، من العبرية إلى العربية.

ويدخل في باب هذه الفقرة ايضاً ترجمة الآداب والمعارف العبرية الحديثة. وهذه عملية ضرورية لفهم الدهنيات والأخلاق والسلوك، بل والسياسات.

4-الإنتاج الفكري العبري المعاصر الذي يشمل كل المعارف، ويعتبر الجهل به سببا من أسباب هزيمتنا العسكرية والفكرية .

5- التراث اليهودي المغربي الغزير والمتنوع. وعندما نقول يهودي فهذا تجاوز، وإلا فهو تراث مغربي لا يحتاج إلى صفة، لأنه يعرض لكل قضايا المغرب، تاريخاً واجتماعاً واقتصاداً وديناً أيضاً.

6- مجال معجم اللغة العربية التاريخي منذ أقدم عصورها وإلى اليوم. وبهذا المعجم وحده يمكن الوقوف عند كثير من الأمور العويصة في لغتنا، وبه أيضاً نتلمس طرق التطور اللغوي في مسار طبيعي، مما ييسر سبل وضع المصطلحات العلمية وضعاً سليماً، لا يخرج عن السليقة العربية ولا تتأبى عنه المجالات العلمية الحديثة في أي حقل من حقول المعرفة.

7- الاستفادة من هذه الدراسات في المجال السياسي والاقتصادي. وقد ظل هذا الجانب الراصد للحركية السياسية والاقتصادية لدولة شغلت الأمة العربية والإسلامية ردحاً من الزمان ولا تزال، غائباً في جهود الأمة العلمية. وتسبب هذا الغياب في ضرر بليغ انعكست آثاره على غالي قضايانا في المجامع الدولية بأنواعها، كما انعكست على حركية مجتمعاتنا فأغَلَتْها وأربكتها. وقد قدمنا أنموذجاً للاستفادة من هذا النوع من الدرس في كُتَيِّبنا "التوراة والشرعية الفلسطينية"، الذي صدر في سلسلة كتاب الجيب، عن منشورات الزمان[4].

ضمن هذه المجالات انشغلنا علمياً مع الطلبة طيلة العقود التي قدر لنا أن ندرس فيها العبرية، أو درس فيها أساتذة اللغة الفارسية والأردية والتركية -(وقد درست هذه في بعض السنوات)- بالحقول المعرفية التي تنبئ عنها عناوين

---

1 المطبعة الوطنية- مراكش، 1999. (جزآن في 760 صفة).

2 نشر ضمن سلسلة التراث الفلسفي العربي: مؤلفات بن رشد (4)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.

3 سينشر قريباً إن شاء الله.

4 العدد 41، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004.

البحوث أعلاه، وهي تشمل ما كان بحثاً في الدراسات العليا (دكتوراه دولة ودكتوراه ودبلوم) وما كان بحوثاً في سنوات الإجازة، وكانت جلها في المستوى العلمي الرفيع.

ملاحظة أخيرة لا بد منها وهي: إن اللغة العبرية، وهي على ما هي، وعلى ما وصفنا، شبيهة عندنا اليوم، بما كانت عليه لغة المستعربين والمستشرقين في زمن من الأزمان، نتعامل معها في الكتب والبحوث والنظر، ولا نزيد، لوضع سياسي **نتقيد فيه بالوازع الخلقي والقومي والإنساني**، ولهذه الحال ما يبررها إلى حين. غير أن الذي يجب أن نعترف به هو أن الجامعة المغربية، أسست مدرسة في الدراسات الشرقية، وخصوصاً في الدراسات العبرية والفارسية والفينيقية ونقد النصوص الاستشراقية، مشهوداً لها لدى الباحثين العرب وغير العرب، بالجودة والرصانة، وتعتبر إصداراتها وتحقيقاتها وبحوثها وترجماتها، أعمالاً ذات مستوى رفيع. كما يحق للجامعة المغربية أن تفتخر بمنجزاتها العلمية في التراث اليهودي المغربي، فقد درسته بالموضوعية التي تجب، وبالمناهج العلمية الرصينة، وترجمت جهودها هذه في دورياتها ورسائلها وأطاريحها على اختلاف أنواعها: مجلة كلية الآداب باللسانين العربي والفرنسي، والندوات المختصة، وبحوث الإجازة والدبلوم والدكتوراة ودكتوراة الدولة، فتجمع لها رصيد غني، مذ كانت إسبرس رائدة في ذلك وحتى يوم الناس هذا. والحصيلة أبحاث علمية مغربية في تراث وفكر وتراكمات معرفية مغربية غنية، أضافت الكثير في رصيد الثقافة الإنسانية، وبوعي حضاري بالغ النضج.

مسح سريع لجهود كلية الآداب والعلوم الإنسانية في مجال الدراسات الشرقية يتطلب منا تحليلا مفصلاً لمواضيعه وقضاياه وانشغالاته. وقد نخصص لهذا بحثاً جديداً في مقبل الأيام إن شاء الله.

وبهذا الأمل يتم السفر، ونأمل من الله أن يسدد الخطى حتى نخرج السفر الخاص بالتراث العبري اليهودي في المغرب، قريباً بحول الله.

- القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مراقبة الإنتاج رقم 89. رقم النسخة 004708. (اعتمدناها في القراءة والمراجعة)
- القرآن الكريم، القرص المدمج لشركة صخر. (الإصدار السادس، 6،31 [1991-1996]. وموقع الوراق، دبي.
- العهد العتيق، النص العبري،
- محمد إسماعيل إبراهيم قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، 1381 بيروت و/1961. ط. 2، 1970.
-أرسطوطاليس، الخطابة، الترجمة القديمة، [تحقيق عبد الرحمن بدوي]، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959.
- أرسطوطاليس، فن الشعر لأرسطو، [تحقيق عبد الرحمن بدوي]، دار الثقافة، بيروت، 1973.
- الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، ط. 4، 1969.
- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتاب العربي، 1972.
- الأصمعي، الأضداد [تحقيق أوغست هفنر]، بيروت، 1912.
- الألوسي شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة المنيرية، المعرفة، بيروت، (دون تاريخ).
- ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ط. رابعة 1961.
- أبو زيد الأنصاري، كتاب النوادر في اللغة، [علق عليه وصححه سعيد الخوري الشرتوني اللبناني]، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967/1387. الحق الكتاب بكتاب مسائيه للمؤلف.
- بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، [ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي]، دار العلم للملايين، ط. عاشرة، 1984.
- إسحق بن برون، الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية، [تحقيق باولو قاقاوصاو، بترسبورك سنة 1890. [1971]. (بالحرف العبري).
- أبو عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، [حقق الكتاب وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني]، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1423هـ2002
- أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك تحقيق أدريان فان ليون وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992.

- بلاو (يهوشوع)، المختار من النصوص باللغة العربية اليهودية، دار ماغنس للنشر، الجامعة العبرية في القدس، 1980. (الكتاب مكتوب بالحرف العبري والمقدمات والتعاليق باللغة العبرية).
- بلقزيز محمد بن عبد الجليل، الطريقة العربية الجديدة للتحليل اللغوي، مطبعة النجاح الجديدة، 1990.
- الخطيب التبريزي، تهذيب إصلاح المنطق [فخر الدين قباوة]، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983/1403.
- علي بن عثمان التركماني بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، حققه علي حسن البواب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2000/1420.
- أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي، كتاب الأصول...،[تحقيق Wilhelm Bacher] أمستردام، 1968.
-أبو الوليد مروان ابن جناح، كتب ورسائل لأبي الوليد ابن جناح القرطبي:
J. Derenbourg et H. Derenbourg, Imp. Nationale, Paris (1880
- جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين بيروت ومكتبة النهضة بغداد، 1968.
- أبو منصور الجواليقي،المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، [عني به أحمد محمد شاكر]، نشر مركز تحقيق التراث ونشره، مطبعة دار الكتب، ط. ثانية، 1969/1389.
- ابن حزم الأندلسي، كتاب الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة،1345 هـ.
- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، [تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر]، 1983/1403.
- أثير الدين أبي حيان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، [حققه سمير طه المجذوب]، المكتب الإسلامي، 1988/1408.
- علي فهمي خشيم، اللاتينية العربية، دراسة مقارنة بين لغتين بعيدتين قريبتين، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2002.
- علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم، الطبعة الأولى عن دار الشرق، بيروت، 1997.
- الحافظ الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان.
- أحمد ذياب المعجم الطبي فرنسي عربي ، المطبعة العربية 1992، [1] المعجم الطبي الثلاثي اللغات (الطبي1) ومعجم التشريح البشري (الطبي2) imedition@tunet.tn
- الفخر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى- 1401/ 1981 م.

- أبو الوليد محمد بن رشد، الضروري في السياسة" [ترجمه عن العبرية أحمد شحلان] سلسلة التراث الفلسفي العربي: مؤلفات بن رشد (4)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.
- أبو بكر بن حسن بن مذحج الزبيدي لحن العوام، [تحقيق رمضان عبد التواب]، مكتبة دار العروبة، 1964.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1385هـ-1965م.
- أبو عبد الله السقطي، آداب الحسبة، [تحقيق كولان وبروفنسال]، باريس.
- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، كنز الحفاظ في تهذيب كتاب الألفاظ، الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1895 [1898-1896]
- أبو عبيدة القاسم بن سلام، كتاب الغريب المصنف [تحقيق محمد المختار العبيدي]، بيت الحكمة، قرطاج، 1989.
- عبد الرحمن السهيلي الأندلسي المغربي، التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء الأعلام، دراسة وتحقيق عبد الله محمد علي النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، 1992/1401.
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، [عبد السلام محمد هارون]، دار الجيل، بيروت، ط. أولى.
- أحمد شحلان، مدخل إلى اللغة العربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1982، مطبعة دار أبي رقراق-الرباط، 2006.
- أحمد شحلان، أبو الوليد محمد بن رشد والفكر العبري الوسيط، فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، المطبعة الوطنية- مراكش، 1999. (جزآن).
- أحمد شحلان، "التوراة والشرعية الفلسطينية"، كتاب الجيب، عن منشورات الزمن' العدد 41، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004.
- أحمد شحلان، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006.
- محمد بن شريفة، أمثال العوام في الأندلس، فاس، 1971.
- محمد إسماعيل الأمير الصنعاني، تفسير غريب القرآن، حققه وعلق عليه وضبط نصه محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 2000/1421.
- عبد العزيز سعيد الصويعي، كتاب أصول اللغة الليبية القديمة، دار الملتقى للطبع والنشر، قبرص، 2003.

-الإمام مكي بن أبي طالب، تفسير المشكل من غريب القرآن، [حقق الكتاب علي حسين البواب]، مكتبة المعارف، الرياض، 1985/1406.
- الإمام مكي بن أبي طالب، العمدة في غريب القرآن، حققه وعلق عليه وخرج نصه، يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ثانية 1984/1304.
- ابن جريرالطبري، التفسير الكبير، طبعة المطبعة الأميرية عام 1333هـ.
- محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط. ثانية، 1979/1399 .

- طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طبعة البابي الحلبي، مصر.
- طنطاوي محمد السيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار مكتبة الأندلس، ليبيا، (الطبعة الثانية بيروت، 1973).
- أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك العدوي البغدادي المعروف بابن اليزيدي غريب القرآن وتفسيره، [تحقيق عبد الرزاق حسين]، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987/1407.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، [تحقيق كولان ولفي بروفنسال]، (دون تاريخ).
- موسى بن عزرا، المحاضرة والمذاكرة [نشرة ي. هلكين] Kităb Al-Muhădra wal-Mudhakara (Liber Discussionis et Commemorationis) (Poetica Hebraica) Hierosolymis MCMLXXV
- أبو حيان الغرناطي، البحر المحيط، دار اليمامة – الرياض 1980م.
- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مطبعة السعادة، مصر، 1329.
- أبرهام الفاسي، جامع الألاظ (الإگرون) تحقيق [S.L SKOSS]
-, Yale Oriental series, Researches XX, XXI New Haven (1936-1945).
- محمد ثابت الفندي وآخرون،[ترجمة]، دائرة المعارف الإسلامية، 1933.
- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى -القاهرة1986 م.
- سعديا گؤون الفيومي، كتاب السبعين لفظة، [تحقيق نحميا ألوني]، القدس، 1956 (بالحرف العبري).
- محمد بهجت قبيسي، ملامح في فقه اللهجات العربيات، من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، دار شمأل، دمشق، ط: ثانية، 2000.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تفسير غريب القرآن، [حققه السيد أحمد صقر]، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978/1398.

- قجمان، معجم عبري –عربي، دار الجيل، بيروت ومكتبة المحتسب، عمان، 1970.
- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي- القاهرة 1967.
- يهودا بن قريش، رسالة يهود فاس، [تحقيق دن بقر]، جامعة تل أبيب، 1984.
- القلقشندي (أبو العباس) أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى، القاهرة، 1913/1331.
- موسى بن محمد بن موسى بن يوسف القليبي العمري المالكي، التحفة القُليبية في حل الحمولية في غريب القرآن الكريم، حققه وعلق عليه الشيخ كامل محمد محمد عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999/1420.
- عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية والمعاملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية، الرباط، 1946.
- مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 26، 1975.
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، العدد العاشر، 1984.
- مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، عدد 37 السنة 1993، 48، 1999.
- مجلة الوعي الإسلامي عدد 138. يوليو 1976.
- مجمع اللغة العربية (القاهرة)، قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط. ثانية، 1970/1390.
- ابن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة [تحقيق شوقي ضيف] طبعة دار الفكر العربي، 1947.
- المعجم التاريخي للغة العبرية، أكاديمية اللغة العبرية، العمل وطريقة إنجازه، القدس 1969. وثيقة اطلعنا عليها في The Jewish Theological Seminary of America بنيويورك سنة 1997، (اطلعنا على المعجم كاملا في ميكروفيش).
- المعجم الطبي الموحد، اتحاد الأطباء العرب، الطبعة الثالثة، ميدليفانت، سويسرا (إنكليزي - عربي - فرنسي) 1983.
- معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،مطابع سلا،1415/ 1995، مجلد 7.
- عبد العال سالم مكرم، المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.
- ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، (1300هـ).
أحمد محمود هويدي، الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الأدبية اللغوية، (4) 1999.
- بهاء الدين الوردي، حول رموز القرآن، قاموس أصل اللغات، لغات قوم نوح، (العرب البائدة)، سومرية-أكادية- ، دار وليلي للطباعة والنشر، 1996.

- أ. ونسكي وآخرون، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، مكتبة بريل، ليدن، 1936.
- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أشرف على تحقيقه محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

أعمـــــال نـــــدوات

- ندوة التاريخ واللسانيات، النص ومستوى التأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، 1992.
- ندوة قضايا استمال اللغة العربية في المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة الهلال العربية، الرباط، 1993 .
- ندوة تكريم للأستاذ عبد الحق فاضل، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1994.
- ندوة تكريم الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال، مراكش، المطبعة الوراقة الوطنية، 2003،
- ندوة الترجمة في المغرب، **أي وظيفة وأي استراتيجية؟ سلسلة ندوات وزارة الثقافة. مطبعة دار المناهل، 2003 .**

مصادر ومراجع عبرية

- **אלקראן, תרגם מעברית, יוסף יואל ריבלין, הוצאת דביר, הדפסה שלישית תשל"ה**
- **הקראן הקדוש, אהרון בן שמש, הוצאצ מצדה, 1971**
- **תלמוד: סדר זרעים, מסכת ברכות- סדר נזיקין, מסכת סנהדרין، - סדר נזיקין, מסכת אבות. موقع מאגר ספרות הקדש.**
- **יונה מרון אבן גנאח ספר הרקמה, דוב גאלדבערנג, פראנקפורת, תרט"ו 1856.**
- אברהם אבן שושן, המלון החדש, הוצאת קרית ספר, ירושלים, 1969
- אברהם אבן שושן, המלון החדש, , הוצאת קרית ספר, בע", ירושלים, 1971.
- שמואל אזנשטט, לשונינו העברית החיה, תל-אביב, 1967.
- האנצקלופדיה העברית, תל-אביב, ירושלים, תשל"ב (חנוך-חדר-ישבה-מרוקו)
אלף שנות חיים יהודיים במרוקו: ספר המקורות, הברמן למחקרי ספרות, לוד, תשמ"ו
- א. אשתור, קורות היהודים בספרד המוסלמית, הוצאת ספרים "קרית ספר" ירושלים, 1960

- יוסף בנאים, מלכי רבנן, ירושלים, 1913 (1975)
- אליעזר בן יהודה, מלון הלשון העברית הישנה והחדשה, המבוא הגדול, מהדורה עממית מיוחדת, להוצאת "לעם" תל-אביב, 1948
- אלי עזר בן יהדה, החלם ושברו, ירושלים, 1970
- מנחם בן סרוק הספרדי, המחברת, [צבי בן יחזקאל פיליפאווסקי]לונדון, 1854
מנחם בן סרוק, המחברת, [Angel Sáenz-Badillos]
,Universidad de Granada, Granada, 1986.
- יהודה בן קריש דן בקר, הרסאלה, מהדורה ביקורית, תל-אביב, 1984.
- ג, ברגשטרסר, דקדוק הלשון העברית הוספות מ. לידזברסקי, תרגום מגרמנית
- יעקוב טולידנו, ניר המערב, תולדות ישראל במרוקו, ירושלים, 1911
-פ. לחובר, תולדות הספרות העברית החדשה, הוצאת דביר, תל-אביב, תשכ"ו.
ח.ס. צבי לערנער, תולדות הדקדוד, וין תלר"ו
דוד סיטון, הקהלות הספרדיות בימינו, ירושלים , 1974
- א. ש. קושטר תולדות הלשון העברית, חוברת, הודפסה שנייה, אוניברסיטה בר-אילן, רמת-גן, תשכ"ט, 1969.
- יעקב קליין (עורך), מלון אכדי עברי, ישראל 1973
צבי שרפשטיו, תולדות החנוך בישראל, ירושלים, 1965
- תרביץ, רבעון למדעי היהדות, מאגנס, ירושלים, מספר 16 ו19.

مصادر ومراجع أجنبية

- Coran, Traduction R. Blachère, G. P. Maisonneuve, 1972

- Le Coran, Traduction Ahmed Aïmeche et Ben Daoud. Ed. Heintz Frère. Oran

- Biblia Hibraica, Edidit RUD KITTEL, Textum masoreticum curavit P. KAHLE. 1937 by Württembergische Bibelanstlt Stuttgart, Gesamtherstellung 1973 durch die Württembergische Bibelanstlt Stuttgart. Pinted in Germany

- Bible, Par les moins des Maredsous, Belgique,1968.

-André Martin, Langage, la Pléiade, Paris, 1968.

-M. Abitbol, Communautés juives des marges sahariennes du Maghreb, Institut Ben-Zvi et l'Université Hébraïque de Jérusalem,1982.

- D. Bensimon-Donath, L'éducation en Israël, Paris, 1970.

- Immigration d'Afrique du Nord en Israël, Paris, 1967.

- R. Blachère, Introduction au Coran, Paris, 1947.
- L. Brunot et E. Malka, Textes judéo-arabes de Fès, Rabat, 1936.
- Glossaire judéo-arabe de Fès, Rabat, 1940.
- Bulletin de l'alliance israélite universelle. Paris. De 1863 à 1913.
- A. Caquot, M. Sznycer, A. Herdner, Textes ougaritiques T.1, Mythes et Légendes, Introduction, Traduction, Commentaire, Les éditons du CERF, Paris, 1974.
- A. Choraqui, L'Alliance israélite universelle et La renaissance juive contemporaine, Pais, 1965.
- David Cohen, Dictionnaire des racines sémitiques, Fas. 1, Paris, Mouton La Haye, 1970.
- M. Cohen, Le système verbal sémitique et l'expression du temps, éd. E. Leroux, 1924.
- Marcel Cohen, L'Ecriture, Editions sociales, Paris, 1953.
- Derenbourg , le Livre des parterres fleuris, Paris, 1886.
E. Doblhofer, Le déchiffrement des ECRITURES, Arthaud Paris1959, p.88.
- R. Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, Beyrouth, 1968.
P. Flamond, Les communautés israélites du Sud-Marocain : Essai de description et d'analyse de la vie juive en milieu berbère, Casablanca, (sans date).
- Un Mellah en pays berbère Demnate, Librairie générale de Droit et de Jurisprudence, Paris, 1952.
- Quelques manifestations de L'Esprit populaire dans les juiveries du Sud-Marocain, Casablanca, 1958.
- Freud, L'Homme Mòïse et la religion Monothéiste, Gallimard, 1986.
-J. Gelb, Pour une théorie de L'écriture, Flammarion, France, 1973.
-Mireille Hadas-Lebel, Histoire de la langue hébraïque, Publications Orientalistes de France, 1977.
- Michel Honnrat, Démonstration de la parenté des Langues indo-européennes et sémitiques, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1933.
- P. Paul Joüon, Grammaire de l'hébreu biblique, Institut biblique pontifical, Rome, 1924.
- A. Lahlaidi – M. Jiddane, Corrélations anatomo-fonctionnelles et Imagerie de L'encéphale, Livres Ibn Sina, Printex, (Espagne). 1996.
- P.H. Lammens, La Mecque à la veille de L'hégir, Beyrouth, 1924.
- G. Lankester Harding, An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian nams and Inscriptions, University of Toronto Press (1969).
- Messod et Roger Sabbah, Les secrets de l'Exode, L'origine égyptienne des Hébreux, Seld/ Jean-Cyrill Godefroy, Paris, 2000.

- A. NEUBAUER, Notice sur la lexicographie hébraïque, journal Asiatique, décembre 1861.
- Fabre-d'Olivet, Langue hébraïque restituée, C. Delphica, l'Age d'Homme, Suisse, 1975, (Première partie, Racines hébraïques).
- C. RABIN, La renaissance de la langue hébraïque, Ariel, N°21, 1970.
- Joseph Reinach, l'histoire de l'affaire Dreyfus, Éditions de la Revue Blanche, 1901-1911.
- E Renan, Ecrivains juifs français, Paris M. DCCCLXXVII.
- E.Renan, Histoire générale et système comparé des langues sémitiques, éd. Colmann et Leoy, Paris, 1928.
- J. Mathieu-Rosay, Dictionnaire étymologique, Les nouvelles Editions Marabout, Alluer, Belgique, 1985. Petit Robert 2, (Paris 1975).
- Samuel Noah Kramer, L'Histoire commence à Sumer, Arthaud Paris 1975.
- E. Sollberger, Jean-Robert Kupper, Inscriptions ROYALES sumériennes et akkadiennes, Les éditons du CERF, Paris, 1971.
- P. WECHTER , Ibn barun's Arabic, Work's on Hebrew Grammar and Lexicography Philadelphia, 1964.
- Weil, Mahomet savait-il lire et écrire ? IV Congrès orientalistes, Florance, 1880.
- H. Zafrani, Pédagogie juive en terre d'islam ; l'enseignement traditionnel de l'hébreu et judaïsme au Maroc, Paris, 1969.
- La vie intellectuelle juive au Maroc de la fin du 15e au début du 20e siècle; première partie : La pensée juridique et les environnement socio-économiques du droit. Paris, 1970.
- Les Juifs du Maroc vie sociale, économique et religieuse; étude de Taqqanot et Responsa. Paris, 1972.
- La vie intellectuelle juive au Maroc de la fin du 15e au début du 20e siècle; deuxième partie : Poésie juive en Occident musulman. Paris, 1977.
- La vie intellectuelle juive au Maroc de la fin du 15e au début du 20e siècle; troisième partie : Littératures dialectales et populaires juive en Occident musulman. Paris, 1980.
- Kabbale vie mystique et magie; judaïsme d'Occident musulman. Paris, 1980.
- Mille ans de vie juive au Maroc; Histoire et Culture, Religion et Magie. Paris, 1983. (Jérusalem 1985).
- Mille ans de vie juive au Maroc, histoire et culture, religion et vie mystique, Le livre de sources, Haber Mann Institut for Literary Research, Lod, 1986.

- Ethique et mystique, judaïsme en terre d'islam, le commentaire kabbalistique du «Traité des Pères» de J. Bu'ifrgan. . Paris, 1991.

Colloques

-Les relations entre juifs et musulmans en Afrique du Nord, XIXèm siècle, acte du Colloque international de l'Institut d'Histoire des pays d'outre-mer, Abbaye de Sémanqu-octobre 1978, Paris 1980.
- Juifs du Maroc, Identité et Dialogue, éd. La pensée sauvage, Paris, 1986.



الفهـــرست